

شرح مقاصد الحري

المعروف بالشرشي

لابي العباس أحمد بن عبد المؤمن الفيضي شرشي

عشر مقامات حسب مساج

الوفاق المدارس العربية

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم



منشورات
إدارة القرآن
كراتشي

اعني مطبعة
فيہم شرف پور

شرح مقامات الحری

المعروف بالشری

لأبی العباس أحمد بن عبد المؤمن الفیسی شری

عشر مقامات حسب منهج الوفاق المدارس العربیہ

تحقیق

محمد ابوالفضل ابراہیم

النایب

إسلام آباد القرآن والعلم للامین

۴۳۰- ڈی۔ سیلچوک۔ کراچی۔ ۷۴۵۰- فون ۴۲۲۳۶۸۸ - ۴۲۱۶۳۸۸

الطبعة الثانية: ١٤١٨ هـ
أشرف على طباعته: فہیم أشرف نور

من مشورات

إدارة القرآن والعلوم الإسلامية

D/437 كاردن ایسٹ، سیٹلہ کرائچی - ۵، پاکستان

الہاتف : ۷۷۱۶۴۸۸ فاكس : ۷۷۲۳۶۸۸ - ۰۰۹۲۲۱

E. Mail: quran@biruni.erum.com.pk

ويطلب أيضا من:

المكتبة الإسلامية باب العمرة مكة المكرمة - السعودية
مكتبة الإيمان السمانية، المدينة المنورة - السعودية
مكتبة الرشيد الرياض - السعودية
إدارة إسلاميات انار کلی لاہور - پاکستان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

مقامات الحريري

١ - لم يبلغ كتاب من كتب الأدب ما بلغت هذه المقامات - التي أبدع إنشاءها الأستاذ الرئيس أبو محمد القاسم بن علي الحريري - من نباهة الذكر ، وبعد الصيت ، واستطارة الشهرة . فإنه لم تكد تصدر منها النسخة الأولى في بغداد حتى أقبل الوراقون على كتابتها ، والعلماء على قراءتها عليه من شتى الجهات ؛ ذكروا أن الحريري وقع بخطه في شهر سنة أربع عشرة وخمسة على سبعمائة نسخة^(١) ؛ كما أن العلماء في جميع الأقطار العربية أخذوا يتدارسونها في المدارس والمعاهد ، ويقرءونها في الأندية والمحافل ، بل إن شهرتها امتدت في حياته إلى الأندلس ، فوفد فريق من علمائها على الحريري ببغداد - منهم الحسن بن علي البطليوسي ، والحجاج بن يوسف القضاة ، وأبو القاسم عيسى ابن جهور - وقرءوا عليه بمنزله هذه المقامات ، ثم عادوا إلى بلادهم حيث تلقاها عنهم العلماء والأدباء ، وتناولوها رواية وحفظاً ، ومدارسه وشرحاً . .

ولمؤرخي الآداب العربية أقوال مختلفة في سبب إنشائها . .

نقل ياقوت من عبد الله بن محمد بن محمد بن أحمد النقور البزاز ببغداد ، قال : سمعت الرئيس أبا محمد القاسم بن علي الحريري صاحب المقامات . يقول : أبوزيد

السُّرُوجِيّ ، كان شيخاً شجاعاً بليغاً ، ومكدياً فصيحاً ، ورد علينا البصرة ، فوقف يوماً في مسجد بني حرام ، فسلم ثم سأل الناس — وكان بعض الولاة حاضراً ، والمسجد غاص بالفضلاء — فأعجبهم فصاحته ، وحسن صياغة كلامه وملاحظته ، ثم ذكر أسر الروم ولده . . واجتمع عندي عشية ذلك اليوم جماعة من فضلاء البصرة وعلماؤها ، فحكيت لهم ما شهدت من ذلك السائل ، وما سمعت من لطافة عبارته وتحقيق مراده ، وظرافة إشارته في تسهيل إيرادها ؛ فحكى كل واحد من جلسائه أنه شاهد من هذا السائل ومجمله مثل ما شهدت ، وأنه سمع منه في معنى آخر فصلاً أحسن مما سمعت ، وكان يثير في كل مسجد زينة وشكله ، ويظهر في فنون الحيل فضله ، فتعجبوا من جريانه في ميدانه ، وتصرفه في تلون إحسانه . فأنشأت اللقائمة الحرامية ، ثم بنيت عليها سائر اللقافات ، وكان أول شيء صنعت . وذكر ابن الجوزي هذه الحكاية في تاريخه ، وزاد فيها أن الحريري عرض هذه اللقائمة الحرامية على أنوشروان بن خالد وزير السلطان ، فاستحسنها ، وأمره أن يضيف إليها ما شاكلها ، فأنعمها خسين مقامة^(١) .

وفي رواية لابن خلكان ، قال : لما عمل الحريري اللقافات أنشأها على أربعين مقامة ، وحملها من البصرة إلى بغداد ، وأدعاها ، فلم يصدق ذلك جماعة من أدباء بغداد ، وقالوا : إنها ليست من تصنيفه ، بل هي لرجل مغربي من أهل البلاغة مات بالبصرة ، ووقعت أوراقه إليه ، فأدعاها . فاستدعاه الوزير إلى الديوان وسأله عن صناعته ، فقال : أنا رجل منشيء ، فأقترح عليه إنشاء رسالة في واقعة بعينها ، فانفرد في ناحية من الديوان ، وأخذ الدواة والورقة ، ومكث زماناً كثيراً ، فلم يفتح الله عليه بشيء من ذلك ، فقام وهو خجلان ، وكان في جملة

(١) معجم الأدباء ١٦ : ٢٦٣ .

من أنكر دعواه في عملها أبو القاسم علي بن أفلح الشاعر ، فلما لم يعمل الحريري الرسالة التي اقترحها الوزير أنشأ ابن مفلح :

شَيْخُ لَنَا مِنْ رِيْعَةِ الْقَرْصِ يَنْتِفُ عُنُونَهُ مِنَ الْمَوَسِّ
أَنْطَقَهُ اللَّهُ بِالشَّانِ كَمَا رَمَاهُ وَسَطَ الدِّيَّوَانِ بِالْخَرْصِ

وكان الحريري يزعم أنه من ربيعة القرس ، وكان مولماً بانتف لحيته عند الفكرة ، وكان يسكن مشارف البصرة ، فلما رجع إلى بلده عمل عشر مقامات أخر ، وسيرهن إليه ، واعتذر من عييه وحصره في الديوان للحلقه من المهابة (١).

وقال ابن خلكان أيضاً : رأيت في شهور سنة ست وخسين وخمائة بالقاهرة المحروسة نسخة مقامات ، وجميعها بخط مصنفها الحريري ، وقد كتب أيضاً بخطه على ظهرها أنه صنفها للوزير جمال الدين عميد الدولة أبي علي الحسن ابن أبي المز علي بن صدقة وزير المسترشد . قال : ولا شك أن هذه الرواية أصح لكونها بخط المصنف (٢).

٢- وقد نسب الحريري رواية هذه المقامات إلى الحارث بن همام ، وعني بهذا الاسم نفسه ، ونظر في ذلك إلى قوله صلى الله عليه وسلم : « كلكم حارث وكلكم همام » ، فالحارث الكاسب ، والهمام كثير الاهتمام بأموره ، وما من شخص إلا وهو حارث وهمام .

وجمل بطل هذه المقامات أبا زيد السروحي ؛ وتختلف الروايات أيضاً في حقيقة أمره ، فن قائل : إنه اسم خيالي وضعه الحريري واستوحاه من صورة الشحاذ الذي لقيه في مسجد بني حرام بالبصرة . ومن قائل بأنه كنية اسم حقيقى .

(٢) ابن خلكان ١ : ٤٢٠ .

(١) ابن خلكان ١ : ٤٢٠ .

لرجل اسمه المطهر بن سلام ، ذكره القفطي في إنباء الرواة ضمن تراجم النحاة ، وقال في حقه : صاحب أبي محمد القاسم بن علي الحريري البصري ، أنشأ المقامات على لسانه ، وكان فيه فضل وأدب ، وله معرفة بالتحو واللغة والعربية ، قرأ على أبي محمد الحريري بالبصرة ، وتخرج به ، وروى عنه ^(١) .

وأبنا كان الخلاف حول سبب إنشاء هذه المقامات وبطلها أبي زيد ، فإن هذه المقامات عمل فني رائع منقطع القرن ، حوى من متخير الألفاظ ومنتخل الأساليب وناصع البيان ، مع إحكام السبك وإشراق الديباجة والبعد عن الركافة والابتذال - ما جعلها قمة في الآداب العربية ترتفع عن مقام المتحدى والمعارض على السواء . وقد صاغها مجالس متنوعة تختلف موضوعاتها باختلاف البلاد التي تخيل أنه زارها ، ورحل إليها ، ما بين فرغانة وغانة ، وأفرغها في قوالب طريفة في الأدب والنقد والوعظ والنكاهة ، يتخللها وصف للمجتمع وأحوال الناس ، وجعلها في أسلوب السجع الكامل ، بعد أن وشأها بألوان البديع ؛ من الجناس والطباق والمقابلة ، أو كما يقول المؤلف في صدر كتابه : أنشأت على ما أعانيه من قريحة جامدة ، وفطنة خامدة - خمسين مقامة تحتوي على جد القول وهزله ، ورقيق اللفظ وجزله ، وغرر البيان ودرره ، وملح الأدب ونوادره ، إلى ما وشحتها به من الآيات ، ومحاسن الكتابات ، ورصعته فيها من الأمثال العربية ، واللطائف الأدبية ، والأحاجي النحوية ، والفتاوى اللغوية ، والرسائل المبكرة ، والخطب المحبزة ، والمواعظ المبكية ، والأصاحيك الملهية .

وكان أول لقاء وقع بين الحارث بن همام وأبي زيد السروجي في صغاه ، وكانا في رواء الشباب وربيع العمر ، حيث لقي الحارث أبا زيد خطيبا واعظا ، ثم عرفه بعد ذلك مخادعا مخاتلا ، وعليه بنى الحريري المقامة الأولى وأسماها المقامة الصنعانية . ثم

أخذ الحارث يقطع الأسفار ، ويحوب الفياق والقفار ؛ ليلقى أبا زيد مرة في
ساحة القضاء ، وأخرى في مجالس الولاة ، وآونة في أندية الأدياء ؛ واعظا أو
شاعرا ، أو شعاذا أو خاصما ؛ ثم يمضى بهما العمر وتتابع الأيام ؛ إلى أن يلتقيا في
أخريات عمرهما بالمسجد الجامع بالبصرة بعد أن خلقت جذتهما ، وذوى عودهما ، ورث
بُرد شبابهما ؛ وإذا أبو زيد يقف في حشد الناس ؛ يعلن توبته ، ويندم على ما قدم
من ذنوب وآثام ، وينشد :

أستغفر الله من ذنوب أفرطت فيهن واعتديتُ
كم خضت بحر الضلال جهلا ورحت في الفتن واعتديتُ
وكم تناهيت في التخطي إلى الخطايا وما انتهيت
فأيقيني كنت قبل هذا نسيا ولم أجنر ما جئتُ
يارب عفوا ، فأنت أهل للعفو عني ، وإن عصيت
ثم يخفى أبو زيد ويعود إلى بلده سرّوج ، يلبس الصوف ، ويؤم الصفوف ،
ويمنح الحارث بعدها إلى الراحة ويكف عن الأسفار ؛ ويكون هذا آخر لقاء بينهما ،
وبه تنهى المقامة الخمسون ، آخر المقامات .

٣- ولم يكن الحريري مبتدع فن المقامات ولا أبا عذرها ، بل سبقه إلى هذا
الفن بديع الزمان الهمداني ، وإلى ذلك يشير بقوله في صدر المقامات يتحدث عن
سبقه : هنا مع اعترافي بأن البديع رحمه الله سبقني غايات ، وصاحب آيات ،
وأن المتصدّي بعده لإنشاء مقامة ، ولو أوتى بلاغة قدامة ، لا يعترف إلا من
فضالته ، ولا يسرى هذا المسرى إلا بدلالته ؛ والله درّ القائل :

فلا قبل مبكها بكيت صبا
بسعدى شفت النفس قبل التندم

ولكن بَكَتَ قَبْلِي فَهَيَّجَ لِي الْبُكَاءُ بِكَاءِهَا قُلْتُ الْفَضْلُ لِلتَّقَدُّمِ
ومع ذلك فإن من جاء بعدهما من كتاب المقامات ؛ إنما قصد محاكاة
الحريري والتسج على منواله ، والسَّير في دربه ؛ فمنهم من حاول ولم يوفق ، ومنهم
من عمل ولكنه أخفق . . .

فيمَن حاول ذلك عليّ بن الحسن بن عنتر المعروف بالشميم الحليّ ، قال ياقوت :
وردتْ أَمِدٌ في سنة ثلاث وتسعين وخمسة وأُتاني عنقوان الشاب وربيعه ؛ فبلغني
أن بها عليّ بن الحسن بن عنتر المعروف بالشميم الحليّ - وكان من العلم بمكان
مَكِين ، واعتلق من حباله بركن ركين ؛ إلا أنه كان لا يقيم لأحد من أهل العلم
المقدمين ولا المتأخرين وزناً ، ولا يعتقد لأحد فضيلة ، ولا يقرّ لأحد بإحسان
في شيء من العلوم ولا حُسْن ، فحضرتُ عنده ، وسمعت من لفظه إزراره على أولى
الفضل ، وتندبده بالمعيب عليهم بالقول والفعل ؛ فلما أبرمى وأضجر ، وامتدّ في
غَيْه وأصحر ، قلت له : أما كان فيمن تقدّم على كثرتهم وشغف الناس بهم عندك
مُجيد قط ! فقال : لا أعلم إلا أن يكون ثلاثة رجال : الثاني في مديحه خاصة ،
ولوسلكت طريقه لما برز عليّ ، ولست فضيلته نحوى ونسبتها إليّ ، والثاني
ابن نباته في خطبه ، وإن كانت خطبي أحسن منها وأشهر ، وأظهر عند الناس
قاطبة وأشهر . والثالث ابن الحريريّ في مقاماته . قلت : فامنعك أن تسلك
طريقته ، وتنشد مقاماتٍ تحمد بها جهرته وتملك دولته ؟ فقال : يا بنيّ ، الرجوع
إلى الحق خير من النمادى في الباطل ؛ ولقد أنشأتها ثلاث مرات ، ثم أتأملها
فأستردّها ، وأُعيد إلى البركة فأغسلها ؛ ثم قال : وما أظنُّ الله خلقني إلا لإظهار
فضل الحريريّ ^(١) !

ومنهم أبو الطاهر محمد التميمي السرقسطي الأشتراكي ^(٢) المتوفى بقرطبة سنة

(١) معجم الأدباء ١٦ : ٢٦٧ - ٢٦٩

(٢) منسوب إلى أشتراكي ، من أعمال طليّة ، من بلاد الأندلس .

٥٣٨ ، أنشأ كتاب «الحسين مقامة اللزومية» ^(١) عارض بها مقامات الحريري،
ولزم في نثرها مالا يلزم ، متأثراً بالمرعي في لزومياته ، فأبعد النجعة ، وأتعب خاطره ،
وكبد ذهنه ، وأسهر جفنه ، وصعب على نفسه المسالك ، وقيد كلامه نظماً ونثراً .
وانخذ راويه المنذر بن همام ، وجعل بطله السائب بن تمام ؛ ولكن هذه اللقائات
ذهبت بها عوادي الأيام ، فلم تصل إلينا .

ثم قام جارا الله محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ أيضاً ، فأنشأ مائة
مقامة كالمقالة ، تدور كلها حول الوعظ ؛ ولكن ليس فيها راوٍ ، ولا بطل ؛ بل
خاطب في جميعها نفسه ، وذكرها بالآخرة ، ورغبها في الأعمال التي تؤدي بها
إلى نعيم الله ورضوانه .. وكان الزمخشري أحسن في هذه المقامات بمصوره عن
غاية الحريري ، وبُمدّه عن مداه ، فقال :

أقسم بالله وآياته ومشعر الحج وميقاته
أن الحريري حرى بأن نكتب بالتبر مقاماته

ثم توالى المقلدون جيلاً بعد جيل ، كابن الجوزي وأبي العلاء أحمد بن أبي
بكر الرازي وابن نايقا وابن الصيقل الجزري وابن حبيب الحلبي وابن الوردی
والسيوطي وغيرهم ؛ إلى أن انتهى إلى خاتمة المقلدين الشيخ ناصيف
اليازجي ، أحد أعيان البيان بלבنان في القرن التاسع عشر الميلادي ؛ فدرس مقامات
الحريري وحفظها ، ثم أخذ يروض قلمه على مقامات تنحو نحوها ؛ وتسلك
نهجها ، وما زال يلتبس الوسائل ، ويتطلب الدرائع ، ويرتاد نواحي الظفر ،
ويتوخى وجوه التّجريح ، حتى عمل أكثر من ستين مقامة سماها «مجمع البحرين» ،
أي النثر والنظم ؛ وجعل راويها سهيل بن عباد ، وبطلها ميمون بن حزام ؛

(١) فهرست ابن خلدون ٣٨٧

وتنقل بسهيل بن عباد في البلدان — كما تنقل الحريري بالحارث بن همام —
يلقي ميمون بن حزام ، سالكا مسالك أبي زيد في المكاييد وطرق التنكر
والتعلق بصحيح الكلام ...

وعلى الرغم من دقة المحاكاة في بعض هذه المحاولات ، فإن الحريري يبقى
منفردا بفتنه ، واحداً في أسلوبه ؛ لا يدانيه أحد منهم في ثره أو نظمه ، بذً من
قبله ، وأتمب من بعده ، وستظل مقاماته من أجود ما جادت به القرائح ، وأجل
مانضحت به الأقلام ؛ على مرّ المصور والأيام . .

٤ - وإن كان لهذه المقامات منزلة عند القدماء ، عبر عنها بإقوت بقوله :
« واقع من السعد ما لم يوافق مثله كتاب ، جمع بين الجودة والبلاغة
وأنتمت له الألفاظ ، حتى أخذ بأرقها وملك ريقها ، وأحسن نسخها ؛ حتى
لو ادعى الإعجاز لما وجد من يدفع صدره ، ولا يردّ قوله ، ولا يأتي بما يقاربها ،
فضلا عن أن يأتي بمثلا ، ثم رزقت مع ذلك من الشهرة وبعد الصيت والاتفاق
على استحسانها من الموافق والمخالف ما استعجت به وأكثر ... » ، - فإنها
لم تخل من نقدٍ بضمهم وتجرعهم له ؛ منهم ابن الأثير في اللؤلؤ السائر وابن الطقطقي
في الآداب السلطانية .

ومن أشهر من نال منه أبو محمد عبدالله بن أحمد بن أحمد المعروف بابن
الغشّاب ، وضع رسالة جمع فيها المأخذ التي وقع عليها في المقامات ؛ قال في
مقدمتها : « وله أشياء في أثناء مقاماته لورجع فيها لأقرّ مع الإنصاف بالخطأ
ساکتاً فسلم ، أو لتنازع مباهاة . وأنا أسوقها على التوالي موضعاً فموضعاً ، مع
تمهيد عذره ؛ لقدتها في جنب صوابه ، وما مر به من الحسن في أثناء كتابه ،
علماً بأن الكامل من عدت سقطاته ، والفاضل من أحصيت هفواته » .

وقد قام الإمام عبدالله بن بري فآلف رسالة انتصر فيها للحريري من

مأخذ ابن الخشاب ثم جاء عبد اللطيف بن يوسف البندادي ، فنصب نفسه حكما بينهما ، ووضع رسالة أسماها الإنصاف بين ابن برى وابن الخشاب في كلامهما على المقامات .

٥- وبجانب الحركة الفكرية والأدبية التي أحدثتها المقامات في المشرق ؛ في العراق والشام ومصر ، فإن مثل هذه الحركة قامت في الغرب أيضا ؛ في أسبانيا وإنجلترا وفرنسا وألمانيا ؛ وكان أول ما عمل من ذلك ما قام به المستشرق الهولندي جوليوس سنة ١٦٥٦م ، من ترجمة المقامة الأولى إلى اللغة اللاتينية ، ونشرها في الطبعة الثانية لكتاب تعليم اللغة العربية أرينيوس في ليدن . ثم نقل المستشرق الهولندي شولتنس ست مقامات بين سنتي ١٧٣١ ، ١٧٤٠م ونقل بعده فان توردى بارادى منتخبات من سبع عشرة مقامة بين سنتي ١٧٨٦م و ١٧٩٥ إلى اللاتينية أيضا .

وفي فرنسا قام المستشرق كوساندي برسفال بنشر المتن العربي الكامل ، وطبع سنة ١٨١٢م كما قام الأستاذ دي ساسي بجمع مخطوطات المقامات وشروحها ، وعمل منها شرحا عربيا ، وطبع المتن والشرح في باريس سنة ١٨٢٢م ، ثم طبع مرة أخرى في باريس أيضا بين سنتي ١٨٤٧ ، ١٨٥٣م ، واشتهرت هذه الطبعة في الشرق والغرب ، وتصدى لها بالنقد الشيخ ناصيف اليازجي .

أما في ألمانيا ، فقد قام العلامة رُكْرْت ، و ترجم هذه المقامات سجعاً باللغة الألمانية ، وقد اقتضى منه ذلك جهداً في استعمال كلمات نادرة الاستعمال في هذه اللغة حتى قال بعض النقاد الألمان : إن رُكْرْت أجبر لنته على الألعاب الرياضية الشاقة ؛ وقد تمت هذه الترجمة بشهرة عظيمة في عالم الاستشراق .

وفي اللغة الإنجليزية قام تشري بترجمتها إلى اللغة الإنجليزية في سنة ١٨٦٧م وتبمه استجاس فترجمها أيضا في سنة ١٨٩٨م .

وفي أسبانيا ترجم الشاعر اليهودي يوراي الحرزي هذه المقامات إلى العربية، وطبعت هذه الترجمة في لندن سنة ١٨٧٢ م.
وفي كثرة هذه التراجم والطبعات دلالة على ما ناله الحريري في الحلقات الاستشرافية من التقدير في نواحي العرب^(١).

٦- وقد كانت المقامات من أوائل ما طبع من الكتب العربية؛ وأول طبعة لها كانت هي الطبعة التي ذكرت أنها كانت في باريس سنة ١٨١٩م بمثابة كوسان دي يرسفال، ثم توالى طبعتها بعد ذلك في باريس ولندن وليدن وكلكتة ولكناو ودهلي بالهند وبولاق والقاهرة وتبريز وبيروت^(٢).

أما النسخ الخطية من هذه المقامات فلا تكاد تخلو مكتبة من المكتبات العربية في الشرق والغرب من عدد وافر منها متناً أو شرحاً، وفي دار الكتب المصرية من المقامات أكثر من ثمان وعشرين نسخة؛ غالبها نفيس، ومنها نسخة برقم ١٠٥- أدب منقولة من خط المؤلف بعد سماعها عليه، وفي أولها إجازة بخطه، ونسخة برقم ٤٤٧٩- أدب طلعت، وعليها خط المؤلف أيضاً، ونسخة برقم ٢٥٩- أدب، عليها سماعات مؤرخة سنة ٦٦٣، ونسخة بخط مرتضى الزبيدي كتبت سنة ١١٦٥، ونسخة برقم ١٥٢٩- أدب بخط ابن نجدة كتبت سنة ٧٢٩، هذا عدا النسخ الخطية المشروحة^(٣).

(١) أدت هذه المعارف الاستشرافية؛ مما كتب به إلى العلامة الدكتور أنست باثر أستاذ اللغات الشرقية في جامعة فينا.
(٢) انظر معجم المطبوعات العربية لسركيس ٧٤٨، ٧٤٩.
(٣) انظر فهرس دار الكتب.

صاحب المقامات

١ - ومؤلف المقامات هو الرئيس أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريريّ منسوباً إلى صناعة الحرير أو بيعه ، ولد سنة ٤٤٦ هـ بالمشان ، وهي قرية قرب البصرة ، ثم رحل إلى البصرة وسكن في محلة بني حرام - وهم قبيلة من العرب سكنوا بالبصرة - وتأدب بها ، وقرأ العربية على أبي الحسن بن فضال الجاشعيّ شيخ إمام الحرمين ، والفقهاء على أبي إسحاق الشيرازي . وعيّن صاحب الخبز بالبصرة ؛ وهو منصب ظل به إلى أن مات ، فتوارثه أولاده من بعده ، وظلّ فيهم إلى عهد المهملد الأصمبانيّ الذي زار البصرة سنة ٥٥٦ هـ .

وكان الحريريّ - إلى جانب علمه وأدبه وتمرسه بفنون العربية جميعها - من ذوي الجاه واليسار ، كان له بالمشان أكثر من ثمانية عشر ألف نخلة ، يفلها ويتردد عليها ، وكان له منزل بالبصرة يقصده الأدباء والعلماء يقرءون عليه أو يفيدون من علمه ، وخاصة بعد أن ألف المقامات وذاع أمرها بين الناس . وكان مرهف الشعور صادق الحسّ والتخمين ، حكى أنه زاره شخص غريب ليأخذ عنه شيئاً ؛ فلما رآه استزرى شكله . ففهم الحريريّ ذلك منه ، فلما التمس منه أن يُنبئَ عليه قال له : اكشِب :

ما أنت أول سارٍ غَزَهُ قَمَرٌ ورائد أعجبه خُضرة الدُّمَنِ
فاختر لنفسك غبري إلتى رجل مثل المميدى فاسمع بي ولا تترني
نحجل الرجل وانصرف عنه .

٢ - وللحريريّ ديوان رسائل أورد ياقوت شيئاً منها ، وله الرسالة السينية التي ألهم في جميع كلماتها حرف السين ، والرسالة الشينية التي ألهم في جميع كلماتها حرف الشين ، وأوردها ياقوت أيضاً .

وله شعر في غير المقامات ، ذكر منه ابن خلكان قوله :
قال المواذل ما هذا القرامُ به أما ترى الشعر في خديّ قد نبّتا

قلّت والله لو أن المُنْدَى نامل الرشد في عينيه مائتاً
ومن أقام بأرض وهي مجدبة فكيف يرحل عنها والريح أتى !
وأورد له صاحب الخريدة :

كم قلباء بماجر فتنت بالحاجر
ونفوس ففانس خُدرت بالخابر
وتتنّ غاطر هاج وجداً غاطر
وعذار لأجله عاذل عاد عاذري
وشجون تضافت عند كشف الضائر
وأورد له ياقوت :

لا تخطون إلى خطّه ولا خطي من بعد ما الشيب في فوديك قد وخطا
وأى عذر لمن شابت ذوائبه إذا سرى في ميادين الصبا وخطا
وله غير الشعر والرسائل والمقامات ما يأتي :

١ - درة النواص في أوهام الخواص ، بين فيه أغلاط الكتاب فيما
يستعملونه من الألفاظ بغير معناه في غير موضعه ، طبع في مصر سنة ١٢٧٢ هـ ،
وفي ليبسك سنة ١٨٧١ م ، وطبع مع شرح الخفاجي في الأستانة سنة ١٢٩٩ هـ .
٢ - ملحة الأعراب في صناعة الإعراب ، وهي أرجوزة ، وأولها :

أقول من بعد افتتاح القول بحمد ذي الطول شديد الحول
طبعت في باريس وبيروت ومصر ، وقد شرحها بحرق الحضرمي ، وأسمى
الشرح « تحفة الأحباب وطرفة الأصباب » ، وطبع بمصر مرارا أيضا .

٣ - قصيدة من وزن الخفيف ، منها نسخة مخطوطة في مكتبة برلين برقم
٧٧٩ ، وأوردها السيوطي في اللزهر ١ : ٢٨٦ - ٢٨٨ ، وأولها :

أبها السائل عن الظاء والضّاء في لكيلها تُضِلُّه الألفاظُ

شرح المقامات

١ - وتعتبر مقامات الحريرى أكثر الكتب حفظاً فيما وقع لها من شروح ، وما أديرَ حولها من تعليقات ، أحصى صاحب كشف الظنون أكثر من خمسة وثلاثين شارحاً ، منهم محمد بن علي بن عبد الله الحلى ، ومحمد بن علي للمعروف بابن حميدة ، ومحمد بن محمد المكي الصقلى المعروف بابن ظفر ، وأبو المظفر محمد بن أسعد المعروف بابن حكيم ، وعلي بن الحسن المعروف بشميم الحلى ، وسليمان بن عبد الباقي بن سلامة الضرير ، والشهاب الحجازى ، وعبد الله بن الحسين المكبرى ، وقاسم بن قاسم الواسطى ، عبد اللطيف بن يوسف البندادى ، وأبو الفتح ناصر بن السيد المطرزى ، ومحمد بن عبد الرحمن محمد بن مسعود الفندجيهى ، وأحمد بن عبد المؤمن القيسى المعروف بالشريشى ، وسليمان ابن عبد القوى الحنبلى المعروف بنجم الدين الطوفى ، وأحمد بن المظفر الرازى وغيرهم .

ومن قام بشرحها من المتأخرين المشرق دى ساسى - كما ذكرنا - هل شرحاً من الشروح التى وقفت له ، وأضاف إليه فوائد من كتب الأدب والنحو والتاريخ . وطبع هذا الشرح فى باريس مع فهرس للألفاظ والأمثال والأعلام .

ولعل كثرة هذا المدد من الشارحين يرجع إلى ما زخرت به المقامات من الكلمات العربية ، والأمثال والأحاجى والألغاز ، والنكات النعوية والبلاغية مما يجعل ميدان الشرح ذا سعة وأودية الاستطواد كثيرة .

٢ - وتختلف هذه الشروح إيجازاً وإطناباً ، وأسلوباً ومنهجاً ، ومن أوسعها مجالاً ، وأجمعها الشئيت الفرائد ومنثور القوائد ، ومنشعب الأغراض ، هذا الشرح الذى

وضعه العلامة أحمد بن عبد المؤمن القيسى المعروف بالشريشي . وقد وقعت له
سبعة المقامات مما رواه عن أبي القاسم عيسى بن جهور وأبي الحجاج يوسف
القضاعي وأبي الطاهر الخشوعي ، وهم ممن ذكرنا أنهم رحلوا إلى المشرق من
علماء الأندلس ولقوا أبا محمد الحريري في بغداد ، وقرأوا عليه المقامات في منزله ،
وعادوا إلى بلادهم يحملون المقامات ؛ ضمن الكنوز النادرة التي حملوها
من المشرق إلى المغرب عن طريق الرحلة والرواية ...

وقد وقف الشريشي جهده حقبة على هذه المقامات ، بتدارسها مع العلماء ،
ويستوعب الكتب والأسفار والدواوين والشروح والتعليق ، ليتخذ المدة
لشرحها ؛ ولهذا الغاية يقول : لم أدع كتاباً ألف في شرح ألفاظها ، وإيضاح
أغراضها إلا وعيته نظراً ، وتحققته معتبراً ، ومختبراً ، وترددت في تفهّمه وردياً
وصدراً ، وعكفت على استيفائه بسيطاً كان أو مختصراً ... ولم أترك في كتاب
منها فائدة إلا استخرجتها ، ولا فريدة إلا استدرجتها ، ولا نكتة إلا ملتفتها ،
ولا غريبة إلا استلحقتها ... فاجتمع من ذلك حفظاً وخطاً أعلاق جمّة ، وفوائد
لم تهتم بها قبله همة ؛ ثم لم أقنع بتدوين الدواوين ، ولا اقتصرت على توقيف
التصانيف ؛ حتى لقيت بها صدور الأمصار ، وعلماء الأعصار .

وجعل من أهم مقاصده في هذا الشرح أيضاً التعريف بالأمصار للذكورة في المقامات -
ما وسعه الجهد ثم شرح الأمثال . وترجم للمشهورين من الآباء والأبناء والشعراء
والأدباء والأعيان ، مع العناية بصنوف البديع وبسط أنواع الأدب وفنونه
والإكثار من الشعر في كل مناسباته . . . وخاصة الشعر الأندلسي فإنه حشد
فيه مجموعة من مختار هذا الشعر ، وانفرد بنصوص نادرة منه لا تجدها في غير
هذا الكتاب .

وبهذه المزايا مجتمعة كان هذا الشرح مرجع الباحث وغنية المتأدب، وغاية المطالع والمستفيد .

٣- والشارح هو أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى القيسي الشربشي ، ولد بشرش سنة ٥٧٧ - وكانت شربش من أجل بلاد الأندلس ، وأحفلها بأشجار الكروم والتين والمنب والزيتون - عاش فيها صدر شبابه ، وتلقى بها على أبي الحسن بن لبّال وأبي بكر بن الأزهر وأبي عبد الله ابن زرقون وأبي الحسين بن جبير . ورحل إلى الشرق ثم عاد إلى شربش ، وتوفّي بها سنة ٦١٩ هـ .

وقد ألف من الكتب غير هذا الشرح مختصرا لنوادير أبي علي القالي وشرحا لكتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي وآخر لشرح الجمل للزجاجي ، وجمع مشاهير قصائد العرب ؛ كما وضع رسالة في العروض . وكان أيضا شاعرا مطبوعا شائق اللفظ رشيق المعنى .

ومن نموذج شعره تلك الأبيات التي أوردتها القرى في ترجمته^(١) ، وكان قد سافر إلى الشام وشُغِفَ بها ثم رجع عنها ، فقال يتشوق إليها :

يا جيرة الشام هل من نحوكم خبرٌ	فإن قلبي بنار الشوق يستمر
بمدت عنكم فلا والله بعدكم	مالذّ للعين لا نومٌ ولا سهرٌ
إذا تذكرت أوقاتا نأت ومضت	بقربكم كادت الأحشاء تنفطر
كأنني لم أكن بالنَّيرِ بين ^(٢) ضحى	والنَّيمِ يبكي ومنه يضحك الزهر
والورق تنشد ، والأعصان راقصة	والدَّوح يطرب بالتصفيق والنهر
والسَّفحُ ، أين عشيّاتي التي سلفت	لي منه ، فهي لعمري عندى العمرا !
سَفَحٌ يا سَفَحُ ، سَفَحٌ اللّمع منهلا	وقلّ ذاك له إن أعوز المطر

وبما هو جدير بالذكر أن هذا الشرح واحد من ثلاثة شروح وضعها

(١) فتح الطيب ٢ : ٣١٧ (٢) التبرين ، من قرى دمشق .

المؤلف : أولها مختصر ، وثانيها متوسط ، وثالثها هذا المطول ؛ وهو الذي اشتهر في الخافقين ذكره ، وأقبل عليه العلماء والمتأدبون دون غيره . . . ومن قصد البحر استقل السواقيا .

• • •

٤ - وحينما قمت بتحقيق هذا الكتاب تحيرت التسخ الآنية للرجوع إليها :
(١) نسخة كاملة مخطوطة بدار الكتب برقم ١٧٥ - أدب ، مكتوبة بقلم معتاد ؛ إلا أنها تخلو من الضبط ، ، وتقع في ٤٣٢ ورقة ، وفي كل صفحة ٣٥ سطرا ، وكل سطر يشتمل على ٢٢ كلمة تقريبا كتبت سنة ١١٣٠ هـ ، وفي أولها وقفية على خزانة جامع شيخون سنة ١١٩٣ هـ وبعض التمليكات ، وقد رمزت لها بالحرف (ا) .

(٢) نسخة خطية مخفولة بدار الكتب برقم ١٧٨ - أدب ، تقع في ١٢٧ ورقة ، وفي كل صفحة ١٩ سطرا ، كل سطر يشتمل على ١٢ كلمة تقريبا ؛ وهي نسخة جيدة صحيحة فيها بعض الضبط إلا أنها ناقصة تشتمل على شرح ١٧ مقامة فقط ، وبهامشها المقامات ، وقد رمزت لها بالحرف (ب) .

(٣) نسخة خطية مخفولة بدار الكتب برقم ١٨٠ - أدب ، وهي نسخة خرائنية كتبت بخط نسخ واضح ، ولكنه خال من الضبط ، وتقع في ٤٥٢ ورقة ، وفي كل صفحة ١٠ كلمات تقريبا ، وتحتوي على شرح خمس وعشرين مقامة . وقد رمزت لها بالحرف (ج) .

(٤) نسخة طبعت في بولاق سنة ١٣٠٠ هـ بتصحيح محمد الحسيني ، وقد رمزت لها بالحرف (ط) .

وجميع هذه النسخ كتب على هامشها المقامات .

هذا عدا ما رجعت إليه من كتب الأدب واللغة والتاريخ ومجموعات
الشعر ودواوين الشعراء .

ويطيب لي في هذا المجال أن أنوه بفضل الصديق العلامة الحجة الدكتور
محمود مكي الذي تفصل بقراءة هذا الجزء بعد طبعه ، وكانت له ملاحظات قيمة
أثبتها فيما بعد ، هنا بالإضافة إلى المعارف والمعلومات التي أفدتها منه ، وخاصة
في الأدب الأندلسي وتاريخه .

ويقع هذا الكتاب - إن شاء الله - في ستة أجزاء ، وسألحق بآخره إن شاء الله
الرسالتين السينية والثينية للحريري ، وحواشي ابن الخطيب وابن برّي وغيرهما على
المقامات ؛ فضلا عن النهراس الفنية العامة .

ومن الله المون والتوفيق

رمضان سنة ١٣٨٩ هـ

نوفمبر سنة ١٩٦٩ م

محمد أبو الفضل إبراهيم

شرح المفاهيم الحرة

لأبي العباس أحمد بن عبد المنعم العيسوي الشافعي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ الأستاذ القويّ النحويّ أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن
ابن عيسى بن موسى بن عبد المؤمن القيسي الشريشيّ، تيمّده الله برحمته
ورضوانه، وأسكنه فسيح جناته بمنّه وكرمه آمين :

الحمد لله الذي اختصّ هذه الأمة بأنصح الألسنة وأفسح الأذهان، وشرف
علماءها بالافتنان في أفانين البلاغة والبيان، وميّزنا بين سائر الأمم بالثقل المتفق
الفقر والنظم المعتدل الأوزان .

نحمده على أفتدة هداها، وألسنة أطال في شأو البلاغة مداها، ونصلى على
سيد المرسلين، وخيرة العالمين، الذي ختمت بنبوّته العامة النبوة، ونسخت بشرعته
التامة الكتب المتلوّة، محمد سيد هذا العالم والمخصوص ببلوغ المكانة، وعموم
الدبابة في ولد آدم، وعلى آله وصحبه الذين عزّروه ووقّروه، وآوؤهم لبؤاء
اللوّفين بالمهود ونصروه، وقلّوا شرّعه الكريم قلل التواتر وآثروه، وسلّم
تسليماً، وآتاهم من لدنه رحمة وأجرأ عظيماً .

ورضى الله عن الإمام المعصوم، المهديّ المعلوم، مجدّد معالم الديانة، والمليء
بأداء الأمانة، والمشهور على تعاقب المصور بالزمان والمكان والمكانة، وعن
خلّائه الراشدين المرشدين أئمة الهدى، والتالين له في شرف ذلك المدي، والقائمين
بأعباء أمره للعود أنه يبقى أبداً .

ونسأل الله تعالى لسيدنا الخليفة الإمام أمير المؤمنين ابن الخلفاء الأئمة الراشدين،
سعداً يعلّى أعلامه، ونصراً يصحب قلبه وحسامه، وتأيداً يظهر أمره وينصر
اعتزاه، حتى ينتظم شذآن^(١) الأمصار في سلك ملكه، وتزدحم وفود الأمور

(١) الشذآن، بالضم والفتح: للفرق، وأمله في الحصى والإمل .

على غير بره ، وتطوى ضمائر القلوب ومخبات القيوب على إخلاص طاعته
والإشناء لأمره .

أما بعد ؛ فإن العلم أربح للكاسب ، وأرجح المناصب ، وأرفع المراتب ،
وأصنع المناقب ، وحرقة أهل المهيم من الأمم ، ونخلة أهل الشرف من السلف ،
لم يتقلد سلكه إلا جيدٌ ماجد ، ولم يتوشح برؤده إلا إعطاف جاد في طالب الكمال
جاهد ، ولم يستحق اسمه إلا الواحد النذ بعد الواحد ، وهو وإن تشعبت
أفانيته ، وتنوعت دواوينه ؛ فلم الأدب علمه ، والأس الذي يبنى عليه كَلِمُهُ ،
والروح الذي يخب في ميدان الطروس قلته ؛ ولذلك كان أولى ما قدره
القرائح ، وأعلى ما تنجح إليه الجوائح ؛ فذوو الأخطار في سائر الأقطار يتنافسون
في اقتنائه ، ويتصافنون في عاقب إنائه^(١) ، ويرتاحون لأوضاعه وتآليفه ،
ويستريحون إلى أعبائه المكدودة وتكاليفه ، فإنه زمام للنظوم والثلثور ،
وقوام^(٢) نفاي الألسنة وفكر الصدور ، ومنشط المقال من عقال النهايه ، ويميز
الأقدار بالمبايه والنبايه .

ولم يزل في كل عصر من تحت يده طالع ، وزهر غصن بايع ، وعلم ترنو إليه
أبصار وتوحي إليه أصابع ، وصناعة البراعة بينهم تتمكن وتناصل ، وتنويع
البديع ينضبط ويتحصيل ، والآخر يكده ذهنه في تنعيم ما غادره الأول ؛ إلى أن
اعتدلت كفتاه ، وامتلاأت ضفتهاه ، ورائق مجتلاه ومجتناه ، وتناهى في الحسن
والإحسان لفظه ومعناه .

وكان آخر البناء وخاتمة الأدباء ، أولهم بالاستحقاق ، وأولاهم بسمه
السباق ، والفد الذي قد عقلت عن توهمه نفيه المراق ، وفارس ميدان البراعة ،

(١) بجاز : تصافق القوم الماء ؛ إذا قدموه بالخص . والفاق : ما مضى في القدر ؛
والكلام على الاستشارة .

(٢) قوام الأمر بالكسر : خلاه وعماده .

ومالك زمام القرباس والبراعة ، والمُلَّي عند استدعاء دُرِّ العَقَر بالسمع والطاعة ،
أبو محمد القاسم بن عليّ الحريري - سقى الله ثراه صَوْبَ رحمته ، وكافاً إحسانه
في الثناء عليه بحسنه - فبسط لسان الإحسان ، ومد أفنان الافتنان ، ومهد جادة
الإجادة ، وقوى مادة الإنادة ، ولم يُبق في البلاغة متعقبا ، ولا للريادة مترقبا ،
لاسيما في اللقائات التي ابتدئها ، والحكايات التي نوَّعها وفرَّعها ، والمُلح التي
وسَّعها بدرر الفَرِّ ورصعها ؛ فإنه برز فيها سابقاً ، وبرَّ البلغاء فائقاً ، وأتى بالمعنى
الدقيق للفظ الرقيق مطابقاً ، وخلدها تاجاً على هامة الأدب وتِقْصاراً^(١) في جيد لغة
العرب ، وروضة تحوم أنفاس الهم عليها ، ولا تصل أبدى الطامع إليها .

ولما كانت من البراعة بهذا الحلّ الشبير ، وسارت مسير الثَّيَرين بين
مشاهير الجواهر ؛ جعلتُ الاعتناء بها سهم نهى ، والمكوف عليها حرز عزمي ،
والدَّوْب في حفظ لغاتها وفك نخباتها أمم همي ، وصيرت تحفظها فرض عيني ،
والفكر الذي لا يحول وَسْني بينه ويدي . فبدأت بروايتها عن الشيوخ والفتات ،
وتقييد ألقائها عن أعلام هذه الجهات ؛ حتى لا أقل لفظاً إلا عن تحقيق ، ولا أثبت
ضبطاً إلا من طريق .

فكان أوّل من أخذت عنه روايتها ، وتلقّيت منه درايته ، بيلدى ،
الشيخ النقيع المقرئ أبو بكر بن أزهر الحجريّ ، حدّثني بها عن صهره
النقيع المحدث الراوية أبي القاسم بن عبد ربه القيسي المعروف بابن جهور ،
عن منشأ أبي محمد الحريري . وحدّثني بها أيضاً بيلدى الشيخ النقيع الراوية
أبو بكر بن مالك الفهرّي عن ابن جهور المذكور ، وعن الشيخ النقيع
أبي الحجاج الأبدّي القضاعيّ ، كلاهما عن أبي محمد الحريري . وحدّثني بها
أيضاً إجازة الشيخ النقيع المحدث أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الحجريّ

(١) التّقصار والتّقصيرة ، بالكسر : القِلادة ؛ سميت بذلك لقرونها قصرة النقي .

عن القضاة. وحدثني بها أيضاً الكاتب الزاهد أبو الحسين بن جبير عن الشيخ
الجليل بركات بن إبراهيم بن طاهر بن بركات القرشي المعروف بالخشوعي عن
الحريري. وحدثني بها أيضاً الشيخ الفقيه الأستاذ أبو ذر مصعب بن محمد بن
مسعود الحشني بسنده ، بعد وقوفه رحمه الله على هذا الشرح وأمره لي بتكميله .
وتلقيت بها جماعة من جلة الأسيان أكثر في العدد من ذكرت ؛ لا يمدني
واحد منهم إفادة ضبطية أو لفظية ، ولا يفدني زيادة هزلية أو وعظمية ، فأخذتها
أخذ متثبت ، عن واعي منكث .

ثم لم أدع كتاباً ألف في شرح ألفاظها وإيضاح أغراضها ، وتبيين الإنصاف
بين انفصالها واعتراضها إلا وعبته^(١) نظراً ، وتحققته معتبراً ومختبراً ، وترددت
في تفهمه وزناً وصدراً ، وعكفت على استيفائه بسيطاً كان أو مختصراً ؛ حتى
أتيت على جميع ما انتهى إليه وسمى بمن فسرهما ، واستوعبت عامة فوائده
الممكنة بأسرها ؛ ولم أترك في كتاب منها نائدة إلا استخرجتها ، ولا فريدة
إلا استدرجتها ، ولا نكتة إلا علقها ، ولا غريبة إلا استأصقتها ، ولا غادرت في
موضع منها مستعسناً يشذ عن جمى ، ولا مستجداً ينثو عنه بصرى أو سمى .
فاجتمع من ذلك حفظاً وخطأً أعلق جمّة ، وفوائد لم تهتم بها قبلي همة ،
ثم لم أقنع بتبيين الدواوين ، ولا اقتصر على توفيف التصانيف ؛ حتى لقيت
بها صدور الأمصار ، وعلماء هذه الأعصار ، فباحثت وناقشت ، وتأولت
وتداولت ، وطالبت المتحفظ بالأداء ، وللتيقظ بالإبداء ؛ حتى لم أبق في قاذرة
زناً إلا اقتدحته ، ولا مقفلاً إلا افتتحته ، فتحصل لي من ذلك أيضاً عيون
صائبة النواظر ، وفنون قلما توجد في محبات الدفاتر .

وأنا في خلال ذلك ألتس مزيداً ، ولا أسام بحثاً وتصيداً ، إلى أن عثرت على

(١) ط ب : « وأعبته » ، وأوعى القوم : حفظه ؛ مثل وعى ..

شرح الفَنجْدِيهِ^(١) للمقامات - والفنجدية هو الشيخ الحافظ أبو سعد محمد ابن عبد الرحمن بن محمد المسعودي ، من قرية فنجدية من عمل خراسان - فرأيت في شرحه الفاية للطاوية ، والبغية للرغوبة ، والنضالة التي كانت عني إلى هذا الألوان مطوية محجوبة ؛ فاستأنفت النظر ثانياً ، وشرحت عن ساعد الجدة لا متكاسلاً ولا وانياً ، وعابنت نور المعنى في نور اللفظ فأصبحت مجتلياً جانباً ، فاستوعبته أيضاً أبلغ استيعاب ، وقيدت من فوائده ما لم أجد قبله في كتاب ، وأخذت منه أحاديث مسندة أوردتها ، وآثاراً مرفوعة قيدتها تليق بالباب الذي أوردت فيه ، وتورد مصححة إما لألفاظه وإما لمعانيه ، وحذفت أسانيد - وإن كان قد أوردتها - تخفيفاً عن يربد للتنوين فيه ؛ فتم لي بهذا الغرض استيفاء مقاصده ، واستيعاب فوائده . وتركته مستلب للمعاني ، مطروق للمعاني ، كالروض رككت ربحه ، والجسم قبض رُوحه ؛ فانضاف من فوائده هذا التأليف البديع - إلى الفوائد للتمطة من الألسنة والمأخوذة من التصانيف للاستحسنة - روض كل زهر ، وسلك كل دُرْدُر ، وأدب إن لم يجمعه التصنيف فهو بعد عين أثر .

فاستخرت الله تعالى في ضم ما انتشر من فوائدها ، ونظم ما انتثر من فرائدها ، والاعتناء بتأليف في المقامات يُغني عن كل شرح تقدم فيها ، ولا يحوج

(١) الفنجدية ؟ منسوب إلى فنجدية ، قال ياقوت : « فنجدية ، بالفتح ثم السكون ثم فتح الجيم وكسر الهمزة وياء ثم هاء خالصة ، ونسب إليها فنجدية . بلدة فيها غصن قرى ؛ قد اتصلت عمارة بعضها ببعض ، قرب مرو الروذ . وهو أبو سعيد محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مسعود المسعودي ، التوفي سنة ٥٨٤ ، ذكره صاحب كشف الظنون ، ووصفه الصادق شذرات الذهب بالرجال الأريب وقال : مات عن اثنتين وعشرين سنة بدمشق ، وسمع من أبي الوقت وطبقته ، وأمل بمصر مجالس ، وعنى بهذا الشأن ، وكتب وسمى ، وجمع فأوعى ، وصنف شرحاً طويلاً للمقامات ، قال يوسف بن الخليل الحافظ : لم يكن في مثله بفتح ، وقال ابن النجار : كان من الفضلاء في كل فن ، في الفقه والحديث والأدب ، وكان من أطرف المنايخ وأجلهم » .

إلى سواه في لفظ من ألفاظها ولا معنى من معانيها ، فتم من ذلك مجموع جامع ، وموضوع بارع^(١) ، أودعته من اللغات أصحها وأوضحها ، وأساسها قياد لفظ وأستبحها ؛ وأولاهها بالصواب في مظان الاختلاف وأرجحها ؛ ونسب المشكل منها إلى فائلة من جهابذة العلماء ، وجمعت بين مشهور اللغات ومشهور الأسماء ، وسبكت العبارة عن المعاني سبكاً يدل على الإلناء والإصفاء . وهذا الفصل وإن سبقني إليه من تقدمني من الشارحين قبل ، نلى فيه مزية إيراد اللفظ المعيد عن الإشكال ، والمطابقة بين الأقوال وأرباب الأقوال .

ثم زدت في فوائد هذا التأليف التعريف بالأمصار المذكورة في المقامات على أوفى ما يمكنني ؛ من ذكر مواضعها وأقدارها واختطاطها ، ومن عقد صلاحها ، أو تولي فتحها ؛ وهذه فوائد لا يخفى مكانها ، ولا ينكر استحسانها ، فالحاجة إلى التعريف بالمكان ، تتلو الحاجة إلى غوامض اللسان .

ثم استوعبت شرح الأمثال ونسبتها ، جمعاً بين القائلين والأقوال ، ولم أغفل منها الكثير الدور ولا القليل الاستعمال ، وهذا الفن لم يقبمه أحد على الكمال ، وإن ذكره فإنما يذكره استطراداً بحسب الحال .

ثم استوفيت أيضاً ذكر من وقع فيه من الرجال والنساء أتم استيفاء ، وعرفت المشتهرين من الآباء والأبناء ، وبيّنت أنسابهم وأمكنهم ، وأخبارهم وحرفتهم ، وآثارهم ومدتهم ، زيادة في التهم^(٢) والاعتناء . وهذا الفن أيضاً لم يورده الشارحون حق إirاده ؛ ولا اعتدوه بالتبليغ حق اعتداه ، وهو مهم في الإفادة ، وعلى مغفله في الوقت بيمده الإعادة .

ثم زدت فيه فصلين مفيدين لم أر من اعتنى بهما ، ولا من قصد قصدهما ، سوى أبي سعيد التتجديهي في بعض المواضع ، فإنه ألمح وألمع ، وأورد اليسير فاشق ولا أقنع :

(١) : «نصار ذلك مجموعاً جامعاً ، وموضوعاً بارعاً» .

(٢) ط : « التهم » ، تحريف ، صوابه من أ .

أحدهما: تبين مأخذ الحريرى فى الكلام ، وإخراج الإحالات المودعة فيه من حيز الإبهام ، والرد إلى اللشأ فى آية أو أثر ، أو خطبة أو خبر ، أو حكمة فائقة ، أو لفظة رائعة ، أو بيت نادر ، أو مثل سائر ؛ وهذا تتميم بين ، وتكميل متمين .

والفصل الثانى : التنبيه على صناعة البديع ، وتوقية سمائه ؛ كالتجنيس والتتيم والترصيع ، والإتيان بهذا النوع من التبين والتنبيه على الجميع ، وبسط أنواع الأدب واقتنائه ، والإكثار من الشعر فى مظانّه من الجدّ والمزل فى الموضع اللائقة باستحضائه ، ومقابلة كل باب بما يزيد فى حسنه وبيانه ، والجرى مع أبى محمد حسب اتساع خطوه وامتداد ميدانه .

ومن تمام التصنيف ردّ القرع إلى أصله ، والجمع فى الترتيب بين الشكل وشكله ، فأثبتت المواضع بما يزيد بها أثراً فى القلوب ، وأردفت للسليات بما يُعِينُهَا فى إجلال الكروب ، وسأكت هذه للسالك فى سائر الأساليب وأنواع الضروب ؛ فإن وُجد فى هذا الكتاب لفظ ظاهره المزل ، أو معنى ينسب فيه إلى العذل ؛ من وصف نور وثمر ، وذكر نديم وخر ، أو نعت حُسن وحسن ، أو مدح سماع وأذن ، فلانّ أبامحمد بدأ بأمر فتم ، وخصّ نوعاً فقم ، مع أنّ صنعة الأدب مبنية على الملح ، وخواطر الأدباء جائئة بما سَنَح . فجاء من هذا الترتيب القريب ، ما يضرب فى الإجادة بسهم مصيب ، ويثبت لى فى الجدّ والدعوى أو فخر نصيب .

ثم رأيت الشارحين لها من أولى البصر كالفنجديهى وابن ظفر^(١)

(١) هو محمد بن أبى محمد بن محمد بن ظفر ؛ صاحب الصانيف المتنوعة النادرة ؛ ذكره الفنى فى الإنباء ٣ : ٧٥ ، وقال : « ورأيت له شرح المقامات ، قد صنفها لأهل القرب ، وقد نقل ألفاظها من نسخة سنية نصحت وشرح التصحيح ؛ وسمعت أمه كان يخبر من ذلك إذا قيل له ، ويقول : هنا أمر أحدثه اللجة وبعد الفار . وذكر صاحب كتف الظنون هنا الشرح وسماء : « التتبع على ما فى المقامات من القرب » .

قد حرّروا من شروحيهم مختصرات وجيزة ، اقتصروا فيها على إيراد اللغات ،
 مخذّوثةً حذوهم في مختصرٍ أوردتها فيه على الكمال ، ووفّقتها حقها من رفع
 النلط وكشف الإشكال ، ولم أخل في تصريفها واشتقاقها بوجه من الوجوه
 ولا حال من الأحوال ، فجاء غاية في هذا الباب ، مقنيا في اللغات الغربية عن
 كل كتاب ؛ فإن فاته هذا الأصل بضروب من الإفادات وأنواع من الزيادات ،
 فلذلك الفرع شُفوف الاستيعاب في اللغات ، ومزية الاشتقاق والتصريف
 والشاهد من الشعر والآيات .

وكلّ ذلك بلفظ الله تعالى ، وبسمد من شرفت كتابي بخدمته ،
 وبنيت تألّفي على أداء شكر نعمته ، ونصبت نفسي لألف بيابه الأعلى ، وأتزيق
 بلثم تربته فأنا العبد وهو المولى ؛ عماد الأنام ، والظلّ للمدود على المسلمين
 والإسلام ، ونعمة الله التي هي من أفضل النعم الجسام ؛ منفق سوق المعارف ،
 ومنجّر بحور المنّ والموارف ، الجير بفضله وعدله من الفقار الفاذحة والمخاوف ،
 سيدنا الخليفة الإمام أمير المؤمنين أبو عبد الله ابن إمام الأئمة الراشدين وولي
 عهده سيدنا الأمير الأجلّ أبو يعقوب ، أيد الله سلطانهم ، وأيد بيضتهم
 وحزبهم ، وجمع القلوب على الانقياد لهم ، والوجوه على التوجّه قبائهم .

وهذا الكتاب وإن كان للمبرّ عن حسنه ، والغاية للتمسك في فنه ، والجامع
 لما افترق في سواه ، والمبرز بما وشّعه من الزيادات وحلّاه ، فإنه لم يتم جماله ،
 ولا استوفى احتوائه على الفوائد واشتماله ، إلا ببركة مولانا الخليفة ، واقتراح اسمه
 الكريم باسم وليّ عهده المستحق للتقديم في هذه الصحيفة . فالحمد لله على التوفيق
 لخدمتهم ، والمروة على شكر نعمتهم ، والتمرض بخيري الدنيا والآخرة في ظلّ حرمتهم .
 وقد بذلت في الخدمة جهدي ، وأبرزت من فوائد هذا التأليف أنفس
 ما عندي ، ولم أتناط قياماً بكل الواجب ، ولا وفاء بجميع الحق الراتب ؛ فاقول
 يقصر عن التحصيل ، وليس إلى مطاولة الطود ومكاثرة اليم من سبيل .

وقد كنت حين أتممتُ هذا التأليف ، وألقيت عن كاهلي الأعباء التي
 له والتكليف ، وجلوته كالحسناء ألفت في للنصة التّصيف ، كثرت خطابه
 إلى من البلدان ، وتواردت عليه رغبات الاستجادة والاستحسان ، قلت : حتى
 يشرف بلم اليمين العليا ، ويتخصص بقبول إمام الدين والدنيا ، فمن بابه الأسمى
 يلتقط درّة النّقاوم ، ويركاته يسلم مكة الميق^(١) المختوم .

وها أنا أشرع ببركة الله وبركة خليفته المبارك الأهدى ، وبمنجته المتقّد منه
 صفة وعهداً ، في شرح الخطابة كلمة كلمة ، وإيضاحها حتى لا أدع لفظة منبهة ،
 ثم أشرح المقامات على الولاء ، وأسلك الجمع بين الإيجاز والاستيفاء ، ولا حول
 ولا قوة إلا بالله الملى العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله وسلم
 أفضل التسليم .

(١) ط : « الميق » تصحيف ، موايه من ا .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصِّدْرُ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَحْمَدُكَ عَلَى مَا عَلَّمْتَ مِنَ الْبَيَانِ ، وَأَنْهَيْتَ مِنَ
التَّبْيَانِ ، كَمَا نَحْمَدُكَ عَلَى مَا أَسْبَغْتَ مِنَ الْعَطَاءِ ، وَأَسْبَلْتَ
مِنَ الْفِطَاءِ .

اللهم إنا نحمدك ؛ اللهم اسم خصصته الميم للشدة في آخره ببناء الباري
سبحانه ، والتزم معها حذف حرف النداء لوقوع الميم خلفاً عنه ، ولحلّ اللام في
أوله ، لأنه لا يلي حرف النداء لام التعريف إلا في قولهم : « يا الله » ؛ لتكون
اللام الزائدة نائبة عن حرف أصلي ، وهي همزة « إله » ، فصارت كالأصلي ،
وفي غير هذا الاسم تتجرد اللام للزيادة في أول الاسم . و « يا » زائدة في أوله
كذلك ، وهما جميعاً لتخصيص الاسم وإزالة الشبايح التنكير عنه ، فلما تقاربا في المعنى ،
وتشابهتا في الزيادة ، وطلب كل واحد منهما أن يلى الاسم دون صاحبه ، ترك
استعمال الجمع بينهما في أول الاسم إلا في ضرورة الشاعر لإقامة الوزن . وأما اللام
في قولهم : « يا الله » فلما كانت نائبة عن حرف أصلي خفيت زيادتها ، فلما زادوا
الميم في آخره فضعت اللام وشهرت معنى الزيادة ، فامتنت « يا » من أوله
إلا عند الضرورة كامتناعها في الرجل والنمل ؛ فلما كانت الميم هي الموجبة لمنع
« يا » محلّ الاسم معها معنى « يا » فصار مختصاً بالنداء متمتماً من غيره .
ونحمدك ، معناه شئ عليك بآتم وجوه الثناء كلها ، فيدخل تحته الشكر ،

والشكر ثناء يقابل به معروف ، وفي الحديث : « الحمد رأس الشكر فمن لم يحمد الله لم يشكره »^(١) ، والحمد ذكر الرجل بما فيه من صفات جليلة . والشكر ذكره بما له من أفعال جزيلة ، من قولهم : دابة شكور ، إذا ظهر بهامن السمن فوق مانأ كل من العلف . ويقال : أشكر من برّوقه^(٢) ، وهي شجرة معروفة تخصب بأدنى مطر ؛ ويؤكد الفرق بينهما أن الحمد في مقابلة الذم والشكر في مقابلة الكفر ، فاختلاف تقيضيهما دليل على اختلافهما في أنفسهما .

البيان : وضوح المعنى وظهوره ، والتبيان : تفهم المعنى وتبينه . والبيان منك لغيرك ، والتبيان منك لنفسك ، مثل التبيين قول : بينت الشيء لغيري بياناً وتبينته أنا تبياناً ؛ وقد يقع التبيان بمعنى البيان ؛ حكى أبو منصور الأزهري رحمه الله : بينت الشيء تبييناً وتبياناً ، قال تعالى (تَبَيَّنَّا لَكُلِّ شَيْءٍ) ^(٣) أى بينت لك فيه كل ما محتاج إليه أنت وأمتك من أمر الدين ، فهو لفظ عام أريد به الخاص . وقد يقع البيان لكثرة الكلام ، ويمد ذلك من النفاق ؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الحياء والمعى شعبتان من الإيمان ، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق » أخرجه الترمذى^(٤) . وقال : « المعى قلة الكلام والبذاء الفحش ، والبيان كثرة الكلام » . ألفت : تثبت عليه وذهمته . وأسبغت : أتممت وكثرت . وأسبغت : أطلت . والفيطاء ، أراد به ستر الله على عبده .

وَنَمُوذُ بِكَ مِنْ شِرَّةِ اللِّسَنِ ، وَفُضُولِ الْهَذَرِ ، كَمَا نَمُوذُ بِكَ مِنْ مَرَّةِ اللَّكَنِ ، وَفُضُوحِ الْخَصْرِ . وَنَسْتَكْفِي بِكَ الْاِفْتِنَانَ بِاطْرَاهِ

(١) الجامع الصغير ١ : ٢٦٠

(٢) المبداء ١ : ٣٨٨ ، قال في شرحه : « هي شجرة نخضر من غير مطر ، بل تلبت بالسحاب إذا نثأ - فيما يقال » .

(٣) سورة النحل ٨٩ .

(٤) نقله في الجامع الصغير ١ : ٢٦١ عن الترمذى وأحمد والحاكم .

لِلتَّادِيحِ ، وَإِغْضَاءِ الْمُسَامِيحِ ؛ كَمَا نَسْتَكْفِي بِكَ الْإِتِمَاعَ لِلزَّرَاهِ
الْقَادِيحِ ، وَهَتَكَ الْقَاضِيحِ .

• • •

نموذ، أى نستجير . شِرة: حدة، واللسن: حدة اللسان وإدلاله على الكلام .
فضول: زوائد. الهذر : إكثار الكلام بغير فائدة . معرة: شدة وصعوبة . والمعرة:
المعيب والعار . وقيل : هى كل ما يؤذيك ، وفلان يعترقومه ، أى يدخل عليهم
مكروها يلطّخهم به ؛ وأصله من العرة وهى الفعلة التبيحة ، أو من الثرة وهو
الجرّب . واللكن : احتباس اللسان عند الكلام . فصوص: شهرة وفضيحة . الحصر:
العمى ، وحصر حصراً إذا أعيا واستحيا أو ضاق صدره . واستعاذ من شرة اللسن
لأنه من اقتدر على الكلام أدّاه إلى المطاولة فى الجدل وتصوير الباطل فى صورة
الحق ، وفيه إثم على فاعله، وأصل الشرة التلق والانتشار ، ومنه الشر ؛ وقد شرّ
يُشرّ ، ومنه شرّر النار . ثم استعاذ من ضدها وهى المعرة ، لأن صاحبها لا يتم لفظه
فيشين بذلك نفسه ، ويقصر عن مراده من البيان . ثم قرن بها الحصر لأن من
يمتر به يتوالى عليه الوهل والجل ؛ فلا يستطيع الكلام ، فيفتضح ويشهر عيبه .
وهذا الفن من الكلام يسمى فى صنعة البدع المتأبلة ، وأول من صدر به كتابا
عمرو بن بحر الجاحظ فى كتاب البيان^(١) ، قال : اللهم إنا نموذك من فتنة القول ،
كما نموذك من فتنة العمل ، ونموذك من التكلف لما لا نحسن ، كما نموذك
من العجب بما نحسن ، ونموذك من السلاطة والهذر^(٢) ، كما نموذك من العمى
والحصر ؛ وقد يتأوّدوا بالله من شرهما ، ورغبوا إليه فى السلامة منهما ؛ وقد قال
النمير بن تولب :

(١) البيان والتبيين ١ : ٣ ، مع اختصار وحذف .

(٢) السلاطة : حدة اللسان والصغب : والهذر : كثرة الكلام فى خطأ .

أَعَذَنِي رَبُّ مِنْ حَصَرٍ وَعِيٍّ وَمِنْ نَفْسٍ أَعْلَجَهَا عِلَاجًا
وقال محمد بن علقمة^(١):

لَقَدْ وَارَى الْقَابِرُ مِنْ شَرِّكَ كَثِيرٍ تَحِلُّمٌ وَقَلِيلُ عَابٍ
صَمُوتًا فِي الْحَافِلِ غَيْرَ عَيٍّ جَدِيرًا حِينَ يَنْطِقُ بِالصَوَابِ

ثم استرسل في ذكر المعنى والبيان إلى غاية بعيدة ، واستشهد على النوعين
بآيتين ؛ بقوله تعالى : ﴿سَلَقُوا كَمِثْلَ السِّنَةِ جِدَادٍ﴾^(٢) ، وفي الضد بقوله تعالى : ﴿أَوْ مِّنْ بُنْدَانٍ
أَلْحِقَ الْخِذْيَةَ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾^(٣) ؛ فاحتذى الحريرى هذا الخدو ، فجاءت تشبيهاته
أطبع وأصنع ، وزاد عليه بأن ابتداء بحمد الله على نعمة البيان ، ثم استعاذ مما استعاذ
منه الجاحظ ، وبيان المقابلة في كلامه أنه قابل شريرة بعمرة واللسن باللسن ، والهدر
بالحصر ؛ إذ إذا تقهّمت مواقفها في كلامه قتت عليها ما يشبهها في النظم والنثر .
وسئل قدامة الكاتب عن المقابلة ، قال : هي أن يضع الشاعر ألفاظا يعتمد
التوافق بين بعضها وبعض في المخالفة ، فيأتى في الموافق بما يوافق ، وفي المخالف
بما يخالف ، وأنشد في ذلك :

فيا عجباً كيف اتفقتا فناصرٌ وفي ومطوى على النفس غادرٌ^(٤) !
لجمل يلزاه « ناصح » ، « وفي » ، « غاشا : غادرا » . ومثله :
ففى تم فيه ما يشرّ صديقه على أن فيهما يسوء الأعدايا^(٥)

نستكني : معناه نسألك ونطلب منك أن تكفينا الافتتان ؛ وذلك أن
تصاب بفتنة الإعجاب ، وأصل الفتنة اختبار النضة بالنار ، قال تعالى في الاختبار :
﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾^(٦) ، أى اختبارناك . والفتن : النضة المحرقة ، والفتن أيضاً : الحجارة
المحرقة ، وهى الحجارة تُدَلَّكُ بها الأقدام في الحمام . والإطراء : الاسترسال في مدح

(١) في البيان والتبيين : « عرّز بن علقمة » .

(٢) الأحزاب ١٩ .

(٣) الزخرف ١٨ .

(٤) تحرير التعبير ١٨١ — قال : وأحبه لكثير . وانظر المدة ٢ : ١٤ .

(٥) للناجبة الجمدى ، ديوانه ١٧٤ .

(٦) سورة طه ٤٠ .

الإسان بحضرة، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ» .
إغضاء: تجاوز ومسامحة، وأصله أن يبدو لك الشيء فتدني جفنيك وتقصُر نظرك كأنك لم تره . والإغضاء: الإغماض وأغضيت عنه وأغمضت، إذا تغافل عنه . السامح: الموافق لمرضك، للتجاوز عن عيبك . الانتصاب: الظهور والاعتراض أمام الشيء . إزراء: تقصير وتنقيص . القادح: العائب، وقدحت الدود في الأسنان والشجر: أكلتها، فكان فعل هذا العائب في أعراض الناس فعل الدود في الشجر . والقادح أيضا: الذي يضرب الزند بالحجر ليورى . هتك: شق، وهتك الست: خرقتها . الفاضح: الذي يشهر عيوبك، وفضحت الشيء: كشفتته.

وَنَسْتَفْرِكُ مِنْ سَوَاقِ الشَّهَوَاتِ إِلَى سَوَاقِ الشُّبُهَاتِ ؛ كَمَا نَسْتَفْرِكُ مِنْ نَقْلِ الْخَطَوَاتِ إِلَى خِطَطِ الْخَطِيئَاتِ . وَنَسْتَوْهِبُ مِنْكَ تَوْفِيقًا قَائِدًا إِلَى الرُّشِيدِ ، وَقَلْبًا مُتَقَلِّبًا مَعَ الْحَقِّ ، وَلِسَانًا مُتَحَلِّيًا بِالصِّدْقِ ، وَنُطْقًا مُؤَيَّدًا بِالْحُجَّةِ ، وَإِصَابَةً ذَائِدَةً عَنِ الزَّيْغِ ، وَعَزِيمَةً قَاهِرَةً هَوَى النَّفْسِ ، وَتَمْصِيرَةً نُدْرِكُ بِهَا عِرْفَانَ الْقَدْرِ .

ستفرك: نسألك المغفرة، وهي من غفرت الشيء سترته. الشبهات: جمع شبهة وهي ما يشبه عليك أمره. والخطوات: جمع خطوة؛ وهي ما بين القدمين. الخطط: جمع خطة وهي الطريق يحطه الرجل في الأرض يجعله حداً للشيء يحوزه ويعتمده . والخطة، بالضم: المنزلة والمزية. والخطيئات: الذنوب، وهي من الخطأ، وجعل ماساقه.

في المقامات كأنه شهوة اشتبهت عملها ، ثم اشتبه عليه : هل في ذلك رضا الله أم سخطه ! فكأنه ساق شهوة إلى سوقٍ يجهل التَّبَاع فيها فاعله فيها خاسر الصفة .
 فإِذَا استغفر الله منها . الرُّشْد : الهداية رُشده الله رُشداً وأرشدته : هَدَاه . ورُشدهو رُشْدًا ورشادا : اهتدى . متَحَلِّيًا : متَّصِفًا ومُتَزَيِّنًا . مؤَيَّدًا : مُعَاً . وأصابني كلامه إصَابَةً : إِذَا نَطَقَ بِالصَّوَابِ ، وَرَمَى فَأَصَابَ لَمْ يَخْطِ . ؛ وقوله تعالى : ﴿ رُحْنَا حَيْثُ أَصَابَ ﴾^(١) ، أَي حَيْثُ أَرَادَ ، قَالَ الْفَرَّاءُ : اخْتَلَفْتُ أَنَا وَعِيسَى النَّعْوِيُّ فِي الْآيَةِ فَقَالَتْ : مَا أَحَدٌ أَعْلَمُ بِهَذَا مِنْ رُؤْيَةٍ ، قَالَ : فَنَسَرْنَا إِلَيْهِ فَلَقِينَاهُ بِتَوَكُّأٍ عَلَى اثْنَيْنِ .
 فَقَالَ : أَيْنَ تَصِيبَانِ ؟ أَيِ أَيْنَ تَرِيدَانِ ؟ ، قُلْتُ لِصَاحِبِي : كُفَيْتَ السُّؤَالُ^(٢) . ذَائِدٌ : دَائِمَةٌ . الزَّيْغُ : اللَّيْلُ ، وَزَاغَ عَنِ الْحَقِّ : مَالَ عَنْهُ إِلَى الْبَاطِلِ . الْعَزِيمَةُ : الْجِدُّ ، وَعَزِمَ عَلَى الشَّيْءِ : جَدَّ فِيهِ . قَاهِرَةٌ : غَالِبَةٌ . وَهُوَ النَّفْسُ : مَا تَحِبُّهُ وَتَمِيلُ إِلَيْهِ . بِصِيرَةٍ : بِقِيَا ، وَالبصيرة للقلب ، والبصر للعين . عَرَفَانَ الْقَدَرِ ، أَيِ مَعْرِفَةَ أَقْدَارِنَا .

وَأَنْ تُسْعِدَنَا بِالْهِدَايَةِ إِلَى الدَّرَايَةِ ، وَتَعُضِدَنَا بِالْإِعَانَةِ عَلَى الْإِبَانَةِ ، وَتَمُصِّمَنَا مِنَ الْغَوَايَةِ فِي الرُّوَايَةِ ، وَتَضَرِفَنَا عَنِ السَّفَاهَةِ فِي الْفُكَاةِ ؛ حَتَّى نَأْمَنَ حَصَائِدَ الْأَسْتِقَةِ ، وَنُسَكِّي غَوَائِلَ الزُّخْرَفَةِ ؛ فَلَا نَرِدَ مَوْرِدَ مَائِمَةٍ ، وَلَا نَقِفَ مَوْقِفَ مَنْدَمَةٍ ، وَلَا نُزْهِقَ بَنِيْمَةً وَلَا مَمْتَبَةً ، وَلَا نُلْجَأَ إِلَى مَعِذَرَةٍ عَنْ بَادِرَةٍ .

(١) سورة م ٣٦ .

(٢) الخبر في الكشاف ٤ : ٧٤ ، وروايته : « عن رؤيَةٍ ، أَنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْاَنَةِ قَصَدَاهُ لِبَسْأَلِهِ عَنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمَا ، فَقَالَ : أَيْنَ تَصِيبَانِ ؟ فَقَالَا : مِنْهُ طَلَبْنَا ؟ وَرَجَعَا . »

الدَّرَايَة : مصدر دَرَيْتُ الشيءَ دَرَايَةً ودَرِيًّا ، علمته . تَعَصَّدُ نَاقَتُنَا ، وَعَصَدَهُ : أَعَانَهُ وَكَانَ لَهُ عَصُودًا . الإِبَانَة : مصدر أَبْنَتُ الشيءَ ، أَيْ بَيَّنْتَهُ . تَعَصَّنَا مِنَ الْغَوَايَةِ ، أَيْ تَمَنَعْنَا مِنَ الضَّلَالَةِ وَالْفَسَادِ ، وَالْغَوَايَةِ : مصدر غَوَى غَيًّا وَغَوَايَةً وَغَوَى أَيْضًا غَوَايَةً ، وَهِيَ ضِدُّ رَشَدٍ وَرُشْدًا . الروَايَة : نقل الحديث من صاحبه إِلَى طَالِبِهِ . تَصَرَّفْنَا : تَرَبَّلْنَا . السَّفَاهَة : الْجَهْلُ ، وَالْفَسَاكَة : الْمُرَاحُ وَمَا تَسْتَرِيحُ بِهِ النَّفْسُ وَهِيَ فِي الْكَلَامِ كَالْفَاكَةِ فِي الطَّعَامِ . حَصَائِدُ الْأَلْسِنَةِ : شَرُّ كَلَامِهَا وَقَطْعُهَا فِي أَعْرَاضِ النَّاسِ ، وَأَرَاءُ الْجَمَاعَةِ فِي حَدِيثِ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّا لَنَأْخُذُ بِمَا تَتَكَلَّمُ ؟ قَالَ : « نَتَكَلَّمُ أَمَلَكُ بِإِمَاعِذَا ! هَلْ يَكُوبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى رُءُوسِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ ! » فَدَعَا اللَّهُ أَنْ يَتِمَّ سَعْدُهُ بِأَنْ يُؤْمِنَهُ عَادِيَةُ الْأَلْسِنَةِ . وَالْحَصَائِدُ فِي الْأَصْلِ : جَمْعُ حَصِيدَةٍ وَهِيَ الْحُزْمَةُ مِنَ الزَّرْعِ الْحَصُودِ فَهِيَ قَمِيلَةٌ بِمَعْنَى مَمْعُولَةٌ ، وَالْحَصِيدُ : الشَّيْءُ الْحَصُودُ .

نَكْفَى : نَمْنَعُ . غَوَائِلُ : قَوَاتِلُ وَمِهْلَكَاتُ ، وَاحِدُهَا غَائِلَةٌ ؛ وَغَالَتْهُ الْمَنِيَّةُ أَهْلَكَتَهُ . الزَّخْرَفَةُ : تَزْيِينُ الْبَاطِلِ ، وَأَصْلُهَا تَزْيِينُ الشَّيْءِ بِالزُّخْرِفِ وَهُوَ الذَّهَبُ . تَرَدَّدَ : تَقَصَّدَ . مُورِدٌ مَائِمَةٌ : مَوْضِعُ إِيْمٍ ، وَالْمُورِدُ أَصْلُهُ الْمَوْضِعُ يُشْرَبُ مِنْهُ الْمَاءُ . مُنْدَمَةٌ : نَدَمٌ . نَزَهَقَ : تَشَبَّهَ وَنَمَابَ : وَالزَّهَقُ : الْعَيْبُ ، وَتَبَعَةٌ : خَطِيئَةٌ يَتَّبِعُهَا ضَرَرُهَا بَعْدَ الْمَوْتِ . مُعْتَبَةٌ : سَخَطٌ ، وَهِيَ مِنَ الْمُتَابِ ، وَهُوَ تَقْبِيحُ الْقَوْلِ عَلَى جِهَةِ الْإِسْثِقَاقِ ، وَأَصْلُهُ مِنْ عَتَبْتُ الْأَدِيمَ ، أَيْ رَدَدْتُهُ إِلَى الدِّبَاغِ لِيَصْلَحَ ، وَمِنْهُ : إِنَّمَا بِعَانِبِ الْأَدِيمِ ذُو الْبَشَرَةِ ^(١) . وَيُقَالُ : مُعْتَبِلٌ عَلَى فِى كَذَا عَتَبًا فَأَعْتَبْتُهُ ، أَيْ رَجَمْتُ إِلَى مَا يُرِيدُ وَأَرْضِيئْتُهُ . وَيَاءُ « تَبَعَةٌ » وَتَاءُ « مُعْتَبَةٌ » يَكْسِرَانِ وَيَفْتَحَانِ . نَلَجَأُ : نَحْجُوجُ . مَعْذَرَةٌ : اعْتِذَارٌ . بِادِرَةٌ : سَمَّطُهُ وَزَلَّ ، وَقَدْ بَدَرَتِ الْكَلِمَةُ وَالْفِعْلَةُ :

(١) الْيَمَانِيُّ ١ : ٤٠ : قَالَ : « وَالْمَائِمَةُ : الْمَائِدَةُ ، وَبَشَرَةُ الْأَدِيمِ : ظَاهِرُهُ الْقَدَى عَلَيْهِ

النَّعْرُ ، أَيْ أَنْ مَا يَمَادُ إِلَى الدِّبَاغِ مِنَ الْأَدِيمِ ، مَا سَلَمَتْ بَشَرَتُهُ » .

خرجت من غير أن يدبر مواقعها ، وفلان تُحشى بوادره ، أى فلتاته .

اللَّهُمَّ فَعَقِّقْ لَنَا هَذِهِ الْمُئْتَةَ ، وَأَنْلِنَا هَذِهِ الْبُغْيَةَ ، وَلَا
تُضْحِكُنَا عَنْ ظِلِّكَ السَّابِغِ ، وَلَا تَجْعَلْنَا مُضْغَةً لِلْمَاضِغِ ؛ فَقَدْ
مَدَدْنَا إِلَيْكَ يَدَ السَّأَلَةِ ، وَبَحَمْنَا بِالْإِسْتِكَانَةِ لَكَ وَالْمُسْكَنَةِ ،
وَأَسْتَنْزَلْنَا كَرَمَكَ الْجَمِّ ، وَفَضْلَكَ الَّذِي عَمَّ ، بِضِرَاعَةِ الطَّلَبِ ،
وَبِضَاعَةِ الْأَمَلِ . ثُمَّ بِالتَّوَسُّلِ بِمُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْبَشَرِ ، وَالشَّفِيعِ
الْمُشْفِعِ فِي الْمَحْشَرِ ، الَّذِي خَتَمْتَ بِهِ النَّبِيِّينَ ، وَأَعْلَيْتَ دَرَجَتَهُ
بِإِي عِلِّيِّينَ . وَوَصَفْتَهُ فِي كِتَابِكَ الْمُبِينِ ، فَقُلْتَ وَأَنْتَ أَصْدَقُ
الْقَائِلِينَ : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ
مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ ^(١) . اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
وَالْحَادِينَ ، وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ شَادُوا الدِّينَ ، وَاجْعَلْنَا لِهَدْيِهِ وَهَدْيِهِمْ
مُتَّبِعِينَ ، وَانْقِمْنَا بِمَحَبَّتِهِ وَمَحَبَّتِهِمْ أَجْمَعِينَ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ،
وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ .

المئية : ما يُتمنى . والبغية : ما يُطلب . أنلنا : أعطنا . تضحينا : تكشينا .
ظلك السابغ : سترك المديد ، وأصل الظل السر ، والموضع الذي لا تبلغه الشمس ،
وفي الحديث « ضحاً ظله » ، أى عدم فأنكشف موضعه للشمس . مضغة :
لحمة ، وكل ما يعضغ لحمة ، والماضغ هنا : العائب الآكل أعراض الناس ،
وجعل العريض حين يعيبه مضغة له ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لما أخرج

بى سررتُ بأقوامٍ لهم أظفار من نحاسٍ يخمشون وجوههم وصدورهم ، دقات :
 مَنْ هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : « هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون
 فى أعراضهم » . المسألة : الحاجة والفقر . نجعتنا : أقررتنا ، ونجى له بحقه أقر به ،
 ونجى نفسه : قتلها غيظا ، ومنه : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِيكَ ﴾^(١) فالتمدية بالباء غير
 التمدية بنفسها . الاستكانة : الخضوع . والمسكنة : الفقر والثقلة . استنزلنا :
 طلبنا أن تنزل علينا ، والاستنزال السؤال بتلطاف . والجَم : الكثير . فضلك :
 إحسانك . عَمَّ شَمَل . ضراعة : ذلة . البضاعة : المال يُتجر به . الأمل :
 الرجاء ؛ يقول إن تجارتنا التى نحصل بهامتك إحسانك ، رجاؤنا توكلنا عليك .
 التوشل : التقرب . البشر : الخلق ، وهو فى الأصل جمع بشرة بوهى ظاهرة الجلد ،
 وسئوا بشرا ، لظهور أبقارهم خلافا لغيرهم من الحيوان . الشفيع : الطالب
 لغيره . والمشفع : الذى أُعطى الشفاعة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « خُيرت
 بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتى الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى ،
 أترونها للؤمنين المُنقّين ! لا ولكنى للمذنبين التلوّثين الخطائين »^(٢) .

الحشر : موضع اجتماع الناس يوم القيامة ، والحشر أيضا : الحشر وهو
 الأنشبه باليوم . ختمت : جعلته خاتمهم ، أى آخرهم . درجته : منزلته . عليّين :
 أعلى الجنة وكأنه جمع عليّة . المبين : اللبّين . رسول كريم ، قيل : هو
 جبريل ، وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم . مكين : رفيع للترلة . تَمَّ : معناه .
 هناك ، قال الزجاجي : هى إشارة إلى ما كان متراميا من الأماكن ، والأشهر
 أن المراد به فى الآية جبريل ؛ ولذا رجع الحريرى آخره فأزال الآية من كتابه ،
 واستشهد بما اتفق مشاهير المفسرين على أن المراد به نبينا صلى الله عليه وسلم ،
 وهو قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(٣) ، وليس رجوعه عن القول .

(٢) قوله و الجَم الصغير ١ : ١٨ .

(١) الكهف ٦ .

(٣) سورة الأنبياء ١٠٧ .

عيب ، بل هو حسن ، إذ كان الرجوع عن الخطأ إلى الصواب واجباً ، إلا أن
 «الناث عند ابن جهور» (إنه لقول رسول كريم) ؛ قال ابن عباس رضى الله
 عنهما : هو جبريل وهو الرسول لحمد بالقرآن . ذِي قُوَّةٍ : لأنه قلع مأخذ جاحيه
 أربع مدائن لقوم لوط ؛ وهى سدُوم ودامورا وصابورا وعثورا ؛ فى كل
 مدينة مائة ألف إنسان سوى ما فيها من الدواب والأنعام . آله ، أى أهله وأصله
 «أأل» فأبدلت الهمزة ألفاً ، وأكثر ما تنضاف إلى الظاهر ، وقد سُمِعَ إضافتها إلى
 المضمَر فى الشعر والكلام النصيح ، خلافاً لأبى جعفر النحاس وأبى بكر
 الزُّبَيدى ، فإنهما منعا من إضافتها إلى المضمَر ، وأكثرهم على أن همزتها مبدلة من
 هاء «أهل» وصوابه أنها أصل فى بابها ، من آل يتول إذا رجع لأنهم يرجعون إليه
 ويُرجع إليهم . الهادين : المرشدين إلى طريق الخير ، وقد هديته للطريق ، إذا
 أرشدته . شادوا : رمقوا وبنوا . هديه وهديهم : طريقته وطريقتهم ، وقال النبی
 صلى الله عليه وسلم «الله الله فى أصعابى ، لا تتخذوهم غرضاً بعدى ، فمن أحبهم
 فبحبى أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذانى ، ومن
 آذانى فقد آذى الله ، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه » . جدير : حقيق .

• • •

وَبَعْدُ ، فَإِنَّهُ قَدْ جَرَى يَبْمَضِ أُنْدِيَةِ الْأَدَبِ الَّذِي رَكَدَتْ فِي
 هَذَا الْمُضَرِّ رِيحُهُ ، وَخَبَتْ مَصَائِيحُهُ ، ذِكْرُ الْمَتَمَنَاتِ الَّتِي ابْتَدَأَهَا
 بِأَبْعِ الزَّمَانِ ، وَعَلَامَةُ هَمْدَانِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى . وَعَزَا إِلَى أَبِي الْفَتْحِ
 «الْإِسْكَندَرِي نَشَأَتْهَا ، وَإِلَى عَبْدِ بْنِ هِشَامٍ رِوَايَتُهَا ، وَكِلَاهُمَا مَجْهُولٌ
 لَا يُعْرَفُ ، وَنَكِيرَةٌ لَا تَعْرَفُ» .

• • •

أندية : مجالس واحدها ندى ، والندى والنادى والنتدى : مجلس القوم

للحديث ، وقيل هو من الندى وهو الكرم ، لأنهم يُقصدون فيه فيعمدون .
وقيل : هو من النداء الذى هو الصوت لأنه ينادى فيه بعضهم بعضاً ليجمعوا .
وقيل : هو من الندى وهو التمرق لأن الباخل فيه يحتشم فيمرق . والأدب : معرفة
الأخبار والأشعار ، وفلان أديب ، إذا كان متفتناً مشاركاً . ركبت : سكت ،
والمقامات : المجالس ، واحدها مقامة ، والحديث يُجتمع له ويجلس لاستماعه يسمى مقامة
ومجلساً ، لأن المستمعين للحدث ما بين قائم وجالس ، ولأن الحديث يقوم ببعضه
تارة ، ويجلس ببعضه أخرى ؛ قال الأعلم : المقامة المجلس يقوم فيه الخطيب بحضرة
على فعل الخبر .

[بديع الزمان الهمذاني]

ذكر البديع أبو منصور التماري في بقيته ، قال : « بديع الزمان هو أبو الفضل .
أحمد بن الحسين الهمذاني ، مفخر همذان ، ونادرة الفلك وبكر عطارد ، وفريد
الدهر ، وغوة العصر ؛ ومن لم يُنلف نظيره في ذكاء التريخ وسرعة الخاطر
وشرف الطبع وصفاء الذهن وقوة النفس ، ولم يدرك قرينه في ظرف النثر ومناحه
وغرر النظم ونكته ، ولم يُرو أن أحداً بلغ مبلغه من لب الأدب وسرّه ، أو جاء
بمثل إعجازه وسحره ، فإنه كان صاحب عجائب ، وبدائع وغرائب ، فمنها
أنه كان يُنشد القصيدة لم يسمعها قط ، وهي أكثر من خمسين بيتاً ، فيحفظها
كأها ، ويوردها إلى آخرها ، لا ينحرم حرف منها . وينظر في الأربع والخمس الأوراق
من كتاب لم يعرفه ولم يره نظارة واحدة خفيفة ، ثم يعيدها عن ظهر قلبه هذا
ويسردها سرداً . وكان يُقترح عليه عمل قصيدة أو إنشاء رسالة في معنى غريب
وباب بديع ، فيفرغ منها في الوقت والساعة والجواب عما فيها ، وكان ربما يكتب
الكتاب المقترح عليه فيعتمدى بأخر سطوره . ثم هلم جراً إلى الأول ، ويخرجه
كأحسن شيء ، وأماحه ، ويوشح القصيدة المريدة من قبله بالرسالة الشريفة من
إنشائه ، فيقرأ من النظم النثر ، ومن النثر النظم ، ويمطى التوافى الكثيرة ، فيصل

بها الأبيات الرشيقة . ويُقترح عليه كل عروض من النظم والنثر فيرتجله في أسرع من الطرف ، على ريق لا يبلعه ، ونفس لا يقطعه ؛ وكلامه كله عفو الساعه وفيض اليد ومسارقة القلم ومجازاة الخاطر . وكان مع هذا مقبول الصورة . خفيف الروح ، حسن العشرة ناصع الظرف ، عظيم الخلق ، شريف النفس ، كريم العهد ، خالص الود ، حلوا الصداقة ، مر العداوة . فارق همدان سنة ثمانين وثلثمائة وهو مقتبل الشيبه ، غصن الحدائنه . وقد درس على أبي الحسين بن فارس ، وأخذ عنه جميع عنده واستفد علمه ^(١) . وورد حضرة صاحب أبي القاسم بن عباد ، تزود من ثمارها ، وحسن آثارها . وورد نيسابور في سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة ^(٢) ، فنشر بها برّه ، وأظهر طرزّه ، وأملأ أربعائة مقامة بحلها أبا الفتح الإسكندري في الكدنية وغيرها ، وضمنها ما تشهى الأنفس ؛ من لفظ أنيق قريب المأخذ بعيد المرام ، وسجع رشيق الطالع والمقطع كسجع الحمام . وجذ يروق فيملك القلوب ، وهزل يشوق فيسحر العقول ... ^(٣) ثم ألقى عصاه بهرّة ، فماش فيها عبسة راضية . وحين بلغ أشده ، وأرنب على أربعين سنة ؛ ناداه الله فلباه ، وفارق دنياه في سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة ؛ فقامت نوادب الأدب ، وائل حد القلم ، وبكاه الفضائل مع الأفاضل ، ورتاه الأكارم مع المسكارم ؛ على أنه مامات من لم يمت ذكره ، ولقد خلد من بقي على الأيام نظمونه ؛ والله عز وجل يتولاه بعفوه وغفرانه ، ويحييه بروحه وريحانه ^(٤) .

(١) اليقينة : « واستفد علمه ، واستفد بحره » .

(٢) في ط : « وولى » ، تحريف ، والمبارة في اليقينة : « ثم قدم بجرجان ، وأقام بها مدة على مداخلة الإسماعيلية والحبش في أكتافهم ، والاقباس من أنوارهم ، واخص بالامضاء أبي سعد محمد بن منصور أيده الله تعالى ، ونفقت بضامه لديه ، وتوفر خطه من عادته المرونة لخدمة المرووف ، والإفضال على الأفاضل . ولا استقرت عزيمته على قصد نيسابور أعانه على حركته ، وأزاح عنه في سفرته فوافاهما في سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة . . . » .

(٣) حذف المؤلف هنا من كلام التتالي ما يزيد عن صفحة .

(٤) يقينة الفهر ٤ : ٢٤٠ - ٢٤٢ .

وذكر الحصري رحمه الله في كتاب الزهر أن الذي سبب البديع رحمه الله تأليف مقاماته ، هو أنه رأى أبا بكر بن الحسين بن دريد قد أغرب بأربعين حديثاً ، ذكر أنه استنبطها من يتابع صدره ، وانتخبها من معادن فكره ، على طبع العرب الجاهلية ، بالقاظ بعيدة حوشية ، فعارضه البديع بأربعمئة مقامة ، خفيفة الأغراض والمقاصد ، بديعة المصادر والموارد (١) . انتهى كلامه .

والذي جاء بها ، فيه قلة الإمتاع للسامع من حديثها ، وفيها مقامات لا تبلغ عشرة أسطر ، فجاءت مقامات الحريري أحفل ، وأجزل وأكمل ؛ فلذلك فضلت البديعية . وقد صرح علماء الأدب في كتبهم بتفضيل البديع على نظرائه من أهل زمانه ، ولقبه بالبديع يدل على قدره الرفيع ، قال :

وَقَلَّمَا أَبْصَرْتُ عَيْنَاكَ مِنْ رَجُلٍ إِلَّا وَمَعْنَاهُ إِنَّ فَنَشْتِ فِي لَقَبِهِ

وسئل بعض علماء الأدب من أهل عصرنا عن الحريري والبديع ، فقال : لم يبلغ الحريري أن يسمى «بديع يوم» ؛ فكيف يقارن بديع زمان !

وحرى ذكر مقاماته في مجلس بعض أشياخنا ، وكان حافظاً أديباً ، فقال : مقامات البديع يحكى أنها ارتجال ، وأن البديع كان يقول لأصحابه في آخر مجلسه : اقترحوا غرضاً نبني عليه مقامة ، فيقترحون ما شاءوا ، فيملي عليهم المقامة لارتجالاً في الفرض الذي اقترحوه ؛ وهذا أقوى دليل إن صح على فضل البديع قوله علامة : أي كثير العلم ، وهي بذية المبالغة .

[ذكر همدان]

وهمدان ، بفتح الهمزة وقطع الذال : بلد بخراسان . وقيل : همدان من كور الجبل . وبلد همدان واسع جليل القدر كثير الأقاليم والكور ، افتتح سنة ثلاث وعشرين ، وبشرب أهلها من عيون وأودية . وقال اليعقوبي : من أراد السير من الدينور إلى همدان سار متنزهاً إلى موضع ، يقال له : أسد آباد مرحلتين -

حومن أسد آباد إلى مدينة همدان مرحلتان - وهي كثيرة البرد - وقال فيها ابن خالويه - وهو همداني ، واستوطن حلب عند بني همدان :

إذا همدانُ اعترَّها البردُ واقصَى بزعمك أيلولُ وأنت مقيمٌ
فعميكَ عَمَّأوانٍ وَأَنْفُكَ مائِلٌ ووجهك مودَّ البياض بهيمٌ
بالادِّ - إذا ما الصيفُ أقبلَ - جنةٌ ولكنها عند الشتاء جحيمٌ

ولبعضهم :

همدانٌ متلفَةُ النفوسِ بِرِدِّهَا والزَّمهريرُ ، وحرُّها مأمونٌ^(١)
غَابَ الشتاءُ مصيَّتها وخريفُها فكأنَّما تموزُها كَأُونُ
وكل الرواة يروونها « همدان » بفتح الهمزة وقطع الذال ، إلا ابن اللبابة الذي رأيت في شرحه : همدان بكون الهمزة ودال غير معجمة ، وهي قبيلة يمانية ، قال فيها علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه :

ولو كنت بواباً على بابِ جَنَّةٍ لقاتِ لِهَمدانِ ادْخُلُوا بِسلامٍ^(٢)
والرواية الأولى أثبت . قوله : « عزا » أي نسب يقال : عزيتك عزياً ، وعزوتك عزواً : نسبتك ؛ واعتزى إلى بني فلان : انتسب إليهم ، وأبو الفتح في البديعية بمنزلة أبي زيد في الحريرية ، وعيسى بمنزلة الحارث . نشأتها : صنعها . روايتها : إسناد أحاديثها . والنكرة التي لا تتعرف ، هي في غير الأسماء .

فأشارَ مَنْ إشارَتَهُ حُكْمٌ ، وَطَاعَتُهُ غُصْنٌ ، إِلَى أَنَّ أَنْثَى
مَقَامَاتٍ أَتَلُو فِيهَا تَلَوُ أَنْبَدِيرٍ ، وَإِنْ لَمْ يُدْرِكِ الظَّالِعُ شَأَوُ
الضَّلِيلِ ، فَذَا كَرَّتُهُ بِمَا قِيلَ فِيمَنْ أَلْفَ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ ، وَنَظَمَ

(١) معجم البلدان ٨ : ٤٧٦ ، ونسبها إلى كاذب بكر .

(٢) من مقطوعة له ، وأوردها ابن رشيق في العمدة ١ : ٣٤

يَتَنَا أَوْ يَتَيْنِ ، وَاسْتَقْلْتُ مِنْ هَذَا الْمَقَامِ الَّذِي فِيهِ يَحَارُ الْفَهْمُ ،
وَيَفْرُطُ الْوَهْمُ ، وَيُسَبِّرُ غَوْرُ الثَّقَلِ ، وَتَبِينُ قِيَمَةُ الْمَرْءِ فِي الْفَضْلِ ،
وَيُضْطَرُّ صَاحِبُهُ إِلَى أَنْ يَكُونَ كَطَاطِبِ لَيْلٍ ، أَوْ جَابِ رَجُلٍ
وَحَيْلٍ ، وَقَلَمًا سَلِيمًا مِكَثَارًا ، أَوْ أَقِيلَ لَهُ عِثَارًا .

° ° °

[السبب في إنشاء الحريري للقامات]

عُثِمَ : غنيمه . وحكى الفنجديهي في شرحه للقامات : أن الذي أشار عليه بها
هو شرف الدين أنوشروان بن خالد وزير الخليفة ، أمره بإنشاء للقامات وحكم عليه
بها . وقيل : أمره بها صاحب البصرة وواليتها . وقال : سمعت الشيخ الثقة أبا بكر
عبد الله بن محمد بن أحمد بن الثَّغُور البزَّار ببغداد يقول : سمعت الشيخ الرئيس
أبا محمد الحريري يقول : أبو زيد السَّروجي كان شخاذاً بليماً ، ومكدياً
فصيحاً ، ورد علينا البصرة ، فوقف يوماً في مسجد بني حَرَام يتكلم ، ويسأل
شيئاً ، وكان بعضُ الولاة حاضراً ، والسجد غاص بالفضلاء ، فأعجبهم فصاحته ،
وحسن صناعته وملاحظته ، وذكر أسر الروم ابنته ، كما ذكرنا في القامة الحرامية :
وهي الثامنة والأربعون ، قال : فاجتمع عندي عشية ذلك اليوم جماعة من معارف
فضلاء البصرة وعلمائها ، فحكيتُ لهم ما شاهدتُ من ذلك السائل ، وسمعت من
لطافة عبارته في تحصيل مُرَادِهِ ، وطرافة إشارته في تسهيل إِيْرَادِهِ ؛ فحكى كلُّ
واحد من جلسائي أنه شاهد من هذا السائل في مسجده مثل ما شاهدت ، وأنه
سمع منه في معنى آخر فصلاً أحسن مما سمعت . وكان يغير في كل مسجد زِيَّةً
وشكله ، ويظهر في فنون احتياله ، فمجبوا من جريانه في ميدانه ، واقتنانه في
إحسانه ؛ قال الحريري : فابتدأت في إنشاء القامة الحرامية تلك الليلة ، حاذياً حذوه ،
فلما فرغت منها أقرأتها جماعة من الأعيان ، فاستحسنوها غاية الاستحسان .

وأنهوا ذلك إلى وزير السلطان ، واقترحوا على أخواتها ، والله المستعان .

وهذا الذي ذكر القنجديهي قد حدثني بنحوه من يوثق به من الطالبة « بسند متصل بأبي محمد الحريري ، وأن الحريري وفد مع أهل البصرة بندگان فوجدوا بواسطة أبا زيد السروجي^(١) ، فقال : يا أهل البصرة ، أنتم تزعمون أنكم لا تكادون ولا تخدمون ، وقد والله مشيت على مساجدكم ومحاضركم ، فما تعذر على فيها موضع لم أجلب منافع أهله بضروب من المكر . فلما بلغوا بندگان أخبروا بالقصة وزير السلطان ، فأمر الحريري بجميع المقامات .

لكن الذي ثبت عندنا ، هو ما حدثني به الشيخ النقيه أبو بكر بن أزهري . أن النقيه الراوية أبا القاسم بن جهور ، حدثه أن الحريري حدثه أن قصة المقامة الثامنة والأربعين حق ، وأن رجلا قام بمسجد بني حرام ، فأظهر التوبة من ذنبه ، وسأل عن الوجه في كفارته ، فقام رجل من بين الناس ، فذكر أسر ابنته ، فنظم الحريري القصص وجعلها مقامة ، وأنها أول مقامة أثبتت في الكتاب . وكان ابن جهور يقول : إن الذي أشار إليه بها في قوله : « فأشار مع إشارة حكم » هو المستظهر بالله العباسي ، وكان لهذا المستظهر رغبة في الغلب ، وحفظ من الأدب ، وعناية بأهل العلم .

وحدث ابن جهور أنه دخل بندگان في أيامه وبها ألف رجل وخمسمائة رجل حامل علم ، وكلهم قد أثبت أسماءهم السلطان في الديوان ، وأجرى على كل واحد من المال بقدر حفظه من العلم . وكان ابن جهور يحدث أن الحريري ألف المقامات كلها على الركاب ، وذلك أن المستظهر بالله لما أمره بصنعها ، أخرج كالحافظ على العمال ، فكان يخرج في الأبردين يتمشي في ضفتي دجلة والفرات ، ويصقل خاطره بنظر الخصرة والمياه ، فلم ينقض فصل العمل إلا وقد اجتمع له

(١) السروجي ، بفتح السين : منسوب إلى سروج : بلدة قريبة من حران واسم أبي زيد السروجي الطهر بن سائر القوي ، وأحد من اختل بالتعوق البصرة ، ذكره القنطري .
في إنباء الرواة ٣ : ٧٧٦ .

مائتا مقامة ، غلّص منها خمسين وأتلف البواقى ، وصدر الكتاب ، ورفعه إلى
السلطان ، فبلغ عنده أسنى المراتب .

قوله : « فلذا كرتّه بما قيل فيمن ألف بين كلمتين ونظم بيتاً أو بيتين » ،
قال أبو عمرو بن العلاء : الإنسان في فسحة من عقله ، وفي سلامة من أفواه
الناس ، ما لم يضع كتاباً أو يقول شعراً .

وقال المتنبى : من صنع كتاباً فقد استشرف المدح والذم ، فإن أحسن
قد استهدف للحدو الغيبة ، وإن أساء فقد تعرض للشتم بكل لسان .

غيره : من صنف فقد جعل عقله على طبق يعرضه على الناس . وقال حسان :

وإنما الشُّعْرُ عقلُ المرءِ بِمَرَضِهِ عَلَى الْبَرِيَّةِ إِنْ كَيْسًا وَإِنْ حُمْقًا^(١)

وإن أحسن بيتٍ أت فائلهُ بيتٌ يقال إذا أنشدته صدقاً

واستقلت : طابت الإقالة . المقام : موضع القدمين وأنت قائم . يحار :

يتحير : يفرط : يسبق . الوهم : النلط . يُستبرغور العقل ، يختبر قدره ومنتهاه ،

وأصله في الجراحات يُختبر غورها ، أى بهد قعرها . والنسبار : الحديد الذى يقاس بها

حقدار غور الجراحة ، وسببها : قاسها به ، يفعل ذلك الطبيب للتقصص أو للدواء ،

ويقال لحديدته : السُّبَّار والنسبار والمِسْبَر والكحل والميل والمِرزود والجراف .

تبيين : تبيين . يضطر : يُلجأ . حاطب ليل : جامع الخطب بالظلام ، وهذا مثل

لأكرم بن صفيّ حكيم العرب ، ذكره أبو عبيد في الأمثال^(٢) ، وقال : إنما شبهه

بحاطب الليل لأنه ربما نهشته الحية أولعته المقرب في احتطابه ليلاً ، فكذلك

المبذار ربما أصابه في إكثاره بعض ما يكره ، قال النرزدقى :

كمحتطبٍ ليلاً أسودَ هضبةٍ أتاه بها في ظلمة الليل حاطبُهُ^(٣)

وأبين من تفسيره أن حاطب الليل لا يبصر ما يختطب ، فهو يؤلف بين

لحطب الكبير والصغير ، القوى والضعيف ، والجيد والردى ، فكذلك المكثار

(١) ديوانه ٢٩٢ . (٢) فصل المقال ٢٥ ، ولفظ المثل فيه : « المكثار كحاطب الليل » .

(٣) ديوانه ٥١

يأتى بالضعيف من الكلام والقوى والجيد والردى، فشبته لذلك بالحاطب، وأراد
بـ «جالب رجل وخيل» ما أراد بحاطب الليل، لأن الرجل ضعيف والفارس
قوى. والمكثار: الكثير الكلام، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَثُرَ
كَلَامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ، وَمَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ كَثُرَ ذَنْبُهُ، وَمَنْ كَثُرَ ذَنْبُهُ، كَانَتْ
النَّارُ أَوْلَى بِهِ، أَلَا مَنْ كَانَ يَوْمَئِذٍ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَلِيلٌ خَيْرًا أَوْ لَيْسَتْ» (١).
أقيل: أقيم ورفع. عثار: انكباب وسقوط، وإقالة العائر أن ترفقه من.
سقطته، ومنه الإقالة في البيع ونحوه.

• • •

فَلَمَّا كَمْ يُسَمِّفُ بِالْإِقَالَةِ ، وَلَا أَعْنَى مِنَ التَّقَالَةِ ، تَبَيَّنَتْ
دَعْوَتُهُ تَلْيِيقَ الْمُطْبِيعِ ، وَبَدَأَتْ فِي مُطَاوَعَتِهِ جُهْدَ الْمُسْتَطْبِيعِ ،
وَأَنْشَأَتْ - عَلَى مَا أَعَانِيهِ مِنْ قَرِيحَةٍ جَامِدَةٍ ، وَفِطْنَةٍ خَامِدَةٍ ،
وَرَوِيَّةٍ نَاصِبَةٍ ، وَهُنُومٍ نَاصِبَةٍ - تَحْسِينَ مَقَامَةٍ ، تَحْتَوِي عَلَى جِدِّ الْقَوْلِ
وَهَزْلِهِ ، وَرَفِيقِي اللَّفْظِ وَجَزْلِهِ ، وَغَرَرِ الْبَيَانِ وَدُرَرِهِ ، وَمُلَحِ الْأَدَبِ
وَنَوَادِرِهِ ، إِلَى مَا وَشَعَتْهَا بِهِ مِنَ الْآيَاتِ ، وَحَاسِنِ الْكِنَايَاتِ ،
وَرَصَمَتِهِ فِيهَا مِنَ الْأَمْثَالِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَاللَّطَائِفِ الْأَدَبِيَّةِ وَالْأَحَاجِي
النُّعُوِيَّةِ ، وَالْفَتَاوَى اللَّغَوِيَّةِ ، وَالرِّسَائِلِ الْمُبَشِّرَةِ ، وَالْمُطَلَبِ
الْمُحَبَّرَةِ ، وَالْمَوَاعِظِ الْمُبْكِيَةِ ، وَالْأَصَاحِيكِ الْمُلْهِيَةِ ، بِمَا أُمْنِيَتْ
جَبَمَهُ عَلَى لِسَانِ أَبِي زَيْدٍ السُّرُوجِيِّ ، وَأُسْنَدَتْ رِوَايَتَهُ إِلَى
الْحَارِثِ بْنِ هَمَّامٍ الْبَصْرِيِّ .

• • •

يُسَمِّفُ: يُوَاقِي وَيُنِيلُ الرِّغْبَةَ ، وَأَسْخَفَ الرَّجُلَ بِمُطْلَبِهِ : سَاعَدَتْهُ عَلَيْهِ .

والإسفاف للصدور، وساعفته مساعفة: قضيت إرادته. ولا أعنى من القالة، أى
لم يُعنى من كلامه والحاجة، وأعفيت: الرجل وعافيته: أزلت عنه ما يشق عليه،
وأصله الترك، ومنه إعفاء اللحية. وهو أن يتركها على حالها، ومنه: عفا الله عنك.
لثيت: أجيبت وقلت: ليليك. أنشأت: ابتدأت وأخذت أفضل. أعانيه: أعالجه،
وأصلها من القضاء وهو التنب. قرحة: ذهن، وأصلها ماء البئر النابع عند حفرها،
ومنه القرحة للجراحة، لأن أصلها مادة وشبه الذهن بذلك لما يتولد عنه من
الأماني. فطنة: ذكاء، والفطن: الذكاء. خامدة: ساكنة، وخدت النار:
سكن لها. روية تدبر، وروأت الأمر، تدبرت كيف تصفه، وأصل الروية
بالهمز واستعملت بنور همز. ناضية: جافة، ونضب الماء: غار في الأرض.
ناصبة: متعبة، ومم ناصب على معنى التعب، أى ذو نصب، ولو جاء على
القياس ل قيل: منصب، لأن فعله أنصبه الهم، وقال بشر:

تَعَنَّاهُ مِمَّنْ مِنْ أُمَيْمَةٍ مُنْصِبٍ وجاء من الأخبار ما لا يكذب^(١)
ونصب نصباً: أعيا من التعب. جزلة: غليظة ومتينة. غرر: جمع غرة وهى
خيار الشيء ومنه غرة الفرس وهو البياض فى جبهته فجعلها للبيان مجازاً. دُرُرُه:
جمع دُرَّة وهى الجوهرة العظيمة، والكلام الحسن يشبه بالدرر والجواهر. ملح:
جمع ملحة، وهى مليح الكلام. نواذر: غرائب. وشعثها: زينتها. الكنايات:
خرب من الألفاظ، وأصل الكناية أن تذكر الشيء بنير لفظه، إما لإيهام على
جلبسك أو لتنظيم أو لتحقير، فالإيهام أن تذكر لفظاً يفهم من ظاهره غير
مرادك، مثل قوله تعالى: حاكياً عن هود عليه السلام، حين قال له قومه: (إنا
لنراك فى سفاهة... قال يا قوم ليس بى سفاهة)^(٢)، فليس فى اللفظ زيادة على نفي

(١) مطلع قصيدة فى ذيوته ٧ - ١٢، ورواية الطبرانى فى: ١٢٠

• كَذَى الشَّوْقَ لَنَا يَدَهُ وَسَيْدَهُ •

(٢) سورة الأعراف ٦٦، ٦٧.

السفاهة ، وقد تضمنت الكلام التكذيب لهم والتعظيم ، مثل كناية الرجل بأبي فلان ، ترك اسمه وعُدل إلى كنيته تعظيماً له . والتحضير : أن يكون الشيء خسيماً فتأنف من ذكره فتذكره بنير اسمه ، مثل قوله تعالى : ﴿ كَانُوا يَا كَلَّانَ الظَّالِمِينَ ﴾^(١) فكفى عن الحدث بالأكل لما كان يتولد عنه . رخصته : نظمته ، وألصقت بمضه بيمض ، وتاج مرصع : مزين بخرز وجوهر يُنظم فيه . اللطائف : الرقائق والكامة اللطيفة ، أى الرقيقة المعنى التى تحمل فى القلب فتطعمه . الأحاجى : ضرب من الألفاظ واحداً أحجية ، وهى قولك لصاحبك : أخرخ ماني بدي ولك كذا ، تقول العرب : أحاجيك ماني بدي ؟ وحجياك ماني بدي ؟ وهى من الحجى ، وهو العقل .

الفتاوى القفوية ، أراد بها المسائل المائة التى فى الثانية والثلاثين ، والفتيا : إظهار الشيء المستول عنه عند السؤال . المبتكرة : التى لم يسبق إليها ، وبكر وابتكر . خرج مبتكرة ، ومنه الباكور وهو المبكر من كل شيء فى الإدراك ، وبكر كل شيء : أوله . الحبرة : المزينة ، وحبرت الشيء تهيئاً زينته ، وأصلها من الخبر ، وهى ثياب تصنع بالين فيها رقوم وتزيين . أملت : أقيمت ، وأملت على الصبي : أقيمت عليه ما يكتب . أسندت : رفعت .

وما قصدتُ بالإحماض فيه ، إلا تنشيط قارئه ، وتكثير سواد طالبيه . ولم أودعه من الأشعار الأجنبية إلا يتيين قذنين ، أسست عليهما بنية المقامة الحلوانية . وآخرين نوأمين منسجمين المقامة الكرجية^(٢) ، وما عدا ذلك فحاططى أبو عذره ، ومقتضب حلوه وممره .

(١) سورة الكافى ٧٠ .

(٢) ١ ، ٢ : «خوام القامة الكرجية» ، وما أتجه من ج .

هَذَا مَعَ اعْتِرَافِي بِأَنَّ الْبَدِيعَ رَحِمَهُ اللَّهُ سَبَّاقُ غَايَاتٍ ، وَصَاحِبُ
آيَاتٍ ، وَأَنَّ الْمُتَعَدِّيَ بِمَدَّةِ لِإِنْشَاءِ مَقَامَةٍ ؛ وَلَوْ أَوْتِيَ بِسَلَاغَةٍ
قُدَامَةٍ ، لَا يَتَعَرَفُ إِلَّا مِنْ فُضَائِلِهِ ، وَلَا يَسْتَرِي ذَلِكَ الْمُسْتَرِي .
إِلَّا بَدَلَالَتِهِ .

• • •

الإحماض : الانتقال من شيء إلى شيء ، وأصله في الإبل ترى الحُلَّةَ ، وهي
حُمُ الرعى فتمله فتنتقل إلى الحِمَضِ تَأْكُلُ منه فيذهب الحمض عن قلوبها استيلاءً .
الحلاوة ، فتشط بذلك على الرعى فيقال : أحض الرجل إحماضاً ، والعرب تقول :
الحُلَّةُ خبز الإبل ، والحمض فأكتمها ، فأراد به تنقله في المقامات ، من حكاية فائقة ،
إلى قضية راقية ، ومن موعظة تبيكي إلى مابهية تُسلي ، وفي ذلك تنشيط وترغيب
في قراءتها ، وَنَقَى اللَّغْلَ وَالْكُسْلَ عَنْ قَارِئِهَا . سواد : أشخاص ، ويسمى الشخص
سواداً ، لأنه يسود الأرض بظله . أودعه : أضمته . الأجنبية : التي ليست من شمره .
والأجنبي : من ليس بينك وبينه قرابة ، من الجنابة وهي البعد . فذَيْن : منفردين .
هذا من شمر وهذا من آخر . تومين : أخوين من شمر واحد . أُسِّت :
أصلت ، والأساس أصل الحائط . الحُلوانية والكَرَجِيَّة : منسوبتان إلى حُلُوان
والكَرَج ، وهما بلدان . ماعدا : ماجاوز . خاطري : ذهني . أبو عُذْرَه ، أي
أول صانع له ، يقال للمرأة : فلان أبو عُذْرَها ، أي أول زوج تزوجها فوجدها عذراء
فافتتحها وأزال عُذْرَها ، أي مابها من صموبة . مقتضب . مقطوع . حُلُوه ومُره :
جيده وورديه .

غَايَات : جمع غاية وهي طَلَقٌ ^(١) الخليل ، والسَّابِقُ منها الذي يحى أبداً سابقاً ..

(١) الطلق : الشوط الواحد في جرى الخيل .

التصدى : التمرض . بلاغة : فصاحة ، وأصلها أن يبلغ الإنسان من الكلام والحجة ما أراد .

[ذكر قدامة بن جعفر]

قدامة ، هو أبو الوليد^(١) بن جعفر ، كان بليغاً مجيداً عالماً بأسرار صنعة الكتابة ولوازمها ، وله كتاب يعرف بسرّ البلاغة في الكتابة ، وترجمته تدلّ على متضمنه ، وله تحقيق في صنع البديع يتميز به عن نظرائه ، وتدقيق في كلام العرب يُرَبِّي فيه على أكفائه ، وتحذيق في علوم التعليم أضرم فيها شعله ذكائه ؛ فلذلك سار للنيل ببلاغته ، واتفق بالتقدم والتأخر على فضل براعته .
الفُضالة : البقية من الماء وغيره ، وهي ما فضل عن الحاجة . واغترفها : أخذها بيده . يسري ذلك السرى : يقصد ذلك المقصد ، وأصل يسري ، يسير بالليل . دلّاته : تقدمه وهدايته ، وتفتح دالماً وتكسر ، والفتح أكثر .
والدليل بالفلاة : الذي يهدي القوم قسداً .

• • •

وَقَدْ دَرُّ الْقَاتِلِ :

فَلَوْ قَبْلَ مَبْكَاهَا بَكَيْتُ مَبَابَةً

يَسْتَعْدِي شَقِيئُ النَّفْسِ قَبْلَ التَّنَدُّمِ

وَأَكِنَ بَكَتَ قَبْلِي فَتَبَّحَ لِي الْبَسْكَ

بُكَاهَا ، فَقُلْتُ : الْفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ

• • •

(١) كنيه في معجم الأدباء ١٨ : ١٢ : أبو الفرج . واسمه قدامة بن جعفر بن عامر الكاتب . قال : « كان أحد أبناء القضاة والفلاسفة الفضلاء ؛ ومن يشار إليه في علم المنطق » .
(٢ - شرح مقامات الحريري)

مبكاه : بكاءها . صباة : شوقا . هيج : حرك ، واليثنان لعدى بن
الرقاع ، وقبلهما :

ومما شجاني أنتى كنت نائما أعلل من فرط الكرى بالتنشيم^(١)
إلى أن دعت ورقاء في غصن أيبكة تردد مبكاه بحسن الترميم
فلو قبل مبكاه . . .

[عدى بن الرقاع]

وعدى هو أبو زيد بن مالك ، ينتمى إلى معاوية بن الحارث ، وينسب
إلى الرقاع وهو جدُّ جدّه . وكان شاعراً مقدّماً عند بنى أمية ، مداحاً لهم ، خاصاً
بالوليد بن عبد الملك ، ومنزله بدمشق ، وهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم ،
وكان من أوصاف الناس للطفية ، وكذا ذكره صاحب الأغاني^(٢) في ترجمته .
وقال نوح بن جرير لأبيه : من أنسب الناس^(٣) ؟ قال : ابن الرقاع في قوله :
لولا الحياه وأن رأسى قد عسا فيه الشيب لزرت أُم القاسم^(٤)
وكانها بين السماء أعارها عينه أحور من جآذر جاسم
وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سِنَّة وليس بناظم



أقرّ الحريرى هنا للبديع بالفضل ، وجعله سباقاً للنايات ، وما أحسن هذا
الأدب منه ، مع علمه بفضل مقاماته على مقامات البديع ، ومن أدل دليل على ذلك
أنه منذ ظهرت مقامات الحريرى لم تستكمل مقامات البديع ، ثم إنه طبق استعمالها
أفاق الأرض ، إلا أنه أسرها شيئاً ، لأنه ختم كلامه ، بأن البديع فضله بالتقدم ؛
وهذا منه مذهب مستحسن ، ألا تراه كيف بدأ بتجريد الفضل للبديع وحده ،

(١) السكامل لم يرد : ٣ : ١٢٥ ؛ قال أبو الحسن الأخفش : الصحيح أن الشعر لنصيب .

(٢) الأغاني : ٩ : ٣١٠

(٣) الأغاني : ٩ : ٣١٣ ، وصلى ، أى اعتد وانقصر .

(٤) الأغاني : ٩ : ٣١٣ ، وصلى ، أى اعتد وانقصر .

ثم لم ير لنفسه قدراً في قوله : « وإن لم يدرك الظالمُ شأوَ الصليح » ؛ فجعل نفسه كالفرس الأعرج الذي جريته إذا اجتهد دون مشى الصحيح ، وجعل البديع كالفرس العتيق الكامل القوة . ثم لما بلغ إلى هذا الموضع بدأ أسطار صرح في الظاهر للسامع بأن البديع سبق غايات ، وصاحب آيات ، وأوصى لمن ظن ، أنه إنما فضله بتقدم الزمان . ثم خلط الكلام في الخفاء بين المتقدمين والمتأخرين ، ثم تناسى ذلك إلى آخر الكتاب في السابعة والأربعين ، وصرح هناك بتفضيل المتأخر على المتقدم وتفضيله نفسه على البديع ، حيث يقول :

إِنْ يَتَكَبَّرُ الْإِسْكَندَرِيُّ قَبْلِي فَالطَّلَقُ قَدْ يَبْدُو أَمَامَ الرَّبِّ
• وَالْفَضْلُ لِلرَّوَابِلِ لَا لِلطَّلَقِ •

ولو كان غير من العلماء المنسوبين إلى سوء الأدب ، ورأى فضل مقاماته ، لم يتم البديع وقص كتابه فكان يتمكس التمس عليه ؛ وكذا رأينا في الناب من ادعى لنفسه فضلاً ، وازدري غيره ، أنه قلما يكون إلا بمقوت ، قلما أظهر الحرري مدح البديع ، ووفاه قسطه من التفضيل والترفع ، ولم ينظر إلى نفسه إلا بطرف خفي قل من يتفطن له ، ستر الله عليه ورفع صيته ، ووضع لكتابه القبول عند الخاصة والعامة . فشرق حتى لم يجد ذكر مشرق ، وغرب حتى لم يجد ذكر مغرب^(١) . فلا يذم كتابه إلا أحد الرجلين فذين ذكرهما ؛ إما جاهل ، أو حاسد .

• • •

[القديم والحديث في الأدب]

ومذهب الناس في تفضيل الحديث على القديم ؛ وأكثرهم على تفضيل القديم ، وقد أحسن حبيب حيث يقول :

قُلْ فَوَادِكَ حَيْثُ شَتَّعْتَ مِنَ الْهَوَى مَا الْحَبَّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ^(٢)

(١) ط : « مغرب ... مغرب » ، والوجه ما أتيت من الأدب .

(٢) ديوانه ٤٥٧ .

كم منزل في الأرض يأنه التي وحيته أبداً لأول منزل
وقال :

لَا زِلْتَ مِنْ شَكْرِي فِي حَلَّةٍ لَا يُسْبَا ذُو سَلْبٍ فَآخِرٌ^(١)
يقول من تفرع أسماعه : ما ترك الأول للآخر
وذكر ابن شرف علة ذلك فقال :

أولع الناس بامتداح القديم وبذم الحديث غير الذميم^(٢)
ليس إلا لأنهم حسدوا الحق ومالوا إلى العظام الرميم^(٣)
وللتأخرين شعر كثير في تفضيلهم أنفسهم على المتقدمين ؛ من أحسنه
قول للمرعي :

وإني وإن كنت الأخير زمانه لآتي بتمائم تستطه الأوائل^(٤)
وقال ابن عمار :

أنا ابن عمار لا أخفي على أحدٍ إلا على جاهل بالشمس والقمر
إن كان آخرني دهرى فلا عجب فوائد الكتب يستلحق في الطرر
والذي ذكر أبو العباس في الكامل هو الحق ، قال : وليس أقدم العهد
يفضل القائل ، ولا لحداثة العهد يهضم للمصيب ، ولكن يمتلئ كل ما يستحق^(٥) ..

[القول في الحمام]

وأما بيت عدى في الحمام ، فالحمام قد ذكر العرب لها في شمارها ، ونظم
هنا بفصل منها ؛ يروى عن علي رضي الله عنه أنه اشتكى إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم الوحشة فقال له : « اتخذ حمامة تؤنسك وتصيب من فراخها ، وتوقظك
للصلاة بتفريدها » .

(١) ديوانه ١٠٢٣ .

(٢) ألف باء : ١٠٩ : ٦٠ .

(٣) سقط الزند ٥٢٥ .

(٤) الكامل ١ : ٢٩ .

ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتخذوا الحمام فإنها تلهي الجن عن صيانتكم »^(١) .

وروى جابر رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان يصجبه النظر إلى الحمام الأحمر وإلى الأترج .

وكان إبراهيم بن سيار يحب الحمام ، وكان إذا ذكرها يقول : إن الله جمع فيها حسن النظر ، وكرم الخبر ؛ تكفيك مؤنتها ، وتكثر لديك معونتها ؛ فهي لا طارق عُدّة ، وللمستوطن لذة ، تطعم في الصحراء ، وتعود عليك بالسراء ، ويأنس الوحيد بحركاتها ، وتُغني عن الأوتار بفتحاتها ؛ وغيرها من الطير يستجمع . وهي ناطقة ، وينفر عنك وهي داجنة ، وفي طباعها سكون إلى الناس واستئناس بهم ، وهي طير عفيف ، يبقى الذّكر بعد الأُنثى مفرداً ، والأُنثى مثل ذلك ، مع شدة اتفاقهما على المحبة ، إن طارا طارا معاً ، وإن وقعا وقعا معاً ، لها سرعة طيران ، لا تكاد تصيدها سباع الطير إلا بحيلة .

ولم تزل العرب تستحسن تسجيع الحمام وتغريد البلبل والورشان ، وقد ذكرت العرب من رقة تسجيحه ما يبعث التذّكر ، ويولد الشجون ، ويهيج الأسى ، ويحدّ رقة القلب ؛ حتى يجعل البكاء فرضاً معها ، والتصابي لازماً لأجلها ، وأعراب وادى القرى إذا ظفروا بشراب الطائف ، أتوا حواطئ النخل عند استعلاء الظهيرة ، إذا صارت الوراشين والفواخت إلى تلك الظلال ، فيشربون هوياً نسون بشريدهن ، ويقيمون ترجيع أصواتهن مقام الزامير والأوتار . وأنا أسوق من المنظوم ما يوافق هذا النثر ، كقول أبي صخر المذلي :

ولتأدعت غَوْرِيَّةُ الأَيْكِ سَجَمَتْ فسَجَّعَ دَمْعِي يَسْتَهْلُ وَيَسْتَشْرِى^(٢)

(١) الجامع الصغير ١ : ٩ ، وانظله : « اتخذوا هذه الحمام القاصص » .

(٢) زيادات شرح أشعار الهذليين ١٣٣١ ، عن الشريف .

بذكري شجوى دعاه حمامة وبيعت لوعات الصبابة في صدرى
بكت حزناً رزء الهدى وشفنى فراق حبيب ضاق عن فقد صبرى
وأشد الأصمعى قال :

أيها البلبل المفرد فى النخل غريباً عن أهله خيراً
أفراقاً تشكوه أم ظلت تدعو فوق أفنان نخلة ورشانا !
هاج لى صوتك المفرد شجواً رب صوت يهيج الأحرانا
وقال آخر :

أحن إلى حواظ ذات عرقى لتفرد الفواخت والخطام^(١)
ألم بها بكل فتى كريم من الفتيان مخلوع الزمام
وقال آخر :

إذا غنت على الأغصان ورق أجبتناها بإعمال الدمام
وقال آخر :

سيفنيك عن مزار آل عرقى وسرهم تفرد تلك الحمام
بأبكة أطيار تجاوبن بالضحى على باسقات مائلات نوايم
وأشد أبو على عفا الله تعالى عنه :

ومن بستان إبراهيم غنت حمام بينها قنن رطيب^(٢)
قلت لما وقبت سهام رام ورقط الريش مطامها الجيوب
كما هيجت ذا حزن ممتقى على أشجانه فبكى الغريب
وقال نصيب :

لقد هفت فى جنى ليل حمامة تبكى على إلف وإنى لنا^(٣)

(١) ذات عرق : مهل أهل العراق . وهو المد بين نجد وتهامة - ياقوت .

(٢) البيت الأول فى مجسم البلدان ٢ : ١٧٥ ، وقال : « وأشد الأيوردي لبهم »
وبستان إبراهيم فى بلاد أسد .

(٣) من أبيات أروبة فى ديوان المجنون . وكذا نسبها صاحب طر الأزهر ٢٥٠ .

كذبتُ وبيت الله لو كنتُ عاشقًا كنا سبقتني بالبكاء الحامِ
وأنشد أبو العباس لحيد بن ثور :
وما حاجَ هذا الشوقَ إلَّا حمامةٌ دعت ساق حرةً ترحه وترنًا^(١)
مُحَلَّاةٌ طوقٍ لم يكن من تميمه ولا ضربَ صَوَاحِجَ بكفيه درهما
تَفَنَّتْ على غصنٍ عِشاءَ فلم تدع لناحيةً في نوحها متلوها
إذا حَرَكَتهُ الريحُ أو مالَ ميلةً تَفَنَّتْ عليه مائلا ومَقُوما
عجبت لها أني يكون غناؤها فصيحًا ولم تَفَرَّ بمنطقها قما
فلم أرَ مثلي شاقه صوتُ مثيها ولا عَرَبِيًّا شاقه صوتُ أعجميها
وقال حبيب :

لتضمضت عبراتُ عينك أن دعتُ ورقاه حين تضمض الإغلام^(٢)
لا تشجَّينَ لها فإن بكاءها ضحك وإن بكائك استغرام
من الحام ، فإن كسرت عيافةً من حائنين فإِنَّهم حِمام
وسمع حبيب بخراسان غناءً بالفارسية ، فلم يدروا هو، غير أنه شوقه قال :
حَدَّثَكَ لَيْلَةٌ شَرُفَتْ وَمَالَتْ أَقَامَ سَهَادُهَا وَمَقَى كَرَاهَا^(٣)
سَمِعْتُ بِهَا غَنَاءَ كَانَ أَوْلَى بَأَن يَتَادَ قَيْسِي مِنْ عَنَاهَا
ومسممةٌ يَحَارُّ السَّمْعُ فِيهَا وَلَمْ تَصِيْمُهُ لَا يَصِمُ صَدَاهَا

(١) الكامل ٣ : ١٢٤ ، قال : « أما قول حيد : دعت ساق حرة ؛ فإنما حكى
صوتها » . ولشرح الديوان : هو ذكر القاري . وبسده في الكامل :

إِذَا شِئْتُ غَنَّتَنِي بِأَجْزَاعِ يَشَّةٍ أَوْ التَّجَلُّلِ مِنْ تَلِثٍ أَوْ بِلِلْمَا
مَطْوُوقَةٌ خَطْبَاهُ تَسْجَعُ كُلَّمَا دَنَا الصَّنِيفُ وَانْجَابَ الرِّيحُ فَأَنْجَمَا

انجمال : ألقم . وانظر ديوان حيد ٢٤ - ٢٧ .

(٢) ديوانه ٢٧٩ وروايته « انعمت » .

(٣) ديوانه ٤٦٧ ، وروايته :

شَكَرْتُكَ لَيْلَةً حَسَنَتْ وَطَلَبَتْ أَقَامَ سُرُورَهَا وَمَقَى كَرَاهَا

ولم أنهم معانيها ولكن ورت كبدى فلم أجهل شجهاها
وطلت كأتى أعمى معنى يحب الغانيات ولا يراها
بمعنى بهذا الأعمى بشاراً حيث يقول :

يا قوم أذنى لبعض الحى عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحياناً^(١)
قالوا بمن لا ترى تهذى! قلت لهم: الأذن كالعين توفى القلب ما كانا^(٢)

وَأَرْجُو أَلَّا أَكُونَ فِي هَذَا الْهَذَرِ الَّذِي أَوْرَدْتُهُ ، وَالْمَوْرِدِ
الَّذِي تَوَرَّدْتُهُ ، كَالْبَاحِثِ عَنْ حَتْفِهِ بِظُلْفِهِ ، وَالْجَادِعِ تَمَارِينَ
أَنْفِهِ بِكَفِّهِ ، فَالْحَقُّ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ صَلَّ سَمِيمُهُمْ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُعْسِنُونَ مَتْنًا .

قوله : « المذر الذى أوردته » ، أى الإكثار الذى أثبت به ، وقد تقدم
المورد^(٣) . وتوردته : اقتحمته . الباحث : المقتش ، والظلف : للبقرو والنم كالحافر
للخيل والحير . وهذا مثل للعرب ؛ وذلك أن ماعزة كانت قوم ، فأرادوا ذبحها
فلم يجدوا شفرة ، فنبشت بظلفها فى الأرض ، فاستخرجت منها شفرة ، فذبحوها
بها ، وقالوا : نبشت عن حنفا بظلفها ، فارت مثلاً . وقال الشاعر :
وكانت كعنز السوء قامت بظلفها إلى مُدْيَةٍ تحت الثرى تستيرها^(٤)

(١) الأغاني ٣ : ٢٣٨ .

(٢) توفى ، أى بلغ . (٣) نسخة ١٨ من هذا الجزء

(٤) للفرزدق ، ديوانه ٧١ ، وروى أبو عبيد قيله :

وكان يُجِيرُ النَّاسَ مِنْ سَيْفِ مَالِكٍ فَأَصْبَحَ بَيْنِي نَفْسُهُ مَنْ يَجِيرُهَا

وقال أبو الأسود :

خَلَا بَكَ مِثْلُ الَّتِي اسْتَخْرَجْتَ بِأَخْلَافِهَا مُدِيَّةً أَوْ يَفِيهَا^(١)
فَقَامَ إِلَيْهَا بِهَا ذَابِحٌ وَمَنْ يَذْعُ يَوْمًا شَعُوبًا يَجِيهَا^(٢)
ولفظ المثل عند أبي عبيد « كالمز تبعث عن اللدية »^(٣) والجداع : القاطع
الأنف . والمارن : طرف الأنف ، وأراد به قصيراً مولى جذيمة الأبرش . وقد ذكرنا
قصته في شرح الرابعة والعشرين . ورجا المصنف ألا يدركهم الضرر ما أدركا^(٤)
من الضرر حين جنياً على أنفسهما وانتفع غيرهما . ضل سعيهم : خابت أعمالهم ،
وأصل ضل ، تحير فلم يدرك أين يتوجه ، وأصل السعي المشي بسرعة . سمع أعرابي
رجلاً يقرأ « قُلْ هَلْ أَنْتُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا » ، فقال : أنا أعرفهم ، قيل له :
بومين هم ؟ قال : الذين يرددون ويأكل غيرهم .

قُلْ أَنِّي وَلَئِنْ أَغْمَضَ لِي الْفَطْنُ الْمُتَنَابِي ، وَنَضَعَ عَنِّي
الْمُحِبُّ الْمُتَعَابِي ، لَا أَكَاذُ أَخْلَصُ مِنْ غَمْرِ جَاهِلٍ ،
أَوْ ذِي غَمْرِ مُتَجَاهِلٍ ، يَضَعُ مِنِّي لِهَذَا الْوَضْعِ ، وَيَتَدَدُّ بِأَنَّهُ
مِنْ مَنَاهِي الشَّرْعِ .

وَمَنْ تَقَدَّ الْأَشْيَاءُ بِمَعْنَى الْمَقُولِ ، وَأُنْعَمَ النَّظَرُ فِي مَبَانِي
الْأَصُولِ ، نَظَّمَ هَذِهِ الْمَقَامَاتِ ، فِي سِلَاحِ الْإِفَادَاتِ ، وَسَلَكَهَا
مَسَلَكَ الْمَوْضُوعَاتِ ، عَنِ الْمَجْمَاوَاتِ وَالْجَمَادَاتِ .

(١) ديوانه ٢٢ (ضمن مجموعة نقائس المخطوطات) .

(٢) رواية الديوان : « ومن يذع يوماً شعوباً » ، والشعوب : علم على النية .

(٣) فصل للقال ٢٨٨ . (٤) كنا في أول ط : « أدركها » .

أَغْض : سَامِحٌ وَسَدَّ عَيْنَهُ عَمَّا لَمْ يَرْضَ . وَالْفُطْنُ : الذِّكْرُ . التَّغَابَى : التَّجَاهَلُ
عَنِ الشَّيْءِ . وَهُوَ عَارِفٌ بِهِ ، وَهُوَ عَمَّا يُحَمَّدُ بِهِ الرَّجُلُ ، قَالَ حَبِيبٌ :

لَيْسَ النَّبِيُّ بِسَيِّدٍ فِي قَوْمِهِ لَكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ الْمُتَغَابَى ^(١)

وَنَضَحَ بِالْمَاءِ : غَسَلَ . الْحَابِي : الَّذِي يَفْضُلُنِي عَلَى غَيْرِي ، وَحَبَانِي : اخْتَصَنِي .
بِالْمُطَيَّةِ ، وَأَصْلُ حَابَاهُ أَنْ تَعْطِيَهُ وَيَعْطِيَكَ ، وَقَدْ يَكُونُ فِي مَعْنَى «حَبَاهُ» . الْفُتْرُ :
الْجَاهِلُ . ذِي غَمَرٍ : صَاحِبُ عِدَاوَةٍ . مُتَجَاهِلٌ : مُسْتَعْمِلٌ لِلْجَهْلِ وَهُوَ عَلَى خِلَافِهِ ؛
يَقُولُ : إِنْ سَدَّ عَيْنَهُ عَنْ عَيْبِي فَطُنَّ ذُو عَقْلٍ ، أَوْ تَغَابَى حِينَ يَبْصُرُ لِي خَطَأً ، أَوْ رَأَى
لِي ذَلِكَ الْعَيْبَ مَحَبَّةً ، فَجَعَلَ يَفْضُلُهُ عَنِّي لِغُبْتِهِ لِكَلَامِي ؛ فَلَا أُخْلَصُ مَعَ ذَلِكَ ،
إِنَّمَا مِنْ جَاهِلٍ يَحِبُّ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ ، أَوْ مِنْ عَارِفٍ يُظَاهِرُ لِي عِدَاوَةً وَحِدًا ، فَيَرُدُّ حَسَنِي .
قَبِيحًا ، وَهُوَ عَارِفٌ بِحَسَنِي ؛ فَيُشَبِّحُ فِي النَّاسِ أَنْ لِقَاءَاتِ أَكْذَابٍ ، وَهُوَ
عَارِفٌ بِفَضْلِهَا وَمَا قَصِدَ بِهَا .

[مِنْ أَقْوَامِهِمْ فِي الْحَقْدِ مَدْحًا وَذَمًّا]

وَالْفُتْرُ : الْحَقْدُ ، وَصَاحِبُهُ مَذْمُومٌ ، وَلَا أَعْرِفُ مَنْ تَعَرَّضَ مِنَ الْفُصَحَاءِ
لِمُدْحِ حَامِلِهِ سِوَى مَا يَحْكِي أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ صَالِحٍ جَاءَ بِهِ إِلَى الرَّشِيدِ فِي
قَبْوَدِهِ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ خَالِدٍ - وَأَرَادَ أَنْ يَبْكِيهِ : بَلْفَى أَنْتَ حَقُودٌ ، قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ :
أَيُّهَا الْوَزِيرُ ، إِنْ كَانَ الْحَقْدُ هُوَ بَقَاءُ الْخَيْرِ وَالْإِثْرِ ؛ إِنَّمَا بَالِقِيَانِ فِي صَدْرِي -
وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : إِنَّمَا صَدْرِي خِزَانَةٌ تَحْفَظُ مَا اسْتَوْدَعْتَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ -
قَالَ الرَّشِيدُ : وَاقِفْ مَا رَأَيْتَ أَحَدًا احْتَجَّ لِلْحَقْدِ بِمَثَلٍ مَا احْتَجَّ بِهِ عَبْدُ الْمَلِكِ ،
فَفَتَحَ الْبَابَ لِابْنِ الرُّومِيِّ ، فَقَالَ يَخَاطَبُ بَعْضَ مَنْ عَابَهُ بِالْحَقْدِ :
لَنْ كُنْتُ فِي حِفْظِي لِمَا أَنَا مُودَعٌ مِنْ الْخَيْرِ وَالْشَّرِّ اسْتَحْيَيْتَ عَلَى عَرَضِي .

كَتَابَتْنِي إِلَّا بِفَضْلِ أَمَانَةٍ وَرَبِّ أَمْرٍ يُرَى عَلَى خُلُقٍ مُحَضَّرٍ^(١)
وَلَوْلَا الْحَقُّوْدُ لِلتَّكْنَنَاتِ لَمْ يَكُنْ

لِيَتَقَضَّ وَتَرَا آخِرَ الدَّهْرِ ذُو قَضٍ
وَمَا الْحَقْدُ إِلَّا تَوْهَمُ الشُّكْرِ فِي النَّقَى

وَبَعْضُ السَّجَايَا يَنْتَسِبُ إِلَى بَعْضٍ

غَيْثٌ تَرَى حَقْدًا عَلَى ذِي إِسَاءَةٍ

فَمَنْ تَرَى شُكْرًا عَلَى حَسَنِ التَّوَضُّعِ

ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْعَارِيقَةِ لِلثَّلَى، فَاصْطَلَّ لِلذَّهَبِ الْأَعْلَى، وَقَالَ بَيْهِيه، ضَارِبًا بِسَهْمِ
الْبَلَاغَةِ فِي الْوَجْهِينِ :

يَا مَادِحَ الْحَقْدِ مَحْتَالًا لَهُ شُبُهَاءُ	لَقَدْ سَلَكْتَ إِلَيْهِ مَسْلَكًا وَغَنَاءُ ^(٢)
يَا دَائِمَ الْحَقْدِ فِي خِطْفِي جَوَانِيحِهِ	سَاءَ الدَّائِمِينَ الَّذِي أَضَعْتَ لَهُ جَدَائِمًا
الْحَقْدُ دَاءٌ دَوِيٌّ لَا دَوَاءَ لَهُ	يَرَى الصَّدُورَ إِذَا مَا جَمَّرَهُ خُرْبَاءُ
فَاسْتَشْفِيَتْهُ بَصْنَجٌ أَوْ مَحَادَّةٌ	نَاثِمًا يُبْرِأُ الْمَصْدُورَ مَا نَفَثَا
إِنَّ الْقَبِيحَ إِذَا أَصْلَحَتْ ظَاهِرُهُ	يَمُودُ مَا لَمْ مِنْهُ حَرَّةٌ شَعِيثًا
كَمْ زَخَرَفَ الْقَوْلَ ذُو زُورٍ وَلَبَّسَهُ	عَلَى الْقَوْلِ وَلَكِنْ قَدْ لَبَّسَا

• • •

قوله: « بضع متي » أى يحيط من منزلتي . الوضع : الكتاب . بتدّد : بشهر
العيب، وتدّد به، إذا أُنعمه للكرهه . قد الأشياء : فُتّش وبُحِث عاينها . المقول =
المقل . أنعم : بالغ . وأصل النظام جعل حَبَاتِ الجوهر في خيطها وضمّها فيه لغيرها :
ثم سُمِّيَ يَتُّ الشمر نظامًا، لأن الكلام فيه ملتصق ببعضه ببعض كحَبِّ الجوهر .

(١) الطيوان : « إلا بما ليس عاتبي . . . » وكَم حَاحِلُ يَزْرِي .

(٢) ديوانه الورقة ٤٥ ، مخطوطة دار الكتب ١٢٩ - أدب .

حواليت يضمه كالخيط ، والسلك : خيط الجوهر . والإفادات : الفوائد . سلك : قصد . للوضوعات : الكتب للؤلؤة ، أى أدخلها مدخل هذه الكتب . المعجوات : البهائم ، وسميت واحدها عجماء لأن صوتها لا يفهم منه معنى . والمجادات : ما عدا الحيوان ، وأراد ما أُلّف من الكتب عما لا حقيقة له في الظاهر ، وقد صمّن الحكم الشافى في الباطن ، مثل كتاب كلية ودمنة وغيره مما أُلّف على السنة مالا عقل له ولا روح . وكذلك المقامات ، وإن كان ظاهرها كذبا فالقصد بها تمرين الطالب وتهذيبه وتذكية عقله ، وأن يكتب تجارب الدنيا من حكايات السروحي ، فيكون متنبها لما يطرأ عليه من التوازل ، فتؤمن على عقله الغفلة والخديعة ، إلى ما يضاف إليه من تعليم صنعة الكتابة والشعر ، فإنها أعون شىء عليها .

[بما روى من الحكم على السنة البهائم وغيرها]

ومما يحكى على السنة البهائم ما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : بينا راع في غنم إذ عدا عليها الذئب ، فأخذ شاة منها ، فطلبه الراعى منه حتى استنفذها ، فالتفت إليه الذئب وقال : من لها يوم السبع ، يوم ليس لها راع غيرى ! » (١) .

بينما رجل يسوق بقرة له قد حمل عليها ، فالتفت إليه البقرة فكلمته فقالت : أنا لم أخلق لهذا ، وإنما خلقت للحرث ، فقال الناس : سبحان الله ! تعجبا وفزعاً ؛ أبقرة تتكلم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنى مؤمن بذلك أنا وأبو بكر وعمر » (١) .

السبع ، بسكون الباء : أرض الحشر والسبع : الفزع .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود وحتى يختبئ اليهودى وراء الحجر فيقول الحجر : يا عبد الله ، يا مسلم هذا يهودى ورائى فاقته » (٢) .

(١) صحيح مسلم ١٨٥٧ ، ١٨٥٨ (٢) صحيح مسلم ٢٢٣٩

أَهْبَةُ السَّيَاحَةِ ، وَلَهُ رَنَّةُ النَّيَاجَةِ ، وَهُوَ يَطْبَعُ الْأَسْجَاعَ بِجَوَاهِرِ
لَفْظِهِ ، وَيَشْرَعُ الْأَسْمَاعَ بِزَوَاجِرِ وَعْظِهِ ، وَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ أَخْلَاطُ
الزَّمَرِ ، إِحَاطَةَ الْمَالَةِ بِالْقَمَرِ ، وَالْأَكَامَ بِالثَمَرِ ، فَدَلَفْتُ إِلَيْهِ لِأَتَمِسَّ
مِنْ فَوَائِدِهِ ، وَالتَّمِطَ بِمَضَى فَوَائِدِهِ ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ حِينَ خَبُّ فِي
مَجَالِهِ ، وَهَدَرَتْ شَقَاشِقُ أَرْجَائِهِ :

° ° °

طَلَعْتُ : أَخَذْتُ وَجَمَلْتُ ، وَمَعْنَاهَا ابْتِدَاءُ الْفِعْلِ وَالْدَّخُولُ فِيهِ . أَجُوبُ :
أَقْطَعُ وَأُخْرِقُ ، وَجُوبُ الْأَرْضِ : قَاعُهَا بِالشَّيْءِ . الْحَيْرَانُ : أَجُولُ : أَنْصَرِفُ .
حَوْمَاتُهَا : جِهَاتُهَا . الْحَائِمُ : الطَّائِرُ الْعَاطِشُ يَحْتُمُّ حَوْلَ الْمَاءِ ، أَيْ يَدُورُ بِهِ : أُرُودُ :
الْقَسْ . الْمَسَارِحُ : مَوَاقِعُ اللَّهْوِ ، لَمَحَانِي : نَظَرَاتِي ، يَرِيدُ الْمَوَاضِعَ الَّتِي يَسْرِعُ عَيْنِيهِ
خِيَمًا بِالنَّظَرِ . مَسَاحٍ : مَسَالِكُ ، أَرَادَ طُرُقَهُ الَّتِي يَسِيرُ فِيهَا بِالشَّيْءِ بِالْفَتْحِ وَالْعَشَى ،
وَالسَّيْحُ : الْمَاءُ الْجَارِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ، وَتَكُونُ الْمَسَاحُ أَيْضًا جَمْعَ مَسِيحَةٍ أَوْ
مَسْحَةٍ ، وَهِيَ الطَّوْفَةُ مِنْ قَوْلِكَ : مَسَحْتُ الْبَيْتَ ، أَيْ طَفْتُ بِهِ ، فَيَكُونُ عَلَى هَذَا
«فَعَائِلٌ» مِمِّهَا أَصْلِيَّةٌ ، وَعَلَى الْأَوَّلِ «مَفَاعِلٌ» . أَخْلَقْتُ : أَهْيَيْتُ . دِيْبَاجِي : جِلْدُ تَوَجُّهِي ،
يُرِيدُ أَنَّهُ يَخْلُقُ وَجْهَهُ بِالمَسْأَلَةِ كَمَا يَخْلُقُ التَّوْبَ ، وَهَذَا مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : «المَسْأَلَةُ كَدُوحٍ وَخُدُوشٌ فِي وَجْهِ صَاحِبِهَا» ، وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لَا تَزَالُ
المَسْأَلَةُ بِالرَّجُلِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ عِزَّ وَجَلَّ ، وَمَا عَلَى وَجْهِهِ مَزْعَةُ لَحْمٍ» ، أَيْ قَعَامَةٌ . أَبُوحُ :
أَذْكُرُ . حَاجَتِي : قَهْرِي . تَفَرَّجَ : تَزِيلُ . عُغِّي : عُغِي وَمَا يَضِيقُ ثِيَابِي . عُغَّتِي :
عِطَاسِي . أَذْنِي : أَوْصَلَتِي . خَاتِمَةُ لَطَافٍ : آخِرُ اللَّشَى . هَدَنِي : دَلَّنِي . وَالْإِلَافُ :
حَسَنُ السُّؤَالِ وَفَاتَحَتُهُ ، أَرَادَ بِهِ سؤَالَكَ مَنْ تَلَقَّى فِي الطَّرِيقِ إِذَا دَخَلْتَ بِلَدًا غَرِيبًا ،
فَإِذَا سَأَلْتَ بِطَلُفٍ أُرْسِدْتَ بِسُرْعَةٍ ، فَسؤَالَكَ هُوَ الَّذِي فَتَحَ لَكَ الطَّرِيقَ . وَيَقَالُ :

أَلَطَفَ سؤال الرجل ، إذا رَقَ لفظه ولم يكن فيه جناء ، فقبله القلوب ، وألطف .
الرجل سؤاله ، إذا سألك بحنان وتلطّف ، واللفظ الرقيق ، وألطفك أيضاً : برّرتك .
وأكرمك ، فالإلطف مصدر ألطف ، ويروى : «الألطف» جمع لُطْف وهو الرقيق ،
يقال : لطف الله بالعباد لُطْفًا ، رَفَقَ بهم رَفَقًا ، وهو راجع إلى الأول . نادٍ : مجلس .
رحيب : واسع . محتو : مشتمل . نحيب : بكاء . ولجت : دخلت . غابة الجمع :
وسط الناس ، وأصل الغابة الشجر المتلف يئيب فيه مَنْ يدخله . لأسبر : لأفقس .
وأراد دخلت بين الناس لأجرب وأعرف ما الذى أبكام وجلب دموعهم .
ويروى ، «نحابة» بالحاء ، وهى من الحلب ، يقال : انحلبت عينه ، إذا سالت بالدمع .
بُهْزَة : وسط . شَخَّت : دقيق ورقيق ، والشَخَّت : الحطب الرقيق . أهبة .
السياحة : آلة العبادة ، وهى مثل العصا وركوة الماء وثياب الصوف وغير ذلك .
يطبع الأسجاع ، أى يرتبها ويصنمها ، تقول : طبعت الدرهم والسيف إذا صنعتها .
وطبعت الكتاب إذا ختمته ، وكانت اللؤلؤ تكتب فى فصوص خواتمها « لا إله
إلا الله » و « الملك لله » وتطبع بذلك كتبها ، وهذا للمنى ألقى بطبع الأسجاع ، أى يزينها
ويختصمها بجواهر كلامه ، ومن روى « لجواهر » باللام فعل « يصنمها » لا غير .
والتفسير على الروایتين أخذته عن أبى ذر . والأسجاع الكلام المفتر ، له كفاية :
كفاية الشعر ، وكان من كلام الكهان ، وهذه للموعظة التى فى المقامة من الأسجاع .
وسجعت الحمامة ، إذا غنت على طريقة واحدة . يقرع : يضرب . الأسماع : الأذان .
زواجر : نواير ، وزجره : نهاه وانتهره . أحاطت : حلفت : أخلاط : أصناف .
مختلطون . الزمر : الجماعات . الهالة : النارة حول القمر من نوره ، والطفافة : الدارة :
حول الشمس . والساهور : هو غلاف القمر الذى يستتر فيه ما قص منه . الأكام :
جمع كَم ، وهو التلف الذى ينشق عن الثمر ويحيط به . وسمى كَمًا لأنه يستر ما تحته .
والأكام : جمع قليل ، والكثير كام . والثمر حمل الأشجار . دلفت : قريت .
ودلف الشيخ فى مشيته ، إذا أسرع من ضعف قنارى بخطوه . اقتبس من فوائده :

الشمس وطلب أخذها واكتسابها . والفرائد : شذور الذهب تفصيل ما بين الجوهر .
 خب في مجاله : أخفى كلامه ، والخب عدوسه ، وهو الذي تسميه العامة السير ،
 وفرس ميلار . والمجال للخيال : موضع تصرفها وجريها . هدرت : صوتت .
 شقاشق : جمع شقشقة ، وهي الفأخة يخرجها خلُّ الإبل من حلقه عند هياجه ورغائه ،
 ويرجع فيها هديره ؛ شبه صوت الواعظ حين يرفعه ويذكر به الناس بصوت البعير
 يهيج ويتابع الهدير ، قال الأخطل :

إِذَا هَدَرَتْ شَقَاشِقُهُ وَنَثَبَتْ لَهُ الْأَطْفَارُ تُرِكَ لَهُ الْهُدَارُ^(١)
 أراد: نَثَبَتْ وَتُرِكَ ، فنخف .

• • •

أَيُّهَا السَّادِرُ فِي غُلَوَائِهِ ، السَّادِلُ ثَوْبَ خِيَلَائِهِ ، الْجَامِيعُ
 فِي جَهَائِلَائِهِ ، الْجَامِعُ إِلَى خُرُغَيْلَائِهِ . . . إِلَامَ تَسْتِيرُ عَلَى غَيْكَ ،
 وَتَسْتَرِي مَرَعَى بَنِيكَ ! وَحَتَامَ تَنْتَاهِي فِي زَهْوِكَ ، وَلَا أَنْتَهِي
 عَنْ لَهْوِكَ !

• • •

السَّادِر : الزاكب هواء ، لا يردّه شيء استعالةً وبنياً ، ويقال للذي يطيل
 الجلوس في الشمس حتى يتصعّر بصره : قد سَدَرَفَهُ سَادِر . في غُلَوَائِهِ : في ارتفاعه
 للشرّ ولجلالته فيه ، وهو من غَلَا يغلو في الأمر ، إذا جاز الحد ؛ فيقول : يَا أَيُّهَا الْأَعْمَى
 الْكَثِيرُ الْجَلْجَلُ فِي رُكُوبِ اللَّعَامَى ؛ هَلَّا نَقُرَّبَ بَيْنَ الْبَصِيرَةِ ، وَرَجَعْتَ حَمًّا أَنْتَ
 عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالِ ! السَّادِل : للرّخي . خِيَلَائِهِ : كِبَرِهِ . الْجَامِيع : الجارى إلى غير

(١) ملحوظ ديوانه ٣٥٨ ما نقله عن الشريف .

غاية ، وقد جمع الفرس إذا أكب رأسه ، وجرى في غير قصد ، فيريد أنه أكثر
 الفساد حتى جرى منه في غير طريق . الجامع : اللائل . الخزعبلات : الأباطيل ،
 وهو ما يترأى للإنسان في نومه من الخيال . تستمر : تدوم في زورك . غيتك :
 ضللك . تستمرى : تستعيب من المرى ، وهو ما يلتذبه من الطعام . بنيك :
 ظلمك . تنهاى : تبلغ النهاية ، ونهاية الشيء ، آخره . زهوك : كبرك وعجبك .
 اللهو : ما يشغل عن الخير من أنواع الطرب .

[نبذ من أقوال الشعراء في ذم الكبر]

وقال القاضي أبو جعفر^(١) بن عمر في ذم الكبر وما يتعلق به :
 وَلَا تُنْسَبْ إِلَى كِبَرٍ فِهْنًا أَبُوكَ الثَّرْبُ يَخْفِضُكَ انْتِبَا
 وَلَا تَصْعَبْ أَخَا كِبَرٍ وَقَدْ عَلَى النَّفْسِ الْأَعَادِي وَالصَّحَابَا
 وَلَا تَجِبْ بِجَاهَةٍ بِمَدْحٍ كُنْ بِالرَّءِ حُوبًا أَنْ يُجَابَى
 وَحَازِرْ أَنْ تُرَى فِي الْقَوْمِ رَأْسًا وَلَا تَنْسِ الذُّنُوبَ وَكُنْ ذُنَانِي^(٢)
 تَرَابًا كَنْ هَذَا نَفْسَاكَ إِلَّا تَتَنَّى أَنْ تُكُونَ غِنَا تَرَابَا
 وقال أبو نواس :

حَذَرْتُكَ الْكِبَرَ لَا يَشَاكَ مِيسُهُ فَإِنَّهُ مَلِيسٌ نَازَعَتُهُ اللَّهُ^(٣)
 يَابُوسَ جَلِيلٍ عَلَى جَوْفٍ مُجَوَّفُهُ يَحْوِي مَقَازِيرَ إِنْ كَلِمَتُهُ تَاهَا^(٤)
 يَرَى عَلَيْكَ لَهُ فَضْلًا بَيِّنَ بِهِ إِنْ نَالَ فِي الْعَاجِلِ السُّلْطَانَ وَالْجَاهَا
 إِنِّي لَأَمَقْتُ نَفْسِي عِنْدَ نَحْوَتِهَا فَكَيْفَ آمَنُ مَقْتَ اللَّهِ إِذَاهَا

(١) ط : « أبو حنيفة » ، وما أتت من « (٢) الذنابي : أذنب الناس .

(٣) رواية الديوان ١١٧ :

يَابُوسَ جَلِيلٍ عَلَى عَظْمٍ مَحْرَقُهُ فِيهِ الْخُرُوقُ إِذَا كَلِمَتُهُ تَاهَا

وقال أبو المتاهية :

عجبتُ للإنسان في فخره وهو غداً في قبره يُقْبَرُ^(١)
 ما بال من أوله نُظْفَةٌ وجيئةً آخره يَفْخَرُ !
 أصبح لا يملك تقديم ما يرجو ولا تأخير ما يحذرُ

تبارزُ بِنَمِصَّتِكَ ، مالكَ ناصيتِكَ ، وتجتريُ بِقُبْحِ
 سيرتِكَ ، على عالمِ سريرتِكَ ، وتتوارى عن قريبتِكَ ، وأنتَ يَمْرَأَى
 مَرِيبِكَ ، وتُسْتَخْفَى من تملوكِكَ ، وَمَا تَخْفَى خَافِيَةٌ عَلَى مَلِيكَكَ .
 أَتَظُنُّ أَنْ يَسْتَنْفِذَكَ خَالِكَ إِذَا آنَ ارْتِعَالُكَ ! أَوْ يُنْقِذَكَ مَالُكَ ،
 حِينَ تَوْبَقُكَ أَعْمَالُكَ ! أَوْ يُنْفِي عَنْكَ نَدَمُكَ ، إِذَا زَلَّتْ قَدَمُكَ !
 أَوْ يَنْطِفُ عَلَيْكَ نَمَشْرُكَ ، يَوْمَ يَضْمُكُ مَحْشَرُكَ !

قوله : « تبارز » ، أى تكاشفو تقابل . والبارز : الظاهر للكشف . والناصية :
 شُعرُ مقدم الرأس . تجتري : تقدم وتشجع . والجريء : الشجاع المقدام . سيرتك :
 عادتك ، وجمعها سير وهي ما يعامل به الناس من خير أو شر ، وتقول : سرت
 سيرة من خير أو شر ، إذا أحدثتها فعمل بها الناس بعدك ، فصارت عادة لهم ،
 ولذلك نُسِرْنَا السيرة بالعادة حيث وقعت ، وأصل السيرة هيئة عمل السير ، وذلك
 أنك تقول : جلس فلان جلسة بالفتح ، وهي المرة الواحدة من جلوسه ، فإذا

(١) ديوانه ١٠٣ ، ورواية صورده فيه : « ما احق الإنسان في فخره » .

كسرت الجليم قهى هيئة جلوسه، ومثله ركب ركبة، والركبة هيثم كوبه، وتقول ::
 سار هذا الفعل سيرة، والسيرة بالكسر : هيئة سيره فى الناس من حسن أو قبح .
 أو صواب أو خطأ ، وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم هيئة أفعاله حيث كانت .
 تنوارى : تستتر . برأى من رقيبك ، أى بمنظر ربك أو بحيث يراك ، ورقب .
 الشيء : حافظه وحارسه . ملكك مالكك ، وأراد أن الإنسان إذا خلا برية ،
 استتر بها عن أخيه وعنده حياة منهما ، ولا يستحي من ربه الذى يطلع على
 معاصيه ، ولا يخفى عليه خافية، وأشار إلى قوله تعالى : ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ
 وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنْ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ... ﴾ الآية ، وقال عمر بن عبد العزيز .
 رضى الله عنه :

إن كنت تعلم أن الله ياعمرُ يرى ويسمع ما بآى وما تذرُ
 وأنت فى غفلة من ذاك تركب ما نهاك عنه ، فأين الخوف والخطر !
 كجأهر الله إقداماً عليه ، ومن حثالة الناس تستعجى وتمتنرُ
 وقال نابتة بنى شيبان :

إن من يركب القواحش سراً حين يخلو بسرّه غير خالٍ (١)
 كيف يخلو وعنده كاتباه شاهداه وربّه ذو الجلال (٢)
 وقال أبو نواس :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل : خلوتُ ، ولكن قل على رقيب (٣)
 ولا تحسن الله يفضّل ساعةً ولا أن ما يخفى عليه بغيبُ
 لهونا لمر الله حتى تراكت (٤)

(١) ديوانه ٦٤ .

(٢) الديوان : « ذو الحال » .

(٣) ديوانه ٧٠٩ .

(٤) رواية الديوان : « لهونا بمر حال حتى ترادفت » .

حالك : عزتك ومالك . آن : حان وقرب . ارتحالك : اشتقالك . توبقك : تهلكك ، يقال : أوبقته الذنوب ، أهلكته فوبق ، أى هلك ووبق أيضاً . وقال أعشى همدان :

أستغفرُ اللهَ أعمالي التي سلفتُ من عثرةٍ إن يعاقبني بها أبقي
زلتُ : زلت . معشرك : قومك . محشرك : موضعك الذي تُحشَرُ إليه .

هلاً انتهبجت محجةً اعتدائك ، وعجلت معالجةً دائك ،
وفللت شباة اعتدائك ، وقدعت نفسك فهي أكبر
أعدائك !

أما الحمامُ ميمادك فتأ إعدادك اوبالشيبي إنذارك ، فتأ
أعدارك ، وفي اللعذر مقيك ، فتأ قيلك ! وإلى الله مصيرك
فمن نصيرك ! طأنا أيقظك الذمير فتعاست ، وجذبك
الوعظ فتعاست ، وتجلت لك المير فتأميت ، وحضضك
لك الحق فتتاريت ، وأذ كرك الذوت فتتاسبت ، وأمسكتك
أن تواسي فتأ آسيت .

انتهبجت : ركب . والتهج التهج والنهاج : الطريق الواضح . محجة : طريق ،
من حجة يحجج ، إذا قصده . اعتدائك : استقامتك . معالجة : مداواة . فللت :
كسرت . شباة : حد . اعتدائك : جورك وظلك . قدعت : كفت .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ليس عدوك الذي إن قتلته كان لك نوراً ، وإن قتلك دخلت الجنة ، ولكن أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك » . قال الأصمى : كنّا بطريق مكة في بعض المنازل ، إذ وقفت علينا أعرابية فقالت : أطعمونا ثم أطعمكم الله ، فتاولها بعضُ التوم شيئاً فقالت له : كُتبتَ لله كل عدو لك إلا نفسك .

قوله : « أما » : حرف إخبار^(١) واستفتاح كالألف . الحام : الموت ، من حُمّ الأمر ، قضى . اليعاد : الوعد . ما إعداك : ما استعددت له ، والإعداد حصدر أعدّ للأمر إذا هيا له ما يحتاج إليه من عُدّة ، يقول : الموت هو الذي وُعِدْتُ به أن يأتيك ولا بدّ ، فاستعدّ له من أفعال البر .

وللقية الزاهد أبي عمران موسى بن عمران :

يا صاح في الموت لنا حكمة بالغة لو أننا ننتفع
فاعمل له قبل مفاجاته ويحصد الزارع ما قد زرغ
لا حيلة تُنجيك منه ولا ذو وزرٍ عنه به يتمنع
كم أُمم أنتم قبلنا وشمل قوم شته فانصدغ
ولحيب :

فقد أيقنت بالموت نفسي لأنني رأيتُ للناس يَحْتَرِمْنَ حياتي^(٢)
فيا ليت أني بعد موتي ومبتي أكون رُفاتاً لا على ولا ليا
الشييب : الشيب ، يقال : شاب رأسه شيباً أو مشيباً . إنذارك : إعلامك ، سواء نذرك : أعلمك ثم تحذر وخوفك منه ، وأراد قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ﴾^(٣) ، وانظر هذا المعنى في الحادية والأربعين مستوفى تفصلاً وثراً .

(١) قوله : « أما » : حرف إخبار ... « الظاهر أن هذا استفهام تقريرى — حاشية ط .

(٢) سورة قاف ٣٧ .

(٣) ديوانه ٤٨٤ .

قالوا خرج أسد وذئب وتعلب يتصيدون، فاصطادوا حمار وحش وغزالاً وأرنباً، فقال الأسد للذئب: اقسم بيننا هذا، فقال: الحمار لللاك، والغزال لي، والأرنب للتعلب، فرفع الأسد يده فصر به ضربة، فإذا هو مجدّل بين يديه. ثم قال للتعلب: اقسمها، فقال: الحمار يتقدّى به لللاك، والغزال يتعشى به، والأرنب بين ذلك، فقال الأسد: ويحك ما أقصاك! من عليك هذا القضاء؟ قال: رأس هذا الذئب. وحدث الشمي، قال: صادر رجل قبرة، فقالت: بما تريد أن تصنع بي؟ قال: أدبحك وأكلك، فقالت: والله ما أشبع من جوع، وخير لك من أكلني أن أعلمك ثلاث خصال: واحدة وأنا في يدك، والثانية وأنا على الشجرة، والثالثة وأنا على الجبل. قال: هاتى: قالت: لا تلهفن على ما فات، نخلى سبيلها، فلما صارت على الشجرة قالت: لا تصدقن بما لا يكون أنه سيكون، فلما صارت على الجبل قالت له: ياشقى لو ذبحتنى أخرجت من حوصلى درّتين، كل واحدة عشرون مثقالاً، قال: فمضّ الرجل على شفته تاتهما، ثم قال: هاتى: الثالثة، فقالت: أنت قد نسيت فنتين فكيف أخبرك بالثالثة! ألم أقل لك: لا تلهفن على ما فات، ولا تصدقن بما لا يكون أنه سيكون! أنا ولحى ودمى وريشى لا يكون فى عشرون مثقالاً، فكيف يكون فى حوصلى درّتان كل واحدة عشرون مثقالاً! ثم طارت. وذهبت. وأمثال هذه الملح أكثر من أن تحصى.

وَلَمْ يُسْنَعْ بِمَنْ نَبَأَ مَنَّمُهُ عَنْ تِلْكَ الْحِكَايَاتِ، أَوْ أُنْمِ رُؤَايَاهَا فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ.
ثُمَّ إِذَا كَانَتْ الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَبِهَا انْتِقَادُ الْعُقُودِ الدِّيْنِيَّاتِ، فَأَيُّ حَرْجٍ عَلَى مَنْ أَنْشَأَ مُلِحًا لِلتَّنْظِيرِ، لَا لِلتَّمْوِيهِ، وَنَحَا بِهَا مَنَعَ التَّهْدِيدِ، لَا الْكَذِيبِ! وَهَلْ هُوَ فِي ذَلِكَ إِلَّا عِزَّةٌ مِنْ

«تَدَبَّ لِتَمْلِيمٍ، أَوْ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ !

عَلَى أَنِّي رَاضٍ بِأَنْ أَجِلَ الْحَوَى وَأَخْلَصَ مِنْهُ ، لَا عَلَى وَلَا لِيَا

قوله : «بنا سمعه» أي ارتفع، وأصله في السَّيْفِ إذا ارتفع فلم يمتص في الضربة .
 أَيْمَ : جعلهم أصحاب إِيْم . انعقاد العقود ، أي ارتباط العقائد . حرج : إِيْم ، وأصل
 التحريج التضيق . للتنبيه ، أي لينبه به الناقل الذهن فيجعله حاضر الخاطر . نحا
 منعى : قصد مقصد . التهذيب : التلخيص ، وهذبت العالِب : أخرجته وخلصته ،
 ورجل مهذب : مخلص من العيوب . ويروى : ندب وانتدب ، فندب دعا ، وانتدب
 أجاز . وهدى : أرشد . صراط مستقيم : طريق معتدل ، وَمَنْ قُلَ مَا ذُكِرَ
 مَا جُورَ غَيْرَ آيَمَ ، لَكِنَّهُ مَعَ هَذَا رَضِيَ أَنْ يَخْلَصَ عَنِ يَتَكَلَّمُ فِي كِتَابِهِ بِتَمْلِيمٍ ،
 وَأَنْ يَخْرُجَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ كِفَافًا لَا أَجْرَ وَلَا وَزَرَ ؛ بَلْ نَرَجُو لَهُ الْأَجْرَ عَلَى تِلْكَ
 بِالْإِفَادَةِ وَالتَّعْلِيمِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

• • •

وَبِاللَّهِ أَغْتَضِدُ ، فِيمَا أَغْتَمِدُ ، وَأَغْتَمِعُ فِيمَا يَغِمُ .
 وَأَسْتَرْشِدُ ، إِلَى مَا يُرْشِدُ ؛ فَمَا التَّمْزَعُ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا
 الْإِسْتِمَانَةَ إِلَّا بِهِ ، وَلَا التَّوْفِيقَ إِلَّا مِنْهُ ، وَلَا الْمَوَالَ
 إِلَّا هُوَ ؛ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ، وَبِهِ نَسْتَعِينُ ، وَهُوَ
 رَحِيمٌ اللَّيِّنُ !

• • •

أعتصد : أستمين . أعتد : اقتصد . أعتصم : أمتنع . يصم ، يعيب . أسترشد :
أستهدى . يرشد : يهدى ويدلّ على الخير . والمفرع : اللجأ ، وكذلك الموائل .
وتقول : فرعتُ إلى فلان ، إذا لجأتُ إليه واستعنتُ به ليحميك ويمنعك ، وفرعتُ
منه : خفته ، والمفرع الذى ذكره مصدر بمعنى الفرع . وتقول : وألت من ذلك ،
إذا نجوت منه ، وأنت موئلى منه ، أى الذى تنجيني منه . والمفرع : الموائل
والحصن ، تفرع إليه فينجيك من طالبك . أنيب : أرجع . والإجابة : الرجوع
إلى الله تعالى والتوبة إليه .

المقامة الأولى وهي الصنعانية

حدث الحارث بن همام قال : لما اقتضت غارب الأغرَاب ،
وَأَتَانِي الْمَرْبَّةُ عَنِ الْأَثْرَابِ ، طَوَّحَتْ لِي طَوَائِحَ الزَّمَنِ ، إِلَى
صَنْعَاءَ الْيَمَنِ ، فَدَخَلْتُهَا خَاوِي الْوَقَاصِ ، بِأَدَى الْإِنْقَاصِ ؛ لَا أَمَلُكَ
بُلْقَةٍ ، وَلَا أَجِدُ فِي جِرَائِي مُضَفَّةً .

• • •

إن قيل : لأنى معنى اختار الحريرى حارثاً وهاماً وأبازيد، دون غيرهم من
الأسماء ؟ فالجواب أنه إنما قصدهم لأنهم أصدق الأسماء ، قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الحديث الرفوع : « تَسْمُوا بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَأَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ
عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَأَصْدَقُهَا حَارِثٌ وَهَمَامٌ ، وَأَقْبَحُهَا حَرْبٌ وَمِرَّةٌ » (١) .
وصدقهما أنه ليس أحداً إلا وهو يحرث ، أى يحاول الكسب أو يهتم بحاجته .
وأما أبو زيد ، فإن صدق أنه إنسان بعينه كما تقدم في الصدر وقع الاكتفاء
به ، وإن لم يصدق فقد حكى أهل اللغة أنه كنية الكبر ، وأنشد ابن قتيبة :
أعار أبو زيد يميني سلاحه وحذ سلاح الدهر للدم كالدم (٢)
وكنت إذا ما الكلب أنكر أهله أفدى ، وحين الكلب جذلان نائم
سلاحه : العصا . وإنكار الكلب أهله ، إذا لبسوا السلاح . وجذلان نائم ، في
الجدب إذا ماتت اللواشى فيشبع من لحومها وينام . وقال ابن الأعرابي : يقال للشيخ
الكبير : أبو زيد وأبو سعيد . والسروحي في الغالب إنما يصفه بالكبر والمهرم .

(١) نقله في الجامع في الصغير ١ : ٢٢٤

(٢) مايجول عليه ، مصورة مكتبة المجمع النورى الورقة ٢٠١ .

فوقمت التسمية لقوية، وإنما عني بالمارث بن همام نفسه، لأنه يصفه بأشياء لا تليق
إلا بالدهر، مثل قوله :

وكل سرح فيه ذنبي عاثُ حتى كأني للأُنام وارثُ

* ساءُهم وحامهم وياثُ *

ومثل قوله :

ووترت أزيلبَ الأرا ثك والدرايك والسجوفِ

وهي كثيرة، وفي الحسین له كلام لا يابق إلا بالدهر، فجعل أخذَ المارث
من أبي زيد، كناية عن علم الحریری بما جرت من صروف الدهر.

قوله : «اقتصدت» أي ركب، وأصله اتخذت قعدة أو قعوداً، وهما اسمان
للبعير يقعد عليه راكبه . والتارب : مقدم سنام البعير . والاغتراب والغربة :
التحول في البلدان والبعيد عن الأوطان، وسيأتي ما أصلها، وأراد : لما اتخذت .
ظهر الغربة قعوداً . أناثى : أبعدتني . المترية : الفقر . الأتراب : الأصحاب
على سنن واحد . طوحت : رمت .

وطوايح : نوايب ؛ تقول : طوحت بالرجل ، إذا رميت به إلى الهلاك ،
وقياس الطوايح للطاويع لأنك تقول : طوحت فهي مطوحة والجمع مطوحات
ومطاويع . قال أبو عبيد : جاءت الطوايح على حذف الزيادة ، ورد الفعل إلى
أصله ، فإنه من طاحت فهي طائحة ، والجمع طوايح ، قال أبو عمرو الشيباني :
جاءت على النسب ، مثل لابن وتامر ، أي ذولين وذو ثمر وذات تطويح ،
قال الشاعر :

لَيْتِكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لَخْصُومَةٍ وَغَنِيْطٌ تَمَّاطِيْحُ الطَّوَاغِ (١)

ومثله ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ﴾ (٢) : تقديره ملايح ، لأنك تقول : أَلْقَعَتِ الرِّيحُ السَّحَابَ إِذَا جُمِعَتْ وَأَلْقَتْهُ . وضارع مرتفع بمضمر تقديره : يبكيه ضارع ، وهو الدليل .

* * *

[مدينة صنعاء]

صنعاء ، بلد باليمن ، وأضافها إلى اليمن ، لأنَّ قَمَّ صنعاء أخرى ، وهي قرية بدمشق . وكان اسم صنعاء في القديم « أزال » ، قال ابن الكلبي والشرقي (٣) : ولما واقبها الحبشة قالوا : نم ، فسئى جبلها نم (٤) أى انظر ، فلما نظروا إلى مدينتها ورأوها حصينة مبنية بالحجارة قالوا : هذه صنعاء ، وتفسيرها هنية ، فسميت صنعاء (٥) .

وحكى المحدثاني قال : وأهل صنعاء يقولون في الإسلام : لِمَنَّا القرية المحفوظة ، وأنهم سمعوا هاتفاً يقول في بعض أيام من حاربهم : كلَّ عليك يا أزال ، وأنا أتحنن عليك !

وأقدم قصور اليمن وأنبها ذكرًا ، وأبعدها صيتاً عُمدان وقصر أزال ، وهي صنعاء .

(١) تهليل بن حري ؟ في مرتبة له ؟ وهو من شواهد الكتاب على أن النعل المسند لل ضارع ، حذف جوازا ، أى يبكيه ضارع . خزنة الأدب لبغدادي ١ : ١٤٧ .
(٢) سورة الحجر ١٥ .

(٣) هو الشرقي بن القطامي واسمه الوليد والشرقي لقب له .

(٤) في ياقوت : « نم ، أحد حصون اليمن » .

(٥) في ياقوت : « قالوا : هذه صنعة ، وسنماا حصينة » .

والذى أسس عُمدان وابتدأ بنيانه، واحترق بثره الذى هو اليوم سقاية لسجد
جامع صنعاء، سام بن نوح عليه السلام، على ما يذكره علماء صنعاء واليمن، وذلك
أنه لما مات نوح اجتوى بعده السكنى فى الأرض الشمالية، فأقبل طالماً فى
الجنوب يطلب أطيب البلاد، حتى صار إلى الإقليم الأول، فوجد اليمن أطيبه
مكناً، وصنعاء أطيب اليمن، فوضع مقراته — وهى الخيط الذى يقدر به البناء
ويبنى على حذو — فوضع الأساس فى ناحية فيج عُمدان فى غربى الجبل، وهو
اليوم معروف بصنعاء، فلما ارتفع بث الله طائراً، فاختلف القراء فطار بها،
وتبعه سام، لينظر أين يقع؛ فأم بها جنوب النعم من سفح نعم، فوقع بها، فلما
اتبعه طار بها، وطرحها على حرة عُمدان، فلما قوت، علم سام أنه قد أمر بالبناء
هنالك؛ فأسس عُمدان، واحترق بيده بثره للسنى كرامة، ويُسْتَقى منها إلى اليوم
لكنها أجاج^(١).

خاوى الوفاض: فارغ الزاود، ويقال: خوى الرجل، إذا سجد فترك
بين جسده وبين الأرض خواء، وخوى البعير: برك على هذه الحال. والوافاض:
جمع وفضة وهى شبه الجراب، وهى أيضاً كثانة السهام إذا كانت من جلد لا
من خشب، فإن كانت من خشب مجلد أو غير مجلد فهى كثانة أو جعبة.

ابن سيدة فى الحكم: الوفضة خريطة يعجل فيها الراعى أدواته وزاده. والوفضة:
جعبة السهام. قال أبو منصور الأزهري معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم «أنه
أمر بصدقة [أن] توضع فى الأوافاض»^(٢): «لهم أخلاط الناس. قال القراء: هم
أهل العفة. أبو عبيد: هنا كلة عندنا واحد؛ لأن أهل العفة أخلاط من قبائل
شتى، ويمكن أن يكون مع كل واحد منهم وفضة، فعلى هذا من قصر الوفضة

(١) معجم البلدان ١ : ٣٨٦ .

(٢) النهاية لابن الأثير ٥ : ٢١٠ ، قال فى شرحه : « هم الفرق والأخلاط من الناس » .

على الجُنبَة ، وخطأ الحريرى بأن الزاد لا يكون في الجُنبَة ، فهو الخطى -
والجاهل باتساع اللغة . يادى الإفاض : ظاهر القتر ، وقد أفض ، إذا فنى زاده ،
وأفض الجراب إذا انتفض وسقط ما فيه من بقية الزاد ، ومنه قولهم : التفاض
يُقطّر الجلب^(١) ، أى فناء زادهم يحمل إبلهم قطاراً ، أى مربوطة بعضها خاف
بعض ، تساق إلى السوق فتباع ، فيأكلون ثمنها ، قال الهذلي :

لَهْ ظَلِيَّةٌ وَلَهُ عُكَّةٌ إِذَا أَغْضَرَ الْقَوْمَ لَمْ يَنْفُضْ^(٢)

ظَلِيَّةٌ : جَرِيبٌ صَغِيرٌ مِنْ جِلْدِ ظَلِي . بُلْغَةٌ : زَادٌ لِلسَّافِرِ يَبْلُغُ بِهِ مِنْ يَوْمِهِ
إِلَى غَدِهِ . الْجَرَابُ : وَعَاءٌ مِنْ جِلْدٍ يُصْنَعُ لِلزَّادِ . مُضْطَبَّةٌ : لُقْمَةٌ .



فَطَفِقْتُ أَجُوبُ طُرُقَاتِهَا مِثْلَ الْحَائِمِ ، وَأَجُولُ فِي حَوَامَاتِهَا
جَوْلَانَ الْحَائِمِ ، وَأُرُودُ فِي مَسَارِحِ لَحَائِي ، وَمَسَايِعِ غَدَوَاتِي .
وَرَوْحَاتِي ، كَرِيماً أَخْلَقَ لَهُ دِيْبَاجَتِي ، وَأَبُوحُ إِلَيْهِ رِمَاجَتِي ،
أَوْ أَدِيْبًا تَفَرَّجُ رُؤْيَتَهُ غُمَّتِي ، وَتُرْوِي رِوَايَتَهُ غُلَّتِي ؛ حَتَّى
أُدْنِي خَاتِمَةَ الْمَطَافِ . وَهَدَنِي فَانِجَةُ الْإِطْلَافِ^(٣) ، إِلَى نَادِرِ رَحِيبِ ،
مُخَوِّقِي زَمَامٍ وَنَجِيبِ ، فَوَلَجْتُ غَابَةَ الْجَمْعِ ، لِأَسْبُرَ تَجَلَّةَ
الدَّمْعِ ، فَرَأَيْتُ فِي بُهْرَةِ الْحَلَقَةِ ، شَخْصاً شَخَّتِ الْخَلَقَةَ ، عَلَيْهِ

(١) مثل ، ذكره صاحب اللسان ، وقال في شرحه : • يقول : إذا ذهب طعام القوم
أو دبرهم قطروا إبلهم التي كانوا يمتنون بها ، فجلبوا للبح فباعوها واشتروا بثمنها مرة • .
(٢) لأبي التلم المزاعني . شرح ديوان الهذليين ٣٠٥ . العكَّة : النعى الصغير .
وانفضوا : ذهب ما عندهم .

(٣) من المقامات : • الألفاف • ، يفتح البهزة .

أعذارك: جمع عذر ، والإعذار بكسر الهمزة مصدر أعذر في طلب الحاجة إذا بالغ فيها . قال ابن السكيت وجئس قوافيه :

الشَّيْبُ . في مفرقٍ حَلَا وعَقْدَ عهدِ الملاحِ حُلَا
وكانَ كالآبُنُوسِ رَأْيِي فاحْتَلَّهُ عاجُهُ حُلَا
وحرَّمتْ وصلي النوانى وقلن قتلُ السيد حُلَا

اللحد : حفرة في جانب القبر ، ولحد الميت وألحده : شق له في جانب القبر . وأصل اللفظة الميل . ومثلك : مقامك ، وأصله النوم في القائلة . قيلك : حديثك . المقول وحجتك الواضحة ، والقول مصدر كالطحن والذبح ، والقيل : اسم للمقول . كالطحن بالكسر : اسم للدقيق المطحون ، والذبح اسم للذبوب . يعقوب : قال . والقيل اسمان لامصدران . ابن سيده : القيل في الأصل مصدر ، وحكى الفارسي قاله قولاً وقيلاً ، مثل ذكره ذكراً ، والقال يجوز أن يكون مصدراً ، فإن سيويوه حكى : ذامه ذاماً وعابه عاباً ، إلا أنه لم ينص على القال . مصيرك : رجوعك . نصير : معدول عن ناصر للبالغة . تناعت ، أى أظهرت أنك ناعس . جذبك : قاذك بمنف ، ويقال : جنب ، وجبنوهى أقل من الأولى ، وصحفت العامة هذه الثانية . وقالوا : «جبد» بدلاً غير منقوطة . تناعت : تأخرت ونصبت ونشبت بالأنف ؛ وهو الذى دخل ظهره وخرج صدره ، أى قاذك الوعظ إلى الخير فلم تنقذ له . والعرب تقول : عزة قماء كأنها تنقص عن القلة . تجأت : ظهرت . والمير : ما يُتخوف ويُتقط به عند رؤيته . حصص : تبين ، من الحص وهو ذهاب الشعر فيقبين ما تحته ، والحاء الثانية مبدلة من صاد ثالثة ، وإذا اجتمع الأمثال في مثل هذا ، أبدلت العرب من الحرف الأوسط حرفاً من جنس الحرف السابق ، ومثله حنحت ورقرقت ، أصلها حنثت ورقت ؛ هذا قول الكوفيين ، وقال البصريون :

هما لفتان تقاربنا ، إذ لا يبدل الحرف إلا من مثله أو من مقاربه في الخرج ، وهذه الحروف متباعدة لا يصح إبدالها . ماریت : شككت : تواسى : تعطى .

تَوْثِرُ فَلَسًا تَوْعِيهِ ، عَلَى ذِكْرِ تَعْيِيهِ ، وَتَخْتَارُ قَصْرًا تُعْلِيهِ ،
عَلَى بَرٍّ تَوَلِيهِ ، وَتَرْغَبُ عَنْ هَادٍ تَسْتَهْدِيهِ ، إِلَى زَادٍ تَسْتَهْدِيهِ ،
وَتُغْلِبُ حُبَّ ثَوَابٍ تَشْتَرِيهِ ، عَلَى ثَوَابٍ تَشْتَرِيهِ .
يَوَاقِيتُ الصَّلَاتِ ، أَعْلَقُ بِقَلْبِكَ مِنْ مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ ، وَمُنَالَاةِ
الصَّدَقَاتِ ، آثَرُ عِنْدَكَ مِنْ مَوَالَاةِ الصَّدَقَاتِ ، وَصِغَافِ الْأَلْوَانِ ،
أَشْغَى إِلَيْكَ مِنْ صَعَائِفِ الْأَدْيَانِ ، وَدُعَابَةِ الْأَقْرَانِ ، آتَسُّ لَكَ
مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ .

تَوْثِرُ : تفضل . تَوْعِيهِ : تجعله في وعاء . بَرٍّ : إحسان . تَوَلِيهِ : تعطيه .
وَتَلَصِّفُهُ بِمَنْ تَبَرَّهُ . هَادٍ : مرشد لطريق الخير . تَرْغَبُ عَنْهُ ، أَيْ تَتْرَكُهُ .
تَسْتَهْدِيهِ ، أَيْ تَسْتَرْشِدُهُ وَتَسْأَلُهُ أَنْ يَهْدِيكَ إِلَى الْخَيْرِ ، وَتَسْتَهْدِيهِ الثَّانِيَّةُ : تَطْلُبُ
أَنْ يَهْدِيَ لَكَ هَدِيَّةً . يَقُولُ : تَتْرَكُ مَنْ يَهْدِيكَ إِلَى طَرِيقِ الْخَيْرِ ، فَلَا تَسْأَلُهُ
لِلْهُدَايَةِ ، وَتَقْصِدُ أَعْرَاضَ الدُّنْيَا مِنَ الْأَطْعَمَةِ وَغَيْرِهَا ، وَتَرْغَبُ أَنْ تَعْطَى مِنْهَا
هَدِيَّةً ، قَالَ الرَّاهِدَانِ عُمَرَانُ :

تَوْثِرُ وَحَادِرٌ مِنْ قَبُولِ هَدِيَّةٍ	وَإِنْ جَاءَكَ فِيهَا الْحَدِيثُ الرِّغْبُ
فَقَدْ حَدَّثَتْ بَعْدَ الرِّسُولِ حَوَادِثُ	تَحَذَّرْنَا مِنْهَا ، وَعَنْهَا تَرْغَبُ
وَكَانَتْ هَدِيَّاتُ الْأَوَائِلِ قَبْلَنَا	تَوَلَّفُ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَتَحْجُبُ
فَعَادَتْ بَلَاغًا يُسْرِعُ الْمُنَّ نَحْوَهَا	تَفَرَّقَتْ فِيمَا يَتَنَسَّاءُ وَتَحْجُبُ

وله في مثله :

أَحْذَرُ هَدَايَا النَّاسِ تَأْمِنَ الْمَنَ بِهَا أَوْ قَوْلَ وَاشِ بِشِي
قُلْ مَنْ يَهْدِكَ إِلَّا اسْمُؤُ مِنْ رَغْبَةٍ أَوْ رَهْبَةٍ قَدْ خُشِيَ
التَّبَسُّ الْأَمْرَ فَلَا قَدَمَنْ وَأَخْشَ مَقَامَ اللَّهِ فِيمَنْ خُشِيَ
كَانَتْ هَدَايَا ثُمَّ عَادَتْ رِشًّا وَفِي الرِّشَا الْهَلْكَ لِمَنْ يَرْتَشِي
حَذَرْنَا مِنْهَا نَبِيَّ الْهُدَى إِذْ لَعَنَ الرَّائِيَّ وَالْمُرْتَشِيَّ

الثواب : المكافأة على العمل ، وأراد به ما يجازى الله به عباده على إحسانه
من الأجر ، وهو من ثاب يشوب إذا رجع ، وأثبت الرجل : أعطيته الثواب ،
وهو المكافأة على فعله . قوله « يواتيت » : أى جواهر . الصَّلَات : العطايا .
أعلق : ألقى . مواتيت : أوقات ، وهى جمع ميعات .

[من لطائف التجنيس]

ومما يستحسن من تجنبِ الصَّلَات والصَّلَاة ، حكاية أحمد بن المتبر - وكان
إذا مدحه شاعر ولم يرض شعره ، قال لفلانمه : امض به إلى المسجد فلا تفارقه حتى
يصل مائة ركعة ، ثم خلّه ، فتحمامه الشراء إلا الأفراد المجيدين - فجاء الحسين بن
عبد الرحمن البصرى المعروف بالجلل ، فاستأذنه في النشيد ، فقال : أعرفت الشرط ؟
قال : نعم ، وأنشد :

أَرَدْنَا فِي أَبِي حَسَنٍ مَدِيحًا كَمَا بِالذِّحْ تُنْتَجَبُ الْوَلَاةُ
فَقُلْنَا أَكْرَمُ الثَّقَلَيْنِ طَرًّا وَمَنْ كَفَّاهُ دِجْلُهُ وَالْقُرَاتُ
فَقَالُوا يَقْبَلُ الْمَدْحَاتِ لَكِنْ جَوَائِزُهُ عَلَى الذِّحْ الصَّلَاةُ
فَقُلْتُ لَهُمْ : وَمَا تُغْنِي صَلَاتِي عِيَالِي ، إِنَّمَا تُغْنِي الزَّكَاةُ !

فَأَمَّا إِذْ أَبَى إِلَّا صَلَاتِي وَعَاقَتْنِي الْمَوَاسِمُ الشَّائِغَاتُ
فَيَأْمُرُنِي بِكسر الصَّادِ مِنْهَا لَعَلِّي أَنْ تَنْشُطَنِي الصَّلَاتُ
فَيُصْلِحُنِي عَلَى هَذِي حَيَاتِي وَيُصْلِحُنِي عَلَى هَذِي الْمَاتُ

فضحك واستغفره، وأمر له بمائة دينار، وقال : من أين أخذت هذا ؟ قال :
من قول أبي تمام :

هَنْ الْحَمَامُ فَإِنْ كَسَرْتَ عِيَاقَهُ مِنْ حَائِينَ لَيْسَ مِنْ حِمَامٍ^(١)



قوله : « منالاة الصدقات » ، أى الزيادة فى المهور ، وغاليت : زدت فى ثمن.
السلمة ورددتها غالية ، والصدقات واحدها صدقة وهى الصداق ، قال النبى صلى الله
عليه وسلم : « من يُنِّمِ المرأةَ تيسر صداقها وخطبتها » ، قال عروة : وأنا أقول :
من أول شوئها أن يكثر صداقها . آثر : أفضل وأكثراً مرة . موالاته : متابعة .
صحائف : جمع صحيفة ، وهى الورقة يكتب فيها من الرق والقرطاس . دُعابة : مزاح ،
وفى فلان دُعابة ، وتداعب الرجال : تمازحوا ، وفى الحديث : « كانت فيه صلى الله عليه
وسلم دُعابة » ، وفى حديث جابر رضى الله عنه : « هَلَّا بَكَرَأُ تَدَاعَبَهَا وَتَدَاعَبَكَ ! » .
الأقران : الأنحاب والأمثال . تلاوة : قراءة ، وتلوته : قرأته ، واختلفوا فى
اشتقاق القرآن ، فقال أبو عبيدة : سُمِّيَ قرآنًا لأنه يجمع السور ويضمها ، قال الله تعالى :
{ إِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ }^(٢) أى إذا جمعت لك شيئاً فضمه وامل به ، وقال قطرب :
سُمِّيَ قرآنًا لأن القارئ يُظهره ويبيّنه ويلقيه من فيه ، من قول العرب : ما قرأت
الناقة سلاقط ، أى ما رمت به . وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « إن القلوب لتصدأ
كما يصدأ الحديد » ، قالوا : يا رسول الله . ما جلأوها ؟ قال : « قراءة القرآن » .

(١) قوله فى النهاية لابن الأثير ٢ : ١١٨ .

(١) ديوانه ٢٧٩ .

(٢) سورة القيامة ١٨ .

تَأْمُرُ بِالْعُرْفِ وَتَنْهَى عَنِ الشُّكْرِ ، وَتَحْيِي عَنِ الشُّكْرِ وَلَا تَنْهَاهُ ،
وَتُزْجِرُ عَنِ الظُّلْمِ ثُمَّ تَنْشَاهُ ، وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ
تَخْشَاهُ . ثُمَّ أُنْشِدَ :

تَبَا لِعَالِي دُنْيَا نَفَى إِلَيْهَا انْصِيَابُهُ
مَا يَسْتَفِيقُ غَرَامَا بِهَا وَفَرَطَ صَبَابُهُ
وَلَوْ دَرَى لَكِفَاهُ يَمَّا يَرُومُ صَبَابُهُ

• • •

العرف ، أى المعروف . تنهك : تبالغ فى تناوله بما لا يجوز . حياه :
ماضى منه ومنع ، وأصل الحى موضع المشب يحميه الرجل لإبله . وانهاكه :
استنصال عشب بالرعى ، ونهكت الجلد وانتهكه ، إذا أخذته بشفرة حتى يرق ويضعف .
النكر : المنكر . تنعاماه : تنباعد عنه . تزجر عن الظلم : تنهى عنه غيرك
وتزيله . وتنشاه : تأتبه وتبشره . تخشى : تخاف . وقال ذو الرمة فى هذا المعنى ،
وهو أحسن شعره قاله :

يَارِبُّ قَدْ أَسْرَفْتُ نَفْسِي وَقَدْ عَلِمْتُ عَلِمًا يَقِينًا لَقَدْ أَحْصَيْتَ آثَارِي
يَا مَخْرُجَ الرُّوحِ مِنْ نَفْسِي إِذَا احْتَضَرْتُ وَنَارِجَ الْكَرْبِ زُخْرِي عَنِ النَّارِ^(١)
دعا لنفسه أن يكون من الفائزين ، لقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ زُحْرِحَ عَنِ النَّارِ
وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾^(٢) .

قوله : « تَبَا » ، أى خسراتا وهلاكاً ، وتبت يده : خسرت . قال تعالى :
﴿ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيرٍ ﴾^(٣) ، أى غير خسار وهلاك ، قال الشاعر :

(١) ملحق ديوانه ص ٦٦٧ .

(٢) سورة آل عمران ١٨٥ .

(٣) سورة هود ص ١٠١ .

عَرَادَةٌ مِنْ بَقِيَّةِ قَوْمٍ لَوْ طُرِدُوا لَمَا عَلِمُوا تَبَايَا! ^(١)

تَبَا : عطف وردّ . انصبابه : جريه . يستفيق : يستريح ، وأفاق من المرض : استراح . غراماً : شدة حبّ لازم له غير مفارق ، ومنه سُمِّيَ الغرم لللازمته التفاضي والملاحه فيه ؛ قال تعالى : ﴿ إِنِّي عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ ^(٢) أى مُلِحًا دائماً ، ومنه ﴿ إِنَّا لَنَعْرِضُوهَا ﴾ ^(٣) ، وقلان مفرم بالنساء : يحبهن ويلازمنهن ، وقال حاتم :
فأأكلة إن نلتها بنزيمة ولا جوعة إن جعتها بنرام
أى بهلاك وملازمة .

فرط صباية : شدة شوق ومجازاة حدّ في ذلك . يروم : يطلب . صباية : يقية للماء .

• • •

[نبذ من الأشعار في ذم الدنيا]

وهذا الشعر مستحسن القوافي ، ومثله في ذلك قول الزاهد ابن عمران ^(٤) ،
وكثيراً ما كان يستمدّ في شعره من أدب المقامات :

تَبَا لِدَى جَهْلٍ دَعَا لِمِرَّةٍ وَأَجَبْتُهُ يَرَا بِهِ فَأَذَاعَهَا
مَنَا وَقَدْ كَافَأَتْهُ بَهْبَاتِهِ وَذَخَرْتُهَا عِنْدِي لَهُ ، فَأَضَاعَهَا
فَأَقْلَلَ اللِّثَامَ مِنَ الرِّجَالِ وَلَا تَجِبُ مَهْمَا دَعَا لِمِرَّةٍ أَوْ ضَاعَهَا
وقال آخر :

(١) : لجرير ، ٨٣ ؛ وهو عرادة الغنمى داوية الراعى ، وقوله :

أتأتى عن عرادة قولٍ سوء فلا وأبى عرادة ما أصابا

(٢) : سورة الفرقان ٦٥ .

(٣) : سورة الواقعة ٦٦ .

(٤) : هو أبو عمران موسى بن عمران اللاتلى الإشبيل ، ذكره ابن سميذ في الغرب

٤٠٦ : ٤٠٦ ، وأورد بعض شعره .

يا من يضيّع عُمره متادياً في النَّهْرِ أُمْسِكْ
واعلم بأنك لا محالة ذاهبٌ كذهابِ أُمْسِكْ
حول تصور التقيّة في الشعر الردف (١) :

إذا كنتَ تزعمُ أنَّ الفراقَ فراقُ الحياةِ قريبٌ قريبٌ
وأنَّ المقدمَ ما لا يفوتُ على ما يفوتُ مصيبٌ مصيبٌ
وأنتَ على ذاك لا ترعوى فأمرٌ عندِي عجيبٌ عجيبٌ

وقال القاضي أبو حفص عمر في معنى شعر الحريريّ في ذم الدنيا :

باراكِضاً في طلابِ دنيا ليس لمن تصرّحُ انتعاشُ
لم تُحشَ نارٌ هوى لظاهَا بمن له نحوها انجاشُ
أعذرُ منك الفراقُ حالاً علمت ما يحمل الفراقُ
تطلبها لا تنام عين عنها ولا يستقرّ جاشُ
مَن لك بالرى من شرابٍ يشدّ من شربه العطاشُ
دعها فطلابُها رِعاغٌ طاشت بألبابهم فطاشوا
لم يردوها فهم رِواء وواردوها هم العطاشُ
فاظنّاً لتروى، وكن كقوم سُقوا بها غيبة فاشوا (٢)
كأنَّ آمالنا ظباء ونحن من حيرة خدّاشُ
إن لآمالنا انبساطاً به لأعمارنا انكاشُ
كأنَّ آجالنا مقورٌ ونحن من تحتها خشاشُ

ولابن الرومي رحمه الله :

لعمرك ما الدنيا بُدارُ إقامةٍ إذا زال عن عين اللبيب غطاؤها

(١) الردف في الشعر: حرف ما كن من حروف المد . واللين يقع قبل حرف الروي ،
ليس بينهما شيء ، فإن كان الهمزة لم يميز معها غيرها ، وإن كان واواً جازمه الياء . واخر اللسان .
(٢) به : هـ ماتوا بها غفة فاشوا .

فكيف بقاء الناس فيها وإنما يُنال بأسباب الفناء بقاؤها ؟
وقال آخر :

ومن يحمد الدنيا لعيش يسره فسوف لعمري عن قريب يلومها
إذا أدبرت كانت على الرء حصرة وإن أقبلت كانت كثيراً همومها
ولا بن سارة رحمه الله تعالى :

بنو الدنيا يجهل عظموها فجئت عندهم وهي الحقيرة (١)
يُهارش بعضهم بعضاً عليها مهارشة الكلاب على الفئرة

ثم إنه لبّد عجاجته ، وغَيضَ مجاجته ، واعتصَدَ شكوته ، وتَأَبَّطَ
هراوته ، فلَمَّا رَأَتْ الْجَمَاعَةُ إِلَى تَحْفُزِهِ ، وَرَأَتْ تَأَهُبَهُ لِمَزَالَةِ مَرْكَزِهِ ،
أَدْخَلَ كُلٌّ مِنْهُمْ يَدَهُ فِي جَنِيهِ ، فَأَقَمَّ لَهُ سَجَلًا مِنْ سَنَبِهِ ، وَقَالَ :
احْرِفْ هَذَا فِي تَفَقُّتِكَ ، أَوْ فَرِّقْهُ عَلَى رُفَقَتِكَ . فَقَبِلَهُ مِنْهُمْ مُنْضِيًا ،
وَأَتَنَّى عَنْهُمْ مُثْنِيًا ، وَجَمَلَ يُودِعُ مَنْ يُشِيئُهُ ، لِيَخْفَى عَلَيْهِ مَنِيئُهُ ،
وَيُسْرَبُ مَنْ يَنْبِئُهُ ، لِكَيْ يُجْهَلَ مَرْبُئُهُ .

قوله : « ثم إنه لبّد عجاجته » ، أى سَكَنَ غَيْرَهُ المرتعة حتى لصقت بالأرض .
غَيِضَ : جَفَفَ . الْمَجَاجَةُ : مَا يُلْقَى مِنْ فِيهِ . وقد مَجَّ الرجل ريقه ، إذا سال من
حق أو كبر . وأراد بلبّد عجاجته ، قطع كلامه الذى كان قد استرسل ، وأخذه
من قول سليمان بن عبد الملك ، وقد تكلم وفد بين يديه ، فلم يصنعوا شيئاً .

موتكم بدم رجل قبيح النظر فأبلغ ، فقال سليمان : كأن كلامه بد كلام .
سجادة لبدت عجبا .

وأراد بـ « متيئس مُجاجة » ما كان يسيل من عينيه وأغف عند البكاء .
أَعْتَصَدَهَا : جعلها تحت عَصْدِهِ . والشكوة : ركوة الماء تُصْنَع من جلد النور
أو الخروف . وتَأَبَّطُهَا : جعلها تحت إبطه . هراوته : عصاه . رنت : نظرت . تَحْفَزه :
تَهَيَّؤه وعجلته للانصراف ، وتَحْفَزه وانحفز ، إذا كان جالسا على عفيه متبئا
للقيام . تأهبه : استعداده . مزايله : مفارقه . مركزه : موضعه الذي قام به . أُنْفَم :
ملا ، ونعمت الشيء فمأ : ملأته . سجلا : دلوا . سبيه : عطاؤه ، مناه وهب له
نصيبا من عطائه . رقتك : أصحابك . منضيا : مستحيا ، وأصل « أغضى »
كف بصره وضم جفنيه ، أشى : رجع وانعطف عن طريقه . مبيعه : طريقه
البن . يسرب : يفرق ، فكأنه « تفعل » من السَّرب وهو الطريق ، كأنه يردم عن
تشيعه في طرق مختلفة ، أو يكون من لفظ السَّرب ، وهو الجحر ، فكأنه يتيهم
عنه حيث يقصد تسمية طريقه عليهم ، أو يكون من لفظ السارب وهو الناهب
في الأرض ، وقد سرب سروباً ، فكأنه يذهبهم في كل ناحية ليجهل مكانه .
مربعه : منزله في الربيع خاصة . والربع : المنزل في كل وقت ؛ من رعبت
بالسكان ، أفت به .

قال الحارث بن همام : فاتبته مواريا عنه ، وقفوت
إفزة من حيث لا يراني ؛ حتى انتهت إلى متارة . فأنساب فيها
على غرارة ، فأمهلت ريشا خلع ثلثيه ، وغسل رجلتيه ، ثم هجبت
عليه ، فوجدته محاذيا لثميد ، على خير سميد ، وجدي حنيد ،

وَقَبَّاتَهُمَا خَايَةً نَبِيذٍ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا هَذَا، أَيْكُونُ ذَلِكَ خَبْرَكَ،
وَهَذَا غَبْرَكَ !

• • •

مواريأ : سارأ . عياني : شخصي ، أى تيمته مستخفياً بحيث لا يرانى .
قفوته : اتبعته من جهة قفاه . انساب : دخل ، وأصل الانسياب ، جَرَى الحَيَّةُ على
وجه الأرض ، أو جَرَى الماء كذلك ، ولا يكون الانسياب إلا على وجه الأرض ،
لا يقال : انساب فى البحر ؛ حدثنى به بعض مَنْ قُتِلَ من أصحابنا ، وكان
أَضْبَطَ النَّاسُ لِسَانَ الْعَرَبِ ، قَالَ يَقُولُ الْحَرِيرِيُّ : « انساب فيها » وهم منه ، ولو قال :
« انشام فيها » لكان أمثل ، يشبهه بالسيف إذا وُضِعَ فى غده . غَرَارَةٌ : غفلة .
رَبْتُ : قدَّر . هجمت عليه : دخلت عليه فجأة ، ومنه هجم عليه الحر ، وهجمت
عينه : دخلت فى رأسه . محاذباً : ملاصقاً أو جالساً بمحاذاته . تليذ : متعلم الصنعة .
حَنِيدٌ : مشوى ، وحنذ اللحم حَنْذًا : شواء . بمجارة محمأة . نبذ ، أراد به .
خبراً . خبرك ، أراد به أمرك الذى أنت عليه . مخبرك ، أى باطنك وما يختبر
منك .

[أبو نواس فى مجالس الوعظ]

ومما ينتظم فى هذا النمط حكاية أبى نواس حين رُئِيَ فى مجلس منصور .
ابن عمارة يبكى ، فظن الناس أنه قد نَكَتْ ، فجعلوا يهشونهُ ، ويقولون : نرجو لك
من الله الخير ، قال : أنا أهون على الله من ذلك ؛ وليس كما تظنون ، ولكن
أبكى لبكاء ذلك البزال - وغلّام بالمجلس يبكى من وعظ منصور - ثم قال :
لَمْ أَبْكُ فى مجلس منصورٍ شوقاً إلى البعثة والخير

لكن بكائي لبكا شادين تقيته فحسى كلَّ محدور
تنسب الألسن في وصفه إلى مدى عجزٍ وتقصير

وحضر أيضاً مجلس بعض القصاص ، فقالوا له : لعل الله قد أقبل بك ! قال :
إنما حضرت لأجل هذا الغزال ، ثم قال :

خلياني والمعاصي ودعاً ذكرَ القصاص
واسقياني الخمرَ مِرْقاً في ألهيق الرصاص
وعلى وجه غزالٍ طائرٍ ليس بمعاصي
بين فتيانٍ كرامٍ قد تواصلوا بالمعاصي
وعلى الله - وإن أف - سرطنتي الذنب خلاصي

ففر زفرة القنيطر ، وكاد يتميز من القنيطر ؛ ولم يزل يحنيق
إلى ، حتى خفت أن يسقطوا على . فلما أن خبت ناره ، وتوارى
أوارؤه ، أنشد :

لَبِستُ الحِمِيمةَ أبني الحِمِيمةَ
وَأَنشبتُ شِعْمي في كلِّ شِيعَةٍ
وَصَيَرتُ وَعْظِي أَحْبُـوْلَةً
أَرِيغُ القَنِيعَ بها وَالْقَنِيعَةَ
وَأَلْجَأَنِي التَّمَرُّ حَتَّى وَلَجَـ
تُـبْلُطِفُ اِخْتِيَالِي عَلَى اللَّيْلِ عِيَمَةَ

عَلَى أَنِّي لَمْ أَهَبْ صَرْفَهُ
وَلَا أَبْضَتَ لِي مِنْهُ فَرِيصَتَهُ
وَلَا شَرَعْتَ بِي عَلَى مَوَدِّ
يُدْنِسُ عِرْضِي نَفْسُ حَرِيصَتِهِ
وَلَوْ أَنَّمِ الْدَّهْرُ فِي حُكْمِهِ
لَمَّا مَلَكَ الْحُكْمَ أَهْلَ النَّقِصَةِ

• • •

قوله: « فزفر زفرة القيظ »، الزفرة: تنفس للمهموم أو المتناظ، والقيظ: شدة الحر، شبه ما أبداه من شدة النيفظ بوجه الحر. يتميز: يتفعل ويتفرق. يحملق: يحذ النظر، والحلقة: نظر النضبان، والجلاق: باطن الجفن. يسطو: يصلو ويتناولني بالكره، يقال: سطا عليه وبه، يسطو سطوا وسطوة، إذا قهره وأذله. خبت ناره: سكنت حدة غيظه. توارى: تغطى واستتر. أواره: لبه ونار غيظه. والأوار: وجه النار. الخبيصة: كساء فيه خطوط. وقال يعقوب وأبو عبيد: الخبيصة: كساء مربع أسودله علان. الخبيصة: نوع من الحلواء، وتسميه عامتنا الخبير، بالزاي، وكنى به عن لذة العيش. الشمس: حديدة مموجة يصاد بها الحوت، وتسمى الصنارة. شيص: ثمرة رديئة؛ ومن ملح قصاص البلدان، أن أبا عبد الله الخواص كان يقول في قصصه: إنما الناس مثل التمر، فيهم الشيص والبرني، يارب اجعلنا برنيا ولا تجعلنا شيصا. وقال قاص آخر: إن في الجنة لحم جدي ولحم خروف، ولحم كل شيء بلا عظم مثل الشيص في بلادنا بلا نوى، يريد أنه لا يحضر شيئا؛ فكل ما اتخذ له أخذه. أحبولة: آلة يصاد بها. أريخ: أطلب ما يصعب أخذه، كأنه يروغ من كذا، وأصل راغ من كذا، أى عدل عنه ورجع، وهو يخفى رجوعه. قال النراة: لا يقال للذي يرجع: راغ يروغ، إلا أن يكون مخفيا

لرجوعه، قال الله تعالى: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبُ الْبَاطِنِ﴾^(١)، أى رجع إليهم بضربهم مخفياً لرجوعه، ومعنى «الباين» أى يمينه الذى حلف فى قوله تعالى: ﴿وَتَا لَّهِ لَا كَيْدَنَّ أَصْنَاكُمْ﴾^(٢)، أو يريد بالباين القوة، وقال تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِمِجْلٍ﴾^(٣)، أى رجع إليهم فى إخفاء منه لرجوعه. التنيص والتنيصة: الذكر والأنثى مما يصاد من الوحش، وهذا مثل، وإنما أراد ما يأخذه من الناس بالحيل. أُلْجَانِي: أحوجنى. ولجت: دخلت، لطف: رقة وتلطّف. عيصه: بيته، وأصله الشجر الملتف. والليث: الأسد. أهب: أخف. صرفه: قلبه. نبضت: تحركت. فريضة: بضعة فى آخر الكف تتحرك عند الفزع. شرعت: دخلت. وعلى: بمعنى «فى» نحو قولك: كان ذلك على عهد فلان، أى فى عهده. مورد: موضع الماء. يدنس: يوسخ ويصيب. عرّضى: ذكرى. نفس حريضة: كثيرة الرغبة والطمع. التنيصة: الخصلة التيبيعة يعلها الرجل فينقص بها.

وقال بعضهم:

غَفَى عِيونَكَ يَا عِيونَ الرَّجَسِ	مَنْكَ اسْتَعْنَيْتُ بِأَنْ أَقْبَلَ مُؤْنِسِي
نَامَ الْحَبِيبُ تَدَبَّلَتْ أَجْفَاؤُهُ	وَعِيونَكَ شَوَاحِصٌ لَمْ تَنْقَسِ
فَأَجَانِبِي تَفَاحُ خَجِيجِهِ خَدَّهُ	بِفَصَاحَتِهِ السُّنَى لَمْ تُخْرِسِ
قَبْلَ حَبِيبِكَ مَا اشْتَهَيْتَ فَإِنْ مِنْ	عَادَاتِنَا كَتَمَانَ سِرِّ الْجَاسِ
يَا رَبِّ إِنِّ قَدَّرْتَهُ لِقَبْلِي	غَيْرِي فَلِمِ سَوَاكِ أَوْ لِلْأَكْؤُسِ
وَلَكِنْ قَضَيْتَ لَنَا بِصُعْبَةٍ ثَالِثٍ	يَا رَبِّ فَلَمْتُكَ شِمْعَةً فِي الْجَاسِ

ومن أحسن ما قيل فى الدهر، قول تميم بن الحر:

(١) سورة الصافات ٩٣

(٢) سورة الصافات ٩٣

(٣) سورة الأنبياء ٥٧

يا دهرُ ما أفساك من متلون
أترُوح للنكس الجهول مَهْدًا
وإذا صفوت كدّرت شيمة باخلٍ
لا أرتضيك وإن كَرُمْتَ لَأَتَى
زمنٌ إذا أعطى استردَّ عطاءه
ما قام خيرك يا زمان بشره
ولإدريس بن اليماني (٣) :

ماذا أقول لدنيا لو ظفرتُ بها
شجّامن أقدية الأيام برّح بي
أدبها غصبا للعلم والأدب
بل بالعوالي وبالهندية القصب

• • •

ثم قال لي : اذنُ فكلُ ، وإن شئت فقمُ وقلُ .
فالتفتُ إلى تلميذه وقلتُ : عزمتُ عليكِ بمن تستدفعُ به
الأذى ، لتخبرني من ذا ؟ فقال : هذا أبو زيد السروجي ، ميراجُ
القرباء ، وتاجُ الأدباء .

فانصرفتُ من حيث أتيتُ ، وقضيتُ العجبَ مما رأيتُ !

• • •

قوله : « اذن » ، أي اقرب . قل ، أي قل ماشئت . التليذ : الخادم ، والجمع

(١) ديوانه ٢٧٤

(٢) النكس : الرجل الضيف القصر عن غاية النجدة والكرم .

(٣) هو أبو علي إدريس بن اليماني البصري الأندلسي ، صاحب الأملح الكبيرة
للوك الطوائف ، ذكره صاحب القريب في ١ : ٤٠٠ .

التلاميذ ، قال لييد^(١) :

• يَجْلُو التَّلَامِيذُ لَوْلَا قَشِبًا •

أى يَجْلُو التَّلَامِيذُ لَوْلَا جَدِيدًا ، وَطَلِبَةُ الْعِلْمِ : تَلَامِيذُ شَيْخِهِمْ . الْأَذَى :
الضرر . سراج : مصباح ، يريد أنه للفراء مصباح يفخرون به ويهتدون بحيلته ،
وللأدباء تاج يَتَزَيَّنُونَ به ويضمونه فوق رؤوسهم . انصرفت : رجعت . قضيت
العجب ؛ أى أتمته ، كأنه قال : قضيت حاجتى مما رأيت . ويقال : قضى نحبَه
من كذا ، أى بلغ مراده ، وقضى عليه القاضى ، أى قلع عليه ، والقاضى : القاطع
للأمر المحكم لها ، وقوله تعالى : ﴿ فَفَعَّلَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾^(٢) ، أى
قطعن وأحكم خلقهن ، ويكون « قضى » بمعنى « عمل » .

(١) ديوانه ٣٩ وسدسه :

• فَلِلَّاءِ يَجْلُو مُتُونُهُنَّ كَمَا •

(٢) سورة فصلت ١٢ .

المقامة الثانية وهي الحلوانية

حَكَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ : كَلِفْتُ مُذْ مِيطَتْ عَنِّي
الْتَّمَامُ ، وَرِيطَتْ بِي الْعَمَامُ ، بَأَنْ أَغَشَى مَعَانِ الْأَدَبِ ، وَأَنْفَى
إِلَيْهِ رِكَابُ الْغَلَبِ ، لِأَعْلَقَ مِنْهُ بِمَا يَكُونُ لِي زِينَةً بَيْنَ الْأَنَامِ ،
وَمُزْنَةً عِنْدَ الْأَوَامِ . وَكُنْتُ لِفِرْطِ الْأَهْجِ : قِتَابِيهِ ، وَالطَّمْرِ فِي
تَقْمِصِ بِلَابِيهِ ، أَبَاحْتُ كُلَّ مَنْ جَلَّ وَقَلَّ ، وَأَسْتَسْقِي الْوَبِيلَ
وَالْعَطْلَ ، وَأَتَعْلَلُ بِهَنَى وَلَعْلَ .

كَلِفْتُ ، أَيْ اشْتَدَّ حَيْيً ، وَالْكَلَفُ : شِدَّةُ الْحَبِّ وَالْبَالَنَةِ فِيهِ ، وَفُلَانٌ كَلِفَ
فُلَانًا ، أَيْ مَبَالَغَ فِي مَحَبَّتِهِ . وَمِيطَتْ وَأَمِيطَتْ : أَزِيلَتْ . التَّمَامُ : الْأَحْرَازُ .
رِيطَتْ : عُلِقَتْ ، وَإِذَا بَلَغَ الصَّبِيُّ الْحُلُمَ عِنْدَ الْعَرَبِ أَزَلُوا الْأَحْرَازَ عَنْهُ ، وَالْإِسْ
الْعَامَةُ وَالْإِزَارُ ، وَقُلَّةُ السَّيْفِ ، فَأَرَادَ : أَحَبَبْتُ مَذْبَلَتْ الْحُلُمَ بِجَالِ الْأَدْبَاءِ . أَغَشَى :
أَقْصَدَ وَأَدْخَلَ .

الْعَمَانُ : لِلزَّلْ . أَبُو عُبَيْدٍ ، يُقَالُ : الْبَصْرَةُ مَعَانٌ مَنَا ، أَيْ مَنْزِلُ مَنَا ،
خَالَ الْمَرَى :

معانٍ من أحببنا معانٍ^(١)

فَالْأَوَّلُ اسْمُ مَوْضِعٍ مَعْلُومٍ جُنُسُ بِهِ ، وَجَعَلَهُ مَنْزِلَ أَحِبَّاهُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

(١) - خط الزند ١٧٢ ، والبيت مطلع قصيدة له ، وبمقتبه :

• تُجِيبُ الصَّاهِلَاتِ بِهِ التَّيَانُ •

سُمِّيَ معاناً لمعاينة الناس فيه بعضهم بعضاً ، أو لأن فيه أعياناً . أنقى : أهزل .
الركاب : الإبل ، وجعل للطلب إبلا مجازاً ، وإنما يريد : أتعبت نفسي فرحلت
إلى طلبه على الإبل . لأعاق منه : لأحصل منه على فائدة أطلق بها . الأنام : الخلق .
مُرنة : سحابة . الأوام : شدة العيش ؛ يريد أنه يتعب بنفسه في طلب الأدب ليتزين
به بين الناس ، ويعيش به إذا احتاج إليه . فرط اللبج : شدة الحب ، يقال : قد
كهرج بالشئ إذا أكثر الحديث به لطلبه فيه ؛ وحرصه عليه . وكهرج القصيل بالرضاع .
إذا لج فيه . اقتباسه : اكتسابه . التقمص : لبس القمص . لباسه : ثيابه .
أى أطعم أن ألبس من ثيابه قميصاً . أباحث : أسأل . جل : عظم . قل :
حقر . استسقى الويل والطل ، أى أطلب منه السقى ، والويل : أشد المكار والطل :
أضعفه ، ويقال : الركة أضعف من الطل ، ومنه قيل للدين : ركيك . أتمل :
أشغل نفسي وأطعمها . والملافة : الشئ اليسير . وعسى ولمل : معناهما الرجاء .
والطعم ؛ يريد أنه يسأل الجليل في العلم والحقير ، ومن أكثر علمه وكان كالويل ،
أو قل وكان كالطل ، وإذا قد من يؤخذ عنه العلم رجا نفسه بوجوده وأطعمها .
والتعلل : قطع الزمان بالعيش اليسير ، وقد تملل بشرابه ، إذا أخذ منه قليلاً قليلاً ؛
فعنى « أتملل بسى ولمل » ، أذهب علة وجدي بالرجاء والطعم .

• • •

فَلَمَّا حَلَلْتُ حُلُوزَانَ ، وَقَدْ بَلَوتُ الْإِخْوَانَ ، وَسَبَرْتُ
الْأَوْزَانَ ؛ وَخَبَرْتُ مَاشَانَ وَزَانَ ، أَلْقَيْتُ بِهَا أَبَا زَيْدٍ السَّرُوجِيَّ
يَتَقَلَّبُ فِي قَوَالِبِ الْإِنْتِسَابِ ، وَيَخِيطُ فِي أَسَالِيِبِ الْاِكْتِسَابِ ؛
فَيَدْعِي تَارَةً أَنَّهُ مِنْ آلِ سَاسَانَ ، وَيَعْتَرِي مَرَّةً إِلَى أَقْيَالِ عَسَانَ ،
وَيَبْرُزُ طَوْرًا فِي شِمَارِ الشُّعْرَاءِ ، وَيَلْبَسُ حِينَ كِبَرِ الْكِبَرَاءِ .

• • •

[ذكر حلوان]

حطلت : نزلت . وحلوان : بلدة بينهما وبين مدينة بغداد أربع مراحل ، وهي من كور الجبل ، وسميت باسم يانها ، وهو حلوان بن علي بن الحالف بن قضاة ، وهي مدينتان بينهما نهر عظيم مقباره فرسخ ، وهي مقابلة لطبرستان . وهي جبلية سهلية بحرية لها زيتون ونخيل ، وبها قصب السكر واخضعت في زمن عمر .



بلوت : جريت . الإخوان : الأصحاب . سيرت : قتلت . الأوزان : أقدار الناس . خبرت : جريت وعرفت . شان : عاب ، وزان : زين ؛ يريد أنه دخلها وهو مجرب عارف بالناس . ألقيت : وجدت . يتقلب : يتنوع . قوالب : جمع قالب ، وقالب كل شيء : قياسه وما يصنع عليه . يخبط : يمشي ، واخبط : المشي في الأرض على غير قصد كشي الأعمى . أساليب : طرق ، واحدها أسلوب . آل ساسان : ملوك الفرس . يمتزى : ينتسب . أقبال : ملوك . غسان : قبيلة باليمن كان منها ملوك . وغسان : ماء كان شهيراً لولد مازن بن الأزد بن القوثة غسماً به . يبرز : يظهر . طوراً : حيناً . شعار : ثياب ، والشعار ثوب على الجسد . كبير : تكبر ، يريد أنه لقي أبا زيد بحلوان يتنوع بذلك في أحوال المكدين ، ويجرى بذلك في طرق اكتساب المعيشة فيدعى أنه من آل ساسان .

[شعار الكدية]

وأصل هذا أن الفرس كان فيهم الملك ، وكانت العرب تحت حكم ملوكهم ، فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم بكتابه يدعوهم به إلى الإسلام ، مزقوه ، فدعا الله عليهم أن يمزقوا كل ممزق ، فأوقع بهم المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد حروب شديدة تمعظما بالقادسية ، فلم ينق لهم في الملك رسم ، وصاروا في خلافة عثمان رضي الله عنه تحت حكم المسلمين ، وكانوا أهل دهاء وجرائم وحروب

ورماية، فسكن من بقي منهم الأمصار، واستعربوا وتنفخوا، فكان منهم من زعم
 «الله به المسلمين»، وكان منهم أهل أهواء ويدع، ونشأت منهم هذه الطائفة الخبيثة،
 أهل الكذبة، فكانوا يطوفون على البلدان، ويقولون: نحن من بني ساسان،
 فينتسبون إلى ملوكهم، ثم يتذللون في السؤال، ويذكرون تلاعب الدهر واقلاب
 حال الملوك إلى السؤال، فيقع الإشفاق عليهم، والليل بالرزق لهم، حتى نعر الناس
 بمكرهم وخديبتهم، فطردوا، وصار الناس إذا رأوا سائلاً متمسكاً قالوا:
 ساساني. وقيل: إن ساسان اسم رجل معين، وهو أول من أسس الكذبة،
 فنسبوا إليه، كما أن الطغلي منسوب إلى رجل اسمه طغيل وهو أول من تطفل.
 فأراد أن أبازيد كان يتنوع في أحواله، فيتسكن تارة ويدعي أنه من
 ساسان، ويتعظم أخرى فينتسب إلى غسان، ويبرز مرة في أحلاس الشراء
 المكدين، ويظهر ثانية في ثياب فاخرة، لباس الكبراء للثرين.

يُذَادُّهُ مَعَ تَلَوْنِ حَالِهِ، وَتَبَيُّنِ مُحَالِهِ، يَتَحَلَّى بِرُؤَاةٍ وَرِوَايَةٍ،
 وَمُتَدَارَاةٍ وَدِرَايَةٍ، وَبَلَاغَةٍ رَائِمَةٍ، وَبَدِيعَةٍ مُطَاوِعَةٍ، وَآدَابٍ
 بَارِعَةٍ، وَقَدَمٍ لِأَعْلَامِ الْعُلُومِ فَارِعَةٍ، فَكَانَ لِحَاصِنِ آلَاتِهِ،
 يَلْبَسُ قَلَى عِلَاتِهِ، وَلِسَبَةِ رِوَايَتِهِ، يُصْبِي إِلَى رُؤْيَتِهِ، وَلِخَلَابَتِهِ
 قَارِصَتِهِ، يُرْغَبُ عَنْ مُعَارَضَتِهِ، وَلِإِعْدُوبَتِهِ إِرَادَتِهِ، يُسَمُّ بِجُرَادِهِ،
 فَتَمَلَّتْ بِأَهْدَابِهِ، لِخَصَائِنِ آدَابِهِ، وَتَأَقَّسَتْ فِي مُصَافَاتِهِ،
 لِمَنْفَائِسِ صِفَاتِهِ.

فَكُنْتُ بِهِ أَجْلُو مُهْمِي وَأَجْتَلِي
 زَمَانِي طَلَقَ الْوَجْهَ مُلْتَمِعَ الضِّيَا

أَرَى قُرْبَهُ قُرْبِي وَمُتْنَاهُ غَنِيَّةٌ وَرُؤْيَا رِيًّا ، وَنَحْيَاهُ لِي حَيَّةٌ

قوله : « بَيِّدْ أَنَّهُ » ، أى غير ، مُحَاله : باطله ، والمُحَال ما لا يمكن أن يتصور ، وهو « مفعل » من حال الشيء ، إذا تغير ، كأنه زال عن وجهه . يتعلّى : يتزين . رواء : نفاقة وحسن منظر . مداراة : حسن سياسة في مُحاجَّته ، وأصلها المخادعة . دراية ودَرْيَة : مصدر دَرَيْت . بلاغة : فصاحة . رائة : معجبة ، ومن شاهدها ارتاع وتمعَّب . والبدية والبداهة : الأخذ في الكلام من غير فكرة ، وهي الارتجال . مطاوعة : مُتَقَلِّدة . بارعة : فائقة تفضل غيرها . أعلام : جبال . فارعة : طائلة قد علتها ، واللام في قوله : « لأعلام » زائدة ، وزيادتها إذا تقدّمت أحسن منها إذا تأخرت ، مثل ضربت زيداً ولزيد ضربت . آلاته : هدهده ، وأراد به هذه الأنواع التي قدّمها التي تحلّى بها . يابس : يصاحب ويحاط . علّاته : عيوبه . التي ذكر من أنواع القربة . سَمَة روايته : كثرة علمه وما يرويه . يُصْنَى : يال . خلافة : خداع ، وقد خلبه خلباً وخلافة : خدعه . عارضته : قوة كلامه . معارضته : مقابلته ومناقضته كلامه ، وتقول : رغبت عن الشيء تركته وترهدت فيه ، ورغبت فيه ، إذا أحببته ، فيريد أنه لقوة كلامه وصلابته لا يترضى أحد لجأله ، فهو يخادع به الناس حتى لا يترضى له فيما يقول ، وقيل : معنى فلان شديد العارضة ، إذا أفحش وأسمع المكروه ، ورجل شديد العارضة ، أى لا تُقَرَّب ناحيته . إرادته : أخذه في الكلام . يسف : يساعد . أهدابه : أطراف ثوبه . وخصائص الشيء : ما يختص به ، أى ينفرد . نافست : زابت وغاليت . مصائنه : مصاحبته . ثائس : جمع ثيس ، وهو الرفيع من كل شيء يسقى تيساً ، من النفس وهي العين ، حتى كأنه لرفته تطلق به العين ، وقد قال المرمرى :
فالعينُ بِلَمْ منها ما رأتُ فَنَبْتُ عنه وتلحق ما تهوى من الصُّور^(١)
قوله : « أجلو » ، أى أكشف . أجتلى : أطلع الوجه : مستبشراً ، والطاق

ضد العابس . ملتصع : متبر بادى الامعان : قربي : نسباً ، وحفناه : منزله ، من قولهم : غني بالمكان يعني غنياً ، إذا أقام به . غنية : غنى ، قال : غنى يعني غنى فهو غنى ، إذا استغنى ، والاسم : الغنية . رياً : شبعاً من الماء ، ورويت من الماء ضد عطشت : بحياه : حياته . حياً : مطر عام . ويقول : إنه كان بمصاحبه أبا زيد يزول هم ، ويلقاه يبشر منه ، فيرى قربه منه بالود كقراءة النسب ، وكان منزله لما يجد فيه من الخصب أو من غزارة العلم يرى أنه غناه ، وإذا رآه زال عطشه للماء أو للماء برويته . وقصد تجنبس الألفاظ ببعد المعنى .

• • •

وَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ بُرْهَةً ، يُنْشِئُ لِي كُلَّ يَوْمٍ نَزْهَةً ، وَيَذُرُّ عَن قَلْبِي شُبُهَةً ، إِلَى أَنْ جَدَحْتَ لَهُ بِدُ الْإِمْلَاقِ كَأْسَ الْفِرَاقِ ، وَأَغْرَمَ عَدَمُ الْمِرَاقِ بِتَطْلِيْقِ الْمِرَاقِ ، وَأَفْظَتْهُ مَتَاوِزُ الْإِرْفَاقِ إِلَى مَتَاوِزِ الْآفَاقِ ، وَنَظَّمَتْهُ فِي سِلْكِ الرِّفَاقِ خُفُوقُ رَايَةِ الْإِخْفَاقِ ، فَشَعَذَ لِلرَّحْلَةِ غِرَارَ مَزْمَتِهِ ، وَظَلَمَ يَفْتَادُ الْقَلْبَ بِأَرْمَتِهِ .

فَتَا رَاقِي مِنْ لَا قِي بَعْدَ مُبْعِدِهِ

وَلَا شَاقِي مِنْ مَسَاقِي لَوْصَالِهِ

وَلَا لَاحَ لِي مُذْ نَدَّ نَدُّ لِفَضْلِهِ

وَلَا ذُو خِلَالٍ حَازَ مِثْلَ خِلَالِهِ

• • •

لبثنا : أقمنا . برهة : مدة . ينشئ : يصنع ويبتدى . والنزهة : أصالة التباعد عن الرّيب ، ثم كثرت حتى صارت الخروج للرياض للتفرّج ، ثم استعملت في اللّقاء ، قيل : نزه فلان في آدابه ، وكنتى بهذا عما يستفيدة من علمه . يذراً : يدفع . شبهة : إشكال والتباس . جدحت : حركت ومزجت . والمجدح : (٦ - شرح مقامات الحريري)

آلة يمزج بها المشروب الصعب الامتزاج . الإملاق : الفقر من المَلَقَة وهي الصخرة
الملساء ، فأملق ، كأنه صادف مَلَقَة لا تنبت شيئاً ، ولم يصادف خصباً بعد أن كان
في ترفه وغنى . أغراه : حرصه .

والعراق ، اختلفوا فيه ، قال صاحب العين : العراق : العظم بلا لحم ، فإن
كان عليه لحم فهو عَرَق .

ابن قتيبة ، يقال للعظم الذي عليه اللحم عُرَاق ، وللخالي من اللحم عَرَق .
أبو عبيد ، العراق : العظمة من اللحم . أبو زيد ، قول العامة : ثريده العراق
خطأ ؛ إذ كان العراق العظام ، وأنشد لرجل يطرد الطير عن زرعته في
عام جذب :

عَجِبْتُ من نَفْسٍ ومن إشفاقها . ومن طرادى الطَّيْر عن أرزاقها
في سَنَةٍ قد كشفت عن ساقها . سمراء تَبْرِى اللحم عن عُرَاقها
ابن الأنباري ، قول أبي عبيد هو الصواب ؛ لأن العرب تقول : أكلت
العراق ولا تقول : أكلت العظم ، وفي حديث أم إسحاق العنزيّة^(١) : فجعلت
لا آكل العراق ولا أضغه ، قولا : « لا آكل » يدل على أن العراق لحم مفرد
أو لحم على عظم .

الأصمى ، قيل لأعرابي : أيّ الطعام أطيب ؟ قال : ثريده دَكْنَاء من
الفلفل ، رَقَطَاء من الحمض ، ذات خفافين من البضع ، لها جناحان من العراق ، قيل :
كيف أكلك لما ؟ قال : أصدع بهاتين — يعني السبابة والوسطى — وأسند بهذين —
يعني الإبهام والخنصر — وأجمع ما شذ منها بهذه — يعني البنصر — وأضرب
فيها ضرب ولّى السوم في مال اليتيم . فهذا يدل على أن العراق قطع اللحم إذ كانت
العرب لا تصف الثريد والأطعمة بكثرة العظام .

والعراق في البيت : الأكل ، تقول : عرقت العظم عراقاً ، أكلت ما عليه
من اللحم ، والعظم معروق ، وهو بمنزلة سكت سكاتاً .

العراق : قال صاحب العين : هو شاطئ البحر ، وبه سُميت العراق ، لأنها على شاطئ دجلة . ابن الأعرابي ، سَمِيَ عِرَاقًا لَأَنَّهُ سَقِلَ عَنْ نَجْدٍ ، وَدَنَا مِنَ الْبَحْرِ ، أَخَذَ مِنْ عِرَاقِ الْقَرْيَةِ ، وَهُوَ الْخَرْزُ فِي أَسْفَلِهَا . قطرب ، سَمِيَ عِرَاقًا لَأَنَّهُ دَنَا مِنَ الْبَحْرِ ، وَبِهِ يُنَاقَشُ وَيُنَجَّدُ .

ويقال : استعرت إبلهم ، إذا أتت فلك الموضع . لَفَظَتْهُ ، أى رمته . ومماوز : جمع مَمَوزَ ، والمموز هو الموز نفسه ، وَلِلْمَمَوزِ بِالْكَسْرِ : الثوب الخلق وجمعه مماوز . الإِرْفَاقُ : مصدر أَرْفَقْتَهُ ، إذا أَوْصَلْتَ إِلَيْهِ نَعْمًا يَرْتَفِقُ بِهِ ، وَرَفَقَتَهُ يَمْنَاهُ ، فَإِذَا رَادَ بِمَمَوزِ الْإِرْفَاقِ فَقَدْ مَا يُرْتَفِقُ بِهِ . والمفاوز : جمع مفاز وهي الصحراء ، سُمِّيتَ مَفَازَةً عَلَى التَّنَازُلِ ، لِأَنَّ الرَّجُلَ إِذَا قَطَعَهَا فَازَ وَنَجَا . والآفاق : نواحي الأرض . نَفَلَمَ : ضَمَّ وَجَمَعَهُ . سَلَكَ : خِيط . الرِّفَاقُ : جمع رُقَّة ، وعنى بِسَلَكِ الرِّفَاقِ الطَّرِيقَ الَّذِي يَنْتَظِمُونَ فِيهِ إِذَا أَخَذُوا فِي السَّيْرِ ، لِأَنَّهُمْ يَمَشُونَ فِيهِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ ، فَنَظَّمَهُمُ الطَّرِيقَ ، وَصَارَ لَهُمْ كَالسَّلَكِ . خَفُوقٌ : اضطراب ، وقد خَفِقَ خَفَقًا خُفُوقًا ، وَالْإِخْفَاقُ : الخيبة ، وَيُقَالُ : غَدَا فَأَخْفِقَ ، إِذَا خَابَ ، وَمِثْلُهُ فِي الصَّائِدِ : صَادَ فَأَرَوَقَ . شَحَذَ : حَدَّ وَسَنَّ ، وَشَحَذَ الرَّجُلُ سَيْنَهُ ، إِذَا أَلَحَّ عَلَيْهِ بِالْتَّحْدِيدِ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ لِلْمَلَحِّ فِي الْمَسْأَلَةِ : شَعَاذَ ، وَالْعَامَّةُ تَصَحِّفُهُ فَقَوْلُ : شَعَاتَ ، بِالتَّاءِ . غِرَارٌ : حَدٌّ . وَأَرَادَ أَنَّهُ لَا عِزْمَ عَلَى الْإِرْتِمَالِ حَدَّ عِزْمَتِهِ ، أَيْ عَوَّلَ عَلَى السَّفَرِ بِحَدِّ . والعزيمة : مصدر عَزَمَ إِذَا جَدَّ ، وَجَعَلَ لَهَا حَدًّا ، مِبَالَمَةً فِي تَعْجِيلِ السَّفَرِ . فُلَعْنٌ : ذَهَبٌ وَارْتِمَالٌ . أَرْزَمَ : جَمَعَ زَمَامَ ، وَهُوَ حَبْلٌ مِنْ جُلُودٍ بِشَدَّةٍ فِيهِ فِي حَلْقَةٍ مَجْمُوعَةٌ فِي وَتَدِ أَنْفِ الْبَعِيرِ ، فَيُجْعَلُ تَمَلُّقُ قُلُوبِ أَصْحَابِهِ بِهِ عِنْدَ فِرَاقِهِ ، وَحَنِينِهِمْ إِلَيْهِ ؛ كَأَنَّهُ قَدْ رِبَطَهَا بِأَرْزَمَةٍ وَقَادَحَاهُمَا ، فَمِنْ رَوَى « الْقُلُوبِ » عَادَتِ الْمَاءَ مِنْ « أَرْزَمَتِهِ » عَلَى السَّرُوجِيِّ ، وَمِنْ رَوَى « الْقَلْبِ » عَادَتِ عَلَى الْقَلْبِ أَوْ عَلَى السَّرُوجِيِّ ، وَالْقَلْبُ لَا يَنْ هَامَ .

قوله : « راقني » ، أى أعجبنى ، وقد راق الشيء يَرُوقُ رَوَاقًا فهو رائق ،

إذا أعجب . لَاتِي : لَصِقْتُ بِي وَصَحْبِي .

شافنى : شوقى . ساقى لوصاله : دعانى لصحبته . لاح : ظهر . ندّ : فرّ وشرد .
 ندّ : مثل ، والجمع أُنْدَاد . خِلَال : جمع خَلَّة بالضم ؛ وهى الصداقة ، خِلَاله :
 جمع خَلَّة بالضم أيضاً ، وهى الخصلة . وهذا النمط فى وصف الصديق وغيبته بارع ..
 ولابن عمران فى ذلك :

يَا مَرْحَبًا بِصَدِيقٍ لَسْتُ أَبْصِرُهُ إِلَّا تَجَدَّدَ لِي أَنَسٌ بِرَأَاهُ
 وَإِنْ تَقَيَّبَ عَنْ عَيْنِي فَلَمْ أَرَهُ فَلَ فَوَادٍ بظَهْرِ الْغَيْبِ يَرَعَاهُ .

• • •

وَاسْتَسْرَعَنِي حِينًا ، لَا أَعْرِفُ لَهُ عَرِيْنَا ، وَلَا أَجِدُ عَنْهُ مَبِينًا ..
 فَلَمَّا أَبْتُ مِنْ غُرْبِي ، إِلَى مَنْبِتِ شُعْبَتِي ، حَضَرْتُ دَارَ كُتُبِهَا الَّتِي
 هِيَ مُمْتَدَى الْمُتَادِينَ ، وَمُلْتَقَى الْقَاطِنِينَ مِنْهُمْ وَالْمُتَمَرِّينَ ، فَدَخَلَ
 ذُو لَعِيَّةٍ كَثَّةً ، وَهَيْئَةً رَثَةً ، فَسَلَّمَ عَلَى الْجُلَاسِ ، وَجَلَسَ فِي
 أَخْرَافَاتِ النَّاسِ .

• • •

استسرّ : غاب واختفى ، وأصله من سِرَّ الحلال فى آخر الشهر ، وهو
 يستسرّ ليلة لا يظهر أو ليلتين . والعرين : بيت الأسد وماواه . مبيتاً : معلاً به
 يبيتن لى أين استقرّ . أبْتُ : رجعت . منبت شعبتى ، أى بلدة قرايى التى فبتوا
 فيها ، يريد البصرة . والشعبة : القرابة . دار كتبها : مدرسة العلم . ممتدى : مجتمع ..
 القاطنين : الساكنين ، وقطن بالمكان : أقام فيه . كثة : كثيرة الأصول من
 غير طول .

[بما قيل فى اللحن]

ويقال لعبة إذا قصر شعرها وكثر : إنها لكثة ، وقد كُثت تكث كثانة
 وكثونة ، ورجل كث اللحية ، ولحية كُثْمَةٌ ، إذا كُثفت وقصرت وجُمُدت ،

ورجل كُثْعُمُ اللحية . وإذا عظمت وكثر شعرها قيل : إنه لدو عُنُون ، وإنه
 كَلُوف ، فإذا كانت اللحية قليلة في الذقن ولم تكن في العارضين فذلك السَّنُوط
 والسَّنَاط ، ورجل سُنَاط : بَيْنَ السَّنَط ، فإذا لم يكن في وجهه كثير شعر ، فذلك
 السَّنَط ورجل ثَط ، ورجال ثِطَاط . والسَّبَلَة : مَقْدَمُ اللحية ، ورجل مَسِيل ، وفلان
 خفيف العذارين ، وهما ما اتصل من شعر اللحية بالصدغ ، وهما العارضان ، وهما
 ما نبت في الخدين من الشعر على عوارض الأسنان ، قال رؤبة في لحية حرب بن قطن :
 هَلُوفَةٌ كَأَنَّهَا جُؤَالِقُ نُكْدَاهُ لَا بَارِكُ فِيهَا أَخْلَاقُ
 لَهَا فَضُولٌ وَلَهَا بَنَائِقُ إِذَا الرِّيحُ المَصْفُ السَّوَابِقُ
 طَيْرُهَا طَارَتْ لَهَا عَنَائِقُ إِنْ الدِّيَّ يَحْمِلُهَا لَمَائِقُ
 وَأَنشد أبو علي :

وأنت امرؤ قد كَتَانَتْ لَكَ لَحْيَةٌ كَأَنَّكَ مِنْهَا قَاعِدٌ فِي جُؤَالِقِ
 وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من سعادة المرأة خفة لحيته » . وكانت عائشة
 رضي الله عنها تقسم فتقول : « لا والذي زين الرجال باللعى » ، تقول : إنه قسم
 الملائكة .

قال الأحمد بن الموفى : سمعت مطيار بن أحمد يقول : رأيت النبي
 صلى الله عليه وسلم في المنام ، قلت : يا رسول الله ، أشتهى لحية كبيرة ، قال لي :
 « لحيتك جيدة ، وأنت محتاج إلى عقل تام » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « اعتبر واعقل الرجل في ثلاث : في طول لحيته ،
 ونقش خاتمه ، وكنيته » .

أنى رجل طویلُ اللحية معاوية قال له : أَمَا اللحية فلا نسأل عنها ،
 فما نقش خاتمك ؟ قال : « وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ
 النَّائِبِينَ » ^(١) ، قال : فما كنييتك ؟ قال : أبو الكوكب البدرى ، قال : كمل الرجل .

وكان صلى الله عليه وسلم يأخذ من لحيته من طولها وعرضها بالسواء .
 وكان عبد الله بن عمر يقيض على لحيته ، ويأخذ ما زاد منها على قبضته .
 الحسن بن المنثى : إذا رأيت رجلاً له لحية طويلة ، ولم يتخذ لحية بين الحيتين ،
 كان في عقله شيء .

وكان المأمون جالساً مع تدمائه ببغداد ، مشرفاً على دجلة وهم يتذاكرون .
 أخبر الناس ، فقال المأمون : ما طالت لحية إنسان قط إلا وقص من عقله بمقدار
 ما طال من لحيته ، وما رأيت عاقلاً قط طويلاً اللحية . فقال له بعض جلسائه ، ولا
 يرد على أمير المؤمنين : قد يكون في طول اللحية أيضاً عقل ؛ فبينما هم يتذاكرون في
 هذا ، إذ أقبل رجل كبير اللحية ، حسن الهيئة ، فاخر الثياب ، فقال للمأمون :
 ما تقولون في هذا الرجل ؟ فقال بعضهم : رجل عاقل ، وقال آخر : يجب أن
 يكون هذا قاضياً ، فقال المأمون لبعض الخدم : على بالرجل ، فلم يلبث أن أصدد
 إليه ووقف بين يديه ، فلم أجاد السلام ، فأجلسه المأمون ، واستنطقه فأحسن النطق ،
 فقال للمأمون : ما اسمك ؟ قال : علوية ، قال : فالكنية ؟ قال : أبو حديويه .
 فضحك المأمون ، وغمز جلساءه ثم قال : ما صنعتك ؟ قال : قية أجيد الشرع
 في المسائل ، فقال له : نألك مسألة ! فقال الرجل : سل عما بدا لك ، فقال له
 المأمون : ما تقول في رجل اشترى شاة من رجل ، فلما تسلمها المشتري ، وقفى
 الثمن ، وضربت ، فخرج من استها بمرة ففقت عين رجل ؛ على من تجب دية
 العين ؟ قال : فنكت بإصبعه في الأرض طويلاً ، ثم قال : تجب على البائع دون
 المشتري ، فقال المأمون : وما العلة التي أوجبت الدية عليه دون المشتري ؟ قال :
 إنه لما باعها لم يشترط أن في استها منجنياً ، قال : فضحك المأمون حتى استلقى على
 قفاه ، وضحك كل من حضره من الندماء . وأشد المأمون يقول :

ما أخذ طالت له لحيته فزادت اللحية في حليته

إلا وما ينقص من عقله أكثر مما زاد في لحيتِه
وقال آخر :

إذا عظمت لففتي لحية
فتمضان عقل الفتي عندنا
فطالت فصارت إلى سرية
بمقدار ما زاد في لحيتِه
وأشدد أبو علي :

لا تفخرن بالحية
يهوى تفرقها الزيا
كثرت منابتها طوبى له^(١)
ح كأنها ذنب الحسيلة
قد يدرك الشرف الفتي
يوما ، ولحيتِه قليلة
وقال : الحيلة المجلة .

وأشدد أبو العباس رحمه الله :
كل امرئ ذى لحية عشوائية
يقوم عليها ظن أنه له فضلا
وما الفضل في طول السبال وعرضه
إذا الله لم يجعل لصاحبه عقلا
عشوائية : كبيرة .

نفاذ يزيد بن مزيد الشيباني رحمه الله إلى رجل ذى لحية عظيمة ، وقد
تلففت على صدره ، وإذا هو خاضب ، فقال له : إنك من لحيتك في مئونة ، فقال :
أجل ، ولذلك أقول :

لعمرك لو بعلي الأمير على الآحى
إذا لشتني لحيتي من عصاية
لأصبحت قد أيسرت منذ زمان^(٢)
لهم عنده ألف ولى مائتان
لما درهم للذهن في كل جمعة
وأخسر للحناء يتلذذان
ولولا نوال من يزيد بن مزيد
لصوت في حافاتهما الجلمان

(١) الآيات في اللسان (حل) من غير لينة .

(٢) الكامل للمبرد ٢ : ١٢٨

فأمر له بشرة آلاف درهم . والجلعان : القصر ، ويسى الجاليم .

وقال إسحاق بن خلف يصف رجلاً بالقصر وطول اللحية :

ما سرّني أنّني في طولِ داودِ	وأنتي علّم في التّأس والجود ^(١)
ما شئتُ داودَ فاستضعكتُ من محبِّ	كأنتي والدّ يمشي بموؤودِ
ما طولُ داودَ إلّا طولُ لحيتِه	بظلّ داودَ فيها غيرَ موجودِ
تكنّه خصلة منها إذا نضعت	ريح الشمال ، وجفّ الماء في العودِ
أجدى وأغنى من الخبز الصفيق ومن	بيض القطائف يوم القبر والسودِ

وأشدّ إفراطاً منه قول ابن الرومي :

ولحية يحملها مائق	مثل الشراعين إذا شربا
تعوده الريح بها طائفاً	قوفاً عنيفا يتعب الأخدفا
وإن عدا والريح في وجهه	لم ينبعث في مشيه إصبعا
لو غاص في اليم بها غوصة	صاد بها حيتانه أجمعا

وأشدّ إفراطاً منه قول الآخر :

يا لعنة الشيخ الأزب تميم	أهديت للأفوام عرف الثوم
لو أنها دون السماء غمامة	ضائق مسالك دعوة المظلوم
أو صبها في الماء ثم سما بها	قامت مقام العارض المركوم

ولابن سارة :

: ولحية لست أدري كيف أنبتها	فضول أشعارها أودت بأشاري
كأنها وعين الريح تشرها	مذبذبة وقمت في عسود بيطار

وقال آخر :

أبصرتُ شيخاً ذاهباً جائياً ذا لحية قد كبرت في اتساع
عرضاً وطولاً وهو من خلفها كأنه ناشر ثوب يساع
وقال آخر :

لقد كانت مجالسنا فساحاً فضيئها بلحيتيه رباح
مقلبة الأسافل والأعالي لها في كل زاوية جناح
وقال آخر :

يا أيها الناس خذوا حذركم قد برزت إعيبة مهلول
فطولها الفرسخ في فرسخ وعرضها ميل إلى ميل
لو ضم ما يقطر من دهنها أسرج منه ألف قنديل
ولو سها الحجام عن قصها نطالط ما في السراويل
ذكر هنا أبو محمد لحية السروجي أنها كثرة، وكل صفة يصف بها السروجي
على المقامات ، فذلك كانت صفة الحريري . وذكر ابن جهور أن الحريري كان
قليل اللحية لا خلقته ، وإنما كان مولماً بفتحها ، كانت يده رحمه الله لا تفارق
لحيته . وهذا على كثرة قليل فيما قيل في اللحية .
قوله «رثة» ، أي خلقته بالية . أخريات : أطراف ، وهي جمع أخرى .

ثم أخذ يندى بما في وطابه ، ويُنَجِّبُ الحاضرين بفصل خطابه ،
فقال لمن يليه : ما الكتاب الذي تنظر فيه ؟ فقال : ديوان
أبي عبادة ، المشهود له بالإجادة .

أتى طاحه رضى الله عنه مجلس قوم ، فجلسوا ينادونه من كل جانب : هاهنا

يا صاحب رسول الله ! قال : فجلس في أذنّي المجلس ، ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن من التواضع لله الرضا بالذون من شرف المجلس » .

وطابه : زِقَاق لَبَنَةٍ ، أراد أنه يظهر ما عنده . يعجب : يحلمهم يتمجّبون . بفصل خطابه : يريد بفصل كلامه وجودة بلاغته ، وقوله تعالى : ﴿ وَفَصَّلِ الْخِطَابِ ﴾ ^(١) هو قول الخطيب : « أما بعد » . يليه : يلصق به .

[البعترى وبعض أخباره وشعره]

أبي عبادة . قال البكري : هو الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد ، من بني بختر بن عتود بن عُنَيْن ابن سَلَامان بن ثعل بن عمرو بن العوث بن حلمة ، وهي طيء . شاعر مقدّم لا يُمدّل به أحد ، بفضل على حبيب ، والناس في تفضيلهما على اختلاف .

قال أبو الفرج الأصبهاني : كان البعترى شاعراً فصيحاً ، حسن المذهب . نَقِيَ الكلام ، خُتِمَ به الشعراء المحدثون ، وله تصرف في ضروب الشعر ، سوى المهجاء ، وإن بضاعته فيه تَزَرَّة .

قال البعترى : وكان أول أمرى أني سرت إلى أبي عامر بمحْص ، فعرضت عليه شمرى - والشعراء يمرضون عليه أشعارهم - فترك من حضر وأقبل عليّ ، فقال لي حين تفرّقوا : أنت أشمر من أنشدني ، فكيف حالك ؟ فشكوت خلّة ، فكتب إلى أهل ممرّة النمان ، وشهد لي بالخذق في الشعر ، وشفع لي إليهم ، وقال : امتدحهم . فسرت إليهم ، فأكرموني بكتابته ، ووظفوني أربعة آلاف درهم ، فكانت أول مال أصبته ^(٢) .

وحدث أبو الفرج ، قال : حدثني أبو العوث البعترى ، عن أبيه ، قال : أول

(١) سورة ص ٢٠ .

(٢) الأغاني ١٨ : ١٦٧ ، ١٦٩ .

أمرى أنى دخلت على أبى سعيد محمد بن يوسف الثغرى ، فأنشدته قصيدة أولها :
 * أأفلق صبً من هوى فأفياً *

فسر أبو يوسف بها ، وقال : أحسنت والله يافنى وأجبت - وفى مجلسه رجل رفيع نبيل قريب المجلس منه ، فوق كل من حضر ، تسكادتمس ركبتة ركبتة ، فأقبل على - ، ثم قال : أما تستجى منى ! هذا شعرى تتعله وتشدده بحضرتى ! فقال له أبو سعيد : أحقاً ما تقول ؟ قال : نعم ، وإنما علقه منى وسبق به إليك ، وزاد فيه . ثم اندفع فأنشداً كثر القصيدة ، حتى شككتنى - علم الله - فى نفسى ، وبقيت متعبراً ، فقال لى أبو سعيد : يافنى ، قد كان لك فى قرابتك منى ما يفيدك عن هذا ! فبعلت أحلف بكل محرجة من الأيمان أن الشعر لى ، ماسمته منه ، ولا اتحلته . فلم ينفع ذلك شيئاً ، وأطرق أبو سعيد ، وقطع لى حتى تمّنت أن يساخ لى فى الأرض ، فقامت منكسف^(١) البال ، أجر رجل ، فما بلغت باب الدار حتى ردنى النلام ، فأقبل على الرجل وقال : الشعر لك يافنى ، والله ما قلته قط ، ولا سمعته إلا منك ؛ ولكننى كنت ظننت أنك تهانوت بموضى ، فأندمت على الإنشاد بحضرتى ، تريد مضاهاتى ، حتى عرفنى الأمير نسبك ، ولوددت ألا تله طائفة إلا مثلك ، ودعائى وضمنى إليه ، وعائفى ، وأبو سعيد يضحك . فلزمته بعد ذلك وأخذت عنه ، واحتذيت فنه^(٢) .

وعن أبى النوش عن أبيه قال : ، قال لى أبو تمام : بلغنى أن بنى حيد أعطوك مالا جليلاً ، فبم مدحتهم ؟ فأنشدنى شيئاً منه ، فأنشدته ، فقال لى : كم أعطوك ؟ قلت : كذا ، فقال لى : ظلوك ، والله ما وقوك حقك ، فلم استكثرت ما أعطوك ! والله لبيت منها خير مما أخذت . ثم أطرق قليلاً وقال : لعمرى لقد استكثرت ذلك لك مات الكرام ، وذهب الناس ، وغاضت الكارم ، وكنت

(١) الأغاني : « منكسر » .

(٢) الأغاني : ١٨ : ١٦٩

أسواق الأدب ، أنت الله يابني أميرُ الشراء غداً بعدى ، همت هبكت رأسه ويديه
ورجله ، وقلت : والله لهذا القول أسرُّ لي مما وصل إلي منهم .

قال البحتري : أنشدت أبا تمام يوماً شيئاً من شعري ، فأنشدني
بيت أوس :

وإن مُقَرَّمٌ منَّا ذَرَّاحِدُنَا بِهِ تَمْنَحُ فِينَا نَابُ آخِرَ مُقَرَّمٍ^(١)

ثم قال : يابني ، نَعَيْتَ إِلَى نَفْسِي : قُلْتَ : أَعِيذُكَ بِاللَّهِ مِنْ هَذَا ! قَالَ لِي :
إِنْ عَرَى لَيْسَ بِطَوَّلٍ ، وَقَدْ نَشَأَ مِثْلُكَ لَطِيًّا ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ خَالِدَ بْنَ صَفْوَانَ
الْمُنْقَرِيَّ رَأَى شَيْبَ بْنَ شَبَّةٍ ، وَهُوَ مِنْ رَهْطِهِ يَتَكَلَّمُ ، قَالَ : يَابُنِي ، نَعَى نَفْسِي
إِلَى إِحْسَانِكَ فِي كَلَامِكَ ؛ لِأَنَّا أَهْلُ بَيْتٍ ، مَا نَشَأُ فِينَا قَطُّ خَطِيبَ إِلامَاتٍ مِنْ قَبْلِهِ .
قال : فأت أبو تمام بعد سنة من قوله هذا ، ومات البحتري سنة ثلاث
وثمانين ومائتين .

المبرد : ذكرت للمتوكل المنازعة التي جرت بيني وبين أبي الفتح في
تأويلات ،^(٢) فبث إلى عامله بالبصرة أن يحلني إليه مكرهاً ، فوردتُ سرّاً من
رأى ، فأدخِلْتُ على المتوكل ، وفي المجلس البحتري وأبو المنبس الصيمري ،
فأنشده البحتري قصيدة أولها :

عَنْ أَيْ شَرٍّ تَبْتَسِمُ وَبِأَيِّ طَرَفٍ تَعْتَكِمُ^(٣)
حَسَنٌ يَصْنُ بِحُسْنِهِ وَالْحَسَنُ أَشْبَهُ بِالكَرَمِ

حتى بلغ :

قُلْ لِلْخَلِيفَةِ جُفَيْرٍ لِلتَّوَكُّلِ بْنِ الْمُتَّصِمِ

(١) وفرا حد نابه : انكسر ؟ كذا قرره صاحب اللسان ، واستشهد بالبيت .

(٢) ج : « تأويلاته » وهي ساقطة من السعدي وإتباع الرواة .

(٣) ديوانه ١٢٩٨ .

المرتضى ابن الحنبل والنعم ابن التميمي
أما الرعية فهي من أمانات عدلك في حرم
يابان المحمد الذي قد كان قووصاً فأنهدهم
اسم لدين محمد وإذا سلمت فقد سلم
نينا الهدى بعد المعنى بل والمعنى بعد القدم^(١)

ثم مشى القهقري للانصراف ، فوثب أبو العننس ، وقال : يا سيدي
نأمر برده ! فقد والله عارضته ، فأخذ ينشد في ذلك :

في أي سلع تنظيتم وبأي كفة لمقيم
أدخلت رأس البحتري أبي عبادة في الرحم

ووصله بما يشبهه من الشعر . فصحك المتوكل حتى استأق ، وقال : يُدفع
إلى أبي العننس عشرة آلاف درهم ، قال أبو الفتح : يا أمير المؤمنين ، والبحتري
الذي هُجِيَ وأنشع المكروه ينصرف خائباً ؟ قال : ويُدفع إلى البحتري
عشرة آلاف درهم ، قال : يا سيدي ، وهذا البصري الذي أشخصناه من بلده ،
ألا يشرِكهم فيما حصلوه ؟ قال : ويُدفع له عشرة آلاف : قال : وانصرفنا كلنا
في شفاعه المذلي ، ولم ينفع البحتري جِدُّه وحِذْقَه .^(٢)
وأما أبو الفرج ، فقال : حدثني جعظة عن أبي العننس الصيمري ، قال :
كنت عند المتوكل والبحتري ينشده :

* عن أي نفر تبتسم *

وكان البحتري من أبنض الناس إنشاداً ، يتشادق ويتزاور في مشيه مرة
حاشاً ، ومرة القهقري ، ويهز رأسه مرة ومنكببه أخرى ، ويشير بكفيه ، ويقف
عند كل بيت ، ويقول : أحسنت والله ! ثم يقبل على المستمعين ، ويقول لم :
مالك لا تقولون : أحسنت ! هذا والله ما لا يحسن أحد أن يقول مثله ، فضجروا

(١) الخيو ان : • بك والقي • .

(٢) الخبر برواية البرد في مروج الذهب ٢ : ٢٧٢ ، ٢٧٣ وإنباه الرواة ٣ : ٤٤٤ .

السؤال من ذلك . وأقبل على فقال : أما تسمع يا صيمري ما يقول ؟ قلت :
بلى ياسيدي ، فقرأ فيه بما أحبت ، فقال : بحياي أهججه على هذا الزوى ،
فقلت على البديهة :

أدخلت رأسك في الرّحيم	وعلمت أنك تنهزم ^(١)
يا بختري حذارٍ ونح	لك من قضاية ضنم
فلقد أسلت بوادين	لك من الهجاسيل الحرم
فبأى عـرض تعصم	وبهتك جف القلم
والله حائفة صادق	وبقر أحد الحرم
ووحق جعفر الإمام	م بن الإمام المقيم
لأصيرنك شهرة	بين السيل إلى القلم
يا بن الثقبلة والتقي	ل على قلوب ذوي اللعم
وعلى الصغير مع الكب	ير من الموالى والمشم

وبعد هذا ما يقبح ذكره ؛ فغضب البختري ، وخرج يمدو ، وجعلت

بأصيح به :

أدخلت رأسك في الرّحيم وعلمت أنك تنهزم^(١)
والتوكل يضحك ، ويصفق حتى غاب عنه .

ومدح البختري بعض الولاة ، فتوافى في حقه ، فأنشده :

إن الأمير أطال الله مدته
يُعطي من العرفيعا لم يُعطه أحد^(٢)
ينسى الذي كان من معرفه أبدا
إلى المباد ، ولا ينسى الذي يمد
فأعطاه خمسين ألف درهم ، وقال : البيتان خير من القصيدة .

وقال المذني : قيل للبختري : أيما أشعر ؟ أنت أو أبو تمام ؟ قال : جيده خير^(٣)
من جيدي ، وردني خير من رديته . وصدق ، أبو تمام لا يتأق به أحد في

(١) الأغاني ١٨ : ١٨٣ ، وأخبار البختري لصولي ٨٧

(٢) ملحق ديوانه ٢٠٤٠ .

في جيده ، وربما اختلف لفظه لامعناه ، والبحتري لا يختلف لفظه .

وقيل له : قد عثرت باحتذائك أبا تمام في شعرك ! فقال : أتعاب علي أن أنبع
أبا تمام ، وما علمت بيتاً قط حتى أخطر شعره بيالي !
وذكروا معنى تعاوره البحتري وأبو تمام ، فقال المبرد للبحتري : أنت في هذا
أشهر من أبي تمام ، فقال : لا والله ، ذلك الرئيس الأستاذ ، والله ما أكلت
الخبز إلا به .

وقال عبد الله بن الحسن : سألت المبرد عن أبي تمام والبحتري أيهما أشعر ؟
فقال : لأبي تمام استغراجات الغاية ، ومعان ظريفة ، وجيده أجود من شعر
البحتري ومن تقدمه من المحدثين ، وشعر البحتري أحسن استواء من شعره ، لأن
البحتري يقول القصيدة كلها ، فتكون سايمة من طعن طاعن ، وأبو تمام يقول
البيت النادر والبارد ؛ وهذا المعنى كان أعجب إلى الأصمعي ، وما أشبهه إلا
بغائض يخرج الدرّة المخشلة - وهي زجاجة توضع مكان الدرّة - ثم قال : لأبي
تمام والبحتري من المحاسن ما لو قيس بأكثر شعر الأوائل ما وجدوا فيه مثله ،
ثم قال : والبحتري ختم الشعر ، وله بيتان لو وضعا إلى شعر زهير لجازا فيه ؛ وهما :

فاسفه الدّيفه وإن تمّدى بأنجم فيك من حلم الحليم^(١)
مضى أحفظت ذا كرم تخطى إليك ببعض أفعال الشيم
وذكر المبرد في هذا المجلس شعراً له ، وقدمه على نظرائه :

وإذا ذكرت محاسن ابني صاعد أدت إليك مخائل ابني مُخلد^(٢)
كالفرقدتين إذا تأمل ناظر لم يعل موضع فرقد عن فرقد
وقوله :

من شاكر عني الخليفة لأذى أولاه من فضل ومن إحسان^(٣)

حَتَّى لَمَّا أَفْضَلْتُ مِنْ إِفْضَالِهِ وَرَأَيْتُ سَهْجَ الْجُودِ حَيْثُ رَأَيْتُ
وَبِمَرِّهَا :

أَغْنَتْ بَدَاهُ بَدَى وَشَرَّدَ جُودُهُ بُخْلِي ، فَاقْرَنِي كَمَا أَغْنَانِي
وَلَهُ أَيْضًا فِي الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ ، وَقَدْ نَزَلَ إِلَى الْأَسَدِ فَقَتَلَهُ :

حَمَلْتُ عَلَيْهِ السِّيفَ عِطْفُكَ مَا أَنْتَنِي وَلَا يَذُكُّ أَرْتَدَّتْ وَلَا حَذُّهُ نَبَأٌ (١)
فَأَحْجَمَ لَنَا لَمْ يَجِدْ فِيكَ مَطْمَاحًا وَصَمَّ لَنَا لَمْ يَجِدْ عَنْكَ مَهْرَبًا
وَلَهُ فِيهِ :

وَمَا مَنَعَ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ نَيْلَهُ وَلَكِنَّمَا الْأَيَّامُ تُعْطَى وَتُحْرَمُ (٢)
سَعَابَ خَطَائِي جُودُهُ وَهُوَ مُسْتَبِيلٌ وَبَحْرٌ عَدَائِي فَيْضُهُ وَهُوَ مَتَمُّ
وَبَدْرٌ أَضَاءَ الْأَرْضَ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَمَوْضِعُ رَجُلٍ مِنْهُ أَسْوَدُ مُطْلَمٌ
أَأَشْكُو نَدَاهُ بَعْدَ أَنْ وَسَّعَ الْوَرَى وَمَنْ ذَا يَذِمُّ الْفَيْثَ إِلَّا مَذَمُّ (٣)

وَلَهُ أَيْضًا فِي انْتِقَاضِ صَاحِبِ بَيْنِ عَشِيرَتِهِ :

إِذَا مَا الْجَرْحُ رَمَى عَلَى فَسَادٍ تَبَيَّنَ فِيهِ تَرْبِطُ الطَّيِّبِ (٤)
وَلَأَتَهُمُ الدَّيْدُ أَشَدَّ حُبًّا إِلَى الرَّامِي مِنَ السَّهْمِ الْمُصِيبِ
وَمِنْ جَيْدِ شَعْرِهِ :

وَلَمَّا الْقَبَا وَاللَّوَى مَوْعِدٌ لَنَا تَبَيَّنَ رَأْيُ الدَّرِّ حَسَنًا وَلَا قَطْعُ (٥)
فَمَنْ لَوْ لَوَّجَ تَجْوَهُ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا وَمَنْ لَوْ لَوَّجَ عِنْدَ الْحَدِيثِ تَسَاقُطُهَا
وَالْبَحْرَى مَكْثَرٌ جَدًّا ، وَدِيَوَانُ شَعْرِهِ نَسِجٌ مُخْتَلَفٌ بِالزِّيَادَةِ وَالنَقْصِ ؛ لِأَنَّ
شَعْرَهُ لَا يَنْضَبِطُ لِكَثْرَتِهِ .

(٢) ديوانه ١٩٨٠

(١) ديوانه ٢٠٠ ، ٢٠١ .

(٣) ديوانه ١٩٠ .

(٤) ديوانه ١٢٣٠ .

[وصية أبي تمام للبحتري]

قال البحتري : كفت أروم الشعر في حدائق ، وكنت أرجع فيه إلى الطبع ، ولم أكن أفق على تسهيل مأخذه ووجوه اقتضائه ، حتى قصدت أبا تمام ، وانتهجت فيه إليه ، واتسكت في تعريفه عليه ، فكان أول ما قال لي : يا أبا عبادة ، تحيّر الأوقات وأنت قليل الموم ، صغر من الموم . واعلم أن العادة جرت في الأوقات أن يقصدها الإنسان لتأليف الشيء ، أو حفظه في وقت السحر ، وذلك أن النفس تكون قد أخذت بحفظها في الراحة ، وقسطها من النوم ، فإن أردت التشبيب ، فأجعل اللفظ رقيقاً ، واللحن رقيقاً ، وأكثر فيه بيان الصبابة ، وتوخيء الكتابة ، وقلق الأشواق ، ولوعة الفراق ؛ فإذا أخذت في مدح سيد [ذى أباد] ^(١) ، فأشهر مناقبه ، وأظهر مناسبه ، وأبن معاله ، وشرف مقامه ، ونصّد المعاني ، واحذر المحتمل ^(٢) منها . وإياك أن تشين شعرك بالألفاظ المجينة ^(٣) ، وكن كأنك خياط تقطع الثياب على مقادير الأجسام ، وإذا عارضك الضجر فأرح نفسك ، ولا تعمل شعراً إلا وأنت فارغ القلب . واجعل شهوتك إلى قول الشعر الذريعة إلى حسن نظمه ، فإن الشهوة تجمع النفس ^(٤) . وجملة الحال أن تعتبر شعرك بما سبق من شعر الماضين ، فما استحسن العلماء فاقصده ، وما تركوه فاجتنبه ؛ ترشد إن شاء الله تعالى .

قال : فأعادت نفسي فيما قال ، فوقفت على السياسة ^(٥) .

* * *

فَقَالَ : هَلْ عَثَرْتَ لَهُ فِيهَا لَمَحْنَهُ ، عَلَى بَدِيعِ اسْتِمْلَاحَتِهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَوْلُهُ :

(١) من زهر الآداب

(٢) زهر الآداب : د الرديئة . (٣) زهر الآداب : د نعم المين .

(٤) زهر الآداب ١١٠ ، ١١١ ، الصدة ٢ : ١١٤ .

(٥) - شرح مقامات الحريري (٩)

كَأَنَّمَا يَبْسِمُ عَنْ لَوْلُو مُتَضَدٍّ أَوْ بَرْدٍ أَوْ أَفَاحٍ
فَإِنَّهُ أَبَدَعَ فِي التَّشْبِيهِ، الْمَوْدَعِ فِيهِ .

• • •

قوله : « هل عثرت » ، معناه اطلعت . لحنه : نظرت . بديع : معنى لم يسبق
غيره إليه من تشبيه أو تجنيس وشبههما بما ذكر من صنع البديع في [القائمة]
الثالثة والعشرين . والبِدْع : إحداث الشيء قبل أن يكون أولاً ، والبِدْعَة : ما ابتدع
من الدين ، والبديع : المحدث العجيب ، وأبدع الرجل : أتى ببديع من قول أو فعل ،
وأبدع الله الأشياء وأبدعها : خلقها بلامثال . استملحته : وجدته مليحاً . ييسم :
يبدى بعض أسنانه عند الضحك . لَوْلُو : جوهر شبه به الأسنان . وهذا البيت
من شعره ، وقبله :

بَاتَ نَدِيمًا لِي حَتَّى الصَّبَاحِ أَغْيَدُ مَجْدُولَ مَكَانِ الْوِشَاحِ^(١)
فَبْتَ أَفْدِيهِ وَلَا أَرْعَوِي لَهْيَ نَاهٍ عَنْهُ أَوْ لَهْيَ لَاحِ
أَمْزُجُ كَأْسِي بِحَيِّ رِيْقِهِ وَإِنَّمَا أَمْزُجُ رَاحًا رِاحِ
كَأَنَّمَا يَبْسِمُ البيت .

وبعد :

سِحْرُ الْمُيُونِ الثُّجَلِ مُسْتَهْلِكٌ لَبِي ، وَتَوْرِدُ الْخُدُودِ لِلْمَلَاخِ
قُلْ لَأَبِي نَوْحٍ شَقِيقُ الْمَلَا وَمَعْدِنِ الْجُودِ ، وَتَرْبِ النَّحَاخِ^(٢)
أَعُوذُ بِالْفَضْلِ الْجَمِيلِ الَّذِي عَوَّدَتْنِي ، وَالنَّائِلِ الْمُسْتَحَاخِ
مَنْ أَنْ تَصُدَّ الْعَرْفَ عَنِّي وَأَنْ أَخِيبَ فِي جَدْوَاكَ بَعْدَ النَّجَاحِ
أَشْمَتَ حُسَّادِي وَأَخْرَجْتَنِي عَنْ سَيِّئِكَ الْفَقْدَى عَلَى الرَّاحِ
فَهَلْ لَأُنْسِي بَانَ مِنْ عَوْدَةٍ أَمْ هَلْ لِحَالٍ فَسَدَتْ مِنْ صَلَاحِ

(١) ديوانه ٤٣٥ .

(٢) هو أبو نوح عيسى بن موسى المدوح .

سَتْ عَلَى سَخَطِكَ جَلَّةَ الْقَوَى وَلَا عَلَى هَجْرِكَ شَاكِيَ السَّلَاحِ
قوله : « المودع » : المضمّن ، وأودع الشيء : صبره وديمته .

فَقَالَ لَهُ : يَا لَمَعَجَبٍ ، وَلِضَيْعَةِ الْأَدَبِ ! لَقَدْ اسْتَسَمَنْتَ ذَا وَرَمٍ ،
وَنَفَخْتَ فِي غَيْرِ ضَرَمٍ ! أَيْنَ أَنْتَ مِنَ الْبَيْتِ التَّنْدَرِ ، الْجَامِعِ
مُشَبَّهَاتِ الثَّغْرِ ! وَأَنْشَدَ :

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِثَغْرِ رَاقٍ مَبْسُوءٍ
وَزَانُهُ شَبُّ نَاهِيكَ مِنْ شَبِّ
يَفْتَرُّ عَنْ أَوْلَى رَطْبٍ وَعَنْ بَرٍّ
وَعَنْ أَفَاحٍ وَعَنْ طَلْعٍ وَعَنْ حَبِّ

استسمنت : حسبته سمينا وطلبت السمانه من هزيل . وَرَمٌ : دُمَلٌ ، والمعنى
أنه يرميه بسوء النهم ، وقد بين هذا أبو الطيب اللنبي فقال :

أَعْيِذُهَا نَظْرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً أَنْ تُحْسِبَ الشَّخْمَ فِيمَنْ شَحْمُهُ وَرَمٌ^(١)
وَمَا انْتَفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَاطِرِهِ إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالْظُّلُمُ

ونفخت في غير ضرم ، مثل لطلب الشيء في غير موضعه ، ولفظ المثل^(٢) :
« نفخت » أو « تنفخ » ، والضرم : النار . التندر : والتادر : الغريب . الثغر :
الأسنان ، مبسه : موضع ابتسامه ، يعني الفم .

(١) ديوانه ٣ : ٣٦٦ ، ٣٦٧ .

(٢) لفظ المثل في جملة الأمثال ٢ : ٣٠٠ : « نفخت لوتنفخ في خم » ، والنعم :
الجذر الطاء .

الشَّنب : الماء القليل الجاري على الأسنان - الجرمي : سمعت الأصمعي يقول :
الشَّنب يَرْدُ الأسنان والقم ، قلت : أحباينا يقولون : حداثها حين تطلمع ، فيراد
بذلك حداثتها وطرائفها ، لأنها إذا أتت عليها السنون تغيرت ، يقال : ما هو إلا
بردها . ابن سيده : قال الأصمعي : سألت رؤبة عن الشَّنب ما هو ؟ فأخذ حبة
رمان فأولمها إلى بصيصها .

ناهيك : كافيك ، وتقول : ناهيك بفلان ! أي قد استهى الأمر فيه إلى الغاية
ونعى الرجل من اللحم وأنهى ، إذا شبع منه واكتفى ، والنهى : القدير
لأنه ينتهى إليه ماء الوادي . فتر : تكشف وييسم . رطب ، أي طرى كما
أخرج من أصدافه ، وفي اللؤلؤ إذا كان رطوبه وسطوع بياض ، فإذا أصابه الهوى
ودام عليه صل ، وإذا تداولته الأذى بالامس وقدم تغير بياضه . الطامع :
أول حمل النحلة ، وهو الفرخ فإذا اشتق فهو الصمك ، وبه شبه الأسنان
في بياضه ، ثم الإعرص إذا افترق حته ، وإتما شته الأسنان بالطلع ، وهو الذرخ ،
لأنه إذا شق وجد ما فيه من حمل النحلة في غابة البياض ، ويقال له : الوليع ،
قال الشاعر :

وتسمر عن لؤلؤ كالوليع تشقق عنه الرقاة الجحوظا^(١)

الجحوظ جمع جُف وهو قشر الفرخ ، ويقال له القيما والبيلة ، وهو طيب
الريح ، والرقاة : الراقون إلى أعلى النخل .

والحطب : تنضد الأسنان ، وقيل : طرائق تظهر في الحجر عند مزجها بالماء ،
فإنما الحافيع التي تعلو الحجر عند المزج فهي الحطب ، بزيادة الألف ، قال المتلس^(٢) :
عقار أعثقت في الدن حتى كأن حباها حديق الجراد^(٣)

(١) اللسان - ولع ، جفف ، من فبر نسيه .

(٢) شعراء النصرانية ٣٤٢ . والقار : الحجر ؛ سميت عقارا لأنها عاقرت الدن .

والخر المبيقة : القديعة .

وقال آخر :

حَرَامٌ قَانِيَةٌ إِذَا مَا شَعَشَعَتْ يَنْزُو إِلَى وَجْهِ النَّدِيمِ حَبَابُهَا

• • •

فَاسْتَجَادَهُ مَنْ حَضَرَ وَاسْتَحْلَاهُ ، وَاسْتَعَادَهُ مِنْهُ وَاسْتَمْلَاهُ ،
مُوسِّلٌ لِمَنْ هَذَا الْبَيْتُ ، وَهَلْ حَى قَائِلُهُ أَوْ مَيِّتٌ ؟ قَالَ : أَيْمُ اللَّهِ ،
لَلْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُدَبِّعَ ، وَلِلصِّدْقِ حَقِيقٌ بَأَنْ يُسْتَمَعَ ؛ إِنَّهُ يَاقَوْمُ ،
لَنَجِيحِكُمْ مُنْذُ الْيَوْمِ . قَالَ : فَكَأَنَّ الْجَمَاعَةَ ارْتَابَتْ بِرِزْوَانِهِ ،
وَأَبَتْ تَصْدِيقَ دَعْوَتِهِ . فَتَوَجَّسَ مَا هَجَسَ فِي أَفْكَارِهِمْ ،
وَفُطِنَ لِمَا بَطَنَ مِنْ اسْتِنكَارِهِمْ ، وَتَأَذَّرَ أَنْ يَفْطُرَ بِإِيهِ ذِمٌّ ، أَوْ
يَلْحَقَهُ وَهْمٌ ، فَقَرَأَ ﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ . ثُمَّ قَالَ : يَا رِوَاةُ
الْقَرِيضِ ، وَأَسَاةُ الْقَوْلِ التَّرِيضِ ، إِنَّ خُلَامَةَ الْجَوْهَرِ تَظْهَرُ بِالسَّبْكِ ،
وَيَدُ الْحَقِّ تَصْنَعُ رَدَاءَ الشَّكِّ ، وَقَدْ قِيلَ فِيمَا غَبَرَ مِنَ الزَّمَانِ : عِنْدَ
الامْتِحَانِ يُبَكِّرُكُمْ التَّمَرُّ أَوْ يُهَانَ ، وَهَا أَنَا قَدْ عَرَّضْتُ خِيَّتِي^(١)
لِلْاِخْتِبَارِ ، وَعَرَّضْتُ حَقِيقَتِي عَلَى الْاِغْتِبَارِ .

• • •

قوله : «استملاه» ، أى قال : أعده على . استملاه : طلب أن يكتبه . أيم الله :
يمين يخلف به . نجيحكم : محذوكم . يعنى نفسه . ارتابت : شكَّت والرَّيْبَةُ الشك .
ببرونه : بنسبته ، أى بنسبته إلى نفسه . دعوته : ادعاؤه أنه من قوله . والدعوة
تكسر الدال في النسب ، وفتحها في الطعام . فتوجَّس : أى أحسَّ وسمع .
هَجَسَ : وقع وخطر . فطن : شعر . بطن : خفي ، يريد أنه فهم منهم أنهم لم

يصدقوه في أن الشعر له ، وأنكروا أن يقول مثله . حاذر : خاف . يفرط : يسبق . القريض : الشعر . أساء : أظباء ، واحدم آسي . القول للريض : الضعيف من قبل راويه . خلاصة : ما خلع منه . وجواهر الأرض ، مثل الحديد والنحاس وغيرهما ، فلذا عرض الجوهر على النار ، فما كان منه خالصاً زاد صفاء وجودة ، وما لم يكن خالصاً فضحتته النار وأظهرت عيبه . التثبك : الاختبار بالنار . تصدع : تشق . غبر : مضى هنا ، ويستعمل كثيراً بمعنى « بقي » وهو من الأضداد ؛ يقال : غبر الشيء غبوراً إذا بقي ، قال الله تعالى : ﴿ إِلَّا امْرَأَتُهَا كَانَتْ مِنَ الْغَائِرِينَ ﴾^(١) ، أي الباقين . الامتحان : الاختبار والبحث ، وهذا المثل من أمثال الفرس ، ولهذا أبعد مدته حيث قال : غبر من الزمان . خبيتي : مكثومي . وما خباته من علي ، وأصل « خبيتي » المهر ، فقلبت مهرته ياء وأدغمت فيها الياء ، كما قلت في « خاسية » . وتقول : عرضت الشيء على البيع وعرضته للبيع ، إن أتيت بعل . خففت الراء ، وإن أتيت باللام شددتها . والحقيقة : وعاء يحمله الراكب خلفه ، والاعتبار والاختبار واحد .

• • •

فَابْتَدَرُ أَحَدٌ مِنْ حَضَرَ ، وَقَالَ : أَعْرِفُ بَيْنَنَا لَمْ يَنْسَجْ عَلَى مَنَوَالِهِ ،
وَلَا سَمِعَتْ قَرِيحَةً يَمْنَاهُ ، فَإِنْ آثَرَتْ اخْتِلَابَ الْقُلُوبِ ، فَاَنْظِمِ
عَلَى هَذَا الْأَسْلُوبِ :

فَأَمْطَرَتْ لَوْلُؤًا مِنْ تَرْجِسٍ وَسَقَتْ
وَرَدًا وَعَصَتْ عَلَى الْمَنَابِ بِالْبَرْدِ

• • •

قوله : «ابتدر» ، أى سبق بالكلام وبأدريه . والمنوال : خشية الحائث ؛ يريد أن البيت رفيع الصنعة في الشعر لم يصنع يستحمله ، لأن الثوب أنواع ، وصنعة الشعر تشبه نسيج الثوب . سمحت : جادت . قرحة : ذهن . آثرت : فضلت . احتلاب القلوب : إمالها إليك بتصدقك وانخداعك بما تبديه ، وهو من الخلب وهو من غشاء القلب . وعن أبي عبيدة وغيره قال ثعلب : الخلب : الذى بين الزيادة والكبد^(١) ، قال : خلبنى حب فلان ، أى وصل حبه إلى خلبي ، وفلان خلب نساء ، أى تخليه النساء ، وخالب : يخلب الناس ، أى يذهب قلوبهم ، وخبب جمعه خلبة ، وكله من الخلب ، قال أعرابي :

مَنْ كَانَ لَمْ يَذْرِ مَا حُبَّ جَمَعَتْ لَهُ أَوْ كَانَ فِي غَفْلَةٍ أَوْ كَانَ لَمْ يَجِدْ
فَالْحُبُّ أَوَّلُهُ رَوْعٌ وَآخِرُهُ مِثْلُ الْحَرَارَةِ بَيْنَ الْخَلْبِ وَالْكَبِدِ
[انظم : قل شعرا منظوما . والأسلوب : الطريقة]^(٢) .

لولؤاً : درأ . النرجس : نوار أصفر فى نوزه انكسار وقتور لا يكاد يرى ، له ورقة قائمة ، تشبه به العينان إذا كان فى نظرها فتور .

[ذكر النرجس وما قاله الشعراء فى تشبيه العيون به]

وقد تبادى إنكار أدباء وقتنا تشبيه العين بهذا النوار الأصفر المعروف عندنا بالنرجس ، فأكثرهم ينكر أن يكون يقع به تشبيه لأجل صفته ، وإن ذكرته لأحد قال : وأى صفرة فى العين إلا أن يكون بصاحبها علة البرقان ! ويستحسن موضع التشبيه جداً .

وقد سألت عنه بعض أشياخى فى صفرى ، وأنا أقرأ عليه كتاب «الجلل» وكان أديباً شاعراً ، فأنكر وقوع التشبيه بهذا النور الأصفر ، وقال لى : النرجس عندهم

(١) مزج ٢ .

(٢) و الثان : الخلب ، بالكسر : حجاب الكبد ، وقيل : هو حجاب بين القلب والكبد

بالمشرق نَوْر يشبه نَوَار الفول . وأكثر من لقيته يستبعد التشبيه بهذا الأصغر ، لأجل لونه ، وذلك لقلة تحصيلهم معرفة كلام العرب وتشبيهاتها ، والعرب توقع تشبيهاتها على الصورة دون المعنى ، وعلى المعنى دون الصورة ، وعليهما جميعاً ؛ وهو أكمل وجوه التشبيه . وانظر أقسام التشبيه في الثالثة والعشرين تقع على علم هذا وغيره بإذن الله تعالى .

وتشبيه العيون بالسيوف والسهام ، إنما المراد به اللَّصَاء والقطع ، ولا يلتفت في ذلك إلى اللون ، وكذلك تشبيه العيون بالنَّرجس الأصغر إذا قصد ما فيه من الفتور واقع متمكِّن في التشبيه ، ألا ترى ابن المعتز التفت إلى الفتور وحده حين قال :

وَسَنَانُ قَدْ خَدَعَ الثَّمَّاسُ جُفُونَهُ فحَكَ بِمَقْلَتِهِ ذِيُولَ النَّجْجِسِ^(١)

والنَّرجس الذي يشبه به أهل المشرق العيون ، هونبات له قضبان خضري رهوسها أقاع ، يخرج منها نَوْر ينبسط منه على الأقاع ورق أبيض ، في وسط البياض دائرة قاعمة من ورق صغير . هذه الصفة التي تقع في أشعارهم إذا ذكروا النَّرجس ، وبذلك وصفه كسرى أنو شروان ، فقال : النَّرجس ياقوت أصغر ، بين دُرٍّ أبيض على زمرّد أخضر ، أخذه بعضهم فقال فيه :

وياقوتية صفراء في رأس دُرٍّ مركبة في قائم من زَبَرَجَدٍ
كأن بهي الدُرِّ عقد نظامها فريد أنيق قد أحاط بهسجود

وأشدد أبو عَوْن الكاتب في كتاب التشبيه له ، فقال : من جيد ما قيل في النَّرجس ما أشده للبرّد رحمه الله تعالى :

تَرْجِيَةً لَّا حَظِّي طَرَفُهَا تَشْبَهُ دِينَارًا عَلَى دِرْهَمٍ^(١)

وقال عبيد الله بن عبد الله فيه :

تَرْنُو بِأَبْصَارِهَا إِلَيْكَ كَمَا تَرْنُو إِذَا خَافَتِ الْيَعَافِرُ^(٢)

مثل اليواقيت قد نُظِمْنَ عَلَى زَمَرْدَ فَوْقَهُنَّ كَافُورُ

كَأَنَّهَا وَالْمَيُونُ تَرْمُتُهَا دَرَاهِمٌ وَسَطَهَا دَنَانِيرُ

وقال أبو نواس :

لَدَى نَرْجِسٍ غَضُّ الْقَطَافِ كَأَنَّهُ إِذَا مَامَنْعَتَاهُ الْعَيُونَ عَيُونُ^(٣)

مُخَالَفَةٌ فِي شَكْلَيْنِ وَصَفْرَةٌ مَكَانَ سَوَادٍ وَالْبَيَاضُ جُفُونُ

أَجَادَ التَّشْبِيهَ ، وَكُشِفَ بِذِكْرِ الْمُخَالَفَةِ قَنَاعُ الشَّبْهِ ، وَبَيَّنَ مَوَاقِعَ التَّشْبِيهِ

نِهَايَةُ الْبَيَانِ .

وقال أبو عبد الملك بن فرج في كتاب الحاس والحسوس ، له : وَأَحْسَنُ يَتَرِ

أُنْشَدْنِيهِ أَبُو جَمْرٍ الْبَنْدَادِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

مَدَاهِنُ دَرِّ بَيْنِ أَوْرَاقِ فِضَّةٍ عَلَى تَيْسٍ شَبْرٍ أَخْضَرٍ كَالزَّبْرِ جَدٍ

وقال أبو الفرج البهاء :

وَنَرْجِسٍ لَمْ يَمُدُّ مُبَيِّضُهُ إِلَّا كَأَنَّ وَلَا أَصْفَرُهُ الرَّاحَا^(٤)

تَحَالُ أَحْقَاقُ لَجْبَيْنِ حَوَتْ مِنْ أَصْفَرِ الْمُسْجَدِ أَقْدَاحَا

كَأَنَّمَا يُهْدَى الْحَيُّ بِهِ لَطْفًا إِلَى الْأَرْوَاحِ أَرْوَاحَا

(١) كتاب التشبيه ١٩١ ، نهاية الأرب ١١ : ٢٣٥ .

(٢) كتاب التشبيه ١٩١ ، نهاية الأدب ١١ : ٢٣٥ ، واليعاقبة : جمع يخور ، ومر الظن بلون التراب

(٣) نهاية الأرب ١١ : ٢٣

(٤) يتيمة الشعر ١ : ٢٧٨

ينفى عن الورد إذا مارنا ويخلف الورد إذا فاحه
وقال ابن المعتز :

كَانَ عِيونَ النَّرجسِ النَّضَّ يَبِينَا مَدَاهُنْ دَرِي يَبِينَنْ عَفِيقُ^(١)
إِذَا بَاهِنَ القَطَرِ خَلَّتْ دُمُوعُهُ بَكَاءَ عِيونِ كَعْلَهِنَّ خُلُوقُ
وقال التائي :

أَخَصَّ الصِّفَاتِ الَّتِي تَنَاولَهَا مَنْ كَتَبَ
عَمِيونَ بِلَا أَوْجُهٍ لَهَا حَدَقٌ مِنْ ذَهَبٍ
وقال ابن الرومي :

بَانِرجسَ الدُّنْيَا تَرَى أَبَدًا لِلإِفْتِرَاجِ وَدَائِمِ النَّعْبِ
ذَهَبُ المِيونِ إِذَا مَثَلْنَ لَنَا دَرِ الجُفُونِ رَبَّجَدَ النَّصَبِ
وهذه الصفة التي أثبتتها أهل المشرق للنجس، هي التي يصف بها أهل المغرب.
البهار، قال ابن أبي عامر في جارية اسمها بهار :

حَدَقُ الحِسانِ تَرَى لِي وَتَفَارُ وَتَقَلَّ فِي صِفَةِ البَهارِ تَحَارُ
طَلَمْتُ عَلَى قَضْبِ عَمِيونِ كَأَنَّمِي مِثْلَ المِيونِ تَحْنَمُهَا الأَشْفَارُ
وَأَخَصَّ شَيْءَ بِي إِذَا شَبَّهْتَنِي دَرِ تَمَنَّقَقَ سَلَكُهُ دِينَارُ^(٢)
أَهْدَى لَنَا قَضْبَ الزُّبَرْجَدِ سَاقَهُ وَحَبَاهُ أَنْفَسَ عَطْرِهِ المَطَارُ
أَنَا نَرجسٌ حَقًّا بَهَرْتُ عَقُولَهُمْ بِيَدِيعِ تَرْكِيبي قَبِيلِ بَهَارُ
يَبِينُ أَنَّ البَهارَ عِنْدَنَا ، هُوَ الَّذِي تَسْمِيهِ أَهْلُ المَشرقِ تَرْجَدًا .

(١) نهاية الأرب ١١ : ٢٣٤ .

(٢) كنف في ج ، ولفظ : « سلكو دينار » .

وقال أبو جعفر بن برد :

تأمل فقد شقَّ البهار مقلَّما كما أنه عن نوره الخضر الندي^(١)
مداهنُ تهر في أناملٍ فضية على أذرع غروطة من ذرِّجِد
وقال القسطلي^(٢) :

بهارٌ يروقُ بمكٍ ذكيٍّ وصنع بدعٍ وخلقٍ عجبٍ
غصون الزَّبرجدِ قد أوزقت بها فضة نورَت بالذهب
وقال القاضي أبو الحسن بن لبّال :

وبهارٍ يحكي كنوسَ الجُنين حملتها أناملٌ من ذرِّجِد
سارستها الكواكب الزُّهر حتى سمّت وسطها كواكبُ عنجبِد
وأشدني بعضُ أشياخنا :

انظر إلى حُسن البهارِ وغنجه يرئو إليك بمقلقٍ وسنانٍ
فكأنما هي راحةٌ من فِضة قد ضُمَّتْ كلُّها من العقيانِ
وكانَ نشرَ نسيمه غبَّ الندي يأتيك بالأنفاسِ من بقدانِ

والذي نسميه أهل المغرب نرجاً يسميه أهل الشرق بهاراً ، ولذلك قال .
الحربري في العاشرة : « وورّدتني بالبهار » ، دعا فيباع على الفلام بالحقى ، وأن .
بنعكس حمرة خده صفرة ، وقال حبيب في ذلك :

إنَّ وجهَ الحقى لوجهٌ صفيقٌ حين تسطو به نهّاراً جَهّاراً^(٣)
لم تشينُ ورْدَ وجنتيه ولكن صيرتَ ورْدَ وجنتيه بهّاراً^(٤)

(١) الأخيرة ٢ : ٤٩

(٢) هو ابن حراج ، ديوانه ٣٨ .

(٣) ديوانه ٤٤١

(٤) الديوان : « لم تشين وجهه للبح » .

وبلون النرجس يشبه أهل الأندلس المريض .

وقال أبو بكر الأبيض :

يا شا كيا صدني عن مته ألى طال اشتياقي به ليلاً فلم أتم
تضائل الدهرُ إشفاقاً على قر رقيه في سماء الجدي والكرم
لم أرض قلبى مكاناً إذ حلت به حتى خلطتك في سواديه بردي
أنت البهار ولا أدري متى خلعت عليك أيدي الليالي نرجس السقم

ولابن الزقاق :

ونزال ذى اعتدالي شعة بعد ما شق هواء الأنفاس^(١)
جارت الحصى على وجنته فاستعال الوردُ منه نرجساً

فبت بما قدمناه، أن نرجسهم بهارنا، وأن بهارهم نرجسنا . وآكد ما يدل
على صحة اشتراك البيت الذي أنشده أبو الفرج على النرجس مع بيت ابن
برْد في لفظ واحد ، أخذ ابن برْد منه صفة النرجس ، قلبه لاسم البهار
حين نظمه .

واعلم أن تشبيه العين بنرجسهم أثبت لتعلقهم بالصورة ، وأن تشبيهها بنرجسنا
أدور لتعلقه بالمعنى ، وهو مع ذلك متكّن في باب التشبيه ، وأن اسم النرجس لا بد
فيه من صفة .

وقد قال شاعر من المشرق ، وهو أحمد بن يونس الكاتب في مناقصة ابن الرومي
في تفضيله النرجس على الورد :

إِنْ كُنْتَ تَتَكَبَّرُ مَاذَكَرْنَا بَعْدَ مَا قَامَتْ عَلَيْهِ دَلَالٌ وَشَوَاهِدٌ^(١)
 انظر إلى الصغر لونا منجما وافطن فما بصغر إلا الحاسد
 فلولا ما ذكرنا من أشعارهم ، لحكنا بهذا البيت ، على أن ترجسهم هو
 ترجنا ، ومذهب ابن الرومي^(٢) تفضيله على الورد ، وهو القائل :
 وأحسن ما في الوجوه العيون وأشبه شيء بها النرجس
 والنفس تشوق إلى رؤية ترجسهم ، لأننا لم نعلم ترجسنا غير هذا الأصغر ،
 حتى نعلم بما ذكرناه أنه هو النوار المروى ، وهم أيضا يشوقون
 انظر ترجنا .

وبدل على ذلك حكاية القاضي النقيع أبو الحسن بن لبّال ، قال : خرجت
 عشية لخارج إشبيلية أيام حدائق وقراءتي بها ، فجلست في وسط واديها ، وبیدی
 كتاب أنظر فيه ، وإذا رجل يحمل حوالی ، فإذا نظرت في الكتاب بأخذ وينشد
 للأشعار التي بين أيدينا نظائر من بدیع الشعر ، فذا كرتة فوجدته بحر أدب ،
 فسألته عن موطنه ، قال : أحفظ خمسة عشر ألف بيت من الشعر ، فسألته : هل
 تنظم شيئا ؟ فأنشدني في وصف فرس ، وزعم أنه القائل :

(١) أورد النوري في نهاية الأرب ١١ : ٢٢٤٠ من شعر ابن الرومي أبياتها :

خجلت خدود الورد من تفضيله خجلا توردها عليه شاهد
 لم يخجل الورد الورد لونه إلا وناحله الفضيلة عائد
 للنرجس الفضل المين وإن أبي آب ، وحاد عن الطريق حائد
 فصل القضية أن هذا قائد زهر الريح ، وأن هنا طارد
 شتان بين اثنين : هذا موعد بتسلي الدنيا ، وهذا واعد

منع الحوافر أن تطين به الترى فكأنه في حربه متمسك
وكأن أربعة توافق طرفه فكاد تسبقه إلى ما يرمى

فاستعدت بيته، وراجعت في قوله : « تطين »، فقلت له : إنما هو « تطان »، فلم يعرف اللفظ ، وإنما تسكلم بلا همز على الحن عامته ، فجربته في غيره ، فوجدت شعره من جهة الطبع وكثرة الحفظ ، لا من جهة العلم ، فسألته عن بلاده ، فقال : أنا من العراق ، فقلت له : فما السبب الذي جاء بك إلى الأندلس ؟ فقال لي : لأرى الترجس الأصغر المذكور في أشعاركم عياناً . ودعاني إلى الإطالة في ذكر الترجس رغبة أن أرفع عن غبرى حيرة الشبهة التي أفتت فيها زماناً طويلاً ، لا أجد من يرفعها عني .

[ذكر الواواء الدمشقي وبعض شعره]

والبيت الذي اقتضى النظم على أسلوبه هو لأبي الفرج الفسافي الدمشقي ، المعروف بالواواء ، ذكره أبو منصور الثعالبي في يتيمة^(١) ، فقال : أبو الفرج من حسان الدهر ، وصاغة الكلام^(٢) .

ومن عجائب أمره أنه كان منادياً بدار البطيخ بدمشق بنادى على الزواك ، وما زال يشمر حتى جاد شعره ، ووقع له ما يروق ، ويشوق ويفوق ، حتى تعاق بالعتيق^(٣) .

وقال الفتح بن خاقان : إني انصرفت البارحة من مجلس أمير المؤمنين ، فلما

(١) يتيمة الدهر : ٢٣٦ وما بعدها .

(٢) اليتيمة : من حسنات الشام ، وصاغة الكلام .

(٣) اليتيمة : حتى يلو الدوق ، والعتيق : نعيم آخر مضى ، وطرف الهجرة الأيمن بئر التريا لا يتقدمها .

دخلت مجلسي لقيت خلافة^(١) جاريتي ، فلم أتمالك أن ، قَبَّمتها ، فوجدت ما بين
شعبيها هواء ، لو رقد المحموم فيه لأفاق . وهذا مستظرف من كلام النتح ، فقال
« لو أواء ملأ به »^(٢) :

سَقَى الله لَيْلًا طَالِبَ إِذْ زَارَ طَيْفَهُ فَأَفْنَيْتُهُ حَتَّى الصَّحَاحِ عَمَاقًا^(٣)
طَلِبَ نَسِيمٍ مِنْهُ يُسْتَجْلِبُ الْكَرَى فَلَوْ رَقَدَ الْحُمُومُ فِيهِ أَفَاقًا^(٤)
وله أيضًا :

بِاللهِ رَبِّكَما عُوْجًا عَلَى سَكَنِ وَعَاتِيَاهُ . لَعَلَّ الْقَتَبَ يَمُطُّ^(٥)
وَعَرَضًا بِي وَقَوْلًا فِي حَدِيثِكَما مَا بَالُ عَبْدِكَ بِالْهَجْرَانِ تَقْلَمُهُ !
فَإِنَّ تَبَسُّمَ قَوْلًا فِي مَلَاظِفِهِ^(٦) مَا ضَرَّ لَوْ بَوَصَالٍ مِنْكَ تُسَمِّعُهُ !
وَلَمَّا بَدَأَ لِكَمَامِنِ سَيِّدِي غَضَبٌ فَفَالطَّاهُ ، وَقَوْلًا : لَيْسَ نَعْرِفُهُ

وله في النحول :

حُومًا أَبَقَى الْهُوَى وَالشَّوْقُ مَتًى سِوَى رُوحٍ تَرَدَّدُ فِي حَيَالٍ^(٧)
حَفِيتُ عَنْ الْمَوَازِلِ أَنْ تَرَانِي^(٨) كَأَنَّ الرُّوحَ مَتًى فِي مُحَالٍ

(١) البنية : « استقبلني فلاة — يعني جارية له — فلم أتمالك أن قببتها » .

(٢) البنية : « فكان هذا مما يستحسن . ويستظرف من كلام النتح » .

(٣) ديوانه ١٦٤

(٤) الديوان : « ولو رقد المحموم » ، ويمنه هناك :

تَمَلَّكْنِي لَمَّا تَمَلَّكَ مُهْجَتِي وَفَارَقْنِي لَمَّا أُمِنْتُ فِرَاقًا

(٥) ديوانه ١٤٦ ، ١٤٧ .

(٦) الديوان : « في ملاظفة » .

(٧) ديوانه ١٨٩ .

(٨) الديوان : « عن التواكب » .

وله في الورقة :

يَا مَنْ هُوَ الْمَاءُ فِي تَكْوِينِ خِلْقَتِهِ وَمَنْ هُوَ الْخَرُّ فِي أَعْمَالِ مُقْلَتِهِ ^(١)
وَمَنْ بَرْزُقَةُ سَيْفِ اللَّحْظِ طَلَّ دَيْ وَالسَيْفُ ، مَا فَنَدْرُهُ إِلَّا بَرْزُقَتِهِ
عَلِمْتَ إِنْسَانٌ عِنَى أَنْ يَمُومَ فَقَدْ جَادَتْ سِبَاحَتُهُ فِي بَحْرِ دَمْعَتِهِ

وله أيضاً :

تَمَلَّكَتْ بِأَمْرِجِي مَهْجِي وَأَسْهَرْتُ يَا نَاطِرِي نَاطِرِي ^(٢)
وَمَا كَانَ ذَا أَمَلِي يَا مَلُولُ ^(٣) وَلَا هَجَسَ الْمَجْرُ فِي خَاطِرِي ^(٤)
فَجُذَّ بِالْوَصَالِ فِدَتُكَ الْفُوسُ فَلَسْتُ عَلَى الْمَجْرِ بِالْقَادِرِ
وَفِيكَ تَعَلَّمْتُ نَظْمَ الْقَسْرِ يَغِي فَلَقَّبَنِي النَّاسُ بِالشَّاعِرِ

وله من قصيدة :

يُقِمْ لَنَا بَرَقَ الشُّغُورِ أَدِلَّةً إِذَا مَا ضَلَلْنَا فِي ظِلَامِ الدُّوَانِبِ ^(٥)

قال : ومن بديع تشبيهاته قوله :

فَأَمْطَرَتْ لَوْلُؤًا مِنْ تَرْجِسِ ... الْبَيْتِ ^(٦) .

(١) ديوانه ٦٥ ، وبهذه :

وَمَنْ خَامَتْ عِذَارِي فِي هَرَايَ لَهُ وَمَنْ تَهْتَكُ سِثْرِي فِي مَحَبَّتِهِ

(٢) ديوانه ٩٩ ، مع اختلاف في ترتيب الأبيات .

(٣) الديوان : « يا ظلوم »

(٤) الديوان : « ولا خطر الهجر » .

(٥) من قصيدة مدح بها سيف الدولة ، وأولها :

قَفُّوا مَا عَلَيْكُمْ مِنْ وَقُوفِ الرَّاكِبِ لِنَبْذِلَ مَذْخُورَ الثَّمُوعِ السَّوَاكِبِ

(٦) ديوانه ٨٤ .

ثم قال : هذا البيت ضمته خمسة تشبيهات بغير أداة التشبيه ، وذكر المتنبي
منها أربعة فأجاد ، وهي ما ضمنها قوله رحمه الله :

بَدَتْ قَمَرًا ، وَمَاتَ حُوطًا بَانٍ ، وَفَاحَتْ عُنْبَرًا ، وَرَنَتْ غَزَالًا^(١)

وللفقيه أبي محمد بن حزم خمسة تشبيهات في بيت واحد ، ولا يقدر أحد
على أكثر منه ، إذ لا يحتمل القروض ولا أبنية الأسماء أكثر من ذلك ، قال :

حَلَوْتُ بِهَا وَالْكَأْسُ ثَالِثَةٌ لَنَا وَخَنَجُ ظَلَامِ اللَّيْلِ قَدْ مَدَّ وَأَتَانَجُ^(٢)
فَمَاءٌ عَدِمْتُ الْعَيْشَ إِلَّا بِقَرَبِهَا وَهَلْ فِي ابْتِغَاءِ الْعَيْشِ وَنَحْكَ مِنْ حَرَجٍ !
كَأَنِّي وَهِيَ وَالْكَأْسُ وَالْخَمْرُ وَالذَّجَى تَرَى وَحْيًا وَالدَّرَّ وَالتَّبْرَ وَالسَّبْجَ
وقبل بيت الواواء :

إِنْسِيَّةٌ لَوْ بَدَتْ لِلشَّمْسِ مَا حَلَمْتُ لِلنَّظِيرِينَ وَلَمْ تَتَرَبُّ عَلَى أَحَدٍ
قَالَتْ وَقَدْ فَتَكَتْ فِينَا لَوَاحِظُهَا : مَا إِنْ أَرَى لِقَتِيلَ الْحُبِّ مِنْ قَوْدٍ^(٣)
فَامْطَرُ بُلُوثًا مِنْ رَجَسٍ وَسَفْتُ وَرَدًا وَعَصَفْتُ عَلَى الثَّنَابِ بِالْبَرْدِ
ثم استمرت وقالت وهي ضاحكة :

قَوْمُوا انظُرُوا كَيْفَ فَعَلُ الطَّيْرِ بِالْأَسَدِ !^(٤)

وأول القصيدة :

لَمَّا وَضَعْتُ عَلَى صَدْرِي يَدًا لَيْدِي وَصَحْتُ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَا وَأَكْبَدِي !^(٥)

(١) ديوانه ٣ : ٢٢٤ .

(٢) طوق الحمامة ١٥ .

(٣) الديوان : ٥ كم فا أما .

(٤) سقط هذا البيت من رواية الديوان ، وموضعه هناك :

كَأَنَّمَا بَيْنَ غَابَاتِ الْجَفُونِ لَهَا أَسَدُ الْحَمَامِ مَقِيَاتٍ عَلَى الرَّصَدِ

(٥) لم يرد هذا البيت في الديوان .

وقال أيضاً :

أَتَانِي زَائِرًا مَن كَانَ يُبْدِي لِي الْمَجَرَ الطَّوِيلَ وَلَا يَزُورُ^(١)
هَظَالَ النَّاسُ لَمَّا أَبْصَرُوهُ لِيَهْنِكَ زَارَكَ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ
خَفَّتْ لَهُ وَدَمَعُ الْعَيْنِ يَحْزِرِي عَلَى خَدِّي لَهُ دُرٌّ كَثِيرُ
وَلَوْ نَصَبُوا رَحًا يَلْزَأُ عَيْنِي لَكَاتَ مِنْ مَدَامِعِهَا تَدُورُ^(٢)

* * *

قَلَمَ يَكُنْ إِلَّا كَلَمَحِ الْبَصْرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ، حَتَّى أَنْشَدَ
فَأَغْرَبَ :

سَأَلْتُهَا حِينَ زَارَتْ نَضُو بِرُقْعِهَا أَا
قَانِي وَإِيدَاعَ سَمِّي أَطِيبَ الْخَبْرِ
فَزَحْزَحَتْ شَفَقًا غَشَى سَنَا قَمَرٍ
وَسَاقَطَتْ لَوْلَا مِنْ خَائِمِ عَطْرِ

° ° °

قوله : «لمح البصر» ، يعني نظر العين إلى الشيء بسرعة ثم تغييب عنه بسرعة ،
وأصل البصر الإدراك بالعين . أغرب : أتى بفريب . نضو : كشف . الثاني :
الأحر . إيداع سمى : إعطاء أذن ، كأنه جملة وديعة عنده . زحزحت : أزال .
الشفق : حمرة الشمس بعد الغروب . غشى : غطى . سنا : ضوء . عطر : قواح
طيب التنفس . وبيت الحريري في صنعة البديع فائق ، وإن لم يأت بعدد تشبيهات
بيت أبي الراج ، وبيانه أن أبا الفرج يصف امرأة بأكية ، فيقول : إنها ثرت
دموعها على مَنْ قُلت من عشاقها ، فسقطت على خدّها قبلته ، وعصّت

على أصابعها المصبوغة بالحناء، بأسنانها، فجعل البيت كله استعارة ، قال : « فأمطرت
 لؤلؤاً » ، وهو يريد : بكت دمعاً ، وذكر نرجساً وورداً ، وهو يريد عيناً وخداً ،
 وذكر عُنَاباً وِبركاً ، وهو يريد أنامل وأسناناً ، فضمن تحت ألفاظه هذه المعاني ،
 وزاد فائدة التشبيه ؛ وهذا يفعله أهل القدرة على الشعر ، فقابل الحريري هذا
 بقوله : « نزعحت شفتاً » ، وهو يرى قناباً أحمر ، وذكر « سناقر » وهو يريد
 ضوء وجهها ، وذكر لؤلؤاً من خاتم ، وهو يريد كلاماً من فم . والبيت الثاني في
 مقابلة بيت أبي الفرج ، والأول توطئة له ، وهو يصف امرأة زارته متنقبة فسالها ،
 أن تكشف عن وجهها وتحديثه ، فأزالت قنابها ، وأسممته كلاماً حسناً من فم عطر .

[بما ورد من تشبيه الأشياء باللؤلؤ]

واللؤلؤ تشبه به الأسنان في مثل قوله :

* كأنما ييسم عن لؤلؤ رطب *

وقوله :

* يفتقر عن لؤلؤ رطب وعن برود *

ويشبه به الكلام في مثل قول البحتري :

* ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه ^(١) *

وقول الحريري :

* وساقطت لؤلؤاً من خاتم عطر *

ويشبه به الدمع ، كقول الواواء : « فأمطرت لؤلؤاً » ، وهو كثير .

ومن أحسنه قول الشاعر :

ولما وقفنا للوداع ودمعها ودمعي يُشيران الصبابة والوجد

بكت لؤلؤاً رطباً فهاضت مدامعي عقيقاً ، وصار الكل في نحرها عقداً

وقال ابن عبد ربه :

وكأنما غاص الأسى بجنونها حتى أتاك بلؤلؤ مشور

(١) ديوانه ١٢٣٠ ، صدره :

* فمن لؤلؤ تجلوه عند ابنسامة *

فأخذه الرّجاءى فحسّنه فقال :

ولم أرَ أحلى من تبسم أعين غداة الأوى عن لؤلؤ كان كاميناً
قال : فوقعت استعارة التبسم للمين موقفاً لطيفاً ، وإنما هو للشعر بسبب
توسط اللؤلؤ . والحدّاق يتحيّلون في أخذ المعاني بترك التافية والوزن ، كتول .
ابن شهيد :

ولما فشاً من دمعا بعض ميرنا إلى كاشحين والقلوب كوامم
أمرنا يملك الدموع جفوننا ليشجي بما يطوى عذول ولائم
أبى دمنا يجرى مخافة شامت فنظامه بين المهاجر ناظم
وراق الموى مناً عيون مكرمة تلحن حتى ما تروق التبايم

[من قولهم فى الامتحان]

وقال ابن شهيد فى الامتحان فأحسن :

ونبتت أقواماً تحبس صدورهم على وأنى منهم فارغ الصدر
أصاحوا إلى قولى فاسمعت منهم وغاصوا على يرمى ناعياهم أمرى
فقال فريق : ليس ذا الشعر شجرة وقال فريق كئبن الله ما ندرى
فمن شاء فليخبر فإنى لحاضر ولاشئ أجلى للشكوك من الغبر

وينظر فى هذا الامتحان ونسبة شعره فيه إلى الاعتقال ، إلى قصة أبى بكر .
ابن بّقى^(١) حين استهدى بعض إخوانه أفعلاما ، فبث إليه بثلاث من القصب -
وكتب معها :

خذها إليك أبا بكر العلاء قصبا كأنما صاغها الصّواع من ورقه
يرزق بها الطرس حسنا ما شرت به مسك اللداد على الكافور من ورقه

(١) هو أبو بكر بن بّقى ، ذكره أبو الفتح بن خالان فى الثلاث ٣٢٢ ضمن من ذكرهم
من الأدباء .

فأجابه أبو بكر بن بَقيّ قال :

أرسلت نحوي ثلاثاً من قنأ سلب ميادة تعلعن القرمطاس في ورقة
فالخط يمسكها والخط يرفها والرق يخدمها بالرق في عنقه
ففسده عليها بعض من سمعها ، ونسبه إلى الانتحال ، قال أبو بكر مخاطب
صاحبه الأول :

وجاهل نسب الدعوى إلى كلبى لما رماه بمثل النخل في حديق
فقلت من حنقي لما تعرض لي : من ذا الذي أخرج اليربوع من نفقه !
ما ذم شعري وأنتم الله لي قسم إلا امرؤ ليست الأشعار من طرقة
الشعر يشهد أنني في كواكبه بل الصباح الذي ينشق في أفقه

[بديهة السلاي]

وخرج السلاي^(١) إلى الموصل وهو صبي حين رافق البلوغ ، فوجد بها أبا عثمان
الخالدي وأبا الفرج البيماء وأبا الحسن التلمغزي وشيوخ الشعراء ، فلما رأوه هجروا
منه ، واتهموه في شعره ، قال الخالدي : أنا أكنفكم أمره . فالتخذ دعوة ، وجمع
الشعراء والسلاي معهم ، فلما توسطوا الشراب ، أخذ في التفتيش عن قدر
بصاعته ، ثم لم يلبثوا أن جاء مطر شديد وتلج وبرد عم الأرض كثرة ، فالتى
أبو عثمان الخالدي نارنجاً بين أيديهم على ذلك البرد ، وقال : يا أصحابنا ، هل لكم
في أن نصف ذلك ؟ فقال السلاي ارمجالا :

الله در الخالدي الأوحـد التذب الخطير
أهدى إله للرؤـف عنـد جهودـه نار السـعير
حتى إذا صدر العنا ب إليه من حنق الصدور^(٢)

(١) هو محمد بن عبد الله بن محمد السلاي ، نسبة إلى مدينة السلام ، أعمر أهل العراق في
عمره ، ومن ترجم لهم التاجي في النبتة ٢ : ٣٦٤ - ٣٩٨ ، والخبر في ترجمته في ابن
خلكان ١ : ٥٢٤ .

(٢) ابن خلكان : « من حر الصدور » .

بمشت إليه بذره من خاطري أوفى الشور
لا تمدُّوه فإنَّنا أهدى الخدود إلى الثُّغور
فأمسكوا عنه عند ذلك ، واعترفوا له بالفضل ، إلَّا التأمري ، فإنه أقام على
قوله فيه ، حتى قال السَّلامى فيه :

يا شاعراً بشعوره لم يشعُر
لو كنت تعرف والدًا تسو به
تاه ابنُ فائمة السُّوق على الورى
وبلادةٍ في الثَّمر تعلم أنه
وما كنتَ أوَّلَ حالبٍ لم يظفر
لم تنسبَ صفةً إلى تأمُرٍ
بذال صَفَقاتٍ ونكحةٍ أبخر
تيسٌ ولو نُصرت بطبع البُحترى
وقال فيه :

سما التأمري إلى وصالي
بناقٍ خلقه خلقي وتابى
فصنعت اللطيفة في لسانى
فإن أشمُر فما هو من رجالي
ونفس الكلب تكبر عن وصالة
فعالى أن تضاف إلى فمالة
وصنعت الخيبة في قذالة
وإن يُصنَّع فما أنا من رجالة

[من نواذر صاعد بن الحسن الريمى]

وكان المنصور بن أبي عامر قد أثبت عنده الحسدة ، أن صاعداً^(١) اللغوى.
متهم في كل ما يورده من حديث أو شعر ، فأدخلت عليه يوماً با كورة ورَّد لم
تنتج أكامها ، فقال فيها صاعد ارتجالاً :

أنتك أبا عامر ورده
ككذراء أبصرها مبصر
يدكرك الملك أفاستها
فقطت بأكامها راتها

فسر بذلك للمنصور . وكان ابن العريف حاضراً فحسده وقال : إن هذين

(١) هو صاعد بن الحسن بن عيسى الريمى ، وفد على المنصور بن أبي عامر ببغداد ،
وله منه أخبار ونواذر مشهورة في الأدب والفتة ، ابن خلكان ١ : ٢٢٩ .

البيتين لغيره ، [وقد أنشدنيهما بعض البغداديين بمصر لنفسه ، وهما عندي
على طاهر كتاب محطه ، فقال له المنصور : أرنيه . فخرج ابن العريف ، وركب
وجعل يمت ، حتى [^(١) أتى مجلس ابن برد - وكان أحسن أهل وقته بديهة -
فوصف له ما جرى فقال :

عشوتُ إني قصر عباسية وقد صرع النومُ حرَّامها ^(٢)
أحياناً ضمنتُ فيها البيتَين ، فكُتِبَها ابن العريف بخطِّ بصرى ^(٣) ، وصار بها
إلى المنصور . فاشتدَّ غيظه ، وقال : غداً أمتحنه ، إن فضحه الامتحان لم يبق في
موضع لي فيه سلطان . ^(٤) ثم أخذ طبقاً فيه ضروب من الأنوار ، وعليه جوارٍ باسمين ^(٥)
على بركة ماء حصارها الدَّر والجوهر . ودعاه في مجلس حافل ، وقال له : هذا
طبق فيه شيء ما توهمت أنه قدَّم بين يديك قبل ، فصفه فقال على البديهة :
أباعداه هل غيرك جدواك واكفُ وأعجب ما يلقاه عندك واصف ^(٥) !

(١) من الذخيرة .
(٢) بعده كما في الذخيرة :
فألقيتها وهي في خدرها وقد صرع السكر أناسها
فقلت : أسار على هجمة ؟ قلت : بلى ، فرمت كاسها
ومدَّت يديها إلى وردة يحاكى لك الطيب أنفاسها
كمذراء أبهرها مبصر ففطت بأكتافها رأسها
وقالت : خف الله لا تفضحن في ابنة عمك عباسها
فوليت عنها على عفة وما خفت ناسي ولا ناسها
(٣) الذخيرة . « مصرى » .
(٤-٤) الذخيرة : « وقد أعد طبقاً فيه سقائف من ضروب التواوير ، ووضع على السقائف
جوارى باسمين » .
(٥) الذخيرة :

* وهل غير من عاداك في الأرض خائف *

وامده :

سوق إليك الدهر كل عجيبة وأعجب ما يلقاه عندك واصف

وشائعُ نَوْرٍ صاغها هَامِرُ الحيا حُلِيًّا فَنبها عَبَمَرُ ورفارفُ
ولنا تنأى الحسن فيها تقابلتُ عليها بأنواع الملامى الوصائفُ
كثُلُ القلباءِ للمستكَنَةِ كُنَّا تظللها بالياسمين السَّائِفُ
فلم ترعيني في البلاد حديقةً تنقلها في راحتين المناصِفُ^(١)
والحكاية طولها في القسم الرابع من الذخيرة.^(٢)

وخرج معه إلى أرض الزاهرة^(٣)، فدبده إلى شىء من الترنجان بعث به ،
ورمى به إلى صاعد معرضاً بأن يصغه ، فقال :

(١) بدده في الذخيرة :

وأعجب منها أنهم نواظروا إلى بركة ضُمَّتْ إليهما الطرائفُ
حصاها اللآلى ، سابعٌ في مُبايها من الرقش مسموم اللعابين راجفُ
ترى ما نشأ العينُ في جنباتها من الوحش حتى تبيهن السلاحفُ

قال في الذخيرة بعد هذا البيت :

فاستغربت له يومئذ تلك البديهة ، وكتبها النصور بخطه ، وكان إلى ناحية سفينة فيها جارية
تجذب بمجذاف ذهب ، لم يرها صاعده فقال له النصور: أجدت إلا أنك لم تصف هذا الجارية ،
فقال :

وأعجبُ منها عادة في سفينة إذا راعها موجٌ من الماء تنقبي
مكَلَّة تصبو إليها المهايفُ بكأنها ما أنذرت العواصفُ
حتى كانت الحساء ربان مركب نصرفت في يميني يديها المجاذفُ
فلم ترعيني في البلاد حديقةً تنقلها في راحتين المناصِفُ
للى آخر الأيات .

(٢) الذخيرة ٤ : ٨ - ١١ .

(٣) الذخيرة : « إلى رمان زاهرة » .

لم أذِرْ قبلَ ترنجانٍ عُبِثَ بِهِ أنَ الزُّمَرِ قَضِيانَ وَأُورَاقُ^(١)
 مِنْ طَبِيبِهِ سَرَقَ الْأُتْرَجَ نَكَمَتُهُ يَقُومُ حَتَّى مِنَ الْأَشْجَارِ سُرَّاقُ!
 كَانَمَا الْحَاجِبُ لِلنُّصُورِ عَلَّمَهُ نَعَلَ الْجَمِيلِ فَطَابَتْ مِنْهُ أَخْلَاقُ
 مَنْ لَيْسَ بِفَعْدِهِ عَنْ سُؤْدَدٍ كَرَمٌ وَلَا يَقُومُ لَهُ فِي سُوءَةِ سَأَقُ
 وَلَهُ أَيْضًا :

بِثَّتْ إِلَيْكَ مِنْ خَيْرِي دَارِي عِزَّةَ كَالْوَانِ الْعَبِيقِ^(٢)
 تَوَكَّلْ بِالْمَكُوفِ عَلَى النَّصَابِي^(٣) وَتَصْطَادِ الْخَالِجِ مِنَ الطَّرِيقِ

فَحَارَ الْحَاضِرُونَ لِبِدَاهَتِهِ ، وَاعْتَرَفُوا بِزَاهَتِهِ . فَلَمَّا آتَسَ
 اسْتِثْنَانَهُمْ بِكَلَامِهِ ، وَانصَبَابَهُمْ إِلَى شَيْبِ إِكْرَامِهِ ، أَطْرَقَ كَطَرْفَةِ
 الْعَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ : وَدُونَكُمْ يَتَبَنَّى آخَرِينَ ، وَأَنْشَدَ :

وَأَقْبَلْتُ يَوْمَ جَدِّ الْبَيْنِ فِي حُلَلٍ
 سُودٍ تَمَضُّ بَنَانِ النَّادِمِ الْحَمِيرِ
 فَلَاحَ لَيْلٌ عَلَى صُبْحٍ أَفْلَهَمَا
 غُصْنٌ وَضُرَّتِ الْيَلُورَ بِالذَّرِيرِ
 فَمِثْلُ اسْتِثْنَانِي الْقَوْمُ قِيَمَتُهُ ، وَاسْتَغْزَرُوا دِيْعَتَهُ ، وَأَجْمَلُوا
 عَشْرَتَهُ ، وَجَمَّلُوا قِسْرَتَهُ .

(٢) القخيرة ٤ : ٤٨ .

(١) القخيرة ٤ : ١٢ .

(٣) القخيرة : « بالزوف عن الصابي » .

قوله: «لبداهته» ، أى لارتجاله وإنشاده من غير فكرة ، ويقال : بدهه بَدْهًا وبديهة وبْدَاهَة ، إذا فْهَاهُ . وبده فى كلامه : إذا لم يتفكر فيه ، وفلان حسن البديهة والبْدَاهَة ، أى الارتجال .

[مما قيل فى البديهة الحاضرة]

والقول من غير تفكير وهو عندهم مما يتدح به ، وإن كانت الإصابة غالباً فى الروية وإطالة الفكرة ، كما قال عبدالله بن وهب الراسبي للخوارج حين عقدوا له : دَعُوا الرَّأْيَ حَتَّى يَخْتَمِرَ ، فلا خير فى الرَّأْيِ الْفَإْبِرِ ، والقول القصير . وقال المنصور لكتابه : لا تبرم أمراً حتى تفكر ، فإن فكرة العاقل مرآته . تربه حسنه من قبيحه . وقال أيضاً : الحسكة نور الفكرة ، والصواب فرع الروية ، والتدبير فرع الهمة .

قال ابن الرومي :

نَارُ الرُّوْيَةِ نَارٌ جَدَّةٌ مَنْصُجَةٌ وللبدية نَارٌ ذَاتُ تَلْوِيحٍ^(١)
وقد بفضَّها قومٌ لما جالها لكنه عاجل يمضى مع الريح
وقال أشجع فى جعفر بن يحيى :
يريدُ الملوك مدى جعفر ولا يصنمون كما يصنع^(٢)
وليس بأوسعهم فى النفى ولكن معروفه أوسعُ
بداهته مثل تفكيره متى تلقه فهو مستجفَع^(٣)
وقال فيه :

بديهته وفكرته سواء إذا التبتت على الناس الأمورُ

(١) بتمام البداة ٦

(٢) من قصيدة له فى الأغاني ١٧ : ٣٧ .

(٣) الأغاني : « بديهته متى رمته » .

وقال إبراهيم بن العباس الصولي في الفضل بن سهل :

يتفنى الأمور على بديهته وتريه فكرته عواقبه
فيظال يوردها ويصدرها فلنعم حاضره وغائبه

ودخل المأمون يوماً بعض دواوينه، فرأى غلاماً جميل الصورة، على أذنه قلعة.
فقال: من أنت يا غلام؟ فقال: أنا يا أمير المؤمنين الناشيء في دولتك، والمتقلب في
نعمتك، والمؤمل بخدمتك؛ الحسن بن رجاء خادمك. فقال المأمون: أحسنت
يا غلام، وبالإحسان في البديهة تناضلت القول. ثم أمر أن ترفع مرتبته في الديوان.

قوله: «بنزاهته» أي برفعته وبعده من التهمة بسرقة الشعر. آنس: أبصر.
استثناسهم: أنسهم وتركهم الإنكار. طرقة: نظرة، قد طرُفَ يطرِفُ طرفاً،
إذا حرك جفنيه بعد النظر. دونكم: إغراء، ومعناه خذوا حذرکم واسموا. جدّة:
تحقق. البين: الفراق. بنان: أصابع. الخصر: للقطع عن الكلام عيلاً. ليل:
أراد به نقاباً أسود. صبح: وجه. أفلهما: رفعهما. غصن: قدّ. ضرست:
البثور: الأصابع. الدور: الأسنان.

[نقد شعر الحريري]

والظاهر من سياق هذين البيتين أنه قصد أن يزيدم استثناساً بأنه غير
مدّح في الشعر، ودلّ على هذا ظاهر الكلام قبل البيتين وبعدهما، وهو قد
أدرج معنى زائداً في البيت ولم يصرح به لما عليه في ذلك من التقصير عن درجة
غيره، وذلك أنه لما لم يستوفِ مقابلة بيت أبي الترج مرةً بيئته المتقدمين، استوفاه
في هذا البيت الثاني، لأنه قابل «أمطرت» بساقطت، واللؤلؤ باللؤلؤ، والرجس
بالخاتم، وهما المين والقم، وحرمة الخلد بسنا القمر، وبقي عليه زائد من قول
أبي الفرج: «وعضت على المناب بالبرد»، فقابله في هذا البيت بقوله: «وضرست».

البلور بالدر ، وجعلها تمض على أصابعها وهي بيض ، لأنه يصف امرأة شمعت
مفراق أحبابها ، فتركت الزينة واستعمال الحناء ، فلما حان وقت فراقهم ، لبست
ثياب الحزن ، وأقبلت تودّعهم تأنّفاً وتندماً على فراقهم ، ووصف الأصابع
باللّين والصنع ، وذلك مذكور في العاشرة ، وجعلها لابسة السواد ، لأنّ أهل
المشرق يلبسونه لحزنهم ، وأهل الأندلس يلبسون البياض لحزنهم ، قال الشاعر :

ألا يا أهل أندلس فظنتم بلطفكم إلى أمرٍ عجيبٍ
لبستم في ما تمكم بياضاً وجثم منه في زى غريبٍ
صدقم فالبياض لباس حزنٍ ولا حزن أشد من الشيب

وأشد أبو عثمان الأشنانداني في أبيات المعاني له :

أرعت مراتع مدرها على مجلٍ صنوين إن أفردا لم يرعيّا أبداً
واستبدلت من رياض الحزن موقّةً ثوب الأمير الذي في ملكه فعداً

عنى بمراتع مدرها شقرها ، وبصنوين مقصداً حلقته به ، ورياض الحزن
ثياباً ملوّنة ، وثوب الأمير ثوباً أسود ، لأن ملوك بني العباس لباسهم السواد ،

وعارض ابن لبّال^(١) الحريري في أبياته فقال :

ودعته ومدامى تنبل بالدّمع الطلّين
فبكت نأذرت أدمعاً في صفحة الخلد الأنين
ومضت تمض بنامها بين التلّيف والشّيبين
ورأيت مبيض اللّج بين يَمضٍ محرّ العقين

وكما عارض بيت الحريري عارض قول البحتري للتقدم :

(١) ابن لبّال ، واسمه عليّ ابن أحمد بن عليّ ، من قضاة الأندلس وشعرائها وأديانها ؛ وله
كتاب في شرح اللّغات . القرب ١ : ٣٠٣

يا بَابِي طَيِّبٌ إِذَا مَارَنَا أَنُحْنُ قَلْبِي وَفَوَادِي جِرَاحُ
بِمَقَرٍّ عَنْ طَلْعٍ وَعَنْ جَوْهَرٍ وَمِصَّةٍ أَوْ حَبِّبٍ أَوْ أَفَاحٍ
فَرَادَ عَلَيْهِ بَوْصَيْنِ .

من أقوالهم في الفراق

وعما بناظر ما تقدّم من الكاء عند الفراق قول محمد بن يوسف :
وَكَاثِمًا أَثَرُ الدَّمْعِ بِخَدَّهَا طَالَتْ تَسَاقُطُ فَوْقَ وَرْدٍ بَانِعٍ
عَذَّبَ الْفِرَاقُ لَنَا قَبِيلَ وَدَاعِنَا ثُمَّ اجْتَرَعْنَاهُ كَكْسَمٍ نَاقِعٍ
وقال ابن الرومي :

لَوْ كُنْتُ يَوْمَ الْوَدَاعِ شَاهِدًا وَهَنَ يُطْفِئُ عِلَّةَ الْوَجْدِ
لَمْ تَرَ إِلَّا دَمْعًا بَاكِيًا تَسْفَحُ مِنْ مُقْلَةٍ عَلَى خَدِّ
كَانَتْ تِلْكَ الدَّمْعُ قَطْرُ نَدَى يَقْطُرُ مِنْ نَرْحَسٍ عَلَى وَرْدٍ

وقال النابغة :

مَكَيْتَ الْفِرَاقَ وَقَدْ رَاعَنِي بَكَاءُ الْحَسْبِ لَمَعْدِ الدِّيَارِ
كَانَ الدَّمْعُ عَلَى خَدِّهَا جَمِينَةً طَالَتْ عَلَى جُلَانَارِ

وقال أبو نواس :

تَقُولُ غَدَاةَ الْبَيْنِ إِحْدَى نَائِمِهِمْ لِي السَّكِيدُ الْخَرَى فَيَسِرُ وَلَكَ الصَّبْرُ^(١)
وَفَدَّ غَلَبَتْهَا عَيْرَةٌ فَدَمَّوْعُهَا عَلَى خَدِّهَا جَمْرٌ وَفِي نَحْرِهَا صَفْرٌ

يقول: لون خدها أحمر، فتشككت الهمعة به جراً، ولون نحرها أصفر عاجي
كما قال ذو الرمة :

كأنها فضةٌ قد مَسَّها ذهبٌ فصارَ فيها للون اللمع صُفْرَتُهُ
وقيل للعباس بن محمد: ملون الماء؟ فقال: لون إنائه.

ولما ذكر الحريري الحلل السود على الجارية، تذكرت ما قال أبو عثمان
الناجم^(١) في جارية رأى عليها ثوباً أزرق :

ما تعدت قبولُ حينَ جلتَ زِيّاً شبيهاً بوجهها ذِي الضِّيَاءِ
لبتَ أزرقاً فُجِئتُ بوجهِ يشبه البدرَ في أديمِ السماءِ

ولأبي حفص بن برد في غلام بدا له في ثوب لازوردى، قال :

لما بدا في لازور دى الحرير وقد بهر^(٢)
كبرت من فرط الجفا لي وقلتُ ما هذا بشرُ
فأجابني لا تنكرف^(٣) ثوب السماء على القمَرِ

وقال ابن المعتز في غلام عليه ديباج بنفسجي :

وبنفسجي التوبقت ل محبه من حالي^(٤)
الآن صرت البدر إذ أليست ثوب جباله

قوله: «استسنى»، أي استعظم، وقد سَنَوَ الرجل، وسنا: شرف وعظم. ديمته :
كلامه بالشعر وهو دائم غير منقطع ، أو يريد بها فطنته التي تمدد بما شاء من

(١) هو سعد بن الحسين بن شعاد المعروف بالناجم الشاعر الأديب ، صاحب ابن الرومي
حرواية شعره . معجم الأدباء ١١ : ١٩ .

(٢) الفخيرة ٢ : ٣٧

(٣) برد البيان في ديوان المطبوع ، وما في الفخيرة ٢ : ٣٧ ، مع رواية مخالفة

الشعر، وأصل الديمة للطر الدائم . واستنزروها : استكثروها ووجدوها غزيرة .
أجلوا عشرته، أى أحسنوا صحبته وعاشروه بالجميل . جملوا قشرته ، أى حسنها ،
من لفظ الجمل ، أو يكون معناه : جملوا من جملت الحساب وأجلته ، أى جمعته ،
فكانهم جمعوا له شيئاً وكسوه . وقشرته : ثوبه ، لأنه قدم أن هيئته كانت رثة ،
فاحتاجوا أن يكسوه .

قال المخبر بهذه الحكاية : فَلَمَّا رَأَيْتُ تَلَهَّبَ جَذْوَتِهِ ، وَتَأَلَّقَ
جَلْوَتِهِ ، أَمَعْتُ النَّظَرَ فِي تَوَشُّمِهِ ، وَسَرَّحْتُ الطَّرْفَ فِي مِدْسِهِ ،
فَإِذَا هُوَ شَيْخُنَا السَّرُوجِيُّ ، وَقَدْ أَقَمَرَ لَيْلَهُ الدَّجُوجِيُّ ، فَهَنَأْتُ نَفْسِي
بَعُورِدِهِ ، وَابْتَدَرْتُ اسْتِلَامَ يَدِهِ ، وَقُلْتُ لَهُ : مَا الَّذِي أَحَالَ صِفَتَكَ ،
حَتَّى جَهَلْتُ مَمَرَفَتَكَ ، وَأَيُّ شَيْءٍ شَبَّ لِحْيَتِكَ ، حَتَّى أَنْكَرْتُ
حِلْيَتَكَ ! فَأَنشَأَ يَقُولُ :

وَقَعُ الثَّوَابِ شَبَّ	وَالدَّهْرُ بِالنَّاسِ قُلُبَ
إِنْ دَانَ يَوْمًا اشْخَصَ	فِي غَدٍ يَتَمَلَّبُ
فَلَا تَثْقُ بِوَمِضْ	مِنْ بَرْقِهِ فَهُوَ خَلْبُ
وَاصْبِرْ إِذَا هُوَ أَضْرَى	بِكَ الْخَطُوبِ وَالْأَلْبُ
فَا عَلَى التَّبْرِ قَارُ	فِي النَّارِ حِينَ يُقَلَّبُ

سَمِ نَحْنُ مُفَارِقًا مَوْضِعَهُ ، وَمُسْتَمِجِبًا الْقُلُوبَ مَمَّةُ .

تَلْتَبْ جَذْوَتُهُ : اشتعال جمرته وانقادهَا ؛ وأَرَادَ حَدَّةَ ذَهْنِهِ ، والجذوة : النار
 فِي صَوَفِ الْعُودِ - تَأْتِي : لِعَمَانٍ . جَلْوَتُهُ : مَا جَلَاهُ وَكَشَفَهُ مِنْ وَجْهِهِ ، وَقَوْلُ :
 جَلَوْتَ الْعُرْسَ جَلْوَةً ، إِذَا أُزِلَّتْ قَابِلِيَا ، وَأُظْهِرَتْ وَجْهِيهَا ، وَالْجِلْوَةُ بِالْكَسْرِ :
 هَيْئَةُ جُلُوهٍ حِينَ يَحْتَلِي ، وَأَرَادَ بِتَأْتِي حُلُوتِهِ رَيْقَ وَجْهِهِ . أَمَعَنْتَ : بَالَفْتَ وَأَدْمَنْتَ
 النَّظَرَ ، وَأَصْلُهُ مِنْ أَمَعَنَ فِي الْأَرْضِ إِذَا أَبْعَدَ الذَّهَابَ فِيهَا . تَوَسَّمَهُ : نَظَرَ سَمَاتِهِ ،
 وَهِيَ عَلَامَتُهُ الَّتِي يُعْرِفُ بِهَا ، وَيُرِيدُ أَنَّهُ أَدَامَ النَّظَرَ فِي نِعْمَتِهِ . سَرَّحْتَ الطَّرْفَ :
 أَرْسَلْتَ الْعَيْنَ بِالنَّظَرِ ، وَأَصْلُ الْعَارِفِ تَحْرُكُ الْعَيْنِ عِنْدَ النَّظَرِ ، تَقُولُ : طَرَفْتُ
 الْعَيْنَ طَرَفًا . وَالْعَيْنُ : الْجَارِحَةُ ، وَالتَّبَصُّرُ : مَا تَدْرِكُهُ بِنَظَرِهَا ، ثُمَّ تُسَمِّي الْعَيْنَ طَرَفًا
 لِذَلِكَ . وَمِيسَمُهُ : عَلَامَتُهُ . أَقْرَ : أَيْضًا ، فَصَارَ مِثْلُ لَوْنِ الْقَمَرِ . الدَّجُوحِيُّ :
 الشَّدِيدُ السَّوَادِ ، وَأَرَادَ نَبَاتَ شَعْرِهِ الْأَسْوَدَ .

قوله : « بِمُورَدِهِ » ، أَيِ بِتَقْدُومِهِ وَإِتْيَانِهِ ، تَقُولُ : وَرَدَ عَلَيْنَا فُلَانٌ ، إِذَا قَدِمَ
 عَلَيْكَ مِنْ بَلَدٍ آخَرَ ، وَلِلْوُرْدِ : مَصْدَرُ وَرَدَ ، وَهُوَ بِمَعْنَى الْوُرُودِ ، لِأَنَّهُ قَدَّمَ أَنَّهُ
 غَابَ عَنْهُ مَدَّةً لَا يَتَعَرَفُ لَهُ مَوْضِعًا ، وَلَا يَجِدُ عَنْهُ مَخْبَرًا ؛ حَيْثُ قَالَ : « وَاسْتَغْنَى
 عَنِّي حِينَئِذٍ » ، فَلَمَّا رَأَاهُ بِلَدِهِ بِالْبَصْرَةِ فَرِحَ بِتَقْدُومِهِ وَهَنَأَ نَفْسَهُ عَلَى ذَلِكَ .

استلزم : تَتَبَّعَ الْيَدَ . ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ : اسْتَلَمَ الْحَجَرَ ، مَعْنَاهُ أَخَذَهُ وَمَسَّهُ .
 بِيَدِهِ ، وَاسْتَلَمَ ، انْتَمَلَ ، مِنْ الْمَسَالَةِ . يَرِيدُ أَخْذَ الْحَجَرِ وَضَمَّهُ إِلَيْهِ ، أَوْ يَكُونُ
 اسْتِفْعَالٌ ، مِنْ الْأَلَمَةِ وَهِيَ السَّلَاحُ ، يَرِيدُ أَنَّهُ حَصَّنَ نَفْسَهُ بِمَسِّ الْحَجَرِ مِنَ الْمَذَابِ ،
 لِأَنَّ السَّلَاحَ إِنَّمَا يَلْبَسُ لِيُجْتَنَعَ بِهِ وَيَتَحَصَّنَ . أَحَالَ : غَيَّرَ . حَلَيْتَكَ : صَنَّتَكَ ،
 وَلِذَلِكَ احتاج أن يَمُنَّ النَّظَرُ لِمَا تَغَيَّرَتْ صِفَاتُهُ الَّتِي كَانَ يَعْرِفُ بِهَا مِنَ التَّوَسُّمَةِ
 وَالتَّيْبِيَةِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَدْ شَابَ شَعْرُهُ ، وَتَغَيَّرَتْ صِفَاتُهُ لَمْ يَعْرِفْهُ إِلَّا بَعْدَ طَوِيلٍ تَأَمَّلَ .
 وَقَالَ الْخَلَوَانِيُّ الْقَيَّوَانِيُّ :

وَلَرَبَّ بِلَكْمَةٍ رَأَتْ فِي لِحْيَتِي وَخَزَرَ الشَّيْبُ تَأَلَّقَتْ حَجَبَاتُهُ

قالت : أغضنا قد علاه فلا أرى زهر الرياض ونورت ورقاته
 فاجبتها: قارعتُ في جنبِ الهوى صرف الزمان، وهذه نكباته
 ولا بن الجدة :

نكرتُ نحولِي وهو من فرط الأسى لفرقِ إخوان على كرام
 وتمجبتُ للشيب لا تتمجبي هذا غبار وقائع الأيام
 قوله : «نأنأ يقول » أى ابتداء ، وأنشدوا :

أنشأت تطالب ما تنفي ر قد تناشبت الأظافر

أى ابتدأت تطالب . الشوائب ، أصله ما يقع في الماء الصافي من الأذى .
 فيكدره ، فأراد أن أنكاد الدهر شيبته . وقُلب : كثير التقلب ، فيحول من
 حال إلى حال . دان : طاع واثقاد . يتقلب : يتحول عن الطاعة . وميض :
 لمع خفي . خلّب : خدّاع ، لا ماء فيه ، وأراد : لا تثق بالدهر ، إذا ما كسبت
 فيه شيئاً من المال فإنه يحول عنك ولا يترك لك منه شيئاً . أضرى : أغرى
 وألصقها بك ، وأصل «أضرى» من ضراوة الكلب ، تقول ضرى الكلب
 بالصيد ؛ إذا تعلم الصيد ، وأضرته أنا بمعنى عرضته للصيد . والخطوب :
 الأمور الشداد . وألب : حشد ، أى اصبر للشدائد إذا أضرها الدهر بك
 وحشدها ، فما عليك في ذلك عيب ، كما أن الذهب يُسبك بالنار وهو مع ذلك
 عزيز القدر . والتبر : الذهب قبل سبكه ، وانظر هذا المعنى عند قوله في
 السابعة والأربعين :

وحالاً أصليّ الياقوت جمرَ غضى ثم انطقا الجمر والياقوتُ ياقوتُ

وزاد الآخر في المعنى فقال :

إني أنا الذَّهَبُ المَحْمِيُّ ومُخْبِرُهُ يزيد في السَّيِّئِ المَدِينَارِ دِينَارًا -

وأنشدوا :

اضْبِرْ عَلَى نُوبِ الزَّمَانِ ن فَهَكَذَا مَضَتِ الدُّهُورُ
فَرَحٌ وَحُزْنٌ تَارَةً لا الحزن دَامَ ولا المُرورُ

المقامة الثالثة وهي الدنيارية

رَوَى الْحَارِثُ بْنُ مَهْمَرٍ قَالَ : نَظَمَنِي وَأَخْدَانَا لِي نَادٍ ، لَمْ يَخْبِ
فِيهِ مَنَادٍ ، وَلَا كَبَا قَدَحُ زَنَادٍ ، وَلَا ذَكَّتْ نَارُ عِنَادٍ ؛ فَبَيْنَا نَحْنُ
تَجَاذِبُ أَطْرَافِ الْأَنَاشِيدِ ، وَتَوَارِدُ طُرْفِ الْأَسَانِيدِ ، إِذْ وَقَفَ بِنَا
شَخْصٌ عَلَيْهِ سَمَلٌ ، وَفِي مِشْبَتِهِ قَزَلٌ .

• • •

نَظَمَنِي ، أَي جَمَعَنِي . أَخْدَانَا ؛ أَي أَحْبَابَنَا . نَادٍ : مَجْلِسٌ . مَنَادٍ : مُتَكَلِّمٌ .
كَبَا : شَحَّ وَلَمْ يَبْدُ نَارًا . قَدَحُ : ضَرْبٌ . زَنَادٌ : حَدِيدَةُ النَّارِ ، وَزَنَادُ الْعَرَبِ
مِنْ خَشَبٍ ، وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ مِنَ الرِّيحِ وَالْعَفَارِ ؛ وَإِنَّمَا هُوَ أَنْ يُؤْخَذَ عُودٌ
قَدْرَ شِبْرٍ ، فَيُثَقَّبُ فِي وَسْطِهِ ثَقْبٌ لَا يَنْفِذُ ، وَيُؤْخَذُ عُودٌ آخَرُ قَدْرَ ذِرَاعٍ ، فَيُحْدَثُ
طَرَفُهُ ، وَيُجْعَلُ ذَلِكَ فِي الثَّقْبِ ، وَقَدْ وَضَعَهُ رَجُلٌ بَيْنَ رِجْلَيْهِ ، فَيُدِيرُهُ وَيَفْتُلُهُ ،
فَيُبِيدِي النَّارَ ، فَالْأَعْلَى زَنْدٌ وَالسُّفْلَى زَنْدَةٌ ، وَالزَّادُ جَمْعُ زَنْدٍ . قَوْلُهُ : « ذَكَّتْ » ، أَي
اشْتَعَلَتْ . عِنَادٌ : خِلَافٌ ، يُرِيدُ أَنْ هَؤُلَاءِ الْأَصْحَابُ لِحَسَنِ أَدْبِهِمْ وَمَنَاطِرَتِهِمْ
لَيْسَ بَيْنَهُمْ خِلَافٌ ، وَهُمْ عُلَمَاءٌ لَا يَسْقُطُ مِنْ كَلَامِهِمْ شَيْءٌ ، وَلَيْسَ فِيهِمْ جَاهِلٌ ،
فَيَكُونُ كَلَامُهُ قَالِيلَ الْإِصَابَةِ . وَالْأَنَاشِيدُ : مَا يَقْتَنَاشِدُونَهُ مِنَ الْأَشْعَارِ بَيْنَهُمْ ، كَأَنْ
وَاحِدَهَا أَشْوَدَةٌ . وَتَجَاذِبُ أَطْرَافَهَا ، يُرِيدُ الْمَشَارَكَةَ فِي إِنْشَادِهَا ، أَي إِذَا أُنْشِدَ
أَحَدُهُمْ شِعْرًا لِيُغْرِبَ بِهِ شَارِكُوهُ فِي إِنْشَادِهِ لِحَفَظِهِمُ الْأَشْعَارَ ، فَكَأَنَّهُمْ تَجَاذِبُوهُ كَمَا
يُتَجَاذَبُ بِأَطْرَافِ الثَّوبِ . وَالْأَسَانِيدُ : الْأَخْبَارُ الْمُسْتَدَّةُ إِلَى أَهْلِهَا . وَأَصْلُ التَّوَارِدِ ،
مَزَاحِمَةُ الْإِبِلِ عَلَى شَرْبِ الْمَاءِ ، فَجَعَلَ مِثْلَ مِشْبَتِهِمْ فِي ضَبْطِ غَرَائِبِ الْأَخْبَارِ

كتوارد الإبل على الماء ، واليارف : الفرائب ، واليارفة : الشيء العجيب من كل شيء ، الذى لا يوجد له نظير . سَمَل : ثوب خلق ، وأكثر ما تقول العرب : ثوب أَسْمال وأَخْلَاق ، فيوصف بالجمع لأنه قِطْعٌ متفرقة . وسَمَل : قايلى ، وفي تبذل اللباس روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله يحب المتبذل الذى لا يبالى بما لبس » . قَزَل : عرج .

فقال : يا أخاير الدخاير ، وبشائر المشائير ، هموا صباحاً ، وأنعموا واصطباحتاً ، وانظروا إلى مَنْ كَانَ ذَا نَدَى وَنَدَى ، وَجِدَّةٍ وَجَدًا ، وَعَقَارٍ وَقَرَى ، وَمَقَارٍ وَقَرَى ، فَتَا زَالَ بِهِ قَطُوبُ الْخَطُوبِ ، وَحُرُوبُ الْكُرُوبِ ، وَشَرَرُ شَرِّ الْحُسُودِ ، وَانْتِيَابِ الثُّوبِ الشُّودِ ، حَتَّى صَفِرَتِ الزَّاحَةُ ، وَقَرِعَتِ السَّاحَةُ ، وَغَارَ الْمَنْبَعُ ، وَبَا التَّمْرِجُ ، وَأَقْوَى التَّمَجُّعُ ، وَأَقْصَى التَّمْضِجُ ، وَاسْتَحَالَتِ الْحَالُ ، وَأَعْوَلَ أَلْيَالُ ، وَخَلَّتِ التَّرَابِيطُ ، وَزَحِمَ الْغَابِيطُ ، وَأَوْدَى النَّاظِقُ وَالصَّائِمُ ، وَرَدَى لَنَا الْحَاسِدُ وَالشَّائِمُ .

قوله : « يا أخاير الدخاير » ، الأخاير : جمع أخير ، كما يقال : أكبر وأكبر ، والاستعمل خير وشر ، ولا يقال : أخير ولا أشر إلا شاذاً . وإن كان هو الأصل ، ولكنه رفض استعماله وجاء الجمع على الأصل ، لأنه يرد الشيء إلى أصله وقال رؤبه :

• بلال خيرُ النَّاسِ وابنُ الأخيرِ •

فَنَطَقَ بِالسَّعْمَلِ لَشَبْرَتِهِ ، وَبِأَصْلِهِ وَهُوَ قَلِيلٌ ، فَإِذَا تَمَجَّبُوا مِنْ ذَلِكَ قَالُوا :
 حَا أَخِيرَ فَلَانًا ، وَمَا أَشْرَ فَلَانًا . وَالذَّخَاثِرُ : جَمْعُ ذَخِيرَةٍ ؛ وَهِيَ الشَّيْءُ النَّفِيسُ الْغَالِي
 يَصُونُهُ الْإِنْسَانُ وَيَعْتَدُّهُ لِمَآئِنِهِ . الْبَشَاثِرُ . جَمْعُ بَشَارَةٍ ، وَقَدْ بَشَّرَتِ الرَّجُلَ بَشَارَةً
 إِذَا أَدَخَلَتْ عَلَيْهِ السَّرُورَ . وَالْعَشَاثِرُ : جَمْعُ عَشِيرَةٍ ، وَهِيَ قَرَابَةُ الرَّجُلِ مِنْ قَبِيلَتِهِ ،
 يَقُولُ : أَنْتُمْ أَرْفَعُ الذَّخَاثِرِ ، وَخَيْرُهَا ، وَأَنْتُمْ يَسْتَبْشِرُونَ لِقَائِكُمْ بِرُؤُوسِكُمْ ، وَيَتِيَامِنُ
 بِلِقَائِكُمْ ، وَيَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَصِلُونَهُ وَتَكْرُمُونَهُ ؛ لَيْسَتْ عَظْمُهُمْ بِهَذَا الْكَلَامِ . عَمَّا
 صَبَاحًا : دَعَاءُ لَمْ بِالنِّعْمَةِ فِي الصَّبَاحِ ، أَيْ جَعَلَكُمْ اللَّهُ تَنَعُّمُونَ فِي صَبَاحِكُمْ .
 وَعَمَّا : أَمْرٌ مِنْ وَعَمَ يَمُمُ ، وَهِيَ فِي مَعْنَى نَعِمَ يَنْعَمُ . وَأَنْعَمُوا اصْطَبَاحًا ، أَيْ طَابَ
 شَرْبُكُمْ فِي الصَّبَاحِ وَتَنَعَّمْتُمْ بِهِ ، وَالْإِصْطَبَاحُ : أَنْ يُصْبِحُوا وَهُمْ يَشْرَبُونَ . نَدَى :
 عَجَسُ اجْتِمَاعٍ ، أَيْ هُوَ شَرِيفٌ يُقْعَدُ وَيُجْتَمَعُ عِنْدَهُ . نَدَى : كَرَمٌ . جَدَى : عَقْلِيَّةٌ .
 الْقَعَارُ : الْمَالُ الَّذِي لَا يَنْتَقِلُ كَالنَّخْلِ وَالْأُزْزِجِ . قَرَى : جَمْعُ قَرِيَةٍ .
 مَقَارٍ : جَفَانٌ يُتَرَى فِيهَا الْأَصْيَافُ ، أَيْ يَطْمُونَ فِيهَا . وَالْقَرَى : طَعَامُ الضَّيْفِ .
 قَطُوبٌ . عُبُوسٌ . الْخَطُوبُ : الشَّدَائِدُ . الْحُرُوبُ : الْقِتَالُ . النُّكُوبُ : الْهَمُومُ ،
 قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا أَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَقُولُهُ مَكْرُوبٌ إِلَّا فَرَجَ اللَّهُ عَنْهُ ، كَلِمَةً
 أَخِي يُونُسَ : ﴿ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ... ﴾ الْآيَةُ » .

وَمِنْ كَلَامِ ابْنِ الْمَعْتِزِ : الْحَوَادِثُ الْخَفِيَّةُ مَكْسِبَةٌ لِحُظُوظٍ جَزِيلَةٍ ، وَثَوَابٌ مَدْخَرٌ ،
 وَتَطْهِيرٌ مِنْ ذَنْبٍ ، وَتَنْبِيهٌُ مِنْ غَفْلَةٍ ، وَتَعْرِيفٌ بِقَدْرِ النِّسْمَةِ ، وَمَرُورٌ عَلَى مَقَارِعَةِ
 الدَّهْرِ ، وَإِذَا اسْتَرَجَعَ اللَّهُ مَوَاهِبَ الدُّنْيَا كَانَتْ مَوَاهِبَ الْآخِرَةِ .

غَيْرِهِ : لَوْلَا حَوَادِثُ الْأَيَّامِ ، لَمْ يَعْرِفِ صَبْرَ الصَّكْرَامِ ، وَلَا جَزَعَ

اللَّسَامِ .

وقال أبو تمام :

والخادئاتُ وإن أصابك بُوسُها فهو الذي أنباك كيف نعيمها^(١)

الحسود : الممتنى إهلاك مالك ، وإذا رأى لك خيراً تمنى إزالته ، يريد أن
الحسود اتبع ماله بالعين حتى أهلكه ، وقلما يوجد الذي يرمى بالعين إلا حسوداً .
انتياب : نزول وقصود . التوب : النوازل . قوله ، « صغرت » ، أى خلت من الدراهم .
الراحة : باطن الكف . قرعت : خلت من المال وصارت قرعاء . والساحة :
فناء الدار ، والساحة عند العرب : الرحبة التى تُخلق بها البيوت ، وأراد أنها خلت
من الإبل والبقر والغنم وغير ذلك . غار المنيع : جف الماء النافع ، والمنيع : موضع
المنيع . الربيع : المنزل فى الربيع . ونبا : بأهله : وجد نبوة ، أى ارتقاها غير وطى .
فلم تمكن الإقامة فيه . أقوى : خلا . الجمع : موضع الاجتماع . أقصر : حشّن .
وصار فيه القَصَص ، وهى الحجارة . والمضجع : موضع رقاذه ، وأخذه من قول
أبى ذؤيب :

أَمْ ما جنبك لا يلائمُ مضجَعاً إلا أقصر عايِدَ ذلك المضجع^(٢)

وكنى بهذه الألفاظ عن تنفير الأحوال وذهاب المال .

وساق الكلام مساق حكايات الأعراب ؛ منها أن أعرابياً وقف بقوم ، قال ::
أشكو إليكم أيها اللأ زماناً أناخ على بكل كلة بمد نعمة من الببال ، وثروة من
المال ، وغبطة من الحال ، أفتمايى جديدها بنبل مصائبه ، عن قسي نوائبه ، فاترك لى .
راغية أجتدى ضرعتها ، ولا تاغية أرتجى نعمها ، فهل فيكم من معين على صرته ،
أو مُعَدِّ على حتفه !

(١) ديوانه ٣١٠

(٢) ديوان الهذليين ٢ .

وقد ذكرنا منها جملة في الثالثة والثلاثين . وحكى أبو عليّ في نوادره
حكاية عن أبي زيد اللقويّ على لسان أعرابيّ يشبه كلام الحريريّ هنا في سياقه
وكثير من الألفاظ ، فيقول : إنّ المنع الذي كنا نعيش به نحن وأموالنا قد
ذهب ، فهلكنا بذهابه . والربيع : وهو موضع الخصب ، صار نبوة لا يثبت شيئاً ،
فلم نجد الإبل ما ترعاه فهلكت ، وإذا هلك المال هلك صاحبه ، والجالس التي
كنا نجتمع فيها ، هلك أهلها فخلّت ، ومضجعنا الذي كان موطاً بالفرش أقصّ
فامتنع من الإضجاع عليه .

قوله : « استعالت ، تغيرت » . وحال الرجل : ما هو عليه من خير أو شرّ
أو غنى أو فقر ، والحال أيضاً : المال . أعول : بكى ، وعيال الرجل : من يفتقر إليه
في مؤنته ونفقته ، واحدهم عيال . الرابط : الواضع التي تربط فيها الخيل وتُخَبَس .
الغابط : الذي يتمنى مثل مالك ولا ينقص منه شيء . أودى : هلك . الناطق :
للمال من الحيوان مثل الإبل والبقر والغنم ، وكل ما يملك من ذى روح ؛ سميت
بذلك لأصواتها ، والناطق كل حيوان له صوت . والصامت : الذهب والفضة .
والتاخ : رنى : بكى . وأشفق الشامت : الذي يُسرّ بمصيبتك ، ومنه تشميت العاطس ،
وهو إدخال السرور عليه بالدعاء ، وقد شمت به شماتة وشماتة ، فهو شامت إذا
سرّ ببلاء ينزل به . والحاسد ، هو الحسود .



[فصل في الحسد وما قيل فيه]

والحسد أولّ ذنب عُصِيَ الله به في السماء والأرض ، أما في السماء فحسد
إبليس آدم ، وأما في الأرض فحسد قاييل هابيل .

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: (رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضْلَلْنَا مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ) ^(١): إنهما قاييل وإبليس، فالجسد حمل إبليس على الكفر، وحمل قاييل على قتل أخيه .

وقال علي رضي الله عنه : لا راحة لحسود ، ولا أخ للول ، ولا محبة لسيئ . الخلق .

وقال رجل لخالدين صفوان : إني أحتبك ، قال : وما يمنعك ، ولست لك بجارٍ ولا أخٍ ولا ابن عمٍ ! يريد أن الحسد موكل بالأذننين .

الحسن البصري : ما رأيت ظالماً أشبه بمظلومٍ من حاسد بنفسه دائم ، وحزن لازم ، وغيرة لا تنفد .

معاوية : كل الناس أقدر على أن أرضيهم إلا حاسد نعمة ، فإنه لا يرضيه إلا زوالها .

المبرد : حدثنا الزبدي ، قال : يقال : ستة لا تخطبهم الكتابة : فقير حديث عهد برفق ، ومكثير يخاف على ماله التلف ، والحسود ، والحقود ، وطالب مرتبة فوق قدره ، وخليط أهل الأدب وليس منهم .

قال الأصمعي : اجتمع ثلاثة حساد ، قال أحدهم لصاحبه : ما بلغ من حسدك ؟ قال : ما اشتبهت أن يفعل بمسلم خير قط ، قال الثاني : أنت رجل صالح ، ولكني ما اشتبهت أن يفعل بي خير قط ، قال الثالث : ما في الأرض خير منكما ، ولكني ما اشتبهت أن يفعل أحد بأحد خيراً قط .

قال : وأنشد الشاعر :

كَلِمَةُ الْعَدَاوَةِ قَدْ تُرْجِي مَوَدَّتَهَا إِلَّا عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ مِنْ حَسَدٍ

وقال حبيب :

هو إذا أراد الله نشر فضيلة
طويت أتاح لها لسان حود^(١)
تولا اشتعال النار فيما جاورت
ما كان يُعرف طيبُ عرفِ العود

وقال القاضي ابن عمر :

نهاني حلي قتا أظلم
وعز مكاني قتا أظلم
ولا بد من حاسدٍ قذبه
بنور ما ثرنا مُظلم
رحمت حسودى على أنه
يذب بي ثم لا يرحم
أنانا الحسود ولسنا كما
يقول ولكن كما يعلم

وقال البائي :

إني لأرحم حاسدي لفرط ما
ضمت صدورهم من الأوغار
نظروا صنيع الله بي فعميونهم
في جنة وقلوبهم في نار
لا ذنب لي قد رمتكم فواضلي
فكاننا برقعها بنهار
قوله : « رثي لنا الحاسد والشامت » : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ارحموا
ثلاثاً : غنى قوم افتقر ، وعزيز قوم ذل ، وفتية يلبس به الجهال » .
قال الشافعي : خمسة مرحومون : عزيز ذل ، وغنى قل ، وحبيب مل ، ونصيح
كل ، وفتية ضل .

وقال الشافعي : ومن حديث وائلة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« لا تظهر الشامة بأخيك ، فيمات به الله ويتأليك » ، وأخذه الحريري من قول الآخر :

لم يبق إلا نفس خافت
ومفرم توقد أحشاؤه
ومثلة إنسانها باهت
بالنار إلا أنه ساكت
رق فما في جسمه مفصل
إلا وفيه سقم ثابت

يَرِنِي لَهُ الشَّامِتُ نِمًا يَدُ يُلَوِّحُ مَنْ يَرِنِي لَهُ الشَّامِتُ !

وَأَلْ بَنَّا اللَّحْمُ الرُّوْقُ ، وَالْفَقْرُ الْمُدْقُ ، إِلَى أَنْ احْتَذَيْنَا الْوَجَى .
وَأَعْتَذَيْنَا الشَّجَا ، وَاسْتَبَطْنَا الْجَوَى ، وَطَوَيْنَا الْأَخْشَاءَ عَلَى الطَّوَى ،
وَاسْتَحْلَيْنَا السُّهَادَ ، وَاسْتَوَطْنَا الْوَهَادَ ، وَاسْتَوَطْنَا الْقَتَادَ ، وَتَنَاسَيْنَا
الْأَقْتَادَ ، وَاسْتَعْلَيْنَا الْحَيْنَ الْمَجْتَا ، وَاسْتَبَطْنَا الْيَوْمَ الْفِتَا ، قَهْلُ .
مِنْ حُرِّ آسٍ ، أَوْ سَمْعِ مَوَاسٍ ! فَوَالَّذِي اسْتَخْرَجَنِي مِنْ قَيْلَةٍ ،
لَقَدْ أَمْسَيْتُ أَخَا غَيْلَةٍ ، لَا أَمْلِكُ بَيْتَ لَيْلَةٍ .

قال الحارث بن مَهم : فَأَوَيْتُ لِتَفَاقِيرِهِ ، وَلَوَيْتُ إِلَى اسْتِنْبَاطِ
فَقِيرِهِ ، فَأَبْرَزْتُ دِينَارًا ، وَقُلْتُ لَهُ اخْتِبَارًا : إِنْ مَدَحْتَهُ نَظْمًا ، فَهُوَ
لَكَ حَتْمًا ، فَابْهَرِي مُنْشِدُ فِي الْحَالِ ، مِنْ غَيْرِ اتِّعَالٍ .

قوله : « آل بنا » أي رجع بنا ، وقد آل بنيل ويشول ، أي رجع . الموضع :
المهلك ، من أوقع به ، ويحتمل أن يريد بالموقع الذي يحمله على الوقوع ، ورجل موقع
إذا اشتكى ألم رجله . المدقع : المصق بالدقما ، أي التراب ، أي لم يترك للإنسان
شيئًا يسطه غير التراب . احتذينا : اتعلمنا . الوجى : توجع باطن القدمين من الحفا ،
يريد أنه ليس مكان النعال الحفا حتى توجعت قدماه . الشجى : ما يمرض في
الحلق ، وكفى بهذا عن سوء الحال ، لأن الشجى ليس بذا . إنما هو مشقة وتعب .
ولكن بالغ في وصف سوء حاله ، فقال : إنه ينعمل مالا ينعمل ، ويقتدى ما ليس

بذاء ، أى ليس ثم امتثال ولا غداء . استبطنا ، أى جعلناه فى بطوننا . الجوى :
فساد الجوف . والأحشاء : ماقى الجوف وماحشى به . الطوى : الجوع ، وقد
طوى بطوى ؛ لأن الأحشاء إذا امتلأت من الطعام انتشرت ، وإذا فرغت منه
انطوى بعضها على بعض . والشهاد : امتناع النوم ، من قول الشاعر :

ما لمبى كُحِلَتْ بالشَّهَادِ ولجنى نايًا عن وسادى

استوطنا : سكننا واتخذناه موطنًا . الرهاد : ما انخفض من الأرض . استوطنا :
وجدناه وطئًا . القناد : شجر له شوك شديد يستى عندنا خض الأمير . الاتحاد :
خشب الرِّحال ، يريد أنهم نوا ركوب الطايا بعد عهدهم بها ورجعوا الآن يمشون
على الشوك فيجدونه وطئًا . الحنين : الموت . المجتاح : من لفظ الجوامح ، يريد به
المتأصل للأموال . استبطنا : وجدناه بطى . الحى . اللتاح . القدر ، يريد أن يوم
موتهم تمتوه لشدة ما قاسوا ، وأبطأ عليهم . آسى : طيب يطب علة الفقر والجمع
الأساة . سمح : كريم . والمواسى : الممين . وذكر عاصم فى شرح قوله : « يواسى »
فى كريهته أخاه ، أن معناه ، جعله أسوة نفسه ، فواسى من الأسوة ، كأنه يشاركه
فى ماله . ويقال : آسيت ، والأصل الممز .

المفضل : معنى فلان يواسى فلانا ، يشاركه ، والمواساة المشاركة ، وآساه :
شاركه فيما هو فيه .

مؤرَّج : ما يواسيه ، أى ما يصيبه بخير أصلا .

غيره : معناه يموضه من مودته وقرايته شيئاً ، من الأوس وهو العوض .

قال الشاعر :

فلا زَمَيْتَكَ مِثْقَلاً أَوْ سَأْوَيْسُ مِنَ الْمَبَالَةِ^(١)

(١) المانـمبل ، ونسب إلى أسماء بن خارجة؛ وفيه أن البالة اسم ثالة أسماء بن خارجة .
ورواية المان : « لأحسانك » .

والهباله: اسم ناقة، أى أرميك منهم يكون عَوْصًا عن الناقة. وَكَانَ أَصْلُهُ
يُؤَاوِسُهُ، قَدَمُوا السِّنَّ وَهِيَ لَامُ الْفَعْلِ، وَأَخْرَوْا الْوَاوَ وَهِيَ عَيْنُهُ، فَصَارَ «يُؤَاوِسُهُ»
فَقَلَّبْتَ الْوَاوَ يَاءَ لَانْكَسَارِ مَا قَبْلَهَا، فَهِيَ مِنَ الْقُلُوبِ، وَإِنْ جَعَلْتَهُ مِنْ أَسْوَتْ
الْجَرَحِ، إِذَا أَصْلَحَتْهُ فَلَا قَلْبَ فِيهِ.

قوله: «فَوَالَّذِي اسْتَخْرَجَنِي مِنْ قَيْلَةٍ»، قَيْلَةٌ هِيَ أُمُّ الْأَوْسِ وَالْخَزْجِ، وَهِيَ بَنَتْ
الْأَرْقَمَ النَّسَائِيَّةَ، وَانْتَسَبَ لَهَا كَانْتِسَابِهِ قَبْلَ إِلَى أَقْيَالِ غَتَّانَ. أَخَا عَيْلَةٍ: صَاحِبُ
فَقَرٍ، قَالَ تَمَالَى: «وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً»^(١)، أَيْ فَقْرًا، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَعُوذُ
بِكَ مِنَ الْقِسْوَةِ وَالْفَعْلَةِ وَالْعَيْلَةِ وَالْمَسْكِنَةِ». بَيْتٌ لَيْلَةٌ: قَوْتُ بَيْتٍ عَلَيْهِ لَيْلَةٌ.

أَوَيْتُ: أَشْفَقْتُ وَحَنَنْتُ. مَفَاقرُهُ: جَمْعُ فَقَرٍ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ - وَمِثْلُهُ مَذَاكِيرُ
الرَّجُلِ جَمْعُ ذَكَرٍ: مُحَاسِنُهُ وَمَسَاوِيهِ. لَوَيْتُ: انْعَطَفْتُ. اسْتَنْبَاطٌ: اسْتِخْرَاجٌ.
الْفَقْرُ فِي النَّثْرِ: فَوَاصِلُهُ، وَهِيَ مِثْلُ الْقَوَافِي فِي النَّظْمِ، وَالْفَقْرُ: مَا تَقَدَّمَ فِي الْمَقَامَةِ مِنْ
الْكَلَامِ الْمَفْقَرِ. أَبْرَزْتُ: أَظْهَرْتُ. حَمًا: وَاجِبًا، يَرِيدُ أَنَّهُ قَصْدٌ إِلَى أَنْ يَحْقُقَ
مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْفَصَاحَةِ فِي فَقْرِهِ إِنْ كَانَتْ لَهُ أَوْ انْتَعَلَهَا، فَقَالَ لِيَخْتَبِرَهُ: امْتَدَحْ هَذَا
الدَّبِيرَ بِشِعْرِ. فَاغْبِرْ، أَيْ اعْتَزْضِ وَتَقَدَّمْ. انْتَحَالَ: ادَّعَا مِنْهُ فِي شِعْرِ عِبْرَةٍ،
يُقَالُ: انْتَحَلَ كَذَا، أَيْ أَلْزَمَهُ نَسَبَهُ، وَجَمَلَهُ كَالْمَلِكِ، مِنَ النَّحْلَةِ، وَهِيَ الْهَيْبَةُ
وَالْمُطِيبَةُ.

أَكْرِمَ بِهِ أَصْفَرَ رَأْفَتِ صُفْرَتِهِ	جَوَابَ آفَاقِ تَرَامَتِ سَفْرَتِهِ
مَأْثُورَةً مُمَتُّهُ وَشَهْرَتُهُ	قَدْ أَوْدَعَتْ سِرَّ الْغِنَى أَسْرَتُهُ
وَفَارَزَتْ نُجْجَ الْمَسَاعِي خَطَرَتُهُ	وَحُبَيْبَتِ إِلَى الْأَنَامِ غُرَّتُهُ
كَأَنَّا مِنَ الْقُلُوبِ نَقَرَتُهُ	بِهِ يَصُولُ مَنْ حَوَتْهُ صُرَّتُهُ

وَإِنْ تَفَانَيْتَ أَوْ تَوَانَيْتَ عِزَّتُهُ يَا حَبِذَا نُضَارُهُ وَقَرَّتُهُ
وَحَبِذَا مَفْنَاتُهُ وَنُصْرَتُهُ كَمْ أَمْرٍ بِهِ اسْتَنْبَتَ إِمْرَتُهُ
وَمُتَرَفٍ لَوْلَاهُ دَامَتْ حَسْرَتُهُ وَجِدْشِ هَمٍّ هَزَمَتْهُ كَرَّتُهُ
وَبَدْرِ نِجْمٍ أُنْزِلَتْهُ بَذَرَتُهُ وَمُسْتَشْيِطٍ تَتَلَطَّى جَحْرَتُهُ
أَسْرَ نَجْوَاهُ فَلَانَتْ شِرَّتُهُ وَكَمْ أَسِيرٍ أَسْلَمَتْهُ أَمْرَتُهُ
أَنْقَذَهُ حَتَّى صَفَتْ مَسَرَّتُهُ وَحَقَّ مَوْلَى أَبْدَعَتْهُ فِطْرَتُهُ
* لَوْلَا التَّقَى لَقُلْتُ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ *

• • •

قوله: «اكرِّم به»، معناه ما اكرمه . راقى . أعجبت . جواب آفاق :
قطاع بلاد . ترامت سفرته : بَعُدَتْ غَيْبَتُهُ ، وَتَمَّتِ السَّفَرُ سَفَرًا ، لِأَنَّهُ يُسْفَرُ عَنْ
أَخْلَاقِ الرِّجَالِ ، أَيْ يَكْشِفُهَا وَيُبْضَحُهَا ، أَخَذَ مِنْ قَوْلِهِمْ : سَفَرَتِ الْمَرْأَةُ عَنْ
وَجْهِهَا ، إِذَا كَشَفَتْهُ وَأَخْطَرَتْهُ ، وَيُقَالُ لِلْمَكْنَسَةِ : مِسْفَرَةٌ ، لِأَنَّهَا تُسْفَرُ التُّرَابَ
عَنِ الْمَوْضِعِ ، وَسَفَرُ بَيْتِهِ ، كَنَسَهُ . مَأْثُورَةٌ : مَحْدُوثٌ بِهَا . سَمِعْتُهُ : ذَكَرَهُ السَّمْعُ .
أَوْدَعَتْ : ضَمَّتْ . أَسِيرَتُهُ : خُطُوطُ وَجْهِهِ ، أَرَادَ هَشَهُ ، وَأَنْ يَبِينَ أَسْطَارُهُ سِرًّا
الْفَنَى ، فَمَنْ مَلَكَهُ مَلِكُ الْفَنَى . قَارَنْتَ : سَاوَيْتَ : النِّجَاحُ : ضِدُّ الْخَلِيَةِ . السَّاعَى :
الْمَشَى فِي طَلَبِ الْحَوَائِجِ . الْأَنَامُ : الْخَلْقُ . غُرَّتُهُ : وَجْهُهُ ؛ قِيلَ لِأَبِي الزِّنَادِ : مَا لَكَ
تَحِبُّ الدِّرَاهِمَ وَهِيَ تَدْنِيكَ مِنَ الدُّنْيَا ؟ قَالَ : إِنَّمَا وَإِنْ أَدْنَيْتَنِي مِنَ الدُّنْيَا ، فَقَدْ
صَانَنِي عَنْهَا ، وَالنَّقْرَةُ : الْقِطْعَةُ لِلْسَّبُوكَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، قِيلَ أَنْ يَطْبَعُ مِنْهَا
الدِّرَاهِمَ وَالذَّنَانِيرَ ، وَأَرَادَ : كَأَنَّمَا قَطَعْتَ هَوْرَتَهُ مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ لَشَدَّةِ حُبِّهِمْ
فِيهِ . وَالنَّقْرَةُ ، إِنَّمَا تَسْتَعْمَلُ مِنَ الْفِضَّةِ ، وَاسْتَعْمَلَهَا فِي الذَّهَبِ لِقُرْبِ مَا بَيْنَهُمَا .
وَأَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الْبَحْتَرِيِّ :

فكل قلب إليه متصرفٌ كأنه من جميعها خلقاً^(١)

أو من قول ابن الرومي :

به أمست الأهواء يجمعها هوى كأن نفوس الناس في حبه نفس

أو من قول المتنبي :

في خطئه من كل قلب شهوة حتى كأن مداده الأهواء^(٢)

بصول : يقهر ويقلب ، وصال الشجاع على قرينه ، والفحل على إبله ، والجار على أخته صولاً ، إذا قهر وعلا وصاحبها . الصرة : الخرقه تصرف فيها الدراهم . حوته : ختمته ، يريد أن من ملك الدينار صال به على زمانه . تقانت : هلكت . توانت : أبطأت وضعت عن نصرته . عترته : قرابته الأذنون . نصاره : ذهبه . نصرته : حسنه . مغانته : منابه ، يقال فلان يفنى مغانتك ، أي ينوب منابك ، ويقوم مقامك ، يريد أنه ينوب عن الإنسان في المضايق وينصره . استتبت : تمت واستقامت ، والمستتب : العاريق البين ، قال الشاعر :

* على مستتب كالجرة تعمل *

إمرته : ولايته . مترف : منعم . حسرته : تفجعه ، وحزنه . كرتته : رجسته ، وبدرتيم : القمر ليلة الكمال ؛ ويريد به شخصاً يشبه البدر في حسنه ورفعته ، فإذا بعثت في طلبه الدينار أنزلته عن مرتبته وتملكته ، والبدر : عشرة آلاف درهم . مستشيط : غضبان : تتلظى : تلهب . جهرته : شدة غيظه . أسر : أخفى . نجواه : حديثه سراً . شرته : حدته وغضبه ، يقول : كم من غضبان شديد الغيظ ، مثل

(١) تعلق ديوانه ٢٦١٥ .

(٢) ديوانه ١ : ٢٠ ، والأهواء : جمع هوى ، مقصور ، وهو المحبة .

حَاكِمٌ يَصُولُ بِصَاحِبِ جَنَابَةٍ وَيَهْدُهُ ، إِذَا رُئِيَ بِالْدِينَارِ وَبُعْثَ إِلَى سِرٍّ أَزَالَ
غَضَبَهُ ، وَسَكَنَتْ حِدَّتَهُ . أَسْلَمَتْهُ ، تَرَكَتْهُ . أَسْرَتْهُ : قَوْمَهُ . مَسْرَتْهُ : فَرْحَهُ .
أَبْدَعَتْهُ : أَوْ جَدَّتْهُ قَبِيلٌ أَنْ يَكُونَ . فَطَارَتْهُ : خَلَقَتْهُ . التَّقَى : الْخَوْفَ . جَلَّتْ : عَظُمَتْ .

ثُمَّ بَسَطَ يَدَهُ ، بَعْدَ مَا أَنْشَدَهُ ، وَقَالَ : أَنْجَزَ حُرٌّ مَا وَعَدَ ،
وَسَجَّ خَالٌ إِذَا رَعَدَ . فَنَبَذْتُ الدِّينَارَ إِلَيْهِ ، وَقُلْتُ : خُذْهُ غَيْرَ مَأْسُوفٍ
عَلَيْهِ ، فَوَصَّمَهُ فِي فِيهِ ، وَقَالَ : بَارِكِ اللَّهُمَّ فِيهِ ، ثُمَّ شَمَّرَ لِلانْتِثَاءِ ،
بَعْدَ تَرْوِيْقِهِ الثَّنَاءِ .

[قصة المثل : أنجز حرٌّ ما وعد]

قوله : «أنجز حرٌّ ما وعد» ، هذا مثل ، قاله الحارث آكل اللرار - وهو جدُّ
أمرئ القيس - لصخر بن نهشل بن دارم ؛ وذلك أن الحارث قال : يا صخر ، هل أدلك
على غنيمة على أن لي خمسها ؟ قال نعم ، فدلّه على قوم من العرب ، فأغار عليهم صخر
بقومه ففلقروا وغنموا ، فحملهم صخر على أن يعطوا الحارث الخمس ، فأبوا ؛ وكان
طريقهم على شجعات - وهى ثنية متضايقة - فلما دنوا منها صار إليهم صخر حتى
قعد على رأسها ، ومنهمم الجواز أو يعطوا الحارث الخمس ، فقال حمزة اليربوعي :
والله لا نعطيهِ من غنيمتنا شيئاً ؛ ومضى في الثنية ، فحمل عليه صخر فقتله . فلما
رأى ذلك الجيش أعطوه الخمس ، ففى ذلك يقول نهشل بن حرّى بن منبج
ابن نهشل بن دارم :

وَنَحْنُ مِنْعَا الْجَيْشَ أَنْ يَتَأَوَّيُوا عَلَى شَجَعَاتٍ وَالْجِيَادِ بَنَاتِ تَجْرِي
حَبْسَانَهُمْ حَتَّى أَقْرَتُوا لِحَكِينَا وَأَدَّى أَقَالَ الْخَيْسَ إِلَى صَخْرٍ

فَعْنَى «أَنْجِزْ حُرَّ مَآوَعِدٍ» ^(١) أَحْضَرْ وَهَيَّأْ. وَقَدْ نَجَزَ الشَّيْءَ إِذَا حَضَرَ، وَلَهْظُهُ:
لَفْظُ الْخَبَرِ، وَمَعْنَاهُ الْأَمْرُ، أَرَادَ لِيَنْجِزَ حُرَّ مَآوَعِدٍ.

سَحَّ : صَبَّ وَأَمْطَرَ . خَالَ : سَحَابٌ يَحْيَلُ لَكَ أَنَّ الْمَطَرَ فِيهِ . رَعَدَ : صَوَّتَ ؛
يَقُولُ ابْنُ هَمَامٍ : إِنَّ السَّحَابَ إِذَا سَمِعَ الرِّعْدَ سَحَّ بِالْمَطَرِ ، وَأَنْتَ قَدْ أَسْمَعْتَنِي ذِكْرَ
الدِّينَارِ ، وَوَعَدْتَنِي بِهِ ، فَأَنْجِزْ لِي وَعْدِي .

نَبَذْتُ : رَمَيْتُ . مَأْسُوفٌ : مُحْزُونٌ . بَارِكْ : أَيْ ضَعِ الْبَرَكَةَ فِيهِ ، وَقَوْلُهُمْ :
تَبَارَكَ اللَّهُ ، أَيْ تَقَدَّسَ وَتَطَهَّرَ ، وَقِيلَ : هُوَ «تَفَاعَلَ» مِنَ الْبَرَكَةِ ، أَيْ الْبَرَكَةُ تَنَالُ .
بِذَكَرِ اسْمِكَ . الْإِثْنَاءُ : الرَّجُوعُ . تَوْفِيَةُ الثَّنَاءِ : كَمَالُ الشُّكْرِ وَاللِّدْحِ .

[مِمَّا قِيلَ فِي وَصْفِ الدِّينَارِ]

وَمِمَّا قِيلَ فِي وَصْفِ الدِّينَارِ وَمَدْحِهِ :

وَمُقَسَّمِ الْوَجَنَاتِ يَبْرُقُ وَجْهُهُ بَادٍ عَلَى وَجَنَاتِهِ عِبَادُ
جَبَلِ الْأَنْامِ عَلَى نَحْبَةٍ حِينِهِ فَكَأَنَّهُ رَبٌّ وَمُحْمٌ عِبَادُ
وَفِي مَقَامَاتِ الْبَدِيعِ فِي وَصْفِهِ .

يَا حَسْبَهَا فَاقِعَةٌ صَفَرَاهُ مَشْرِقَةٌ مَمْشُوشَةٌ قَوَرَاهُ ^(٢)
يَكَادُ أَنْ يَقْطُرَ مِنْهَا الْمَسَاءُ قَدْ أَثْمَرَتْهَا هَمَّةٌ عَلَيَاهُ
يَا ذَا الَّذِي بَفَيْتَهُ الثَّنَاءُ مَا يَنْقِضِي بِقُدْرِكَ الْإِطْرَاهُ

* امْضِ عَلَى اللَّهِ لَكَ الْجَزَاءُ *

(١) جَهْرَةُ الْأَمْثَالِ ١ : ٣٠ ، فَصْلُ الْمَقَالِ ٧٩ ، الْفَاخِرُ ٦٩ .

(٢) مَقَامَاتُ الْبَدِيعِ ٩٢ ، وَفِيهَا : « مَمْشُوقَةٌ » بِدَلِّ « مَمْشُوقَةٌ » ..

[فصل في الوعد ومذاهب الناس فيه]

وإد قد فرغت من شرح ألفاظه في إنجاز الوعد في المثل ، وما اتصل به ،
فلنذكر مذاهبهم في ذلك .

فأكثرهم على إنجاز الوعد ، وقد ذكر فيما هو مستقبل :

* وبع أجلاً منك بالعاجل *

وقال : وإذا خُبرتَ بين دُرّة منقودة ، ودُرّة موعودة فَميلُ إلى النقد .
وقال جرير :

إني لأرجو منك خيراً عاجلاً والنفسُ مولعةٌ بحبِّ العاجلِ ^(١)
قال آخر :

ولا شكَّ أنَّ الخَيْرَ منك سَجِيَّةٌ ولكنَّ خيرَ الخيرِ عندي المَعْجَلُ
وقال آخر :

أتى زائراً من غير وعدٍ وقال لي : أَجَلْتُكَ عَنْ تَعْذِيبِ قَلْبِكَ بِالْوَعْدِ

وبعضهم يرى أن يكون بين الوعد والإنجاز مهلة ؛ ومنه أن منصور بن زياد
كلم يحيى بن خالد في حاجة رجل ، قال له : عذمه عني قضاءها ، قال منصور بن زياد :
وما يدعوك إلى العدة مع القدرة ! فقال : هذا قول من لا يعرف موقع الصنائع
من القلوب ، إن الحاجة إذا لم يتقدمها وعد يُنتظر به نجحها ، لم تتحدث النفس
بسرورها ؛ إن الوعد مطعم والإنجاز طعام ، وليس من فاجأ طعام كمن وجد
رائحته وتطعمه ثم طعمه ، فدفع الحاجة تختمر بالوعد ، ليكون لها عند المصطانع
حسن موقع ولطف محل .

(١) ديوانه ٤٩٥ ، من قصيدة له في مدح عمر بن عبد العزيز .

(١٠ - شرح مقامات الحريري ١)

قال ابن الكلبي لمشام بن عبد الملك : يا أمير المؤمنين ، لاتصنع إلى معروفاً حتى تعدني به ، فإنه لم يأتني منك سب على غير وعد إلا هان على قدره ، وقل مني شكره ، فقال له : لِمَ قلت ذلك ، وقد قال سيد قومك أبو مسلم الخولاني : إن أنجح المعروف في القلوب ، وأبرده على الأكباد معروف غير منتظر بوعده لا يكدره مَطل .

ووعده المهدي^(١) عيسى بن دأب جارية ثم وهبها له ، فأنشده عبد الله بن مصعب الزيري [قول مضرّس الأسدي]^(٢) :

ولا تياسن من صالح أن تناله وإن كان قدماً بين أيدي تبادره
 فقال : يُدفع لعبد الله جارية أخرى ، قال الزيري :
 وأنجز خير الناس من قبل وعده أراحك من مَطل ومن طول كدّه
 قال له عيسى بن دأب : ما صنعت شيئاً ! هلاً قلت :
 حلاوة النضل بوعده ينجز لا خير في العرف كنهب يُنهز
 قال المهدي :

الوعد أحسن ما يصكو ن إذا تقدّمه ضمان
 وقال بعض البلغاء : دع الوعد يركض ثلاثاً ، فإن كثير العطاء قبل الوعد قليل ، وجلبله حثير .

وقال يحيى بن خالد : من لم يبت مسروراً بوعده ، لم يجد للصنعة مطعماً .
 وفيه قول أبو قابوس النصاراني :

رأيت يحيى أتمّ الله نعمته عليه يأتي الذي لم ياتِه أحد
 ينسى الذي كان من معروفه أبداً إلى الرجال ولا ينسى الذي يمدُّ

(٢) من معجم الأدباء .

(١) ط : د المهدي ، تحريف .
 (٢) المعجم في معجم الأدباء ١٦ : ١٥٤

وقال الخارثي :

وما رَوْضَةٌ دَارِيَّةٌ أَسَدِيَّةٌ مَنَّمَةٌ زَهْرَاءُ ذَاتُ ثَرَى صَعْدِ
بِأَحْسَنَ مِنْ حُرِّ تَضَنِّ حَاجَةٍ لَحْرٌ ، فَأَوْفَى بِالنَّجَاحِ مَعَ الْوَعْدِ

وقال ابن رشيقي :

أَحْسَنَ فِي تَأْخِيرِهَا مِثْنَةً لَوْ لَمْ تَوْخَرْ لَمْ تَكُنْ كَامِلَةً^(١)
وَكَيْفَ لَا يَحْسُنُ تَأْخِيرُهَا بَعْدَ يَقِينِ أَنَّهَا حَاصِلَةٌ !
وَجَنَّةُ الْفَرْدُوسِ يَدْعَى بِهَا آجَلَةٌ لِلْمَرْءِ ، لَا عَاجِلُهُ

وقال رجل لأبي عمرو بن العلاء: وعدتني بأمر فلم تنجزه ! فقال أبو عمرو :
« من أولي منا بالعتب ؟ أنا وإلا أنت ! قال : أنا ؛ قال أبو عمرو : لا والله بل
أنا ، قال : وكيف ؟ قال : لأنني وعدتك وعداً فأنت تفرح بالوعد ، فبِتَ لَيْلَتُكَ
جذلاً نَـسْرُوراً وبِتَ أنا بهم الإنجاز ، فبِتَ لَيْلَتِي منكراً مغموماً بما علق الدهر
من بلوغ الإرادة فيه ، فليقتني مدلاً ولقيتك مستحيياً .

واعتذر بعض الرؤساء لأبي علي البصري من تأخر وعد ، قال : في شكر
ما تقدّم من إحسانك شاغل عن استبطاء ما تأخر منه .

فَلَنَشَأَ لِي مِنْ مُكَامَلَتِهِ نَشْوَةٌ غَرَامٍ ، سَهَّلْتُ عَلَى اتِّنَافِ
اغْتِرَافٍ ، فَجَرَّدْتُ دِينَارًا آخَرَ وَقُلْتُ لَهُ : هَلْ لَكَ فِي أَنْ تَذُمَّهُ ، ثُمَّ
تَضُمَّهُ ؟ فَأَنْشَدَ مَرْتَجِلاً ، وَشَدَّ عَجِلاً :

قوله : « قشأت » ، أى ظهرت وبدت . فكاهة : مزاح . نشوة غرام : سكر
شوق ، والغرام : الحب للعذب للقلب . اتقناف : استقبال . اغترام : غرم . ثم
ذكر أن يذمه ثم يصفه ، وقد نظمها الزاهد بن عمران فى قوله :

إنَّ اللّوْنةَ والحسْبَ كلاهما قرنا بهذا الدَّرمِ للذمِّومِ
كَلِفِ الأَنامِ بذمِّه وبضمِّه فتعجبوا للذمِّ مضمومِ

وقال ابن شرف فى الدينار والدرم :

أَلَا رَبُّ شَيْءٍ فِيهِ مِنْ أَحْرَفِ اسْمِهِ نَوَاهٍ لَنَا عَنْهُ وَزَجْرٌ وَإِنذارُ
فُتِنًا بِدِينَارٍ وَمِنْهَا بِدَرَمٍ وَآخِرُ ذَاثِمٍ ، وَآخِرُ ذَا نَارُ

وقال ابن رشيق :

صَحَّفْتُ دَالِيْنَ مِنْ دِيْنَةٍ اِرِ يُلُوْحُ وَدَرَمٍ
نَقَالَ لِي ذَلِكُمْ « ذَى » نَارٌ وَذَا قَالَ : « دَرَمٍ »

وابن رشيق وابن شرف أديبا القيروان ، يجمعهما البلد والزمان ، وكانا
مرّة يتصاحبان ، ومرّة يتباغضان .

وقال ابن رشيق فى مدح الدينار والدرم :

صديقُ المرءِ كالدينارِ طيباً وكيف يفارق المرءَ الطباعاً !
تراه إذا أقام يقسمُ جاهاً وإن فارقته أجدى انتاعاً .
أخذه من قول كُشاجم :

ومريدٍ من أباء ومهينٍ من أجلة^(١)
فهو كالدينار لا يُك حرمٌ إلا من أدلة

وَقَالَ آخِر :

«النَّارُ آخِرُ دِينَارٍ نَطَقَتْ بِهِ وَالْهَمُّ آخِرُ هَذَا الدَّرْهِمِ الْجَارِي
وَالْمَرْءُ مَا لَمْ يَفِدْ مِنْ غَيْرِهِ وَرَعًا حَقَّمِ الْقَلْبَ بَيْنَ الْهَمِّ وَالنَّارِ

قوله : «مرتجلا» ، أى من غير تفكر . شدا : ابتداء الفناء وطرب بنشيد .



تَبَا لَهُ مِنْ خَادِعٍ مُمَازِقٍ أَصْفَرَ ذِي وَجْهَيْنِ كَأَلْمَازِقٍ
يَبْدُو بِوَصْفَيْنِ لِمَنِ الرَّامِقِ زِينَةُ مَعشُوقٍ وَلَوْنُ فَاشِقِ
يُوجِبُهُ عِنْدَ ذَوِي الْحَقَائِقِ يَدْعُو إِلَى أَرْتِكَابِ سُخْطِ الْخَاطِقِ
لَوْلَا لَمْ تُقَطَّعْ عَيْنُ سَارِقٍ وَلَا بَدَتْ مَظْلَمَةٌ مِنْ فَلَاسِقِ
وَلَا اشْمَازٌ بِاخِلٍّ مِنْ طَارِقٍ وَلَا شَكَا الْمَطُولِ مَطْلَ الْعَائِقِ
وَلَا اسْتَعِيدَ مِنْ حَسُودٍ رَاشِقٍ وَشَرُّ مَا فِيهِ مِنَ الْخِلَاقِ
أَنْ لَيْسَ يُبْنِي عَنْكَ فِي الْمَضَاقِ إِلَّا إِذَا فَرَّ قِرَارَ الْآبِقِ
وَاهَا لَيْنٌ يَشْدِفُهُ مِنْ حَالِقٍ وَمَنْ إِذَا نَاجَأَ نَجْوَى الْوَامِقِ
قَالَ لَهُ قَوْلَ الْحَقِّ الصَّادِقِ : لَا رَأَى فِي وَصْلِكَ لِي فَقَارِقِ



تبا : أى خسرأ . مماذق : لا يصفو وده لصاحبه ، وقد مذق وده ، إذا لم
يخلصه ، ومذق اللبن : خلطه بالماء ، والمذيق : الخلوط . أصفر ذى وجهين ، قال

أبو هريرة رضى الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «شر الناس ذو الوجهين، يأتى هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه».

ووقع هذا في نثر البديع، قال في مخاطبة أبي الفتح عيسى^(١): أظمتاً تريد؟ قلت: إى والله، قال: أخصب رائدك، ولاضل قائدك، ففتى عزمت؟ قلت: غداة غد، فقال:

صباحُ الله لا صبحُ انطلاقٍ وطيرُ الوصل لا طيرُ انقراقٍ
وقال السعد لا يمدوك دأباً بصاحبكم إلى يومِ التلاقي^(٢)

فأين تريد؟ قلت: الوطن، قال: بُلغت الوطن، وقضيت الوطن، ففتى. المود؟ قلت: القابل، قال: طويت الربط^(٣)، وثنيت الخيط، فأين أنت من الكرم؟ قلت: بحيث أردت، قال: إذا رجعت الله سالماً من هذا العاريق؛ فاستصحب لى عدواً في ثياب صديق، من نجار الظفر، يدعو إلى الكفر، ويرقص على الظفر، كدائرة العين، يحيط بقل الدين، وينافق بوجهين. أعلمت أنه يلتمس ديناراً، قلت: ذلك لك قدماً، ومثله وعداً، فأنشأ يقول:

رأيتك مما خطبتُ أعلى لا زلت للكرُمات أهلاً
صلبتُ عدواً، ودمتُ فرداً^(٤) وطبت فرعاً وطبت أصلاً
يا واحد الدهر والمعالى لا لقي الدهر منك نُكلاً

قوله: «عدواً في ثياب صديق» من قول أبي نواس:

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشفت له عن عدوٍّ في ثياب صديق^(٥)

قوله: «الرامق» أى الناظر، ورمقت الشئ رمقاً أتبعته النظر إليه. وزينة:

(١) عيسى بن هشام صاحب البديع المصنفي في المقامات ص ٢٢ و ٢٣ .

(٢) هذا البيت ساقط من المقامات . (٣) الربط : جمع ربطة ، ومى اللامه .

(٤) المقامات : « جودا »

(٥) ديوانه ١٩٢ .

المشوق التي في الدينار : نقشه وتزيينه ، ولون العاشق : صفته ، فالناظر في الدينار يرى في الظاهر زينة فيهبوا ، فيقع على ما وقع عليه باطن العاشق من المذاب والفرام ، ويدل على ذلك صفته الظاهرة عليه . وقال ابن ظفر : زينة المشوق غرور مدعاة إلى التهور في الفرام ، ولون العاشق وهو الأصفر دليل على ما أسر من شاغل الكاف ، فالناظر ينظر من الدينار مثل زينة المشوق مجردة عن عاقبتها ، فيصيده الهوى ، والعاقل ينظر منه إلى لون العاشق ، فيستدل على باطن الجوى . ذوى الخنائق ، يعنى أهل الرشد والعلم ، والذين ينظرون إلى ما في الدنيا بعين الحقيقة .

ثم لولا حب الدنيا ما سرق السارق ، فيستوجب قطع يده ، أو بعض أعضائه ، واليد يجب قطعها بربع دينار ذهب . ومن مآخ السرقه أن الجاحظ حتى أن رجلا كان أحدهما أيمن ، والآخر أعسر ، فكان الأيمن يفخر على الأعسر ، فأخذا في سرقة ، فقطعت أيمنهما ، فكان الأعسر يعمل بيساره أعماله كلها ، والأيمن لا يستطيع أن يعمل بيساره شيئا ، ففخر الأعسر عليه بذلك ، فقال له الأيمن : ما علمت أن للأعسر فضيلة إلا أن يسرق فيؤخذ فتقطع يمينه .

القاسق : الخارج عن الطاعة إلى ركوب المصيبة أو عن الإيمان إلى الكفر ، أخذ من نسقت الرطوبة ، إذا خرجت من قشرها . وقال قوم : القاسق الجائر ، واحتجوا بقوله تعالى : ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾^(١) ، أى جار ، عنه قال رؤبة :

يَهْوَيْنِ فِي نَجْدٍ وَغَوْرٍ غَاثِرَا فَوَاسِقًا عَنْ قَصْدِهَا جَوَائِرَا^(٢)

(١) سورة الكهف ٥٠

(٢) الفائق ، اللسان - فسق

اشمأز : اقبض . باخل : شحيح ، وبخيل أكثر من باخل . طارق : قاصد
 بليل . أنطل : تأخير الحق الواجب ، وأصله من مَطل التين الحديد في النار ، إذا
 مدّه وطوّله . العائق : الحائس ، وقد عاقه عن الشيء إذا حبسه . راشق : عائن ،
 وأصله الرامى ، فجعله للذى يصيب الناس بعينه . واستميد : قرى عليه للموذن ،
 وهما : « قل أعوذ برب الفلق » ، و « قل أعوذ برب الناس » . الخلائق : الطبائع ، وأحدثها
 خليفة . الأبق : المارب ، وأبق العبد بأبق إياقاً : زال عن مولاه . وفى معنى
 فراق الدينار قول الأخطل :

ومعشوق يرقص كل يوم ترى فى وجهه أبدأً كلاماً^(١)
 إذا فارقتك أجداً خيراً ولا يجدى عليك إذا أقلاماً
 وهذا من قول الحسن البصرى ، وقد رأى رجلاً بقلب درهماً ، فقال له :
 أتعجب درهمك هذا ؟ قال : نعم ، قال : فإنه ليس لك حتى يخرج من يدك .
 واهماً : تعجب ، معناه ما أعجب من بذهبه . حلق : جبل أملت منيف .
 ناجاه : حدثه سرّاً . الوامق : الحب ، وقد ومق يمين مقة . الحق : القائل الحق .

فَقُلْتُ لَهُ : مَا أَغْزَرَ وَبَلَكَ ! فَقَالَ : وَالشَّرْطُ أَمْلَكَ ،
 فَفَعَّحْتُهُ بِالْدينَارِ الثَّانِي ، وَقُلْتُ لَهُ : عَوِذُهَا بِالسَّانِي ، فَأَلْقَاهُ
 فِي فَمِهِ ، وَقَرَنَهُ بِتَوَمِيهِ ، وَأَنكَفَأَ بِحَمْدِ مَفْدَاهُ ، وَنَدَحُ
 النَّادِي وَنَدَاهُ .

° ° °

قوله : « ما أغزر وبلك » ، أى ما أكثر بلاغتك . وأملك : ألزم وأحق ،
 يريد أن شرطك الذى شرطت من إعطائى ديناراً آخر إن ذمته ، قد لزمك

بذئى له. والشرط أملاك مثل^(١)، وأول من قاله الأفي الجرمي، وكان حكيماً للعرب، فتعاكم إليه خصمان، فاشترط أحدهما وأراد ألا يلتزمه، فقال الأفي: الشرط أملاك، وتقديره الشرط أملاك لأمرك منك.

نفتحه: رميته. عوذها: رقاها. والثاني: أم القرآن، سميت بذلك لأنها تنفي في الصلاة، واحتصتها لأنه أشار عليه أن يحمد الله على أخذ الدينار، فكانه يقال: اقرأ الحمد لله رب العالمين، شكراً لله عليهما وتعويذاً لهما.

وهذا كما قال ابن رشيقي في غلام جميل:

ممتلئ القامة والقدر مورد الوجنة والخذ
لو وضع الورد على خذه ما عرف الخذ من الورد
قل للذي يعجب من حسنه اقرأ عليه سورة الحمد
وله في مثله:

شكوت بالحب إلى ظالي فقال لي مستهزئاً: ما هو!
قلت: غرام ثابت، قال لي: اقرأ عليه «قل هو الله»

وقال أبو عبيد: الثاني في كتاب الله ثلاثة أشياء: القرآن، سماء الله الثاني نفي قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْمُنَافِقَةُ﴾، وسمى القامحة «مثنى» في قوله: ﴿سَبْعًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ﴾ وروى عثمان وابن عباس وابن مسعود عنه صلى الله عليه وسلم: «إن المثنى من السور ما دون المئين»، كأنها جعلت مبادئ والتي تليها مثنى.

قوله: «بتوهم»، أي بأخيه، يعني الدينار الأول. انكفاً: انقلب وولى، معناه بكوره وسيره في الندوة. النادى ونداء: المجلس وكرم أهله.

[فصل في مدح الشيء وذمّه]

و نريد أن نأتى بفصل في مدح الشيء وذمّه على أحكم ما مدح الحريرى.
الدينار وذمّه ، وتبين مذهب العرب وأهل الأدب في ذلك ، فقد ألف ابن رشيق
فيه كتاباً جابت في هذا الكتاب عيونهم .

قال أبو عثمان الجاحظ: العربى يعاف الشيء ويهجو به غيره ، فإن ابتلي به فخر
به ، ولكنه لا ينخر به لنفسه من جهة ما هجا به غيره ، فانهم هذا ؛ فإن الناس
يفعلون على العرب ، ويزعمون أنهم يمدحون بالشيء الذى يهجون به ، وهذا
باطل ؛ ليس شئ إلا وله وجهان ، فإذا مدحوا ذكروا أحسن الوجهين ، وإذا
ذموا ذكروا أقبح الوجهين .

قال ابن رشيق : وأكثر ما تجرى هذه المادح والمذم على جهة المناقعة ،
لا على جهة المناصفة ، ومن باب المساخطة لا من باب الشاحنة ، وإلا فالشيء
لا يوافق ضده ، فيكون الحسن قبيحاً في حالة واحدة ، والمدح ذماً لمعنى واحد ،
لكن لكل شئ - كما ذكر الجاحظ - مساوئ ومحاسن ؛ كما فعل عمرو بن الأهتم
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد استشهد الزبرقان بن بدر على
ما ادّعه من الشرف في قومه ، قال عمرو : أجل يا رسول الله ، إنه مانع حوزته ،
مطاع في أُنديته ، شديد المارضة . فقال الزبرقان : أما والله لقد علم أكثر مما
قال ؛ ولكن حسدنى شرفى ، فقال عمرو : أما وقد قال ما قال ، فوالله ما علمته
إلا ضيق الطعن زمر الرواة^(١) ، ثم الخال ، حديث الفنى . فرأى الكراهة
في عين رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما اختلف قوله ، قال : يا رسول
الله ، رضيت فقلت أحسن ما علمت ، وغضبت فقلت أقبح ما علمت ؛ وما كذبت
في الأولى ، ولقد صدقت في الثانية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من البيان
لسحراً ، وإن من الشعر لحكمة^(٢) .

وكتب يزيد بن معاوية في صدر كتابه إلى عبيد الله بن زياد - وقد ولّاه
مহারبة الحسين بن على - رضى الله عنهما - وكان قبل ذلك يسى - رأى فيه : أما
(١) زمر الرواة: قليلها ، وقط: «زمن» تحريف . (٢) جهرة الأمثال ١ : ١٣ ..

بعد ، فإن السبب يوما مدوح ، وإن المدوح يوما مسيوب .
ويروى أن عيسى عليه الصلاة والسلام لم يعب شيئا قط ، فمرة يوما بكلب ميت ،
قال أصحابه : ما أنتن ريحه ! فقال عيسى عليه الصلاة والسلام : ما أحسن
بياض أسنانه !

وقالت للحضين بن منذر امرأة : كيف سدت وأنت دميم بخيل ! قال :
لأني سديد الرأي ، شديد الإقدام .

وقال مسلمة بن عبد الملك لأخيه هشام : كيف تطاع في الخلافة وأنت
بخيل ، وأنت جبان ! فقال : لأني حليم ، وأنا غفيف ؛ فسلم لعائنه ما ادعاه من
من مساوئه ، وذكر من محاسنه ما لم يَنَازَع فيه .

صعد خالد بن عبد الله القسري منبر مكة يوم الجمعة ، وهو أمير الوليد بن
عبد الملك بن مروان ، فأثنى على الحجاج خيراً ، فلما كانت الجمعة الثانية وقد
مات الوليد ، ورد عليه كتاب سليمان يأمره بشتم الحجاج وذكر عيوبه ، وإظهار
البراءة منه ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن إبليس كان يظهر
من طاعة الله عز وجل ما كانت الملائكة ترى له به عليهم فضلاً ، وكان الله قد
علم من غشه ما خفي عن الملائكة ، فلما أراد الله فضيحتة ابتلاه بالسجود
لآدم ، فظهر لهم ما كان يخفيه منهم ، فلمنوه . وإن الحجاج كان يظهر من طاعة
أمير المؤمنين ما كنا نرى له به فضلاً ، وكان الله قد أطلع أمير المؤمنين من غله
وغشه على ما خفي عنا ؛ فلما أراد فضيحتة أجرى ذلك على يد أمير المؤمنين .
فانمنوه لعنه الله . ثم نزل .

ومر غيلان بن خرشة الصبي مع عبد الله بن عامر بنهر أم عبد الله الذي
يشق البصرة ، فقال عبد الله : ما أصلح هذا النهر لأهل هذا المصر ! قال غيلان :
أجل والله أيها الأمير ؛ يتعلم القوم فيه صيائهم ، ويكون لستائهم ولسيل مياههم ،
وينبئهم بميرتهم ؛ ثم عاد ابن عامر فساير زيادا عليه ، فقال زياد : ما أضرب هذا

التيهر لأهل هذا النصر ! فقال : أجل والله أيها الأمير ، تيز منه دورهم ، ويفرق فيه صبيانهم ، ويكثر لأجله بعوضهم .

ومدح الجاحظ القروض ، قال : هو ميزان الشعر ومعياره ، به يعرف الصحيح من السقيم ، والعليل من السليم ، وعليه مدار القريض والشعر ، وبه يسلم من الآود والكسر . ثم ذمّه فقال : هو علم مولد ، وأدب مستبرد ، ومذهب مرفوض ، تستنكره العقول ، مستغفلان فعول ، من غيره فائدة ولا محصول .

وكان العباس بن علي عم المنصور يأخذ الكأس بيده ، ثم يقول : أما النفس فتسعين ، وأما الهم فتطردين ، أفتراك متى تفلتين ! ثم يشربها .

وشكا أبو العنياه حاله إلى عبد الله بن سليمان ، قال : أليس قد كتبنا لك إلى إبراهيم بن المدبر ! قال : كتبت إلى رجل قد حصر من همته طول الفقر ، وذلك الأسر ، ومعاماة بحن الدهر ، فأخففت في طلبتي . قال : أنت اخترته ، قال : وما علي أعز الله الأمير في ذلك ! قد اختار موسى قومه سبعين رجلاً وما كان منهم رشيد ، واختار رسول صلى الله عليه وسلم ابن أبي سرح كاتباً فرجع إلى المشركين مرتداً ، واختار على رضي الله عنه أبا موسى حكماً ، لحكم عليه .

قال الحارث بن همام : فأنابني قلبي بأنه أبو زيد ، وأن تعارجه ليكيد . فاستمدته وقلت له : قد عرفت بوشيك ، فاستقم في مشيك . فقال : إن كنت ابن همام ، فحييت بأكرام ، وحييت بين كرام . فقلت : أنا الحارث ، فكيف حالك . والحوادث ؟ فقال : أتقلب في الحالتين : بؤس ورخاء ، وأتقلب مع الرّيحين : زعزع ورخاء . فقلت : كيف ادعيت القزل ، وما مثلك من هزل ! فاستسر بشره الذي كان تجلي ، ثم أُنشد حين ولى :

تَعَارَجْتُ لَا رَغْبَةَ فِي التَّعَرُّجِ وَلَكِنْ لَا قَرَعَ بَابَ الْقَرَجِ
وَأَلْقَى حَبْلِي عَلَى غَارِي وَأَسْلَكَ مَسْلَكَ مَنْ قَدْ مَرَجَ
فَإِنْ لَا مَنِي الْقَوْمُ قُلْتُ اعْذِرُوا فَلَيْسَ عَلَى أُعْرَجٍ مِنْ حَرَجِ

• • •

قوله: «ناستعدته»، أى قلت له أعد على. عرفت بوشيك، أى عرفت بحسن.
كلامك وتزينة. استقم: استعدل وأزل عوجك. حَيَّيت: طال بقاؤك،
والنحية البقاء: حَيَّيت: عشت. والحوادث: ما يحدث من الخير والشر. بؤس:
شدة العيش. رخاء: لينه وسعته. زعزع: ريح شديدة تحرك الشجر وتقلعه.
والزعزعة: تحريك الشيء إذا أردت قلعه. رخاء: ريح ليّنة سريعة، من الإرخاء.
في السير، وهو عدو فوق التقريب، وناقّة مِرْخاء: سريعة. القزل: أسوأ
المرج، وقد قزل قزلاً.

وهزل هزلاً: ترك الجِدَّة في قول أو فعل، بقول: كيف تحملت بالمرج
ومثلك لا يهزل ولا يقع في هذه النقيصة! فهو يهزأ به، فنضب عند ذلك. استسر-
بشره: زال عنه سماحه وطلاقة وجهه. تجلّى: ظهر. ولّى: ذهب.

قوله: «أقرع»، أى أضرب. الفرج: كشف الهم. ألقى حبل على غاري:
أى أسرح وأمشى حيث أحببت، والعرب تطلق هذا اللفظ، فتقول للمرأة:
حبلك على غاربك، أى أنت مسيبة فتوجهي حيث شئت لا مانع لك ولا حابس،
والغارب: ما انحدر من السنام، والحبل هو الذي يُعْمَل به البعير، فإذا سرّحوه
حلوا عقاله وألقوه على غاربه، قال ابن الأنباري: أصله أن يلقي على حبل الناقة
على غاربه فتزفع، ولا ترعى إذا لم تره على الأرض.

أسلك مسلك، أى أدخل مدخل، والمسلك: الطريق. مَرَج: خلط الجدة
بالهزل. خرج: إنهم والله تعالى أعلم

المفاهيم الرابعة وهي الدمياطية

أَخْبَرَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ : ظَنَنْتُ إِلَى دِمْيَاطَ ، عَامَ هِيَاطٍ
 . وَمِيَاطٍ ؛ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ مَرْمُوقُ الرِّخَاءِ . مَوْمُوقُ الْإِخَاءِ ، أَسْحَبُ
 . . . مَطَارِفَ الثَّرَاءِ ، وَأَجْتَلِي مَعَارِفَ السَّرَاءِ . قَرَأْتُ صَحْبًا قَدْ شَقُوا
 . عَصَا الشَّقَاقِ ، وَارْتَضَعُوا أَفَاوِيقَ الْوِفَاقِ ؛ حَتَّى لَاحُوا كَأَسْنَانِ
 . . . الْمُشْطَرِ فِي الْإِسْتَوَاءِ ، وَكَالْنَفْسِ الْوَاحِدَةِ فِي النَّتَامِ الْإِهْوَاءِ . وَكُنَّا مَعَ
 ذَلِكَ نَسِيرُ النِّجَاءِ ، وَلَا نَرَحُلُ إِلَّا كُلَّ هَوِجَاءٍ ، وَإِذَا نَزَلْنَا مَنْزِلًا ،
 أَوْ وَرَدْنَا مَنْهَلًا ، اخْتَلَسْنَا اللَّبَثَ ، وَلَمْ نُعَالِ الْمُكْتَبَ . فَقَنَّ إِنَّا
 إِمْعَالُ الرُّكَّابِ ، فِي لَيْلَةٍ فَنِيَّةِ الشَّبَابِ ، غُدَاقِيَّةِ الْإِهَابِ . فَأَمَرْنَا
 إِلَى أَنْ تَضَا اللَّيْلُ شَبَابَهُ ، وَسَلَّتِ الصَّبِيحُ خِيَابَهُ .

• • •

قوله : « ظننت » ، أى رحلت ، والظمن ضد الإقامة .

دمياط : بلد بينه وبين مصر ثلاثون فرسخاً ، وهى على ساحل البحر المالح ،
 وإلى دمياط ينتهى ماء النيل ، فيفترق منها فيخرج بعضه إلى بحيرة تَنَيسَ ،
 وهى بحيرة تجرى فيها السفن والراكب العظام ، ويخرج بعضه إلى البحر . وبها
 تعمل الشروب ، وقد ذكرنا ذلك عند تَنَيسَ .

قوله : « هياط » : صياح ، وتهياط التوم : اجتمعوا ودبروا أمرهم . مياط :
 دفاع ، أى كان عام هَرَجٍ وَخِلَافٍ . مرموق : منظور إليه . الرخاء : سعة المال .
 موموق : محبوب . أسحب : أجرح . مطارف : ثياب لما أعلام فى أطرافها .

أَجْتَلَى : أُنْظِر . معارف : وجوه . السراء : الفنى والسرور . راقى : صحبت فى السفر . والصَّحْب : الأصحاب . الشَّقَاق : الخلاف ، ومعنى شَقُوا عصاه ، أزالوه وطرحوه ، والعرب تقول : شَقَ فلان العصا ، إذا ترك الطاعة وخرج مبايناً ، قال أبو عبيد : العصا تُضْرَب مثلاً للاجتماع ، وانشقاقها يُضْرَب مثلاً للافتراق الذى لا اجتماع بعده . أفأويق : جمع أفواق ، وأفواق جمع فواق ، وهو ما بين الخلبتين . والوفاق : ترك الخلاف ، وقد وافقته موافقةً ووفاقاً .

قوله : « لا حوا » أى ظهروا . والعرب تضرب المثل بأسنان المُشط ، وهو يقع على كل استواء فى أى حال كان ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : « الناس كأسنان المُشط ، وإنما يفاضلون بالمافية » ، فإن أرادوا الاستواء فى الشر قالوا : سواسية كأسنان الخمار ، وقال كثير يهجو بنى ضمرة :

فسائل بقومى كل أجردٍ ساجِرٍ وسل غنارُبى بضرة أو سَخْلًا^(١)
سواء كأسنان الخمار فلا ترى لذى كِبَرَةٍ منهم على ناشى فضلاً

الثمام : اجتماع واتفاق . الأهواء : جمع هوى ، وهو ما تحببه وتميل إليه النفس ، فأراد أن أغراضهم متفقة . النجاء : السير السريع . نرحل : نشد عليها الرّحل ونشخص بها . هوجاء : ناقة سريعة ، كأن بها هوجاً وهو الحق ، لسرعة مشيها . وردنا منهلاً : أتينا ماء ننزل عليه ، والنهل : المشرب الأول ، والتالّ الثانى ؛ وذلك أن الإبل تَرُدُّ الماء فتشرب منه ، ثم تخرج ترمى ساعة وتستريح ، وتسمى تلك الاستراحة فى الرعى الثمرثة ، ثم تود مرة أخرى فتشرب الماء ، فالشرب الأول نهل ، والثانى علل . والنهل : موضع التهل . والورود : قصد الماء .

اختلطنا : استرقنا . اللبث : الإقامة . ومثله المكث ، أى لا يستقرون بموضع ينزلون فيه إلا قليلاً . والرّكاب : الإبل ؛ وإعمالها : استعمالها . فَعَيَّة الشباب : صغيرة السن ، وأراد أنها طويلة سوداء لا قر فيها ، لأن شعر الشباب أسود ،

(١) ديوانه ٢ : ١٩ ، عن الفريسي : و «رُبى» لغة لى : «رُبى» .

ويريد أنها أول الشبر ، فهي كانتية ، والليلة أول الشبر سوداء . غداقية : مسوبة إلى الغداف ، وهو القراب لسواده ، والإهاب : الجلد ، وأراد لونها . أسربنا : مشينا بالليل ، ويقال : سرى وأسرى . نضاً الليل شبابه ، أى أزال ظلامه ، ونضاً ثوبه : جرّده عنه ، ومثله : سكت خضابه ، وأراد أن الصبح بيض الظلام بضوئه ، وسكت الشيء سكتاً ؛ أزاله عما علق به ، والمرأة خضابها كذلك . وسيأتى ذكر الصبح آخر المقامة .

[مما قيل في سواد الليل]

وينظر في سراه مع محبه في سواد الليل إلى قول ابن شهاب :
 وَفُتُوهُ أَسْرَوْا وَقَدْ عَكَفَ اللَّيْلُ وَأَقْبَى مُفْدَوْفِ الْأَطْنَابِ .
 وَكَانَ النُّجُومُ لَمَّا هَدَتْهُمْ أَشْرَقَتْ كَالْمَيُونِ مِنْ أَهْدَابِ
 يَتَفَرُّونَ جَوْزَ كُلِّ فَلَاةٍ جُنْحَ لَيْلٍ جَوْزَاؤُهُ مِنْ رِكَابِ
 عَنْ ذِكْرِي لِمَدَحِهِمْ فَتَنَاهَوْا مِنْ حَدِيثِي فِي عَرْضِ أَمْرِ حِجَابِ
 هَمَّةٌ فِي السَّمَاءِ تَسْحَبُ ذِيلاً مِنْ ذِيُولِ الْعُلَا وَجَدَ الرَّكَّابِ
 ومما جاء في سُرَى الليل قول عبد الصمد بن العذل ، وهو من حسن الاستعارة :

أَقُولُ وَجُنْحُ الدُّجَى مُلْبِدٌ وَلَّيْلٌ فِي كُلِّ نَجٍّ يَدُ^(١)
 وَنَحْنُ ضَجِيمَانِ فِي مَجْدٍ فَاللهُ مَا ضَمِنَ الْمَسْجِدُ !
 فَيَا لَيْلَةَ الْوَصْلِ لَا تَبْعُدِي^(٢) كَمَا لَيْلَةُ الْمَجْرِ لَا تَبْعُدُ^(٣)
 وَيَا غَدَ إِنْ كُنْتُ لِي رَاحِئًا فَلَا تَدْنُ مِنْ لِيَاثِي يَا غَدُ

(١) ديوان الغاني ٤٣ . ونسبها إلى ابن أبي فتن .

(٢) ديوان الغاني : « لَا تَبْعُدِي » (٣) ديوان الغاني : « لَا تَبْعُدِي »

وقال ابن المعتز :

يارب ليالٍ حالِكِ الجلبابِ ملتحفٍ خافيتي غرابِ

وما أحسن قول ابن شهيد في وصف الليل :

وبتنا نراعي الليل لم نطوِ بُرْدَهُ ولم يكن شيبُ الصبح من فرعه وَخَطَا
تراه كَمَلَكِ الرَّجْحِ من فوطِ كِبَرِهِ إذا رام شيئاً في تأخره أَبْطَأَ
مطلا على الآفاق والبدرُ تاجُهُ وقد علّقَ الجوزاءُ في أذنه قُرْطاً

وقال حبيب :

إليك هَتَكْنَا جُنَحَ لَيْلٍ كَأَنَّهُ قد اكتحلت منه البلاد يَأْمَدُ^(١)

وقال ذو الرمة :

ودوْبَةٌ مثل السماء اعتسفتُها وقد صبغ الليلُ الحصى بسوادِ^(٢)

وقال أيضاً :

وليل كجلباب القروس اذرعته بأربعةٍ والشخصُ في العين واحدٌ^(٣)
أحمَ غُدافيٌّ ، وأبيض صارمٌ وأعيسُ مهريٌّ ، وأرْوَعُ ماجدٌ^(٤)

(١) ديوانه ١٠٣ .

(٢) ديوانه ١٣٩ ، واعتسفتها : سرت فيها على غير هداية .

(٣) ديوانه ١٢٩ ، وروايته : « دليل كأتاء الرويزي جيته » . والرويزي : طيلسانه
شب الليل بسواده به . وجيته : قطعه .

(٤) هذا البيت تفسير للأربعة في البيت السابق : أحم : أسود ، ومثله غُدافي . وى
الديوان : « علاق » ، منسوب إلى علاف ، حى من العرب يصلون الرجال . والأبيض : سيفه
صارم فاطم ، والأعيس : الأبيض ، يعنى ببيده . وأخمت ، يعنى قسه . والمهري من الإبل :
منسوب إلى مهرة ، حى من عرب اليمن .

(١١ شرح مقامات الحريري ١)

وقال البحرى :

يا خليلي بالهواجر من مَن من بن عوفٍ ويحتر بن عَتود^(١)
اطلبنا ثالثا سواي ، فإني رابعُ العيس والدجى والبيد

وقال السَّلامى :

إليك طوى عَرْضَ البَيْطَةِ عاجلاً قطارُ المطايا أن يلوح لها القَصْرِ^(٢)
وكنت وعزى في الظَّلامِ وصارى ثلاثة أشباح كما اجتمع النَّسْرُ
وبشَّرت آمالي بملك هو الورى ، ودارى الدنيا ، ويوم هو الدهرُ

فالبيت الأول والثاني نحو بيت البحرى ، والبيت الثالث نحو بيت ذى الرِّمة
في التقسيم ، وبمثل هذا الكلام يمتدح الملوك وإلا فلا . ولنا مدح عضد الدولة
بلغه به من المكاة الغاية القصوى ، وفُتِنَ بشعره ، حتى كان يقول : إذا رأيتُ
السَّلامى فى مجلسى ، ظننت أن عطارداً نزل من السماء . وسندكر من شعره
ما يحسن .

فحين مللنا الشرى ، ومِلنا إلى الكرى ، صادفنا أرسنا
مُغضلةً الرُّبَا ، مُتَمَلِّلةً الصِّبَا ، فتخَيَّرناها مُنَاخاً للعيس ، ومَحَطّاً
للتَّمْرِيسِ ، فلَمَّا حَلَّتْهَا الْخَلِيطُ ، وَهَدَأَ بِهَا الْأَمِيطُ وَالْفَطِيطُ ، تَمَيَّمتُ
صَبْتاً مِنَ الرُّجَالِ ، يَقُولُ لِسَمِيرِهِ فِي الرَّحَالِ : كَيْفَ حُكِمَ مُمِيرَتِكَ ،
مَعَ جَيْلِكَ وَجِيرَتِكَ ؟

(١) ديوانه ٦٣٣، وفيه « ياندعى بالسواجر من ودين من » والسواجر : نهر من أعمال
منج بوريا

(٢) خبيرة الدهر ٢ : ٣٧٠

قوله: «السرى»، أى السير بالليل . الكرى: النوم . مخضلة: مبتلة بالندى .
 الرما: الكدى ، واحدها ربوة . معتلة الصبا ، أى ليثة الريح . مناحاً: منزلاً .
 العيس: الإبل يخالط بياضها حمرة . محطاً: منزلاً تحط به الأحمال . التعريس :
 النزول بالليل فى آخره ، وهذا التخيّر الذى ذكر لهذه الأرض ، متزعّج من حديث
 ابن عباس رضى الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا كانت
 أرض مخصبة فتصدّوا فى السير وأعطوا الركاب حقها ، فإن الله رفيق يحب الرفق ،
 وإذا كانت مجدبة فالجأوا عليها ، وعليكم بالدّلة ، فإن الأرض تطوى بالليل ،
 وإياكم والتعريس على ظهر الطريق ، فإنه مأوى الحيات ومدارج السباع » .
 الخليط : الأصحاب . هدأ : سكن . الأطيط : أصوات الإبل ، والنطيط :
 أصوات الناس اللّيل . صيتاً : جهر الصوت . سميره : رفيقه الذى يسمر معه
 بالحديث . الرّحال : منازل المسافرين ، سميت رحالاً باسم الرّحال التى توضع فيها ،
 والرّحل : اسم لما يحمله البعير من حملة وقتبه وما يوطأ به تحت الحمل . سيرتك :
 عادتك . جيلك : أهل عصرك . جيرتك : جيرانك .

* * *

فقال : أرعى الجارَ ، ولوّ جارَ ، وأبذل الوصالَ ، لئن صالَ ،
 وأحتمل الخليطَ ، ولوّ أبدى التّخليطَ ، وأودّ الحميمَ ، ولوّ جرّعني
 الحميمَ ، وأفضل الشّفيقَ ، على الشّقيقِ ، وأفيّ للمّشيرِ ، وإن لمّ
 يكافئ بالمشيرِ ، وأستقلّ الجزيلَ ، للنّزيلِ ، وأغمّر الزّميلَ ، بالجليلِ .
 أنزل سَميرى ، منزلةَ أميرى ، وأحلّ أنيسى ، محلّ رنيسى ، وأودع
 مَمارينى ، عوّارنى ، وأولى مرافقى ، مرافقى ، وألين مَقالى ، للقالى ،
 وأديم نسالى ، عن السالى ، وأرضى من الوفاء ، باللفاء ، وأقنع

(١) الكدى : جمع كدية ؛ ومى الأرض التابطة .

مِنَ الْجَزَاءِ ، بِأَقَلِّ الْأَجْزَاءِ ، وَلَا أَتَطَلَّمُ ، حِينَ أَظْلَمُ ، وَلَا أَتَقَمُّ ،
وَلَوْ لَدَغَنِي الْأَرْقَمُ .

• • •

قوله : « أرعى » ، أى أحفظ . جار : تعدى ومال عن الحق ، قال صلى الله عليه وسلم : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » . أبذل : أعطى . صال : صاح مخوفاً . الخليط : الصاحب ، ويقع على الواحد والاثنين والجمع بلفظ واحد ، وسمى بذلك لاختلاط الأمر بين الصاحبين . الحميم الأول : الصديق المخلص ، والثاني الماء الحار . الشقيق : الحبيب . الشقيق : الأخ من الأب ، كأنه شق معك . ظهر أهلك ومن الأم كأنه شق معك بطن أمك . أفى العشير : أعامل الصاحب بالوفاء . يكافى : بالعشير : يجازى بالفضل من فعلى ، والمكافأة المواساة . أستقل : أراد قليلاً . الجزيل : الكثير . النزيل : الضيف ، والنزل ما يعد للضيف من طعام وغيره . أغمر : أعطى . الزميل : الرديف . الجليل : الأفعال الجليلة . أميرى : الحاكم على . الأنيس : الذى يؤنس بحديثه ، وفلان رئيس قومه : أفضالهم وأعزهم . أودع : أعطى ودبعة . معارف : من يعرفنى . عورافى : هباتى ؛ واحدها عارفة ، وهى اليد من النعمة . أولى مرافقى : أعطى مصاحبى فى السفر ، ومنه الرفقة لاتفاق بعضهم ببعض ، جمع مرفقة وهى المونة وما يرتفق به . القالى : المبعض ، وقايت الرجل قلى ، أبفضته . تسأل : كثرة سؤالى . السالى : الناسى للودعة والتارك لها ، وسلوت عن الشيء أسلو سلواً وسلوة ، إذا تركته . اللقاء : النقصان . وقال أبو على فى الإيضاح : اللقاء ما دون الحق ، قال أبو زيد الطائى واسمه حرمة رحمه الله :

فأنا بالضعيف فتظلموه ولا حظى اللقاء ولا الخسيس^(١)

(١) الأسان - لنا . وروايته : « فأنا بالضعيف فتزدري » .

أَتَمَّعَ : أَرْضَى ، وَالْقَنَاعَةُ الرِّضَا بِالْبَسِيرِ . وَالْجِزَاءُ : لِلْكَفَاةِ ، وَجَازِيَتُهُ بِمَا صَنَعَ .
مِثْلُ كَافَاتِهِ ، وَالْأَجْزَاءُ : الْأَنْصِبَاءُ تَقْسِمُ عَلَى جَمَاعَةٍ ، وَاحِدُهَا جِزَاءٌ ، وَأَقْلَامُهَا تَقْصِمُهَا .
أَنْظَلَّمَ : أَشْتَكَى مِنَ الظُّلَمِ . لَا أَتَمُّ : لَا أَتَقَمُّ . تَقُولُ : نَعَمْتُ مِنْهُ نَعْمَةً ، أَيْ
عَاقَبْتُهُ ، فَمِنَاهُ : لَا أَعَاقِبُ صَاحِبِي ، وَلَوْ بَلَغَ فِي الْإِضْرَارِ مَتْنِي النَّايَةِ ، وَتَقُولُ
أَيْضًا : نَعَمْتُ الشَّيْءَ ، وَأَتَقَمُّهُ نَعْمًا وَتُقَوِّمًا : إِذَا أَنْكَرْتَهُ ، فَمِنَاهُ عَلَى هَذَا :
لَا أَنْكَرُ عَلَى صَاحِبِي وَلَوْ بَلَغَ فِي الْأَذَى ، وَيُقَالُ فِي الْإِنْكَارِ أَيْضًا ، نَعِمَ يَنْعِمُ .

فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : وَبِكَ يَا بَنِي ! إِنَّمَا يُضَنُّ بِالضَّئِنِ ، وَبِئَانَفْسٍ
فِي الشَّيْنِ ؛ لَكِنْ أَنَا لَا آتِي ، غَيْرَ الْمُتَوَاتِي ، وَلَا أَسِيمُ الْعَامِي ، بِمَرَاقَاتِي ،
وَلَا أَصَافِي ، مَنْ يَأْتِي إِنْصَافِي ، وَلَا أَوَاخِي ، مَنْ يُبْلِنِي الْأَوَاخِي ،
وَلَا أَمَالِي ، مَنْ يُخَيِّبُ أَمَالِي ، وَلَا أَبَالِي ، بِمَنْ صَرَمَ حَيَاتِي ،
وَلَا أَدَارِي ، مَنْ جَهَلَ مِقْدَارِي ، وَلَا أُعْطِي زِمَامِي ، مَنْ يُخَفِّرُ
ذِمَامِي ، وَلَا أَبْذُلُ وَدَادِي ، لِأَصْدَادِي ، وَلَا أَدْعُو لِإِعَادِي ، لِلْمُعَادِي ،
وَلَا أَغْرِسُ الْأِيَادِي ، فِي أَرْضِ الْأَعَادِي ، وَلَا أَسْمَحُ بِمَوَاسَاتِي ، لِمَنْ
يَفْرَحُ بِمَسَا آتِي ، وَلَا أَرَى التِّفَاقِي ، إِلَى مَنْ يَشْمَتُ بِوَفَاتِي ، وَلَا
أَخْصُ بِعِبَاتِي ، إِلَّا أَحِبَاتِي ، وَلَا أَسْتَطِيبُ لِقَاتِي ، غَيْرَ أَوْدَاتِي ، وَلَا
أَمْلِكُ خُلَّتِي ، مَنْ لَا يَسُدُّ خُلَّتِي ، وَلَا أَصْقِي نَيْبِي ، لِمَنْ يَتَعَمَّى
مَنْبِي ، وَلَا أَخْلِصُ دُعَايَ ، لِمَنْ لَا يُفْعِمُ وَعَايَ ، وَلَا أَفْرِغُ مَنَاتِي ،
عَلَى مَنْ يُفَرِّغُ إِنَاتِي .

قوله : «ويلك» معناه التعجب، كأنه قال : ما أعجبك ! أو عجبالك . وقيل : أراد «ويلك» ، مخفف اللام . إنما يضمن بالصنّين ^(١) ، هذا مثل ؟ ، أوّل من قاله الأغلب العجلى ، وفسره أبو عبيد ^(٢) فقال : معناه : تمسك بإخاء من تمسك بإخائك ، وبإياه أن الصنّين البخیل ، ويضمن : يبخل ، فيقول : إنما تمسك وأتعلق بصاحب تمسك . بنى وعرف حق ، فأنا أبخل به على غيرى أن يشركنى فى صحبته كما يبخل بنى هو على غيره ، وقيل : الصنّين فى المثل هو الشئ المضمون به لنفسه ، فعناه إنما يُبخل بالشئ النيس الرفيع . المواتى : المساعد المواتى . العانى التكبّر الصعب الخلق . والمراعاة : المحافظة للود . أسيم : اجعلها سيم ، أى علامة . أصافى : أخلص له ودّى . بآبى : يمنع . إنصافى ، أى إعطائى الحق من نفسه . أواخى : أصبر له أخاً وأتخذ صديقاً . بلى : يترك ويطرح . الأواخى : أسباب الود ، واحداها أخية ، وأصل الأخية عُرْوَة من حبل تشدّ فى وتد أو على حجر تحت الأرض ، وتبقى العروة على الأرض فيربط فيها حبل الدابة فيمسكها . أمالى : أعاون ، وأصلها الممزة ، تقول : ما لأنّه على الأمر أمالته ، إذا عاونته وساعدته ، ومنه : والله ما قتلت عثمان ولا مالات فى قتله ، تخفف الممزة ليوافق آمالى ، وهو جمع أمل ، وهو الرجاء . صرم حبالى : قطع أسباب وصالى ، وهم يكونون بالحبل عن الود ، لأن الود يربط القلوب ويؤلفها كالحبل فيما يربط . قوله : «أدارى» ، أسوس وأحسن . صحبته . والزام : حبل من جلود يربط فى حلقة فى أنف البعير . يختر ذمامى : ينقض عهدى ، أى لا أقادلك لعهده . ودادى : حُبّى ، وهو من واده وهو الذى لا يكون إلا من اثنين فوضعه موضع ودّى ، ويقال أيضاً : فى الحب حباب مثل وداد ، قال الشاعر :

* أدا عرانى من حُبابك أم سحر *

(١) جمرة الأمثال ١ : ٩٦

(٢) اللسان ، ونسب إلى أبى عطاء ومدره :

* فواقه ما أدرى وإتنى لصادق *

أضدادي : أعدائي المناقضين لأفعالي . إيسادي : تهديدي وتخويفي .
 الأيادي : النعم ، وواسيته : مواساةً : جعلته أسوة نفسي في مالي قواسمه فيه .
 مسا آتي : أحرزاني وما يسوءني . التفائي : نظري وانعطائي إلى جهته . يثبت :
 يرس : وفائي : موتى . أخص : أفرد . حيائي : عطائي . أحيائي : جمع حبيب .
 أستطب : أطلب طيبه . خلتي : صداقتي . يد خلتي : يصلح قري . أخلص :
 أجمله خالصاً . يُنعم : يملأ . أفرغ ثنائي : أصب مدحي وأكسوه ، أو يكون
 أفرغه ، أبلغ آخره .

° ° °

وَمَنْ حَكَمَ بَأْنَ أَبْذَلَ وَتَخَزَنَ ، وَأَيْنَ وَتَخَشَنَ ، وَأَذُوبَ
 وَتَجَمَّدَ ، وَأَذْكَو وَتَجَمَّدَ ! لا وَاللَّهِ ، بَلْ تَتَوَازَنُ فِي الْمَقَالِ ، وَزَنَ
 الْمُتَقَالِ ، وَتَتَحَادَى فِي الْأَعْمَالِ . حَذَوُ النَّمَالِ ، حَتَّى نَأْمَنَ الشَّعَابِنَ ،
 وَنُسَكِّنَ التَّضَاغِنَ ؛ وَإِلَّا فَلِمَ أَعْلَمُكَ وَتُعَلِّمَنِي ، وَأَقْلَمُكَ وَتَسْتَقْلِمَنِي ،
 وَأَجْتَرِحُ لَكَ وَتَجْرِحُنِي ، وَأَمْرَحُ إِلَيْكَ وَتُسْرِحُنِي . وَكَيْفَ يُجْتَلِبُ
 إِنْصَافُ بِيضِيمِ ، وَأَنْتَى تُشْرِقُ نَفْسُ مَعَ غَيْمِ ! وَمَتَى أَصْحِبُ وَدَّ
 بِمُسْفٍ ، وَأَيُّ حُرِّ رَضِي يَخْطُلُهُ خَسْفُ ! وَلِلَّهِ أَبُوكَ حَيْثُ يَقُولُ :

قوله : «تخزن» ، أى تحبس . أذكو : أضيء . يقال : خمدت النار ، إذا
 سكن لهبها ، وذكت : انقادت . والمتقال : الصنعة التى يوزن بها ، سُميت بذلك
 لأنها تنقل ما يوزن بها فى الكفة الثانية . تتحاذى : تقشابه . والأعمال : بفتح
 الفاء : اسم للفعل الحسن أو القبيح ، ولا يقال بكسرهما إلا فى مصدر فاعل ، قال ابن
 الأعرابي : الأفعال : فعل الواحد من الخير والشر ، والأفعال بالكسر : الفعل بين
 الاثنين . حذو : متشابهة ، والمرب تقول فى الشينين يشتهبان : هما حذو النمل

بالنعل، أى كل واحد من النعلين تُقطع على قالب أحتهما، ومنه قول المهذلي:
وتأمل السَّبْت الذى أخذوكُم فانظُرْ بِمِثْلِ حَدَاثِهِ فَاحْذُونِي^(١)

التَّعَابِنُ : الغبن . نَكَفَى : نَمَعَ . التَّضَاغِنُ : العداوة ، وتضاعن الرجلان : اعتقد كل واحد منهما لصاحبه ضيقاً وهو الحِقْد . أَعْلَكَ : أَسْقَيْكَ عَلَلاً ، أى مرة بعد أخرى . تَعَلَّى : تَمَرَضَنِي . أَقْلُكَ : أَرْفُكَ . تَسْتَقِلْنِي : تَحْمُرْنِي . أَجْتَرَحُ : اكْتَسَبُ . أَشْرَحُ : أَرْغَى عَلَيْكَ ، وَأَجْلِبُ عَلَيْكَ بِالْفِدَاةِ وَالْمَشَى . تَسْرَحِنِي : تَهْمِلُنِي . ضِيمٌ : ذَلٌّ . أَنَى : كَيْفَ . تَشْرُقُ : تُضِيءُ ، مِنْ أَشْرَقَتْ ، وَتَشْرُقُ تَطْلُعُ ، مِنْ شَرَقَتْ . غِيمٌ : سَحَابٌ . أَصْحَبُ : أَقَادُ . بَصَفٌ : يَجُورُ ، وَأَصْلُ الْقَسْفِ رُكُوبُ الْأَمْرِ بِغَيْرِ تَدِيرٍ . وَالْخَطَّةُ : الْمَنْزِلَةُ وَالْمَرْتَبَةُ ، وَالْخَسْفُ : الْإِذْلَالُ وَالنَّقْصَانُ ، وَمِنْهُ خَسَفَ الْأَرْضُ ، وَالْخَاسِفُ : الْمَهْزُولُ ، وَيُقَالُ : بَاتُوا عَلَى الْخَسْفِ ، أَيْ جِياعاً لَيْسَ لَهُمْ شَيْءٌ يَتَقَوَّنُونَ بِهِ وَالْخَسْفُ لِلدَّابَّةِ : أَنْ تَبْتَيتَ بِغَيْرِ عَافٍ .

جَرَيْتُ مَنْ أَغْلَقَ بِي وَدَّهُ جَزَاءَ مَنْ يَبْنِي عَلَيَّ أُسْدَهُ
وَكَلْتُ لِلْخِلِّ كَمَا كَالِ لِي عَلَى وَفَاءِ السَّكِيلِ أَوْ بَخْسِهِ
وَلَمْ أَخْشَرْهُ وَشَرُّ الْوَرَى مَنْ يَوْمُهُ أَخْشَرُ مِنْ أَمْسِهِ
وَكُلُّ مَنْ يَطْلُبُ عِنْدِي جَنَى فَمَا لَهُ إِلَّا جَنَى غَرَسِهِ
لَا أَبْنِي الْقَبْنَ ، وَلَا أَتَنِي بِصَمْتَةٍ الْمُنْعَبُونَ فِي حِسِّهِ
وَلَسْتُ بِالْمُوجِبِ حَقًّا لَنْ لَا يُوجِبُ الْحَقُّ عَلَى نَفْسِهِ
وَرُبَّ مَذَاقٍ الْهَوَى خَالِي أَصْدَقُهُ الْوُدَّ عَلَى لَبْسِهِ

وَمَا دَرَى مِنْ جَهْلِهِ أَنِّي أَقْضِي غَرِيمِي الدَّيْنَ مِنْ حِنْسِهِ
فَاهْجُرْ مَنْ اسْتَفْبَاكَ هَجَرَ الْقَلِي وَهَبَهُ كَالْمَلْحُودِ فِي رَمْسِهِ
وَالْبَسَ لِمَنْ فِي وَصْلِهِ لُبْسَةً لِبَاسَ مَنْ يُرْغَبُ عَنْ أَنْسِهِ
وَلَا تُرْجُ الْوَدَّ يَمَنْ يَرَى أَنَّكَ مُتَحَاجٌّ إِلَى فَلْسِهِ

قوله: «أعلق»، بمعنى علق، أى الصق. أسه: أصل بنائه؛ يقول: من علق
يقال: وده، جعلت ذلك الود أساً بقلبي، وبنيت عليه ودي، فإن أسس في قلبي
وداً سلماً بنيت له عليه مثله، وإن عشتني في ود غششته، والهاء في «أسه» ترجع إلى
«من» أى مَنْ نصحنى في صحبته نصحته. والخيل: الصاحب. بحسه: نفسه.
أخسر: أنقص. الورى: الخلق من الناس. الحنى: ما يحنى من الثمرة.
أبني الفبن: أطلب الخلداع: أثنى: أرجع، وصفقة المغبون: بيعة المخذوع.
حسه: نهمة، والحسن: صوت حركة الحنى. والصفقة: فى الأصل مصدر، يقال:
صفق صفقاً إذا ضرب بإحداها على الأخرى، وكانت صفقة البيع عند العرب
أن يضرب المشتري بيده على يد البائع، فإن رضى البيع قبض على يد المشتري
وانقعد البيع، وإن لم يرض أرسل يده، ثم صاروا يقولون، رضى الصفقة، إذا
رضى البيع، ثم سُمي عقد البيع صفقة. مَذافى: خلأط غير مخلص. الهوى:
الحب. وخالنى: حبنى. لبسه: تخلطه وتليسه. غريمى: صاحب ديني.
من جنسه: من نوع ما أعطاني. استفباك: استفجلك. القلى: البفض. هبه:
احسه. المالحود: اللدقون. رمه: قـبره، وينظر إلى يته قول
ابن الرومى:

مَنْ تَصَدَّى لِأَخِيهِ بِالْفَنَى فَهُوَ أَخُوهُ

فإن احتاج إليه راء منه ما يسوء
يُكرّم للثرى فإن أمّاق أقصاه بنسوء
أنت ما استغنيت عن صا حبك الدهر أخوه
فإن احتجت إليه ساعة تجك فوه

ووجد على حجر مكتوباً :

كل من أحوك الدهر إليه وتعرضت له هُنت عليه

وهذان الذهبان اللذان ذكرهما الحريرى مبدیان على آيتين ، من كتاب
الله تعالى ؛ قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَمَا قَبُولَا بِمِثْلِ مَا عَاقَبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ
لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ ، والثانية قوله تعالى : ﴿ وَلَمَنْ اِنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ
مَاعَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لاخير في صعبة من لا يرى لك من الحق ،
مثل الذي ترى له » .

[مذاهب الشعراء في الغزو أو الانتصاف]

وللشعراء القدماء والحديثين في المذهبين شعر كثير ، قال اللقيط الكندي في
المذهب الأول :

وإن الذي بيني وبين بني أبي
أراهم إلى نصرى يطاء وإن هم
وإن أكلوا الحى وفرت لحومهم
وإن هدموا مجدى بيت لهم مجدا

وإن ضيَعُوا غَيَّبِي حَفِظْتُ غُيُوبَهُمْ وإن هُمُ هَوُوا غَيَّبِي هَوَيْتَ لَهُم رُشْدًا
وإن زَجَرُوا طَيْرًا بَنَحَسِي تَمَرُّي زَجَرْتُ لَهُم طَيْرًا تَمَرُّ بِهِم سَقْدًا
لَمْ يَجَلْ مَالِي إِنْ تَتَابَعَ لِي غَيِّي وإن قَلَّ مَالِي لَمْ أَكْلَفْهُمْ رِفْدًا
وَلَا أَحْمِلُ الْحَقْدَ الْقَدِيمَ عَلَيْهِمْ وليس يَسُودُ الْقَوْمَ مَنْ يَحْمِلُ الْحَقْدَا

وقال معن بن أوس المزني في المذهب الثاني :

إذا أنت لم تُنصِفْ أخاك وجدته على طرف المِجران إن كان يعقل^(١)
ويركبُ حَذَّ السيفِ مِنْ أَنْ تَضِيْعَهُ إذا لم يكن عن شَفَرَةِ السيفِ مَوْحَلٌ
وَكُنْتُ إِذَا مَا صَاحِبُ رَأْمٍ ظَنَنْتِي وبدَّلَ سَوْمًا بِالَّذِي كُنْتُ أَفْعُلُ
قَلْبَتْ لَهُ ظَهَرَ الْمَجَنِّ ذَلَمَ أَدَمُ على ذاك إلَّا رَيْثًا أُمَحْمُولُ

وقال إبراهيم بن العباس الصولي :

أَمِيلَ مَعَ الذَّمَامِ إِلَى ابْنِ عَمِّي وَأَخَذَ لِلصَّدِيقِ مِنَ الشَّقِيقِ^(٢)
وَإِنِ الْفَيْدَى حُرًّا مُطَاعًا فَإِنَّكَ وَاجِدِي عَبْدَ الصَّدِيقِ
أَفَرَّقَ بَيْنَ مَعْرُوفِي وَبَيْنِي وَأَجْمَعَ بَيْنَ مَالِي وَالْحَقِيقِ
وَكُنْتُ إِذَا الصَّدِيقُ أَرَادَ غِيظِي وَأَشْرَقَنِي عَلَى شَرْقِ بَرِيَّتِي
غَفَرْتُ ذُنُوبَهُ، وَصَنَعَتْ عَنْهُ مَخَانَةَ أَنْ أَعِيشَ بِلا صَدِيقِ

وكلف إبراهيم بن العباس بعض إخوانه مقاطعة صديق فقال له :

إِنِّي مَتَى أَحْمِلُ بِحَقْدِكَ لَا أَضْرِبُ بِهِ سِوَاكَ^(٣)

(١) حاشية أبي تمام - بشرح التبريزي ٣ : ١٣٢

(٢) ديوانه ١٥٤

(٣) ديوانه ١٤٦

ومنى أطمعتك نى أخيك أطمعتُ فيك غداً أخاك
حتى أرى مستقماً يومى لداً ، وغداً لذاكاً

وقال أبو الفتح البستي في المذهب الثاني:

فإن تزرنى أزرُ وإثماً تَقِفْ بيابى أقف يبابك
والله لا كنتُ فى حسابى إلا إذا كنتُ فى حابك

أين هذا من قول البستي أيضاً وقد خالفه فيه خلافاً شديداً ، ولا نازعه
أحد فيه ، ولا سبقه إليه إذ يقول :

وإني لأختصُّ بعضَ الرجال وإن كان قَدَمًا ثَقِيلًا عَظَامًا^(١)
فإنَّ الجَبِينِ على أنه وخيمٌ ثَقِيلٌ يشبهُ الطَّعَامَا

ولابن شرف :

بِعْ مَنْ جُنَاكَ وَلَا تَبْخُلْ بَسْلَقَتِهِ واطلب به بدلاً إن رام تبديلاً
وهو كثير ، وبما ذكرت يستدل على الباب .

* * *

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَلَمَّا وَعَيْتُ مَا دَارَ بَيْنَهُمَا ، ثَقْتُ إِلَى أَنْ
أَعْرِفَ عَيْنَهُمَا ، فَلَمَّا لَاحَ ابْنُ ذُكَاةٍ ، وَالْحَلْفَ الْجَوُّ الضِّيَاءُ ، غَدَوْتُ
قَبْلَ اسْتِقْلَالِ الرُّكَّابِ ، وَلَا اغْتِدَاءِ الْغُرَابِ ، وَجَمَلْتُ أُسْتَقْرِى
صَوْبَ الصَّوْتِ اللَّيْلِ ، وَأَتَوَسَّمُ الْوُجُوهَ بِالنَّظَرِ الْجَلِيِّ ، إِلَى أَنْ

لَحَتْ أَبَا زَيْدٍ وَابْنَهُ يَتَعَادَتَانِ ، وَعَلَيْهِمَا بُرْدَانِ رَمَّانِ ، قَعَلِمْتُ
أَنَّهُمَا نَجِيًّا لَيْلِي ، وَصَاحِبَا رِوَايَتِي .

• • •

قوله : «وعيت» ، أى حفظت . تفت ، أى اشتقت . عينيها : شخصهما .
لاح : ظهر . ابن ذكاء : هو الصبح ، وذكاء هى الشمس ، ويقال للصبح : ابن
ذكاء لأنه من ضوئها . ألحف : غطى . الجوّ : الهواء بين السماء والأرض .
أراد أن الصبح غطى نواحي السماء بضوئه .

[ما ورد فى الصبح من الشعر]

ومن حسن التشبيه فى ضوء الصبح قول ذى الرمة :

وقد لاح للشارى الذى كحل السرى على أخريات الليل فتق مشهور^(١)
كلون الحصان الأبيض البطن قائماً تمايل عنه الجمل واللون أشقر

شبه اختلاط الضوء بالظلمة بالقرس الأشقر الأبيض البطن .

وقال ابن المعتز :

وساقٍ يجعل المندبل منه مكان حائل السيف الطوال
غدا والصبح تحت الليل بادٍ كطارفٍ أشقر ملقى الجلال

وقال . يوسف الرمادى :

وليلة أنس قد غمرنا ظلامها بأوجسه راح تسفير فترشف
إلى أن بدا ضوء الصباح كأنما تحلّ لقان ، وأقبل يوسف

قوله : «غدت» ، أى بكرت . استتلال : ارتفاع وقيام . والركاب : الإبل .

واحدتها ، راحلة . ولا اغتداء الغراب ، أى ولا مثل اغتدائه ؛ فحذف « مثل »
 للنصوبة بلا ، وأقام « اغتداء » مقامها لأن « لا » لا تنصب المعارف ، وأراد أن
 اغتدائى كان قبيل أن يفتدى الغراب ، والغراب أكثر الطير بكوراً ، وهذا
 وما شابهه فى هذا الكتاب مثل قوله : « ولا كيد فرعون موسى » ، « ولا انهلال
 السحب » ، « ولا عمرو بن عبيد » ، إذا طلبت حقيقة معناه صار التشبه أقوى من
 التشبه به ، ولم يأت هذا إلا عن العرب ، تقول العرب : « فتى ولا كلك » ، فيريدون
 مالكا أفضل من الفتى ، ومثله « مرعى ولا كالسعدان » أى أن المرعى فاضل فى
 طيبه ، ولكن السعدان أفضل منه ، ومثله : « ماء ولا كصداء » ، فصداء
 أفضل من ذلك الماء على طيبه ، فهذا مذهب العرب فى ذكر « لا » بين المشتهين .
 وأما قول الحررى : « غدوت ولا اغتداء الغراب » ، فيريد أن غدوى أبكر
 من اغتداء الغراب ، وكذلك « ولا انهلال السحب » ، وهو يريد أن جودهم
 فوق جود السحاب ، لأن كلام العرب : فلان أبكر من الغراب ، وأجود من
 السحاب ، ولا يقولون السحاب أجود من فلان ، ولا الغراب أبكر من فلان ،
 ولا فائدة فى ذلك ، فإذا حقت لفظة « ولا » فى تشبيه الحررى على ما يجب لها فى
 كلام العرب قلب للمعنى ، وإنما اللفظ من كلام عامة العراق ، فاستعملها لأنها عندهم
 متعارفة وليست بعربية ، ومثل هذا قد جوزه للولدون فى أشعارهم ، وجاء منه
 فى مقامات البديع كثير . ويستعمل أهل فاس فى مفرنا لفظة « ولا » فى تشبيهاتهم
 كثيراً جداً على حد استعمال الحررى لها ، ولا يستعملها أهل الأندلس .

وقال النجديسى : الرفع فى قوله : « ولا اغتداء الغراب » ، أكثر مبالغة فى
 التشبيه من النصب .

قوله : « أسترى » ، أى أمتنع . صوب : جهة وناحية . الجلى : الذى يسمع بالليل .
 أتوسم . أتمرق وأنظر سمتها . الجلى : البين . لحت : رأيت . برزدان رقتان :

ثوبان حَلَقَان . نجياً ليلتي ، أى للتحدثان فيها ، وجعلهما متحدثين مع اليلة مجازاً
لما أوقعا الحديث فيها ، كقوله تعالى : ﴿ بِل مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ ^(١) ولا يمكن أن إنما
يُكْر فيها ، فسب ذلك للكر إليهما . صاحباً روايتي ، أى اللذان أروى عنهما
هذه القصة .

فَقَصَدْتُهُمَا قَصْدَ كَلَفٍ بِدَمَائِنِيَّهَا ، رَاثٍ لِرَثَائِنِيَّهَا ، وَأَبْعَثْتُهُمَا
التَّحَوُّلَ إِلَى رَحْلِي ، وَالتَّحَكُّمَ فِي كَثْرِي وَقَلِّي ، وَطَفِقتُ أُسَيْرُ بَيْنَ
السَّيَّارَةِ فَضْلَهُمَا ، وَأَهْزُ الْأَعْوَادِ الشَّيْخَةَ لَهَا ، إِلَى أَنْ غُمِرَا
بِالنُّحْلَانِ ، وَاتَّخِذَا مِنْ الْخُلَّانِ . وَكُنَّا بِمَرْسٍ تَبَيَّنَ مِنْهُ مُبَيَّنَ
الْقُرَى ، وَتَنَوَّرَ نِيرَانُ الْقُرَى .

فَلَمَّا رَأَى أَبُو زَيْدٍ امْتِلَاءَ كَيْسِهِ ، وَانْجِلَاءَ بُوسِهِ ، قَالَ لِي :
إِنْ بَدَنِي قَدْ انْتَسَخَ ، وَدَرَنِي قَدْ رَسَخَ ، أَفَتَأْذُنُ لِي فِي قَصْدِ
قَرِيَّةٍ لَأَسْتَحِمَّ ؛ وَأَقْضِيَ هَذَا اللَّيْلَ ؟ فَقُلْتُ : إِذَا شِئْتَ
فَالسَّرْعَةَ السَّرْعَةَ ، وَالرَّجْمَةَ الرَّجْمَةَ ، فَقَالَ : مَسْجِدُ مَطْلَعِي عَلَيْكَ ،
أَسْرَعُ مِنْ ارْتِدَادِ طَرَفِكَ إِلَيْكَ .

كَلَفٍ : محب . دَمَائِنِيَّهَا : سهولتها ، والقِامة سهولة الأرض ، وكل ما
وطئته وسهّلته وأذلّته بيدك فهو دَمِث . رَاثٍ : بكٍ مشفق . وَرَثَائِنِيَّهَا : سوء .

حاذها . أبجته : جعلته له مباحاً . كُنْزِي وَقُلِّي : أى كثير مالى وقليله . طقت : أخذت . أسير : أمشى . السيارة : القوم الذين يسرون فى الأسرار . أهز الأعواد . استعارة ، وأراد أنه يستعطف لها أصحاب الأموال فيواسونهم ، فكنى عنهم بالأعواد ، وقد كرّر هذا المعنى نظماً حين قال :

قصده والشيخ بينى جنى عود له ما زال مهزوزاً^(١)

وقال الشاعر فى مثله :

إلّا يَكُنْ ورق غصّاً أراح به للمعتفين فإني آتئ المـود

أراد إن لا أكن كثير المال فإني كريم . والورق : المال غير الصامت ، وأراح به : أهزّ به ، من الأريحية . وراح الشجر : أتى بورق فى آخر الصيف لا أصل له ، ويقال لما انحلقة . قوله : « غمراً » ، أى أعطيا . النحلان : العطايا . الخللان : الأصحاب . وقوله : « وكنا بعمرس » ، المعرّس موضع النزول آخر الليل . ننوّر : ننظر النيران . القرى : طعام الضيف . كيه : وعاء دراهمه ، والكيس : خريطة تسع خمسمائة درهم والبذرة تسع عشرة آلاف درهم ، قال حبيب : من بعد ما صارت هنيئة صرمة والبذرة النجلاء صارت كيساً^(٢)

قوله : « انجلاء بوسه » ، انكشاف فقره . درّنى : وسخى . ورسخ الشيء فى الأرض رسوخاً : غاب فيها ، ورسخ العلم فى العلم : دخل فيه . أستحمّ : أدخل الحمام ، واستحمّ الرجل : اغتسل بالحميم ؛ وهو الماء الحار . أقضى : أقطع وأزيل ، وقضيت الشيء : صنعته . المهمّ : أراد به فرض الصلاة ، قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إن أهمّ أموركم عندى الصلاة ، فمن ضيعها فهو لما سواها أضيع . وقيل :

(١) فى القامه الأريبيين صفحه ٤٤٨ (طبعة الحسينية) .

(٢) ديوانه ١٧٧ ، والهنيدة : اسم المائة من الإبل . والصرمة : ما بين العشرة إلى خمسة عشر . والنجلاء : الوسة .

المهم: الوسخ لأن الأمر المهم ، هو الذى فى القلب منه همّ وشغل ، وقد ذكر أن
الذى أوجب عليه قصد الحمام هو ما عليه من الوسخ ، فيكون قوله : « وأقضي
هذا المهم » من قوله تعالى : ﴿ تَمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ﴾ ^(١) ، وقد أعمى الشئ فهو مهمّ
وهذا القول أوفق بمراده .

[نبذت ما قيل فى الحمام شعرا ونثرا]

ونلزا هذين عمران رحمه الله وقد استبطأ فى دخول الحمام :

يا صاح عهدي بالحمام قد بعدا	فلا تلني فيه إن طلبت مدى
قارعت فيه العدا فى معرك الجب	دخض تزل به الأقدام قد بعدا
عدا أثرن برأسي حين تزن به	نوقدا وأعادت جلده جادا
فظلت متاصلا بالقتل أجمعها	فلم أدغ والدا منها ولا ولدا
ثم انشيت معاني ناعما جذلا	مظفرا أستزيد الواحد الصمدا

ورأى نفسه ممتدا بين يدي الحكاك ، قال :

أغترت إن مدّ فى العمر لى	وأرجى للتاب إلى قابل
وأغفل الموت لى طالب	حيث كذب النفى القاتل
كأنى بى هكذا ميتا ^(١)	نحككم فى يد الناسل

وله أيضا :

شكرت للدهر حسن ما صنعا	طريد مجدي محيتى رفعا
يا حسن حمانا وقد شربت	شمس الضعى فيه بمد ما متقا
أيقن أن اللال راكبه	فضاء للحاضرين واتسعا
فأنعم أبا عامر بنعمته	واعجب لأمرين فيه قد جععا

(١) المجلد ٢٩ : ١١٢ (٢) : ١ « كان بى »

(١٢) - شرح مقامات المربرى (١)

نيرانه من زنادِكُمْ قُدِحَتْ وماؤه من بَنانِكُمْ نَبعا
 ولبعضهم في حمام كانت مضاوئه من زجاج أحمر ، وفي سماءه حرة وياض :
 تَحَيَّرْتُ مِنْ طَيْبِ حَمَامِنَا فَخُيِّلَ لِي أَنْ فِيهِ الْقَلْقُ
 فمن حرة فوقنا وياض
 رأى الدهر ماسداً من حُسْنِهِ فَسَدَّ كُؤَى سَقْفِهِ بِالْشَقِ
 ودخل الحمام أبو جعفر التُّطَلِيّ وأبو بكر بن بَقِ رحهما الله تعالى ، فقال
 أبو جعفر :

يا حُسْنَ حَمَامِنَا وَبَهْجَتِهِ مَرَأَى مِنَ الشَّجَرِ كُلِّهِ حَسَنُ
 ماءٍ وَنَارٍ حَوَاهِمَا كُنْفُ كَالْقَلْبِ فِيهِ التَّرُّورُ وَالْحَزَنُ

ونظر فيه إلى غلام وسيم ، قال :

هل استأثرت مِيَالِ التَّوَامِ وَقَدْ سَأَلْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمَامِ أُنْدَاةَ
 كَالنَّصْنِ بِأَشْرَ حَرِّ النَّارِ مِنْ كَثَبِ فَظَلَّ يَقَطُرُ مِنْ أَعْطَافِهِ الْمَاءُ
 وقال آخر :

حَمَامِنَا فِيهِ فَصْلُ الْقَيْظِ مُحْتَدِمٌ وَفِيهِ لِلْبَرْدِ سُرٌّ غَيْرُ ذِي ضَرَرٍ
 خُذَانِ بِنَعْمِ جِسْمِ اللَّسْرِ بَيْنَهُمَا كَالنَّصْنِ بِنَعْمِ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالْمَطَرِ

وقال ابن رشيقي : ومما قلته على عقب وداع :

وَلَمْ أُدْخِلِ الْحَمَامَ سَاعَةً بَيْنَهُمْ لِأَجْلِ نَعِيمٍ ، قَدْ رَضِيتُ بِبُؤْسِي^(١)
 وَلَكِنْ لَتَجْرَى عَبْرَتِي مَطْمَئِنَّةً قَابِكِي ، وَلَا يَدْرِي بِذَاكَ الْجَلِيسِي

وقال آخر :

وَحَمَامٌ كَأَنَّ النَّارَ فِيهِ مَسْمُورَةٌ بِبِيرَانِ الْجَحِيمِ
دَخَلْتُ أَنَا وَمَنْ أَهْوَاهُ فِيهِ فَمَادَ لَنَا كِبَجَاتُ النَّعِيمِ
وقال آخر في ذم حمام :

وَحَمَامٍ سُودٌ وَخِمْهُوا قَلِيلٌ لِلْيَاءِ كَثِيرُ الزَّحَامِ
فَمَا لِلْقِيَامِ بِهِ مِنْ قَعُودٍ وَلَا لِلْقَعُودِ بِهِ مِنْ قِيَامٍ
حَتَيَاتِهِ عَطَفَاتُ الْقِسَى وَقَطَرَاتِهِ صَائِبَاتُ السَّهَامِ

وقال آخر في تعجيل الخروج منه :

خُذْ مِنَ الْحَمَامِ وَاخْرُجْ قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَ مِنْكَ
حَدَّثَنِي عَنْهُ وَإِلَّا حَدَّثَ الْحَمَامُ عَنْكَ

وقال ابن رشيقي :

وَمُرَّتَيْنِ لَدَى الْحَمَامِ أَضْحَى وَحَالَآءِ لِأَصْحَابِ السَّيْرِ
إِذَا سَنِمُوا الْمَذَابِ أَوْ اسْتَفَاتُوا أَغَاثُومِ بِيَابِ الزَّمْهِرِ
كَذَلِكَ حَالُهُ حَسْرًا وَبَرْدًا بَيْتِ الْخَوْضِ أَوْ بَيْتِ الطَّهْورِ
وَعَالَ بِهُ انْتِظَارُ مُوَاعِدِهِ قَدْ زَادَ الشَّقَى عَلَى النَّظِيرِ
وَلَهُ أَيْضًا :

سَأَشْكُرُ لِلْحَمَامِ بَدَأًا وَعُودَةً أَبَادَى بَيْضًا مَا لَمْ يَنْتَهِ
جَلَاكَ عَلَى عَيْنِي عُرْيَانٌ حَاسِرًا فَرَحَتْ بِتَطْلُيقِي وَأَنْتَ قَيْنٌ^(١)
وَطَهَّرَ قَلْبِي مِنْ هَوَاكَ بِيَارِدٍ وَسُخْنٍ تَقَرَّ الْجَفْنُ وَهُوَ سَخِينٌ

(١) ط : ذنبن ، و ما أتجه من ا ، ب .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : الحُتَامُ يَذْكُرُ جَهَنَّمَ ، وَيُنْقَى الدَّرَنُ ..
وقال على رضى الله عنه : بئس البيت الحُتَامُ ! تُكْشَفُ فِيهِ المَوَرَاتُ ، وَتَرْتَفَعُ
فِيهِ الأصَوَاتُ ، وَلَا يُقْرَأُ فِيهِ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى .
ودخله بعضُ الأمراء مع الرقائشي فقال له : امدحْه ، قَالَ : يُذْهَبُ القَشَانَةُ ،
وَيَعْقَبُ النِّظَافَةُ ، وَيَبْقُشُ ^(١) التُّخْمَةُ ، وَيَطْيِبُ النِّعْمَةُ ، قَالَ : ذَمِّهْ ، قَالَ : يَهْنِكُ
الْأَسْتَارُ ، وَيُوَلِّفُ الْأَقْدَارُ ، وَيُذْهَبُ بِالْوَقَارِ .

قوله : « إِذَا شِئْتَ فَالسرعة السرعة » ، يقول : إِذَا شِئْتَ أَنْ تَقْصِدَ الحُتَامَ
فَالزَّمِ السرعةَ ، وَجْعَلِ الرِّجْعَةَ ، وَكَرَّرْهَا تَأْكِيداً ، وَالْفِعْلَ النَّاصِبَ لَهَا يَلْزَمُ
إِضْمَارَهُ مَعَ التَّكْرِيرِ ، فَإِذَا أَفْرَدْتَ جَازَ إِظْهَارُ الْفِعْلِ ، وَنَظِيرُهُمَا قَوْلُ الْعَرَبِ :
الطَّرِيقُ ، الطَّرِيقُ ، وَالْأَسَدُ الْأَسَدُ وَقَالَ الشَّاعِرُ :

• خَلَّ الطَّرِيقُ لِمَنْ يُبْنَى لِلنَّارِ لَهُ •

فَلَمَّا سَقَطَ التَّكْرِيرُ سَاغَ لَهُ إِظْهَارُ الْفِعْلِ . مَطْلَعِي : مُصَدَّرٌ بِمَعْنَى طُلُوعِي ..
أَهْلُ الْحِجَازِ يَفْتَحُونَ لَامَهُ فِي الْمَصْدَرِ وَغَيْرِهِمْ يَكْسِرُهَا . ارْتِدَادٌ طَرَفُكَ ، أَيْ .
رَجُوعٌ نَظْرُكَ .

ثُمَّ اسْتَنْنَ اسْتِنَانِ الْجَوَادِ فِي الْمَضَامِرِ ، وَقَالَ لَا بُدَّ : بَدَارٍ بَدَارٍ !
وَلَمْ نَعْلَمْ أَنَّهُ غَرٌّ ، وَطَلَبَ الْمَقَرَّ . فَلَمِشْنَا نَرْقُبُهُ رِقْبَةَ الْأَعْيَادِ ،
وَنَسْتَطَامُهُ بِالطَّلَائِعِ وَالزُّرُودِ ، إِلَى أَنْ هَرِمَ النَّهَارُ ، وَكَادَ جُرُفُ
النَّهَارِ يَنْهَارُ . فَلَمَّا طَالَ أَمَدُ الْإِنْتَظَارِ ، وَلَاحَتِ الشَّمْسُ فِي
الْأَطْمَارِ ، قُلْتُ لِأَصْحَابِي : قَدْ تَنَاهَيْنَا فِي الْمُهْلَةِ ، وَنَعَادَيْنَا فِي

(١) يَهْنِكُ : فَتَرَ الطَّيْبُ ، أَيْ أَخْرَجَ مَائِهِ مِنَ الرِّيحِ

«الرَّحْلَةَ ، إِلَى أَنْ أَصَعْنَا الزَّمَانَ ، وَبَانَ أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ مَانَ ،
فَتَاهَبُوا لِلظَّمَنِ ، وَلَا تَلَوُّوا عَلَى خَضَرَاهِ الدَّمَنِ .

° ° °

استنَّ استنَّان الجواد : جرى كما يجرى الفرس ، وإنما يقال : استنَّ في كلامه
إذا جرى في غير طريق بتعريف ، ومنه قولهم : استنَّت الفِصال حتى القرعى^(١) ،
يريدون جرت الفِصال وهي تلعب ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « فاستنَّت
شرفاً أو شرفين » . وقال الشاعر يذكر طعنة خرج دمها في جهة :

بِمِثْقَةِ كَاسْتِنَانَ الْخُرُودِ فِى وَقْدِ قَطْعِ الْحَبْلِ بِالرُّودِ^(٢)

أراد المهر ، ويقال له : خروف وفلوة ، وقد فسر «استنَّت الفِصال» بأن معناه
أحسن رعيتهما ، حتى كأنه صقلها . والجواد : الفرس الكريم . المِضمار : الطائق تجرى
فيه الخيل ، متى مضماراً لأن الخيل تضر فيه ، وذلك أن العرب كانت تستن
الخيال وتستخرجها إلى المِضمار ، فتجريها طلقاً قدر ما يحتمل ، ثم تزيدها يوماً
آخر في الجرى على ذلك ، ثم لا تزال تزيد في الطلق كل يوم ، حتى تجرى بها
الأميال ، فيسيل عرق الخيل بذلك الجسرى ، ويشد لها بذلك التضمير
قال زهير :

تُضَمَّرُ بِالْأَصَائِلِ كُلِّ يَوْمٍ تُدَنَّ عَلَى سَنَابِكِهَا الْقُرُونُ^(٣)

القرن : دُفَعُ الترق ، واحدها قرن .

وقوله : «بنار بدار» ، أى سبقاً سبقاً ، وهو معدول عن بدر ، فيقول لابنه :

(١) مثل ، يصرب للرجل يفعل ما ليس له بأهل . جهرة الأمثال ١ : ٨ - ١٠

(٢) اللان - خرف ، ونسبه إلى رجل من بني الحارث .

(٣) ديوانه ١٨٧

أبدر بالجرى ، واسبق إلى الحمام . لم تَحَلْ : لم تحسب . غرة : خدع . نرقبه ، أى
ننظر من أين يحى . ويروى : « نرقبه رقية أهلة الأعياد » .

وما أحسن قول ابن الرزاق في هذه الرِّقبة :

وشهرٍ أدركنا لارتقاب هلاله جفوناً إلى نحو السماء موائلاً^(١)
إلى أن بدا أحوى للدامع أحورٌ يجرّ لأذبال الشَّبَابِ غلائلاً
قلّت له أهلاً وسهلاً ومرحباً بمن قد حوى طيب السَّمولِ شمائلاً
أنت طلبك الأبصار في الجوّ ناقصاً وأنت كذا تمشي على الأرض كاملاً
وله في معناه :

لله شهرٌ ما نظرتُ هلاله إلا كنونٍ أو كمظنة لامٍ^(٢)
حتى تبدى لي أغنٌ مهفٌ بضياته يتجأبُ كلُّ ظلامٍ
فطفت أهنف بالأنام ضلتمُ وغلطمُ في عتمة الأيام
ما جاء نأ شهرٌ لأول ليلة مذ كانت الدنيا بيد تمام

نستطامه ، أى نلتبس طلوعه . الطلائع : الباحثون عليه . والرواد : الطالبون
له ، وأصل الطلائع الباحثون عن أخبار العدو ، والراصدون في الطرقات ، الواحد
طليعة ، وأصل الرواد الطالبون للرعى . هريم : شاخ ، ومعناه قارب أن يتم .
ينهار : ينهدم . والجُرُف : ما يأكله الوادى ، استماره للنهار . لاحت : ظهرت .
والأطمار : الثياب الخفيفة ، أراد أن ثوب الشمس وهو ضوءها قد تغير وبلى عند
الغروب ، وبعضهم يستعمل هذه الاستعارات في الشتاء وغروب الشمس

وعما يستغرب من ذلك قول المولى الأصهباني :

ومجاسٍ شرب جثثه مطرُ بآ عشياً وعينُ الشمس في الأفق تنمسُ

(١) ديوانه ٢٣٨

(٢) ديوانه ٢٥٨ .

وقال ابن الرومي :

كأنَّ جنوح الشمسِ ثمَّ غروبها وقد جعلت في مجنح الليل تمرض^(١)
تخاوصُ عينَ بينَ أجنافها الكرى يرتق منها النوم وهي تممضُ
وقال أيضاً :

إذا رمت شمسُ الأصيل ونفضت على الأتقي الغربيَّ ورساً مدعزعا^(٢)
وودعت الدنيا لتفنى بحبها وشول باقي عمرها فتشمشعا^(٣)
ولا حظت الأنوار وهي مريضة وقد وضعت خذاً على الأرض أضرعاً
كما لاحظت عوداه عين مدنف توجع من أوصابه ما توجعا
أخبرني ابن منصور ، قال : خرجتُ بخارج فأس عشيّة مع فتى وراق ، فنظر
إلى صفرة الشمس واستنشق برد النسيم ، وأنشدني مرتجلاً :

انظر إلى الشمس في الأصيل كأنها وجنتنا عليل
ورق هذا النسيم حتى كأنما يشتكي نحولي

وقال ابن الرقاق :

وعشيّة لست مِلاء شقيق تُزهي بلون الخلود أنيق^(٤)
أبقت بها الشمسُ المنيرة مثلَ ما أبقي الحياه بوجنتي معشوق
لو أستطيع شربها كلفاً بها وعدلت فيها عن كنوسٍ رحيق

وقال ابن سراج :

والشمس تنفض زعفراناً بالربا وتبث مسكها على النيطان

(١) ديوان الماني ٣٦١

(٢) ديوان الماني ١ : ٣٦١ ، ومنعنعاً : مفرغ .

(٣) شول باقي عمرها ، أي لم يبق منه إلا القليل .

(٤) ديوانه ٣٠٦ وفيه : « لست رداء شقيق »

وما أحسن قول الرصافي في معناه :

وعشى أنسٍ للسرور وقد بدا من دون قرص الشمس ما يتوقع^(١)
سقطت ولم تملك يمينك ردّها فوددت يا موسى لو أنك بوشع

وقال ابن الرومي في طلوع الشمس من خلل السحاب وذكر امرأة :

تربك بياض غُرَّتْهَا ووجهًا كقرن الشمس أغسق ثم زالا
أصاب خصاصةً فبدا كليلاً كلاً واغفل سائرُه انقلا
قوله : « بدا كليلاً » إشارة إلى أنه عندما بدا غاب بسرعة ، وأذكر « كلاً »
في القامة التاسعة والثلاثين .

وقال ابن المعتز في نحوه :

تظلّ الشمسُ ترمقنا بلحظٍ مريضٍ مدفٍ من خلفِ سِتْرِ^(٢)
تحاول فتق غيمٍ وهو يأتي^(٣) كعنّينٍ يريدُ نكاحَ يَكْرِ

قوله : « تناهينا » ، أي بلغنا النهاية . والمهلة : التراخي ، يقول : قد تراخينا في
انتظاره حتى بلغنا الغاية في ذلك . « تمادينا في الرحلة » ، هنا على حذف مضاف للعلم
به ، تقديره : تمادينا في ترك الرحلة وانتظارها ، ومثل هذا الحذف جائز في النظم
والنثر وأنشد أبو علي :

أنا النذيرُ لكم مني مجاهرةً كي لا ألامَ على نهبي وإنذارِي
أي على تركي النهي والإنذار ، وقال آخر :
وأهلك مهرَ أبيك الدّوا ، ليس له من طعامٍ نصيب

(١) ديوانه ١٠٤ ، مع اختلاف في الرواية .

(٢) ديوان الماتى ١ : ٣٦٠ ، وفيه : « بلغظ حتى » .

(٣) ط : « فتح غيم » ، وما أتت من ديوان الماتى .

أى فقد الدواء ، وجاء فى القرآن ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾ ^(١) أى أهل القرية ، و﴿ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ ﴾ ^(٢) ، أى من أهل قريتك ، ومثل هذا كثير فى القرآن والكلام النصيح ، بما لا يتم المعنى إلا بتقديره ؛ فالذى غاظم الحريزى فقال : لو تمتدت بهم الرحلة لكانوا فى سير متصل ، قد جهل الكلام النصيح فأراد : طالت بنا هذه السفرة . وتمادى الشيء فهو متمادٍ ، إذا طال فيه المدى ، وهو الناية البعيدة . يقول : تأخرنا عن السفر اليوم لتمادينا فى انتظاره ، فطالت علينا السفرة لهطلة السفر ، حتى أضعنا اليوم الذى انتظرناه فيه حيث لم نافر فيه . والزمان : اليوم . بان : تبين . مان : كذب ؛ يقال منه : مان يمين مينا ، وأما مانهُ يُمُونه موتًا ، فقام بموته . قوله : « فتأهبوا » ، استعدوا . الظن : الرحيل . ولا تلؤوا : تعرجوا . خضراء الدمن : عشب الزابل ، هى حسنة النظر سيئة الخبر ، وإذا يبست لم يفتح بعودها لخوره وضعفه ، فشبها أبا زيد لحسن ظاهره فيما أبدى لهم من فصاحتِهِ ، وسوء باطنه فى كذبه وإخلاف وعده ، حتى عطلهم عن سفرهم نهاراً فى انتظاره ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : إياكم وخضراء الدمن ، خفيل له : وما خضراء الدمن ؟ فقال : « الجارية الحسناء فى اللبث السوء » .

وَنَهَضْتُ لِأَخْرِجَ رَاحِلَتِي ، وَأَتَحَمَّلَ لِرِخْلَتِي ، فَوَجَدْتُ
أَبَا زَيْدٍ قَدْ كَتَبَ ، عَلَى الْقَتَبِ :

يَا مَنْ غَدَايَ سَاعِدًا وَمُسَاعِدًا دُونَ الْبَشَرِ
لَا تَخْشِبْنِ أُنَى نَأْيٍ لَكَ عَنْ مَلَالٍ أَوْ أَشَرِ
لَكِنِّي مُذْ لَمْ أَزَلْ مِنْ إِذَا طَعِمَ انْتَشَرِ

قَالَ : فَأَفْرَأْتُ الْجَمَاعَةَ الْقَتَبَ ، لِيَعْدُوهُ مَنْ كَانَ عَتَبَ .
فَأَعْجَبُوا بِخُرَافَتِهِ ، وَتَعَوَّذُوا مِنْ آفَتِهِ .
ثُمَّ إِنَا ظَلَمْنَا ، وَلَمْ تَذَرِ مَنْ اعْتَاَضَ عَنَّا .

• • •

قوله : «أحدج» : أى اجعل عليها الحدج ، وهو مركب من مراكب النساء .
وأراد أرحل الناقة . وراحلته : ناقته . أتحمل لرحلى ، أو قرحلى للرحيل .
يقال : تحمّل القوم ، إذا عبّوا أحاملهم وارتحلوا . والقَتَب : خشب الرّحل . قوله :
«ساعدا» ، أى ذراعا يستعين به . مساعدا : موافقا . نأبتك : بعدت عنك . أشّر :
بطر وعدم شكر ، يقال : أشّر الرجل بأشّر أشراً ، إذا بطر ، قال الأخطل
يذكر بنى أمية :

أَعْطَاكُمْ اللَّهُ جَدًّا تَنْصُرُونَ بِهِ لَا جَدَّ إِلَّا صَغِيرٌ بَعْدُ مُحْتَقَرٌ^(١)
لَمْ يَأْشُرُوا فِيهِ إِذْ كَانُوا مَوَالِيَهُ وَلَوْ يَكُونُ قَوْمٌ غَيْرُهُمْ أَشِيرُوا
قوله : «مذ لم أزل» ، أى مذ بنت ووجدت . انتشر : ذهب . عتب : لام .
وسخط فله . خُرَافته : حديثه الملهى .

[حديث خرافة]

وحديث خُرافة^(٢) مثلٌ سائر على ألسنة الناس في القديم والحديث ، يضرّب
لكلّ حديث لا حقيقة له . ووقع في أمثال الفضل بنديصل إلى عائشة رضى الله
عنها ، أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : حدثنى حديث خُرافة ، فقال : رحم الله
خرافة ، كان رجلاً صالحاً ، فأخبرنى أنه خرج ذات ليلة فلقى ثلاثة فر من الجنّ

(١) ديوانه ١٠٤ ، وفيه : « أعطاكم الله » .

(٢) انظر الميداني ١ : ١٣١ ، الفاخر ١٦٨ ، السان ١٠ : ٢١٤ .

فسبوه ، فقال أحدهم : نفو عنه ، وقال آخر قتله ، وقال آخر : نستعبده ، فبينما هم يتشاورون في أمره ، إذ ورد عليهم رجل ، فقال : السلام عليكم . فقالوا : وعليك السلام ، قال : وما أنتم ؟ قالوا : نفر من الجن ، أسرتنا هذا فنحن نأتمر في أمره . فقال : إن حدثتكم حديثاً عجيباً ، أنشركونني فيه ؟ قالوا : نعم ، قال : إني كنت ذا نعمة فزالت ، ورَكِبَتِي دَيْنٌ ، فخرجت هارباً ، فأصابني عطش شديد ، فسرت إلى بئر فنزلت لأشرب ، فصاح بي صائح من البئر : مه ! فخرجت منها ولم أشرب ، ففأبني العطش ، فعدت ، فصاح بي ، ثم عدت الثالثة فشربت ، ولم ألتفت إليه . فقال : اللهم إن كان رجلاً فحوِّله امرأة ، وإن كان امرأة فحوِّلها رجلاً . فإذا أنا امرأة ، فأتيت مدينة فتزوجني رجل ، فولدت منه ولدين ، ثم عدت إلى بلدي . ففررت بالبئر التي شربت منها ، فنزلت فصاح بي كما صاح في الأول ، فشربت . ولم ألتفت له ، فدعا كالأول ، فعدت رجلاً كما كنت . فأتيت بلدي ، فتزوجت امرأة ، فولدت منها ولدين ، فلي ابنان من ظهري وابنان من بطني . فقالوا : إن هذا لعجيب ، أنت شريكنا ، فبينما هم يتشاورون إذ ورد عليهم ثور يطير فلما جاوزهم ، إذا رجل بيده خشبة ، وهو يحفر في إثره ، فوقف عليهم فسلم ، فردوا ، وسألهم ، فردوا عليه مثل ردِّهم على صاحبهم ؛ فقال : إن حدثتكم بحديث أعجب من هذا أنشركونني فيه ؟ قالوا : نعم ، قال : كان لي عم ، وكان موسراً ، وكانت له ابنة جميلة ، وكنتا سبعة إخوة ، وكان لعمي عجل يربيه ، فأنفقت ، فقال : أبكم يرده فابنتي له ؛ فأخذت خشبتي هذه ، واتزرت ، ثم حفرت في إثره وأنا غلام ، وقد شئت ، فلا أنا أخقه ولا هو يكل ؛ فقالوا : إن هذا لعجب ، اقم ذات شريكنا . فبينما هم يتشاورون ، إذ ورد عليهم رجل على فرس أبيض . وخلفه غلام على فرس ذكر ، فسلم كما سلم أصحابه فردوا عليه كردِّهم على صاحبيه . فسألهم فأخبروه . الغلب ، فقال لهم : إن حدثتكم بحديث أغرب من هذا ، أنشركونني فيه ؟ فقالوا : نعم ، قال : كانت لي أم خبيثة . ثم قال للفرس الأبيض الذي تحته : أ كذبتك هو ؟

فقلت : برأسها نعم — قال : وكنت أتهمها بهذا العبد — وأشار إلى العرس ،
الذى تحت غلامه : أهكنا ؟ فقال برأسه : نعم — فوجهت بعلامى هذا الرأكب
ذات يوم فى بعض حاجاتى ، فحمدت ، ودها فأنقى ، فرأى فى منامه كأنها صاحت
صيحة ، فإذا هى بجرذ قد خرج ، قالت : اسجد ، فسجد ، ثم قالت : اكرب
فكرب^(١) ، ثم قالت : ادرس فدرس ، ثم دعت برحاً فطحننت قدح سويق ،
فأنت به الفلام ، فقالت له : انت به مولاك ، فأتانى به ، فاحتلت عليهما حتى سقيتهما
القدح ، فإذا هى فرس أثنى ، وإذا هو فرس ذكر ، قال : أأ كذلك ؟ قالت النرس
الأثنى برأسها : نعم ، وقال النرس الذكر برأسه : نعم ، فقالوا إن هذا أعجب
شئ سمعناه ، أنت شريكنا . فاجمع رأيهم فأعتقوا خرافة فأتى النبى صلى الله عليه
وسلم فأخبره بهذا الحديث ، فما جاء من الأحاديث المحاللة نُسب إلى خرافة
صاحب الحديث .

قوله : « آتته » أى ضرره . ظلمنا . رحلنا . اعتاض : استبدل .

(١) الفاخر : « احمد محمد » .

المقامة الخامسة وهي الكوفة

حكى الخارث بن همام قال : سمعت بالكوفة في ليلة أدعها ذو
لوانين ، وقمرها كتمويد من لجنين ، مع رقيقة غدوا بلبان البيان ،
وسحبوا على سحبان ذيل النسيان ، ما فيهم إلا من يحفظ عنه
ولا يتحفظ منه ، ويحيل الرفيق إليه ، ولا يحيل عنه ، فاستهوا
السم ، إلى أن غرب القمر ، وغلب السهر . فلتا روق
الليل البهيم ، ولم يبق إلا النهويم ، سمعنا من الباب
نباة مستنجح ، ثم تلاها صكة مفتوح ، فقلنا : من الميلم ؟
في الليل المدلهم ؟ فقال :

[الكوفة]

سميت بالكوفة . الكوفة بلد بالعراق مشهور بينه وبين بغداد ثلاثون
فرسخاً ، وسميت كوفة لاستدارتها ، أخذت من الكوفان ، وهي الرملة الشديدة
البياض ، وقيل : سميت كوفة لاجتماع الناس فيها ، من قولهم : تكوَّف الرمل .
تكوَّناً ، إذا ركب بعضه بعضاً ، وقيل : سميت كوفة ، لأنها قطعت من البلاد ،
من قولهم : أعطيت فلاناً كتيفة ، أى قطعة ، وكفت أ كيف كتيفاً : قطعت .
والكوفة « فُلة » منه ، فُليت الباء واواً للضمّة التي قبلها .

وهي مدينة العراق الكبرى ، والمصر الأعظم ومُجبة الإسلام ، ودار هجرة
المسلمين ، وأول مدينة اختطها المسلمون بالعراق .

وذكر شيخنا أبو الحسن بن جبير^(١) في رحلته حاجاً، أنه دخل الكوفة في أول محرم سنة تسع وتسعين وخمسائة، فقال: هي مدينة كبيرة، قد استولى الخراب على أكثرها، فالعاسر منها أقل من الخراب، ومن أسباب خرابها قبيلة خخاجة المجاورة لها، وهي لا تزال تضر بها، وكفالك تعاقب الأيام والأيالي ما حقاً ومنياً! وبنائها بالآجر خاصة، ولا سور لها. والجامع العتيق آخرها ممّا بلى شرق البلد، ولا عمارة تتصل به من جهة الشرق. وهو جامع كبير، في الجانب القبلي منه خمس أبطلة، وفي سائر الجوانب بلاطتان مذهبتان، وهي على أعمدة من السواري المصنوعة من صميم الحجارة المنحوتة قطعة على قطعة، مفرغة بالرماس، ولا قسي عايبها، وهي في نهاية من الطول متصلة بسقف المسجد، فتنحار الميرون في تفاوت ارتفاعها، فما رثى في الأرض مسجد أعلى سقفاً منه، ولا أطول أعمدة، ولهذا الجامع آثار كثيرة منها بيت يلزاه الخراب عن يمين مستقبل القبلة، يقال إنه كان مُصَلَّى الخليل إبراهيم عليه السلام، وعليه ستر أسود حوّناله، ومنه يخرج الخليل لباساً ثياب السواد للخطبة، والناس يزدهون على هذا البيت للصلاة فيه، وبمقربة هذا البيت عن يمين القبلة محراب محلق عليه بأعواد الساج، كانه مسجد صغير مرتفع عن محن البلاط، هو محراب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفيه ضرب به الشقي عبد الرحمن بن ملجم، فالتاس يصلون فيه باكين داعين، وفي الزاوية من البلاط القبلي للتصل بآخر البلاط الغربي شبه مسجد صغير محلق عليه أيضاً بأعواد الساج، وهو منار التّنور الذي كان آية نوح عليه السلام، ويتصل بالجدار القبلي قضاء، يقال إنه كان منشأ المدينة.

ومع هذا القضاء دار علي بن أبي طالب رضي الله عنه - تأمينا هذه الآثار

(١) هو محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي البني الرحاة، قام برحلته الأولى إلى المغرب من غرناطة سنة ٥٧٨، وعاد إلى وطنه سنة ٥٨١، ووصف مشاهدته في كتابه المروف برحلة ابن جبير.

عن أشياخ البلد وفي الجهة الشرقية بيت قبر مسلة بن عَمِيل ، وفي جوف الجامع سقاية كبيرة فيها ثلاثة أحواض كبار ، وفي غربي المدينة على مقدار فرسخ المشهد الشبير المسوب لعلي بن أبي طالب حيث بركت ناقته ، وهو محمول عليها ميتاً ، وفيه قبره ، والله تعالى أعلم بصحة ذلك . والقُرات في الجانب الشرقي على قدر نصف فرسخ . والجانب الشرقي كله حدائق نخيل ملتفة يمتد سوادها امتداد البصر (١) .



قوله : « سمعت » أي ذهب نومي . الأديم : الجلد ، وأراد أن لون الليله فيه سواد وبياض ، لأن قرها ناقص ، ولذلك جملة . كتمويد من لجين ؛ وهو خرز فضة ، يستعمل مستديراً استدارة القمر ، وبمص الدائرة ، فارغ فيربط في الدائرة خيط ، فيملى في أعناق الصياد .

[مما ورد في الهلال من الشعر]

وقال فيه السكرادى :

قُمْ سَلِّ هَمِّي بالدا	م فقيه قد أمصه
أَوْ ما ترى قر السما	• كأنه تمويد فضة
فإذا ألمَّ به الحما	ق تحاله في الخد عضة

وهل معنى البيت الآخر ، قال إسماعيل القاضي يصف الهلال :

اسفني قبل صاحبي	واخش صرف النوايب
ظلال الذي يلو	حُ خلال النيايب

مثل فتح اللجين صيد مع لعبد الكواكب

وقال القاضي أبو محمد عبد الوهاب :

لما رأيت الهلال مُنطوباً في غرة النجر قارن الزهرة
شبهته والعيانُ يشهد لي بصولجان أوفى لضرب كرهة

وقال القاضي أبو الحسين بن لبّال :

انظر إلى الهلال إذ لاح بهي النظر
كزورقٍ من فضة وسط لجين أخضر

أخذه من قول ابن المعتز :

أهلاً يفطّر قد أثار هلاً
والآن فاغذ إلى الدّام وبسكر^(١)
وانظر إليه كزورق من فضة
يد أمثله من عتبر

وله أيضاً :

أهلاً وسهلاً بالثّاني والمود
قد انقضت دولة الميام وقد
وشرب كأس بكف مقدود
بشر مرأى الهلال بالعد
بتلو الثّرباً كفاغري شره
يفتح فاه لأكل عنقود

وقد شبهه ابن المعتز بقلامة الظفر ، فأحسن حيث يقول :

وجاءني في قميص الليل مستتراً
يستجل الخطو من خوف ومن حذر
ولاح ضوء هلالٍ كاد يفضحه
مثل الألامة قد دلت من الظفر

وأخذه من قول الأعرابي :

كَأَنَّ ابْنَ مُرْتَبَا حَانِمًا فَسَيْطَ لَدَى الْأَفْقِ مِنْ خِنْصَرٍ^(١)

ابن مرتبها : الهلال . السَيْط : قَلَامَةُ الظَّفَر .

قوله : «عذوا» : أى ربّوا به وجعل غداً هم ؛ واللّبان اللّادميّات ، واللّبن للآدميّات وغيرهن . سَحَبُوا : جَرُّوا . سَحَبَان : صَبِيحُ الْعَرَب ، وانظره في السادسة عشرة . ذَيْلُ النَّسَاءِ : طَرَفُهُ ، يَرِيدُ أَنَّهُمْ بِنَصَاحَتِهِمْ أَنْتَوُا ذَكَرَ سَحَبَان ، فَكَأَنَّهُمْ جَرُّوا عَلَيْهِ ثَوْبَ النَّسَاءِ حَتَّى عَطَوْهُ ، فَلَمْ يَذْكُرْهُ أَحَدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ ، وَأَصْلُ ذَلِكَ أَنَّ يُسْحَبُ ذَيْلُ الثَّوْبِ عَلَى أَثَرٍ لِيُخْفَى ، كَقَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

* تَمَعَى بِذَيْلِ الدَّرْعِ إِنْ حُتُّ مُوْتَلًى *

وكقوله .

خَرَحْتُ بِهَا تَمَتَّى حَمْرٌ وَرَاءَ مَا عَلَى أَثَرٍ بِنَاذِلُ مِرْطَ مِرْحَلٍ^(٢)

قوله : «يُحَفِّظُ سَه» ، أى هم علماء يروون العلم فيحفظ عنهم . يُتَحَفَّظُ ، يُتَحَذَّرُ ، وأخذ هذا من قول سايان بن عبد الملك : قَدْ أَكَلْتُ الطَّيِّبَ ، وَلَبَسْتُ اللَّيْنَ ، وَرَكْتُ الْغَارَةَ ، وَتَطَأْتُ الْمَدْرَاءَ . فَلَمْ يَبْقَ لِي مِنْ لَدُنِّي إِلَّا صَدِيقُ أَطْرَحٍ وَفِيَا بَيْتِي وَبَيْتُهُ مَوْهَ الْحَفِظِ . فهذا الذى طلبه سايان وجدده المحررى في أصحابه ، وأصل التحفظ الاحتياط في حفظ الشيء . وفله الغفلة في الأمور ، كأنه على حذر ، وأنشد نعلب :

إِنِّي لِأَنْفُسِ عَاشِقًا مَتَحَفِّظًا لَمْ تَهْمَسْ أَغْنِيْ وَقُلُوبُ

(١) اللسان - نسط ، ونسبه لى عمرو بن قيسة وهو أيضا من ديوان المازن ١ : ٣٣٩

(٢) ديوانه ١٤

(١٣- شرح - قامات المحررى ١)

قوله: «يميل الرفيق إليه» ، تقول : ملت إلى فلان، إذا أحببته وتقربت منه ،
وملت عنه، إذا كرهته وتعددت عنه. والرفيق : الصاحب يُرتفق به في السفر. قوله :
«استهوانا» ، هوى بنا وشغلنا . والسَّمر : الحديث يُسمَر عليه . وذكر الحريري
أن أصل السَّمر ظل القمر ، والسَّمر : الحديث ، ومنه أخذ السير ، وغالب أحوال
السَّمر أنهم يتحدثون في ظل القمر - وذكر هذا في تفسير الرابعة والأربعين -
وهو الأصل . ثم اتسع فيه فصار الجلوس بالليل للحديث يسمى سَمراً ، على أى
حال اتفق . رَوَى : صرب رواقه ، والرواق : الثوب يُستظل به من الشمس ، يريد
أن الليل صرب عليهم من ظلامه رواقاً فانهجب عنهم به القمر . والبهيم : الخالص
السواد ، والبهيم الخالص من كل لون . والتهويم : النوم بالليل ، والتهويم :
الوم في القائلة ، وقد هوى الرجل ، إذا أسقط الثعاس رأسه فأنفه بسقوطه فرفعه ،
حقيقته سحود الرأس من الثعاس ، قال ذو الرمة في ذلك :

وأُسِفَتَ مثل السيف قد لآح جسمه وحيفُ الهارِى والمُهموم الأبايدُ^(١)
سقاه الثعاس كأسَ سكر فرأسه^(٢) لدين الكرى في آخر الليل ساجدُ

ويقال : خفى رأسه فهو حافق ، قال ذو الرمة :

وخافقِ الرأس فوق الزحلي قلت له رُحْ بالزمام وحوِّزُ الليل مَرَكُومُ^(٣)
وقال الرصافي^(٤) : فأحسن :

ومجدِّين للشرى قد تماطوا غفواتِ الكرى بنير كنوس
جَنَحُوا وانحنوا على العيسِ حتَّى خَنَثَهُمْ يَلْمُومُ أيدي العيسِ
بدوا النقص وهو حلَّو إلى أن وجدوه سُلَاقَةً في الرؤوس

(١) ديوانه ١٣٠ .

(٢) الديوان . و سقاه الكرى كأس الثعاس وما درى .

(٣) ديوانه ٥٧٩ . روح بالزمام ، أى اعطف الناقة بالزمام .

(٤) هو أبو عبيدة محمد بن غالب الرصافي ، والأبيات في ديوانه ١٠٣ .

قوله : « نَبَأَةٌ » ، أى صوت . مُسْتَنْبِح : يَحْكِي نُبَاح الكلاب ، وكان الرجل إذا تلف بالليل بالصحراء ولم يدر أين يتوجّه ، حاكى بصوته نُبَاح الكلب ، فإن كان قريباً من العمران نَبَحَتْ أُنْبَاحُه كلاب الحَيِّ ، فسمع أصواتها ، قصد الحَيَّ . فَمَسَى العرب مَنْ يَفْعَلُ هذا المُسْتَنْبِح . وأشدُّ أبو عليّ في نواجره :

ومستنجح بات الصدى يستنبيه فتاه وجوز الليل مضطرب الكيسر^(١)
رمت له نارا نقوبا زنادها تليح إلى السارى هلم إلى قدري
وفال حسان بن مائل :

ومستنجح في جُنع ليل دعوته بمشوبة في رأس صمخر مقابل
فقلت له أقبل ، فأبكت راشد وإن على النار الندى وابن مائل
وقد أنشد أبو تمام في حماسه في باب الأضياف في المستنجح ما فيه كفاية ؛
فليُنظر هنالك .

قوله : « تَلَّهَا » ، أى تيممها . صَكَّة : دفعة . مُسْتَنْبِح : طالب فتح الباب .
الملم : الزائر : المذهب : الشديد السواد ، من الدَّهْمَة ، ولامه زائدة .

• • •

يا أهل ذا النعمى وقِئْتُمْ شَرًّا ولا لَقِئْتُمْ مَا يَرِئْتُمْ خُرًّا
قَدْ دَفَعَ اللَّيْلُ الَّذِي كَفَرْنَا إِلَى ذَرَاكُم شَرًّا مُغْبَرًّا
أَخَا سِفَارٍ طَالَ وَاسْبَطَرًا حَتَّى انْتَنَى مُحَقَّقًا مُصْفَرًّا
مِثْلَ هِلَالِ الْأَفْقِ حِينَ افْتَرَّا وَقَدْ عَرَا فِنَاءُكُمْ مُعْتَرًّا
وَأَمْسَكُم دُونَ الْأَنَامِ طَرًّا يَبْنِي قَرَى مِنْكُمْ وَمُسْتَقَرًّا

(١) أمالي القالي ٦ : ٢١٠ ، ونسب أبو عبيد البكري في اللآلئ هذا الشعر إلى رجل
من بني الحارث بن كعب . وجوز الليل : وسطه ، وكسر البيت : جانبه .

قَدُّوْكُمْ صَنِيفًا فَنُوعًا حُرًّا يَرْضَىٰ عَمَّا اخْلَوْلَىٰ وَمَا أَمْرًا
وَيَنْتَفِي عَنْكُمْ يَنْفَتِ الْبِرَّ

• • •

اللقنى : لتنزل . وقِيم : كفيتم ، وإنما دعاهم بهذا ، لأن في حديث أبي سعيد
الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « بوشك قلوبُ
الباس أن تملأ شراً حتى يجرى الشرّ فصلاً بين الناس فلا يجد قلباً يدخله » .
الكهز : تراكم طلامه وكثر ذرأكم : منزلكم وكنكم ، وكل ما استقرت
به من ريح أو مطر أو شمس فهو ذرأ . شَعْنًا : متغير الشعر ، والشعث : ترك غسل
الرأس حتى يتغير . مغبرًا : عليه الغبار ، وفي الحديث عن جابر بن عبد الله رضي الله
عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً وسخ ثيابه ، فقال : « أما وجد هذا
ما ينهى به ثيابه ! » . ورأى رجلاً شعث الرأس ، فقال : « أما وجد هذا ما يكتن به
شعره ! » . أخًا سيفار : صاحب أسفار ، أي ملازم لها . اسبطار : امتد وطال سفره .
اشئ : رجع وعود . محقوقًا : منحنياً . الألق : ناحية السماء . افتتر : امتحأ أطرافه
ولم يتقارب ، كأنه فرّ هذا من هذا ، ومنه درت الدابة ، وافتتر : ضحك ، وشبه
الحناء من السفر بدائرة القمر الناقص ، وأكثر ما يقعون هذا التشبيه على
الانحاء من الكبر ، قال الشاعر :

فوس بمد مرّ العمر ظهري وحاسني الأيالي أي دؤوس
فأمشي والعصا تهوي أمامي كأن قوامها وترّ لقوس
وقال ابن لبال :

فوس ظهري للشيب والكبر والدهر باعمرؤ كله غير
كأتى والعصا تدب معي قوسها وهي في يدي وترّ

قوله : « عَرَا » : قصد . فناءكم : منزلكم ، وفناء الدار : ما أحاط بها من الأرض ختمته . معترًا : قاصدًا لطلب معروفكم ، أمكم : قصدكم . طُرًا : أجمع . بينى قِرَى : يطلب طعامًا . احلولى : اشتدت حلاوته . بنت : بنشى وينشر . البر : الإحسان .

قال الحارث بن همام : فَلَمَّا خَلَبْنَا بِمُدُوبَةِ نُطْقِهِ ، وَعَلِمْنَا مَا وَرَاءَ بَرْقِهِ ، ابْتَدَرْنَا فَنَحَ الْأَبَابِ ، وَتَلَقَيْنَاهُ بِالْتَّرْحَابِ ، وَقُلْنَا لِلْغُلَامِ : هَيَّا هَيَّا ، وَهَلُمَّ مَاتَهَيَّا .

فقال الضيف : وَالَّذِي أَحَلَّنِي ذَارَكُم ، لَا تَلَمَّظْتُ بِقِرَاكُم ، أَوْ تَضَمُّوْا لِي إِلَّا تَنَحُّوْا بِي كَلًّا ! وَلَا تَجْشُمُوا لِأَجْلِ أَكَلٍّ ، فَرُبَّ أَكَلَةٍ هَاضَتِ الْإِكْلَ ، وَحَرَمَتْهُ مَا كَلَّ ، وَشَرُّ الْأَضْيَافِ مَنْ سَامَ التَّكْلِيلِ ، وَأَذَى الْمُضِيفِ ، خُسُوصًا أَذَى يَنْتَبِئُ بِالْأَجْسَامِ ، وَيُفْضِي إِلَى الْأَسْقَامِ ، وَمَا قِيلَ فِي الْمَثَلِ الَّذِي سَارَسَا ثَرْمَهُ : « خَيْرُ الْمَشَاءِ سَوَافِرُهُ » ، إِلَّا لِيُجَلَّ التَّعَشُّي ، وَيُجْتَنَّبَ أَكْلُ اللَّيْلِ الَّذِي يُعْشَى ، اَللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ تَقْدَرَ نَارُ الْجُوعِ ، وَتَحُولَ دُونَ اَلْمُجُوعِ .

قوله : « خَلَبْنَا » ، أى خدعنا . علمنا ما وراء برقه ، يريد أن ما أبدى لهم من الكلام النصيح دهم على ما عند من العلم ، كما أن البرق إذا ظهر ولمع علم ما وراءه من المطر . ابتدنا : استبقنا ، الترحاب : من قولهم . مرحبا مرحبا . هيا هيا ، أى سق . هلم ماتهيا ، أى أحضر ماتيسر . لا تلمظت بقراكم : لا تذاوقت بطعامكم ،

وأصل التَلَقُّظُ تتبع اللسان ما بقي من الطعام في الفم بعد الأكل . كَلا : قليلاً ،
وفلان كَلٌّ على أهله ، إذا لم يكن لهم مؤنة نفسه ، والكل : الإعياء ، وجمعه كلول ،
وعلى فلان كلٌّ كثير ، قال النابغة الجعدي :

رَأَيْتُمْ بَنِي سَعْدٍ كَلُولًا كَثِيرَةً شَهِيدٌ بِذَلِكَ ابْنُ حُمَادٍ بِنُ أَحْمَرَ^(١)

تَجَشَّمُوا : تَكَفَّلُوا . أَكَلَا : طَعَامَا ، وَالْأَكْلَةُ : الْغَدَاءُ وَالْعِشَاءُ ، وَالْأَصْلُ
فِي هَذَا أَنَّ الْأَكْلَ بِالْفَتْحِ ، مُصْدَرُ أَكَلَ ، وَبِالضَّمِّ مَا أَكَلَ ، وَالْأَكْلَةُ بِالْفَتْحِ :
الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ ، وَبِالضَّمِّ اللَّقْمَةُ ، وَبِالْكَسْرِ هَيْئَةُ الْأَكْلِ . هَاضَتْ : أَصْفَتْ ،
وَأَدْخَلَتْ عَلَيْهِ هَيْضَةً ، وَهِيَ التِّيءُ وَالْإِسْهَالُ ، وَأَصْلُ الْمَثَلِ : رَبُّ أَكْلَةٍ تَنْسَعُ
أَكْلَاتٍ ؛ وَقَالَ ابْنُ هَرَمَةَ :

وَرَبَّتْ أَكْلَةً نَمَتَ أَخَاهَا بِلَذَّةٍ سَاعَةٍ أَوْ كَلَّاتٍ دَهْرٍ
وَكَمْ مِنْ طَالِبٍ يُشْفَى بِشَيْءٍ وَفِيهِ هَلَاكُهُ لَوْ كَانَ بِدَرِي

وَالْمَأْكَلُ : جَمْعُ مَا كَلَّ أَوْ مَا أَكَلَ ، وَهِيَ الْأَكْلُ ، وَهِيَ أَيْضًا مَا يُوْكَلُ .
سَامَ التَّكْلِيفُ ، أَيْ عَرَضَ مُضِيفُهُ إِلَى تَكْلُفٍ مَا يَشُقُّ عَلَيْهِ . وَالْأَذَى : الضَّرَرُ ،
وَالضَّيْفُ : صَاحِبُ الْمَنْزِلِ . يَنْفِضُ : يَشُولُ . سَارَ سَائِرُهُ : انْتَشَرَ التَّحَدُّثُ بِهِ .
وَمَشَى فِي النَّاسِ . خَيْرَ الْمَشَاءِ سَوَافِرُهُ ؛ بَوَاكِرُهُ ، أَيْ مَا أَكَلَ مِنْهُ بِضُوءِ النَّهَارِ ،
وَاحِدُهَا سَافِرَةٌ ، وَالسَّافِرَةُ : الْمَرْأَةُ الَّتِي سَفَرَتْ قَابِهَا عَنْ وَجْهِهَا ، أَيْ كَشَفَتْهُ ؛
فَكَانَ اللَّقْمَةُ إِذَا أَبْصَرَتْهَا عِنْدَ أَكْلِهَا قَدْ سَفَرَتْ الظَّلَامُ عَنْ نَفْسِهَا ، وَتُجْمَعُ عَلَى
سَوَائِرٍ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى ، حَكَى أَبُو بَكْرٍ بْنُ شُعْبَانَ النَّعْوَى ، قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى
مُحَمَّدِ الْبَزْزِيدِيِّ وَهُوَ يَتَغَدَّى ، فَقَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ خَيْرَ الْغَدَاءِ بَوَاكِرُهُ ، خَيْرَ الْمَشَاءِ
مَاذَا ؟ قُلْتُ : لَا أَدْرِي ، فَقَالَ : دَخَلْتُ عَلَى حُسَيْنِ بْنِ الْخَادِمِ ، وَهُوَ يَتَغَدَّى فَقَالَ :

يا أبا سليمان ، خير العناء بواكره ، نخير العشاء ماذا ؟ قلت : لا أدرى ، قال :
كنت بحضرة الرشيد وهو يتندى ، فدخل الأصمعي ، قال : يا أصمعي ، خير
الغداء بواكره ، نخير العشاء ماذا ؟ قال : بواصره ، يعني ما يبصر من الطعام قبل
الظلام . وحكى أبو يعقوب في الغداء التأخير . قال : قال الحكيم - وقيل هو لعل
ابن أبي طالب رضي الله عنه - من سره البقاء ولا بقاء . فليكر الغداء ، وليباكر
العشاء ، وليخفف الرداء - يريد قتل الدين .

التمشي : أكل العشاء ، وهو ما يؤكل بالمشي . نبيش : يورث المشا ،
وهو سواد البصر ليلا ، قال ابن دُرَيْد :

وأرى المشا في العين أكثر ما يكون من العشاء^(١)
أراد من تأخير العشاء ، لأن أكل الطعام بالليل يحدث ضعف البصر أكثر
من غيره ، وقال كشاجم :

ونديم يخالف لا يشاء الذي أشا^(٢)
هو في الصحو لي أخ وعدو إذا انتشى
اقتربت العشاء يو ما عليه فاذنهنا
ساعة ثم قال لي : المشا يورث العشاء

كأن هذا التطبيب أخذه كشاجم من قول [ضيف] صاحب بن عباد ، قال
الصاحب : ما أنصحنى أحد كأبي الحسن البديهي ، فإنه كان عندي ، قدمت إليه
داكئة ، فأمن في الشمس ، قلت : الشمس يطلع المعدة ، قال : لا يجبنني المضيف

(١) ديوانه ٣٠ . والمعنا المقصور داء ن العين ، والمدود الأكل مشا .

(٢) ديوانه ١٠٦ .

إِذَا تَطَبَّبَ ، فَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَقْلَهَا .

وورد النهي عن ترك العشاء في حديث أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تَدْعُوا الْعِشَاءَ ، وَلَوْ بِكَفٍّ مِنْ حَشَفٍ ^(١) ، وَإِنْ تَرَكَهُ مَهْرَمَةٌ ^(٢) . »

وقوله : « تحول دين المجوع » ، أى تمنع من النوم ، وجاء في الحديث النهي عن التكلف ، قال سفيان : ذهبت أنا وصاحبى إلى سلمان ، فقال : لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن التكلف لتكلفت لكم ، ثم جاء بخبز وماء ، فقال صاحبي : لو كان في ملحنا صخرة ! فبعث سلمان مطهرته ^(٣) ، فأرهنها ^(٤) ، فجاء بصمتر ، فلما أكلنا قال صاحبي : الحمد لله الذى أقنعنا بما رزقنا ، فقال سلمان : لو قمتم لم تكن مطهرتى مرهونة ! وجاء في حديث جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « نعم الإدام الخلل » ، وكفى بالمرء إثمًا أن يسهط ما قرب إليه . المجوع ، أى النوم .

قال : فَكَأَنَّهُ أَطْلَعَ عَلَى إِزَادَتِنَا ، فَرَحَى عَنْ قَوْمِي عَقِيدَتَنَا ، لَا جَرَمَ أَنَا أَنْسَنَاهُ بِالْإِزَامِ الشَّرْطِ ، وَأُثْمِنَا عَلَى خُلُقِهِ السَّبْطِ . وَلَمَّا أَحْضَرَ الْفَلَاحَ مَارَاجَ ، وَأَذْكَى سَيْنَنَا السَّرَاجَ ، تَأَمَّلْتُهُ فَإِذَا هُوَ أَبُو زَيْدٍ ، فَقُلْتُ لِصَاحِبِي : لِيَهْنِشْكُمْ الضَّيْفُ الْوَارِدُ ، بَلِ الْمُنْمُ الْبَارِدُ ! فَإِنْ يَكُنْ أَقْلَ قَمَرِ الشَّمْرِى فَقَدْ طَلَعَ قَمَرُ الشَّمْرِ ، أَوْ اسْتَسْرَ بَذْرُ النَّثْرِ فَقَدْ تَبَلَّجَ بَذْرُ النَّثْرِ . فَسَرَتْ مُهْيَا السَّرَةِ فِيهِمْ ، وَطَارَتْ السَّنَةُ عَنْ مَا فِيهِمْ ، وَرَفَضُوا الدَّعَةَ الَّتِي كَانُوا نَوَازَهَا ،

(١) الحشف : ردىء الثمر . (٢) المطهرة : إنا يطهر به .

(٣) أرهنها : جطلها رهنًا .

وَنَابُوا إِلَى نَشْرِ الْفِكَاهَةِ بِنْد مَا طَوَّوْهَا ؛ وَأَبُو زَيْد مُكَبُّ عَلَى
إِهْمَالِ يَدَيْهِ ، حَتَّى إِذَا اسْتَرْفَعَ مَا لَدَيْهِ ، قُلْتُ لَهُ : أَطَرَفْنَا بَنَرِيَّةً مِنْ
غَرَائِبِ اسْتِمَارِكَ ، أَوْ عَجِيَّةٍ مِنْ عَجَائِبِ اسْتِفَارِكَ . .

• • •

قوله : «عقيدتنا» ؛ أى ما اعتقدت عليه ثيانتنا، ويقال : رميت عن القوس ،
ولا يقال : رميت بها ، إلا أن ترميها من يدك . لا جرم ، بمعنى حقا . ولا بد
ولا محالة . السَّبَطُ : السهل . راج : تيسر . أذكى : أوقد . السَّراج : المصباح .
تأملته : نظرت . ليهنكم ، أى ليسرّكم . الوارد : التاكد . الغم البارد : الهنى الذى
يُنْفِى دُونَ قِتَالٍ وَلَا تَعَبٍ . أَقْل : غاب . الشَّعْرَى : كوكب معروف ، وهما
شعريان : القبور والغُمُصَاء ، سَمَّوْهَا عَبُوراً لأنهم يزعمون أنها عبرت البحيرة ،
وسموا الأخرى الغُمُصَاء لأنها بكّت على أختها حتى غمضت عينها . أى خفيت .
استسرّ : غاب وخفى . الثَّوْرَةُ : ثلاثة أنجم مجتمعة . تبلىج : ظهر وأضاء . النثر :
ضد النظم ، يقول : إن غاب قمر السماء الذى يتحدث بضوئه ، فهذا أبو زيد قمر
الفصاحة قد طاع ، فجدّوا حديثكم ودعوا النوم .

سَرَتْ : مشت . حميا السرّة : شدة السرور ، والحميا : حدة الخمر وتسّى الخمر
الحميا . السّنة : أخف من النوم . ما قيمهم : عيونهم ، والمأف : طرف العين من جهة
الأنف . : تركوا . الفكاهة : الحديث للظرف ، وأصلها المزاح ، ومنه قولهم :
لا تمازحن صبيّا ولا ثقا كهن أمة ، قال ابن الأنبارى : المعنى : لا تمازحن ، إلا أنه
استسمح إعادة اللفظ فأتى بلفظ فى مثل معناه ، مخالف للفظه . وثقا كهن ، مشتق
من الفكاهة ، وهى المزاح ، وقال طرّفة :

وإن امرأ لم ينف يوماً فكاهةً لمن لم يردّ سوءاً بها لجهول^(١)

ووصف أبو العيناء ابن أبي دؤاد ، قال : له هزل يؤتم به ، وجدَّ بتقديم الجدة ،
وبين ذلك فكاهة تستلح ، ودعا به تستظرف . ومزح ، مصادره ثلاثة : مزح
ومزاح وممازحة . اليزيدي : المزاح ، بالكسر لا غير . أبو عمرو : ما ذكره اليزيدي
مصدر ما زحت مزاحاً وممازحة .

قوله : « مكب » ، أى مائل الرأس . إعمال يديه : استعمالها بالأكل . واسترفع :
أمر برفعه ، ويروى « استفرغ » ، أى أتم . أطرقنا ، أى حدثنا بطرفة ، وهى الحديث
المستلح ، والعارفة عند العرب : الشئ . الحدث الذى لم يكن عرف ، وجاء فلان .
بطرفة وشئ . طريف . وهو مشتق من الطريف والطارف ، وهما اللال المستحدث .
الذى جمعه الرجل واكتسبه . والتالذ : ما ورثه عن الآباء ، قال الشاعر :

وأصبح مالى من طريف وتالذ لغيرى وكان اللال بالأمس ماليا
أسمارك : جمع سمر ، وهو الحديث يستمر عليه .

فقال : لَقَدْ بَلَوْتُ مِنَ الْمَجَانِبِ مَا لَمْ يَرَهُ الرَّامُونَ ، وَلَا رَوَاهُ
الرَّامُونَ ؛ وَإِنْ مِنْ أَعْجَبَهَا مَا مَا يَنْتُهُ الْآيَةُ قُبِيلَ انْتِيَاكُمْ ، وَمَصِيرِي .
إِلَى بَايَكُمْ ؛ فَاسْتَخْبِرْنَاهُ عَنْ طُرْفَةِ مَرَّاهُ ، فِي مَسْرَحِ مَسْرَاهُ ، فَقَالَ :
إِنْ مَرَّامِي الثَّرْبِيَّةُ ، لَفَطَتْنِي إِلَى هَذِهِ الثَّرْبِيَّةِ ، وَأَنَا ذُو حِجَاةٍ وَبُوسَى ،
وَجَرَّابِ كِفْوَادِ أُمِّ مُوسَى . فَتَهَضَّتْ حِينَ سَجَا الدُّجَى ، عَلَى مَا بِي مِنْ
الْوَجَى ، لِأَرْتَادَ مُضِيغًا ، أَوْ أَقْتَادَ رَغِيغًا ، فَسَاقَنِي حَادِي السَّعْبِ ،
وَالْقَضَاءُ لِلْكَنَى أبا المَجَبِّ ، إِلَى أَنْ وَقَفْتُ عَلَى بَابِ دَارِ ، فَقُلْتُ
عَلَى بَدَارِ :

قوله: «ما لم يره ارامون»، أى الناظرون إليه، وقوله: «ولا رَوَاهُ الراوون» -
 أى حفظه الحافظون. عاينته: شاهدهته ورأته بمعنى. اتقيا بكم: قصدكم. مصرية :-
 رجوعى. مرآه: رؤيته. مسرح: حيث يسرح ويمشى. مسراه: سيره بالليل.
 مراعى: قواذف التربة: البلدة. مجاعة: جوع. بؤسى: ضرر. جراب: وعاء.
 الزاد. كفؤاد أم موسى، أى فارغاً قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ نُزُوداً أُمُّ مُوسَىٰ فَارِغًا﴾ (١).

[قصة موسى عليه السلام قبل مبته]

وسمى موسى لأنهم وجدوه بين ماء وشجر، ومو بالقبطية هو الماء، وشا
 الشجر، فمربت فجعلت الشين سيناً. وهو موسى بن عمران بن يصر بن قاهت بن.
 لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، ولم تزل بنو إسرائيل
 من عهد يوسف عليه السلام تحت أبدي التراعة، وم على بقايا من دين إبراهيم
 عليه السلام الشروع له وإسحاق ويعقوب ويوسف عليهم الصلاة والسلام .
 حتى كان فرعون الذى بعث موسى عليه السلام إليه، ولم يكن منهم فرعون أعتى.
 على الله منه ولا أطول عمرا. وكان شديد النافذة سبى الملكة. واسمه الوليد بن
 مصعب، وكان اتخذ بنى إسرائيل خولاً، فصنفت منهم يبنون، وصنفت محرونون.
 ومن لا عمل له وظف عليه الجزية، فرأى فى منامه أن ناراً أقبلت من المقدس،
 فأحرقت القبط وتركت بنى إسرائيل، فسأل عن رؤياه، فقيل له: يخرج من هذا
 البلد الذى جاء بنو إسرائيل منه رجل يكون على يديه هلاك مصر، فأمر بقتل
 كل مولود يولد فى بنى إسرائيل. فجمع القوابل وعهد إليهن بذلك، فذبح الولدان
 وعذب الحبالى، حتى يطرحن ما فى بطونهن، حتى كاد ينفينهم، فقيل له: إنعام خولك،
 وإنك إن تقنهم تقطع النسل. فأمر بقتل الثلمان عاماً ويُسْتَحون عاماً، فولد هارون
 فى السنة التى يستحيون فيها. وولد موسى فى السنة التى يقتلون فيها.

فلما وضعت أمه حزنّت لثأته، فأوحى الله إليها: أن أرضعيه، فإذا خفت

عليه فآلقه في اليم - وهو النيل - ولا تخافي ولا تحزني. فعمات تابوتا وجعلته فيه ، وألقته في اليم ، وقالت لأخته: قصيه ، أي اقتني أثره ، فحمله الماء حتى أدخله بين أشجار تحت قصر فرعون ، فخرج جوارى فرعون يغتسلن ، فوجدن التابوت ، فأدخلنه إلى آسية امرأة فرعون ، وهي بنت مزاحم ، إسرائيلية ، فكشفت عنه التابوت ، فرأته . فرحمته وأخذته ، وأخبرت به فرعون ، فأراد أن يذبحه ، وخشي أن يكون للولود الذي حذر منه ، فلم تزل به آسية حتى تركه لها ، وذلك قوله تعالى : ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ ^(١) ، فاللام من ﴿ ليكون ﴾ للماقبة ، ولم يكن لفرعون ولد ، فأخذته له ولدا ، فارتادرا له المرضعات ، فلم يقبل ثدي واحدة منهن ، ولما غاب أمره عن أمه ، كاد قلبها يطير وجداً عليه ، فبعثت أخته كاتبا تلتمس رضاعه ، فلما رأت أسنهم عليه حيث لا يقبل على مرضعة - وذلك قوله تعالى . ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ ﴾ - قالت : هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم ؟ فقالوا لها : دلينا على ذلك ، فذهبت فجهات بأمه .

فلما رأته كادت لشدة حبها فيه ، وزحها به أن تقول: هو ابني ، وتفتضح ، فعصمها الله من ذلك ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْ أَنَّ رَبَّنَا لِيَ قَلْبًا ﴾ ، فأعطته ثديها ، فأخذ يرضعه . فربته في قصر فرعون ، فلما تحررك عرضته آسية على فرعون ، فلما أخذه مذموسى بده إلى لحيته فتنفها ، فقال فرعون: على بالذباحين ، وإنما هو هذا ! فقالت آسية : قرءة عين لي ولك ، لا تقتلوه فإنه صبي لا يعقل ، ودعت له بجمر وياقوت لتختبره ، فطرح حبر بل عليه السلام يده في النار وأخذ قطعة منها ، فوضمها موسى عليه السلام في فيه ، فأحرته . فتركه فرعون ، فكبر في حجره . فلما ترعرع تبناه ، فكان يركب مراكبه ويلبس ملابسه ، ويدعى ابن فرعون .

(٢) - سورة القصص ١٢ .

(١) - سورة القصص ٨ .

(٣) - سورة القصص ١٠ .

ثم إن موسى عليه السلام أخبر أن فرعون قد ركب ، فركب أثره ، فأدركه ببلد منف ، فدخلها وقد أحْدِثَ لفرعون وليس في طرقها أحد ، فرأى إسرائيليا مع قبطي يقتتلان ، فاستغاثه الإسرائيلي ، فوَكَّزَ القبطيَ قفْضِي عليه ، فكان من قصته معهما ما قص الله تعالى في كتابه ، حتى خرج خائفاً يترقب إلى مدين .
وأما رجوعه منها إلى فرعون بأنه رسول الله إلى أن غرق فرعون في البحر وجنوده ، فذكر في الثامنة عشرة .

• • •

قوله : « نهضت » ، أى مشيت . سجا الدجى : سكن بالظلام وغطى كل شئ . الوحى : الحفا . أرتاد : أطلب . مضيئاً : منزلاً ، وأضافه : أنزله . وأضافه : نزل به فهو ضيئه ، أى النازل به . أقتاد : أقود . حادى السَّبَب : سائق الجوع .

• • •

وَعِشْتُمْ فِي خَفْضِ عَيْشٍ خَفِيلٍ	حَيْثُمْ يَا أَهْلَ هَذَا الْمَنْزِلِ
نِضْوٍ سُرْمِي خَابِطٍ لَيْلٍ أَيْلٍ	مَا عِنْدَكُمْ لَابْنِ سَبِيلٍ مُرْمِلٍ
مَا ذَاقَ مُذْيُومَانِ طَعْمَ الْمَأْكَلِ	جَوَى الْحَنَى عَلَى الطَّوَى مُشْتَمِلِ
وَقَدْ دَجَا جُنْحُ الظَّلَامِ الْمَسِيلِ	وَلَا لَهُ فِي أَرْضِكُمْ مِنْ مَوْتِلِ
قَهْلٍ يَهْذَا الرَّبْعِ عَذْبُ الْمَهْلِ	وَهُوَ مِنَ الْخَيْرَةِ فِي تَمَلُّلِ
وَأُبَشِّرُ بِشَرٍّ وَفَرَى مُعْجَلٍ	يَقُولُ لِي : أَلْقِ عَصَاكَ وَادْخُلِ

• • •

حَيْثُمْ : طابت حياتكم ، والتحية البقاء . خفض : لين . وخفض عيشه خفضاً ، إذا أخضب . خضل : ناعم ، وخضل : الشئ ، يخضل خضلاً : ابتل . ابن سبيل : خاطر طريق ، وهو الغريب ، وسُمِّيَ الغريب ابن السَّيْلِ ، لأنه إذا ظهر على قوم لا يعرفونه لم يعرف له نسب إلا السبيل الذى جاء منه . ومرمِل : لا زاد له ، وأرمل القوم : نفى زادم

ومن أبيات اللغز في ابن السبيل :

وَمَحْنُ ابْنِ مَنْ لَا يَنْكِرُ النَّاسَ فَضْلَهُ وليس له في الناس من طالبٍ وشرًّا
فَإِنْ تَحَنَّنُوا فِينَا أَبَانَا فَحَقَّنَا رَعَيْنَهُمْ وَإِلَّا أَوْقَدَتْ نَارَكُمْ شَرًّا
أى سيئتم في كل مكان ، كما قال الآخر :

وَأَنْتَ الَّذِي شَيَّعْتَنِي قَبْلَ شَيْبَتِي وأوقدت لي نارا بكل مكان
ومنها أيضاً :

وَأَحْيَانَا يَكُونُ كَبِيرَ سَنَةٍ وأحيانا يكون من الشباب
وَمَنْسُوبٌ إِلَى مَنْ لَمْ يَلِدْهُ كذلك الله أنزل في الكتاب

قوله : «نضو شري» ، أى هزبل من مشى الليل في الأسفار . و- ابط ليل :
الذى يمشى فيه على غير هداية . أليل : شديد السواد . جوى الحشى : فاسد
الجوف من الجوع ، وهو الطوى . مشتمل : منضم ، أى قد انضم جوفه على
الجوع ، ففسدت أحشاؤه . موئل : ملجأ ، من وألت إلى كذا ، أى لجأت . دجا :
ألبس . جنح : سواد : المسيل . المطبق . تملل : تقلب وتوجع . والرَّبع : المنزل ،
والمهبل : موضع الماء .

ويقال : ألقى عصاه ، إذا ترك السَّير وأقام ، وروى الأصمعي عن بعض البصريين
أنه قال : سُميت العصا عصاً لأن اليد والأصابع تشتمل عليها ، وهو من قول العرب :
عصوتُ القومَ إذا جمعتهم على خير أو شرٍّ ، ويقال : عُصِيَ بالسيفُ يعصى إذا
خُرب به كما يضرب بالعصا . بشر : طلاقة وجه .

قَالَ : فَبَرَزَ إِلَى جَوْدَرٍ ، عَلَيْهِ شَوَذَرٌ ، وَقَالَ :

مَوْحُومَةُ الشَّيْخِ الَّذِي سَنَّ الْقِرَى وَأَسَّسَ الْمَجْجُوجَ فِي أُمِّ الْقُرَى
تَمَّا عِنْدَنَا لِطَارِقٍ إِذَا عَرَى سَيَوَى الْحَدِيثَ وَالْمُنَاخَ فِي الذَّرَا
• فَمَا تَرَى فِيمَا ذَكَرْتُ مَا تَرَى •

• • •

برز : خرج . جودر : ظلي ، وأصله ولد الفزالة . الشوذر : ثوب قصير .

[إبراهيم عليه السلام]

والشيخ الذي سَنَّ الْقِرَى ، هو إبراهيم عليه السلام ، واختصه بلقب الشيخ لأنه أول مَنْ شَابَ ، ولما رأى الشيب ، قال : يارب ، ما هذا ؟ فأوحى الله إليه ، يا إبراهيم ، هذا وقار ، فقال : يارب زدني وقاراً . وشاب وهو ابن مائة وخمسين سنة ، وذلك أنه لما ولدت سارة إسحاق ، قال الكنعانيون : ألا تعجبون لهذا الشيخ والمعجوز وجداً غلاماً ، فتنبأه ! بصور الله إسحاق على صورة إبراهيم عليهما السلام ، فلم يفصل بينهما ، فوشم الله إبراهيم بالشيب .

قوله : «سَنَّ» : ابتداء ، وجعله سُنَّةً ، وهو أول مَنْ صَيَّفَ الضيف ، وأطعم المساكين ، وقصَّ شاربه ، وقَلَّمَ أظافره واستحذ واستاك ، وفرَّق شعره ، ومضمض واستنثر ، واستنجد بالماء . وأسَّسَ المججوج ، أي بنى أساس البيت الحرام . وأم القرى : مكة . والطارق : الآتي بالليل . والمناخ : موضع البروك . يُقَرَى : يُضَيَّف . الكرى : النوم . يرى أعظمه ، أي أزال اللعنه عنها . انبرى : اعترض .

[عما قيل في القِرَى والأضياف]

وقال حبيب في أن أول من قرى الضيف إبراهيم عليه السلام :
لِلجُودِ سَهْمٌ فِي الْمَكَارِمِ وَالتَّقَى لَا رَبَّةَ الْمَكْدَى وَلَا السُّهُومَ ^(١)

(١) ديوانه ٣٠٠ ، والمكدي : الفقير ، والسهوم : الضامر .

وبيان ذلك أن أول من قرى وجبا خليلُ الله إبراهيمُ
وقال أبو بحر صفوان بن إدريس في فتي اسمه إبراهيم ، وأبدع ما شاء
حيث قال :

أَسَمِيَّ مِنْ سَنِّ الْقِرَى رَقْعًا بَيْنَ	بَفَنِي عَلَيْكَ صَبَابَةً وَغَرَامًا
أَنَا ضَيْفُ حَسَنِكَ فَاصْطَلِبْنِي إِنْهُ	ضَيْفُ الْمَوَى يَسْتَوْجِبُ الْإِكْرَامَا
لَمَّا نَظَرْتُ نَجْمَ خِيَلَانٍ بَدَتْ	فِي مَحْنٍ وَجَنَّتِكَ اسْتَغْدَتْ مَقَامَا
أَفْنَيْتَ جِسْمَ الصَّبِّ شَوْقًا مِثْلَمَا	أَفَنَى سَمِيَّكَ قَبْلَكَ الْأَصْنَامَا
يَا زَهْرَةً سَكَنْتَ فَوَادِي غَضَّةً	إِنِّي تَبَسُّوْأْتُ اللَّهْيَبَ كَأَمَّا
حَتَّى كَأَنَّ الْحَبَّ قَالَ لِأَضْلَعِي :	يَا نَارُ كُنْ بَرْدًا لَهُ وَسَلَامَا

وقال أبو بكر بن ميمون فيما يتعلق بهذه النار :

أَبَا قَاسِمٍ وَالْمَوَى جَنَّةً	وإِنِّي مِنْ حَرِّهَا لَمْ أَقِنِ
نَفَعَتُ جَاحِمَ نَارِ الْحَشَى	وَحَضَّتْ بِحَارِ سَوَادِ الْحَدَقِ
أَكُنْتُ الْخَلِيلَ وَكُنْتُ الْكَلِيمَ	أَمَنْتُ الْجَوَى وَأَمَنْتُ الْقَرَقَ!

انظر إلى الأضياف الاربعة والأربعين .

فَقُلْتُ : مَا أَصْنَعُ بِمَنْزِلِ قَفَرٍ ، وَمَنْزِلِ حِلْفٍ قَفَرٍ ! وَلَيْكِنْ
يَا فَنِي ، مَا اسْمُكَ ، فَقَدْ فَتَنَنِي قَوْمُكَ فَقَالَ : اسْمِي زَيْدٌ ، وَمَنْشِي قَيْدٌ ،
ووردت هذه المَدرَّةُ أَمْسٍ ، مَعَ أَخْوَالِي مِنْ بَنِي عَبَسٍ .

قوله : « بمنزل قصر » كأن هذا المنزل هو الذى وصفه الآخر حيث يقول :

نيس إغلاقى لبابى أنَّ لى فيه ما أخشى عليه السرَّقا
إنما أغلقته كي لا يرى سوء حالى من يمرَّ الطُّرُقا
منزل أوطئه القصرُ فلو يدخل السارق فيه سرِّقا

[نبذ وحكايات فى البؤس والحرمان]

إنما أخذ الحريرى هذا المعنى من قصة يزيد المدنى ، وكان من أهل الناح ،
فاستضافه أعرابى ، فقال : ما عندنا إلا الأسودان ، فقال الأعرابى : خير كثير ،
فقال : لعلك تظنهما التمر والماء ! والله ما هما إلا الليل والحرة ، فلم يكن ليزيد دار
إلا الحرة - وهى أرض سوداء فيها حجارة سود ، وهى مقبرة المدينة - والقبور
المجصصة تكون بالليل موحشة ، فما ظنك بقبور سود فى أرض سوداء فى ظلمة الليل !
كيف حال من يكون هذا قراء ! فبهذا البلاء أعرض يزيد عن ضيافة الأعرابى .
ونحو هذا من أقوال المازحين قول أبى الشمقى - ويروى عن وهب
عابد قرطبة :

برزتُ من المنازل والقياب فلم يسرْ على أحدهم حجابى
فنزلى النضاء وسقفُ بيتى سماء الله أو قطعُ السحابِ
وإنى لم أجد مصراع بيتٍ يكون من السحاب إلى الترابِ
ولا انتقى الثرى عن عود نحتٍ أو مل أن أشدَّ به ثيابى
ولا خفتُ الإباق على عبيدى ولا خفتُ الهلاك على دوابى
وفى ذا راحة وفراغ بال فدأب الدهر ذا أبدا ودابى

(١٤ - شرح مقامات الحريرى ١)

وقال آخر :

ولما التمتُ الرِّزْقُ فأنجذَ حبلُهُ
خطبتُ إلى الإعدامِ إحدى بناته^(١)
فأولدها الحُرُوفُ الشَّقِيَّ فساله
فلو تهت في البِداءِ والليلِ مسبلٌ
ولو خفت شرًّا فاستترت بظلي^(٢)
ولو جادَ إنسانٌ عليَّ بدرمٍ
ولو يُمطرُ الناسُ الدنانيرَ لم يسكنُ
وإن يقتربَ ذنباً بيرةً مذنبٌ
وإن أُرَ خيراً في الأُفامِ فنازحٌ
أمامي من الحِزَمَانِ جيشٌ عَرَمَرَمٌ

وقال آخر :

لو ركبْتُ البحارَ صارت أجاجاً
ولو أني وضعت ياقوتة حمراء
ولو أني وردت عذباً فراتاً

وقال آخر :

لو وردت البحارُ أطلب ماءً
أو مسستُ المود النضيرَ بكفي
أو رميَ باسمي النجوم الدارِرى
ولو أني بست القناديلَ يومًا
جفت قبل الورود ماء البحارِ
لنوى بمد بهجة واخضرارِ
لا تزوى ضوءها عن الأبصارِ
أدغم الليل في ضياء النهارِ

(١) ط من الإعدام ، وما أتتته من اء ب .

(٢) ط : « بظلة » .

وقال شواش :

كسدت شواشيننا وَقَلَّ معاشُنَا فَعُودُنَا مَقْرُونَةٌ بِنَحْوِ
فِكَائِنَا قُطِعَتْ رِئُوسُ النَّاسِ أَوْ هُتِمْ خُذِقُوا لَشَقَوَاتِنَا بِنِيرِ رِئُوسِ
قِيلَ لِأَبِي الشَّيْمَقِ : أَبْشِرْ فَإِنَّا رَوِينَا فِي الْحَدِيثِ : « المارون في الدنيا هم
الكاسون يوم القيامة » ، فَأَنشَأَ يَقُولُ :

أَنَا فِي حَالٍ تَعَالَى اللَّهُ رَبِّي أَيْ حَالٍ
لَيْسَ لِي شَيْءٌ إِذَا قِيلَ لِمَنْ ذَا ؟ قُلْتُ ذَا لِي
فَأَرْضِي اللَّهُ فَرِيضِي وَالسَّمَوَاتُ ظِلَالِي
وَلَقَدْ أَقْلَسْتُ حَتَّى حَلَّ أَكْلِي لِعِيَالِي
مَنْ رَأَى شَيْئًا مَحَالًا فَأَنَا عَيْنُ الْمَحَالِ
لَوْ بَقِيَ فِي النَّاسِ خَرْفٌ لَمْ أَكُنْ فِي مِثْلِ حَالِي

قوله : « منزل » ، أي مضيف . حلف : صاحب . منشئ : موضعي الذي
نشأت فيه .

[ذكر مدينة فيد]

وفيد بلد مشهور ، في نصف المائة التي بين مكة وبغداد ، وفيها عين ماء ،
وينزلها عمال طريق مكة وأهلها من طيء ، وهم في سَفْحِ جَبَلِهِمُ الْمُرُوفِ بَسْلَى ،
وقد ذكرها زهير في قوله :

ثُمَّ اسْتَمَرُّوا وَقَالُوا إِنَّ مَشْرَبَكُمْ مَاءَ بَشْرِقٍ سَلَى فَيْدٌ أَوْ رَكْكَ^(١)
قال الزجاجي : سُمِّيَتْ بِفَيْدِ بْنِ حَامٍ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ نَزَلَهَا ، قَالَ : وَيَقُولُ
أَهْلُ الْمَرَاقِ : هِيَ مِنْ قَوْلِهِمْ : فَادِ الرَّجُلُ يَفِيدُ فَيْدًا إِذَا مَاتَ ، أَوْ مِنْ قَوْلِهِمْ : اسْتِنَادَ
فَائِدَةً ، وَقَلَّمَا يَقُولُونَ : أَفَادَ فَائِدَةً ، وَالْفَيْدُ أَيْضًا نَوْرُ الزَّعْفَرَانِ . قَالَ شَيْخُنَا ابْنُ جَبْرِ^(٢)

(١) ديوانه ١٦٧ ، وركك : اسم ماء بينه ، وفي ط : « ركل » تحريف .

(٢) ط : « جرير » ، تصحيف .

رضى الله عنه : إنه خرج من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم بضخوة يوم السبت الثامن من المحرم سنة سبع وتسعين مع أمير الحاج ، وصبحوا فيدأ يوم الأحد في اليوم الرابع عشر من خروجهم . ثم وصفها فقال : هي مِصْرٌ كبير ، منفرج في بسط من الأرض ، يمتد حوله رِبَضٌ ، يطيف به سور عتيق . وهو معمور يسكن من الأعراب يتعيشون ^(١) من الحجاج في التجارات والباعات وغير ذلك من المرافق ، وفيها يترك الحجاج بعض أزوادهم إعتدلاً للإرمال ^(٢) من الزاد عند انصرافهم يتركونها عند معارفهم بها ، فإذا رجعوا أخذوا أزوادهم ، ووهبوا لمن أودعها عندهم شيئاً من ذلك .

وهي نصف الطريق من بغداد إلى مكة أو أقل سيراً ، ومنها إلى الكوفة اثنا عشر يوماً في طريق سهلة . ودخلها أمير الحاج على تعبية وأهبة إرهاباً للمجتمعين بهامن الأعراب لئلا يداخلهم الطمع في الحاج ، لكنهم لا يجدون إليهم سبيلاً والمحدثه . والمياه كثيرة في آبارها ، تمدّها عيون تحت الأرض ، وامتلأت أيدي الحجاج التادمين من أغنام العرب بالمبايع ، فلم يبق خيمة ولا ظلاله إلا وإلى جانبها كبش أو كبشان ، بحسب الوجد ، فعمّ جميع الحلة الغنم واللبن والسمن والفسل ، فأكلوا واحتملوا ، وكان ذلك اليوم عيداً للركب .

قال : وبهذه الحلة المراقية ، وما انضاف إليها من الحراسانية والموصالية وسائر جهات الآفاق ينزل من محبة أمير الحاج جمع لا يحصى عددهم إلا الله تعالى ، ينص بهم البسيط الأفيع ، ويضيق بهم المهمة الضحضح ، فترى الأرض تميد بهم متيداً ، وتموج بحممهم موجاً ، فتصير بهم بحرأ طامئ القباب ، مازة السراب ، وسفينة الركاب ، وشراعة الظلال الرفوعة والقباب ، ويسير سير السحاب ، متداخلا بعضها على بعض ، فتعان تراحما في البراح المنفسح يهول ويروع ، واصطكاكا :

(١) رحلة ابن جبير : « يتعيشون » .

(٢) أرمل القوم : فقد زادهم .

لمبيع التجارات فيه ، فبعضها يبعض متروك ؛ فمن لم يشاهد هذا السفر العراقي لم يشاهد عجباً تحدث به ، ويتعجب السامع بفرائبه ، والقدرة والقوة لله وحده . وحسبك أن التازل في منزل من هذه الحلة متى خرج لبعض حاجاته ، ولم يكن له دلالة على موضعه ضلّ وتاب ، وعاد منشوداً بحملة الضوال ، وربما اضطر به الحال إلى الوصول لمضرب الأمير ورفع المسألة إليه ، فيأمر أحبا المنشدين بما أعدت لذلك ، فيردفه خلفه على جل ، ويطوف به الحلة منادياً باسم جماله وبلده ، إلى أن يؤدّبه إلى رفقته .

وعجائب هذه الحلة كثيرة ، ولأهلها من اليسار ما يغنيهم على حاكم بسيله .^(١)

وما ذكرنا أمر هذه الحلة إلا ليستدل على أن فيها بلداً في غابة القوة والعمارة ، حيث أيد هذا الجمع الكثير والجسم الغفير بما تقدم من أنواع الأرزاق ، وإن قبائل طيء متوفرة بحيث أطلع إلى الفارة على مثل هذه الحلة . وللك الله وحده منى الجميع بمد كمال العدة .

قوله : «وردت» ، أى أتيت . المدرة : البلد . عبس : قبيلة .



فَقُلْتُ لَهُ: زِدْنِي إِیْضَاً، عَشْتِ وَنُمِشْتِ، فَقَالَ: أَخْبَرْتَنِي أُمِّي بَرَّةً، وَهِيَ كَانَتْهَا بَرَّةً؛ أَنَّهُا نَكَحَتْ قَامَ الْفَارَةِ بَاعَاوَانَ، رَجُلًا مِنْ سَرَّافِ سَرُوجِ أَوْغَسَانَ، فَلَمَّا آتَسَ مِنْهَا الْإِتْقَالَ - وَكَانَ بَاقِعَةً فِيهَا يُقَالُ - ظَلَمَ عَنْهَا سِرًّا، وَهَلُمَّ جَرًّا، فَتَا يُعْرِفُ: أَحَى هُوَ فَيَوَقَعُ، أَمْ أُوْدِعَ اللَّحْدَ الْبَلَقَعَ.

قال أبو زيد: فَقُلْتُ بِصِحَّةِ الْعَلَامَاتِ أَنَّهُ وَلَدِي، وَصَدَقَنِي

عن التَّعْرِفِ إِلَيْهِ صَفَرُ يَدِي، فَفَصَلْتُ عَنْهُ بِكَبِدِ مَرْضُوضَةٍ، وَدُمُوعٍ مُمْضُوضَةٍ. قَمَلٌ سَمِعْتُمْ يَا أُولَى الْأَلْبَابِ، بِأَعْجَبَ مِنْ هَذَا الْمُعْجَابِ! فَقُلْنَا: لَا وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ، فَقَالَ: أَثْبَتُوهَا فِي عِبَائِبِ الْإِتْقَانِ، وَخَلِّدُوهَا بِطُورِ الْأَوْرَاقِ، قَمَا سَيْرٌ مِثْلَهَا فِي الْآفَاقِ. فَأَحْضَرْنَا لَدَوَّةَ وَأَسَاوِدَهَا، وَرَقَشْنَا الْحِسْكَايَةَ عَلَى مَا سَرَدَهَا.

• • •

إيضاحاً : بياناً . نُفِشت : جُبرت . وبرّة الأول اسمها والثاني صفتها ، يريد أنها مكرّمة كثيرة البرّ . نكحت : تزوجت . عام الفارة ، أى عام أغار عليها . عدوهم . ماوان : بلدة . سراة : سادة . آنس : أبصر . والإتقال : الامتلاء . باقعة : داهية ، ويقال : إنه الذى جال بقاع الأرض وعرف خبرها وشراها .

قال ابن الأنباري رحمه الله : فلان باقعة ، أى داهية حذر محتال حاذق ، وبالباقعة عند العرب : الطائر الحذر المحتال الذى يشرب الماء من الباقع^(١) ، ولا يردّ المشارع والمياه المحصورة خوفاً من أن يُحتال عليه فيصطاد ، ثم شبه به كل حذر محتال . هلم جرأ ، معناه إلى الآن ، قال ابن الأنباري : هلم جرأ ، سيروا على هينتكم ، أى تثبتوا على سيركم ، ولا تجهدوا أنفسكم ولا تشقوا عليها ، أخذ من الجرّ فى السوق ، وهو أن تترك النعم والبقرةعى فى السير ، وينتصب «جرأ» فى قول الكوفيين على المصدر ، لأن فى «هلم» معنى «جرّ» ، وفى قول البصريين : هو مصدر فى موضع الحال تقديره «هلم جارّين» أى مستبطين ، قياساً على : جاء عبد الله مشياً ، وأقبل ركضاً ، وجاء وأقبل عند الكوفيين بمعنى مشى وركض . وقال بعضهم : ينصب على التمييز . يتوقع : يُنتظر . أودع : أدخل . اللحد البلقع :

(١) للباقي : الأسكة يستق منها الماء .

اللعن الخالي . صدقي : أمانتي . التعرف : أن يعرفه أنه أبوه . صفر يدي :
فراغها من الدراهم . فصلت : زلت . مرضوضة : مدقوقة مكسورة . مفضوضة :
مفترقة . أولى الأبواب : أهل العقول . العُجَاب : مبالغة في العَجَب .

خلدوها ، أى أثبتوها . الآفاق : البلدان و جهات الأرض جميعها .
أسلودها : أقلامها . رقشنا : كتبنا . على ما سردها ، أى كما حكاهما
وتكلم بها .

ثم استبطنناه عن مُرْتَاه ، في استنضام إفتاءه ، فقال : إِذَا ثَقُلَ
رُذُنِي ، خَفَّ عَلَىَّ أَنْ أَكْفُلَ ابْنِي ؛ فَقُلْنَا : إِنْ كَانَ يَكْفِيكَ نِصَابُ
مِنْ الْمَالِ ، أَلْفَنَاهُ لَكَ فِي الْحَالِ ؛ فَقَالَ : وَكَيْفَ لَا يُقْنِعُنِي نِصَابُ ،
وَهَلْ يَحْتَقِرُ قَدْرُهُ إِلَّا مُصَابٌ ؟

قال الراوى : فالترم منه كلُّ مِنَّا قِسْطًا ، وكتب له به قِطًا ،
فشكر عند ذلك الصنَّع ، واستنفد في الثناء الوسع ، حتى إننا استطلنا
القول ، واستقلنا الطول . ثم إنه نشر من وشي السمر ، ما أزرى
بالجبر ، إلى أن أظلم التنوير ، وجشمر الصبح المُنِيرُ ، فقضيناها
ليلة غابت شوائبها ، إلى أن شابت ذوائبها ، وكمل سمودها ،
إلى أن انقطر عودها .

استبطناه : سألناه وطلبنا منه معرفة باطنه . مُرْتَاه : رأيه وغرضه . رُدْنِي : كَتَنِي . أَكْفَل : أضم . نصاب : عشرون ديناراً . أَلْتَنَاه : جمعناه . يَقْنَعْنِي : يَكْنِيْنِي . مَصَاب : مجنون . قوله : « قسطا » ، أى نصيباً . قِطًا : كتاباً . الصنع : الفعل الجميل . استنفد : استنم . الوسع : الطاقة ، ووُسْع الرجل قدر ما يحد من حال أو كلام أو غير ذلك ، وهو من السعة ، أى أثنى غاية ما يمكنه من الثناء . استطلنا : استكثرتنا ووجدناه كثيراً طويلاً ، والطَّوْلُ : الإِنعام والفضل ، أى رأينا ما أنعمنا به عليه قليلاً . والوَشْي : ثياب مرقومة بألوان شتى من الحرير . والحِجَر : ثياب فيها خطوط ورقوم مختلفة ، والحِجَر تصنع باليمن ، فثبته حسن حديثه بالوشى ، وخص الحِجَر لحسن فنونه . وقال ابن الزقاق - وكأنه وصف الليلة والمعجب الذى سامرهم به أبو زيد ، وزاد عليه الشجاعة :

لِلَّهِ لِيَلْتَنَّا أَلْتَى اسْتَجْدَى بِهَا فَلَقَّ الصَّبَاحَ لِدُفَعَةِ الْإِظْلَامِ (١)
طَرَأَتْ عَلَى مَعَ النُّجُومِ بِأَنْجَمٍ مِنْ فَتِيَةٍ بِيضِ الْوُجُوهِ كِرَامِ
إِنْ حَوْرِيَا فَزِعُوا إِلَى بِيضِ الظُّبَا أَوْ خَوِطُبُوا فَزِعُوا إِلَى الْأَقْلَامِ
فَتَرَى الْبَلَاغَةَ إِنْ نَظَرْتَ إِلَيْهِمْ وَالبَّاسَ بَيْنَ بَرَاعَةٍ وَحُكَامِ

جسر : طلع . قضيناها : أتمناها . شوائبها : ما يسكردها ويكدرها .
الدَّوَاب : الشعر الطويل الأسود ، وأراد به ظلام الليل ، وجعل فيه بياض
الصبح بمنزلة الشيب فى سواد الشعر ، قال ابن حريد :

إِنَّمَا تَرَى رَأْيِي حَاكِي لَوْنِهِ طُورَةَ صَبَحٍ تَحْتَ أَذْيَالِ الدُّجَى (٢)

(١) ديوانه ٢٩٨ .

(٢) من القصيدة ص ١١٧

انفطر : انشقّ وطلع . عودها : بياض صبحها ، ويقال : انفطر القضب ،
إذا بدأ نبات ورقه ، وقال امرؤ القيس :

* كخُرُوبة البانة المنفطر^(١) *

وَلَمَّا ذَرَّ قَرْنُ النَّزَالَةِ ، طَمَرَ طُمُورَ النَّزَالَةِ ، وَقَالَ : انْهَضْ بَنَّا
لِنَقْبِضَ الصَّلَاتِ ، وَلِنَسْتَنْصِفَ الْإِحَالَاتِ ، فَقَدْ اسْتَطَارَتْ صُدُوعُ
كَبِدِي ، مِنْ الْحَنِينِ إِلَى وَلَدِي . فَوَصَلَتْ جَنَاحَهُ ، حَتَّى سَنَيْتُ
نَجَاحَهُ ؛ فَحِينَ أَحْرَزَ التَّعِينَ فِي صُرَّتِهِ ، بَرَقَتْ أَسَارِيرُ مَسَرَّتِهِ ،
وَقَالَ لِي : جُزَيْتَ خَيْرًا عَنْ خُطَا قَدَمَيْكَ ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي
عَلَيْكَ ! فَقُلْتُ : أَرِيدُ أَنْ أَتَّبِعَكَ لِأَشَاهِدَ وَلَدَكَ النَّجِيبَ ،
وَأُتَافِقَهُ لِكَيْ يَجِيبَ .

قرن النزالة : شاعها وحاجبها ، والنزالة من أسماء الشمس ، وأسمائها
كثيرة ؛ ذكرها يعقوب وغيره ، وذكر منها عشرة خمسة بالماء ، وهي : النزالة ،
والجارية ، والجلونة ، ومهاة ، والإلاهة . وخسة بنير الماء وهي : الشمس ،
والسراج ، والضُّحَى ، ودُكَّاء ، وبوح^(٢) .

طمر : وثب . النزالة : الظبية . انهض أى قم . الصَّلَات : العطايا . نستنصِف :
نستحضر . والتَّائِض : المال الخاضر . والإِحَالَات : الديون التي وعدوه بها .
استطارت : توسعت وانتشرت . صُدُوع : شقوق . والحنين : الشوق والرحمة .
وصلت جناحه ، أى مشيت معه ویدی فی يده ، وجناح الرجل : يده . سَنَيْت :

(١) ديوانه ٥٧ ، وصدرة :

* بَرَهْرَهَةٌ رُودَةٌ رَخْصَةٌ *

(٢) مبادئ اللغة العربية ٣ ، وذكر من أسمائها أيضا براح والشرق

بَسَّرَتْ . نَجَّاحَهُ : قَضَاءُ حَاجَتِهِ . أَحْرَزَ الْعَيْنَ : حَصَلَ الْمَالُ . وَصُرَّتْهُ : خَرَقَتْهُ دِرَاحِمُهُ . بَرَقَتْ : أَمَتْ . أُسَارِيرُ : طَرِيقُ الْوَجْهِ ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « نَفْرَجُ تَهْرِقَ أُسَارِيرِ وَجْهِهِ » ، وَيُقَالُ لَهَا الْأُسْرَةُ ؛ وَيُقَالُ لِحُطُوطِ الْكَفِّ : الْأُسْرَةُ ، وَقَدْ جُمِعَ الْتَهَامِي فِي لَفْظٍ وَاحِدٍ فِي قَوْلِهِ :

بُذِيَ أُسْرَةٌ وَجْهِهِ وَيَمِينِهِ فِي سَاعَةِ الْإِعْسَارِ وَالْإِيبَارِ

مَسَّرَتْهُ : سَرَّوْرُهُ ، أَرَادَ : انْطَاقَ وَجْهِهِ سَرُوراً بِالْمَالِ . خَطَا : مَشَى .
وَالنَّجِيبُ : الْجَنِيدُ الْعَقْلُ الْكَرِيمُ الْأَصْلُ . قَوْلُهُ : « أَنَانَتْهُ » ، أَيُّ أَمْ كَلَهُ .

فَنَظَرَ إِلَى نَظَرَةٍ الْخَادِرِ إِلَى الْمَخْدُوعِ وَضَعِكَ حَتَّى تَقَرَّغَرَتْ .
مُقْلَنَامُ بِالْذُّمِّوعِ ، وَأَنْشَدَ :

يَا مَنْ تَطْنَى السَّرَابَ مَاءً	لَمَّا رَوَيْتُ الَّذِي رَوَيْتُ
مَا خِلْتُ أَنْ يَسْتَسِرَّ مَكْرِي	وَأَنْ يُخِيلَ الَّذِي عَنَيْتُ
وَاللَّهِ مَا بَرَّةٌ بِمُرْسِي	وَلَا لِي ابْنٌ بِهِ اكْتَنِيتُ
وَإِنَّمَا لِي فَنُونٌ سِخِرِ	أَبْدَعْتُ فِيهَا وَمَا اقْتَدَيْتُ
لَمْ يَخْكِيهَا الْأَصْمَعِيُّ فِيمَا	حَكَّى ، وَلَا حَاكَا الْكَمِيتُ
تَخِذْتُهَا وَضَلَّةً إِلَى مَا	تَجَنَّبُهُ كَفَى مَتَى اشْتَهَيْتُ
وَلَوْ تَمَافَيْتُهَا كَلَّاتُ	حَالِي ، وَلَمْ أَخْوِ مَاحَوَيْتُ

فَمَهْدِ الْمَذَرِ أَوْ فَسَامِحِ إِنْ كُنْتُ أَجْرَمْتُ أَوْ جَنَيْتُ
نَمْ إِنَّهُ وَدَّعَنِي وَمَضَى ، وَأَوْدَعَ قَلْبِي بَحْرَ الْغَضَى .

تفرغرت : امتلأت . تظفَى : حسب . حلت : حسبت . يستمر : ينجى .
مكرى : خداعى . يُخِيل : يابس ويشبه . عُرْسى : زوجتى . فنون : أنواع -
أبدعت فيها : أحدثتها ولم أقتد بغيرى فيها . يحكها : يحدث بها . حاكها :
نسجها وقال مثلاً . الأصمى مذكور فى القامة الأربعين .

[ذكر الكهيت وبعض أخباره وشعره]

وأما الكهيت الشاعر ، فهو ابن زيد الأسدى ، وهو شاعر مجيد مكثر
جداً ، ودبوان شعره مستعمل مشهور ؛ ولما قال قصائده الهاشميات قصداً البصرة ،
فأتى التزددى فقال : يا أبا فراس ، أنا ابن أخيك ، قال : ومن أنت ؟ فانسب له ،
قال : صدقت ، وما حاجتك ؟ قال : أنت شيخ مضر وشاعرهما ، وأحببت أن
أعرض عليك ما قلت ، فإن كان حسناً أمرتني بإذاعته ، وإن كان غير ذلك
أمرتني بستره ، قال : يا ابن أخى ، أحسب شعرك على قدر عقلك ، قل راشداً ،
فأنشده :

طربتُ وما شوقاً إلى البيضِ أماربُ ولالعباً مِنِّي وذو الشَّيبِ يلمبُ !

قال : بلى ، فالعب ، فأنشده :

ولم يُلِهْنِي دَارٌ وَلَا رِسْمُ مَنْزِلٍ ولم يَطْرَبْنِي بَنَانٌ مُخَضَّبُ

قال : ما يطرَبُ بك إذا ؟ فقال :

• لا أنا تمن يزجرُ الطيرُ همهُ أصاح غرابٌ أم تعرض ثعلبُ

قال : أنت تمن ؟ ويحك ! وإلى من تسمو ؟ قال :
ولا السامحات البارحات عشيّة أمر صحيح القرن أم مرّ أعضب
قال : أما هذا فقد أحسنت فيه ، قال :

ولكن إلى أهل الفضائل والنهي وخير بني حواء والخير يُطلب
قال : فمن هم ويحك ! فقال :

إلى النّزّ البيض الذين يحبّهم إلى الله فيما نابى أتقرب

فقال : أرخى ويحك ! من هؤلاء ؟ فقال :

بني هاشم رهط النّبيّ فإنّني بهم ولهم أرخى مراراً وأغضب

فقال : لله درك يا بنيّ ! فقد أصبت وأحسنت ، إذ عدلت عن الزّعانيف
والأوباش ، إذ لا يُصرد^(١) سهمك ، ولا يثلب قولك . ثم مرّ فيها ، فقال : أظهر
وأشهر ، فأنّت أشعر من مضى ، وأشعر من بقى^(٢) .

فحينئذ قدم المدينة ، فأتى عبد الله بن الحسين ، فأنشده ، فقال : يا أبا السّهل ،
إنّ لي ضيعة أعطيت فيها أربعة آلاف دينار وهذا كتابها ، وقد أشهدت لك بها
شهوداً ، فقال : يا بنيّ أنت وأمي ! كنت أقول الشعر لغيركم أريد به الدنيا والمال ،
ولا والله ما قلت فيكم شيئاً إلا الله ، وما كنت لأخذ في شيء جعلته الله ثمناً .
فلما أبى عليه أخذ منزله ، فدفعه إلى أربعة غلمان ، فجعل يدور به دور بني هاشم ،
ويقول : هذا الكيت ، قال فيكم الشعر حين صمت الناس عن فصلكم ،
وعرّض دمه لبني أمية ، فأثيبوه بما قدرتم . فاجتمع له من حلى النساء ومن الدنانير
هو الدرهم ما قيمته مائة ألف درهم ، فجاء بها إلى الكيت ، وقال : يا أبا السّهل

(١) أسرد السهم : أخطأ . (٢) انظر الاغانى ١٥ : ١٢٠ ، ١٢١ .

أَتَيْتُكَ بِجَهْدِ الْقَلِّ ، وَنَحْنُ فِي دَوْلَةٍ عَدَوْنَا ، فَاسْتَعْنِ بِهَذَا عَلَى دَهْرِكَ ، قَالَ :
بَابِي أَنْتَ وَأُمِّي ، قَدْ أَكْثَرْتُمْ وَأَطْبَيْتُمْ ، وَمَا أُرِدْتُ بِمَدْحِي إِلَّا بِكُمْ إِلَّا اللَّهُ ،
فَارْدَدَهُ إِلَى أَهْلِهِ . فَجُهِدَ بِهِ بِكُلِّ حِيلَةٍ ، فَأَبَى ، فَقَالَ : أَمَا إِذَا أُبَيَّتَ أَنْ تُقْبَلَ ، فَإِنْ
رَأَيْتَ أَنْ تَقُولَ شِعْرًا تَنْصُبُ بِهِ بَيْنَ النَّزَارِيَةِ وَالْبَيْتَةِ لَعْلَ فَتَنَةً تَخْرُجُ
بَيْنَ أَضْنَانِهَا ، فَقَالَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي أَوَّلُهَا :

أَلَا حُبِّتِ عَنَّا يَا مَدِينَتَا وَهَلْ بَأْسٌ بِقَوْلِ مُسْلِمِينَا^(١)

فَمَرَضَ فِيهَا ، وَصَاحَ بِالْبَيْنِ فِيمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْحَبَشَةِ وَغَيْرِهِمْ ؛ مِثْلَ قَوْلِهِ :

لَنَا قَرَّ السَّمَاءِ وَكُلِّ مَجْمَرٍ تُشِيرُ إِلَيْهِ أَيْدِي الْمُهْتَدِينَا^(٢)
وَمَا ضَرَبْتُ هَجَانُ بَنِي نَزَارٍ هَوَاجٍ مِنْ لُغُولِ الْأَنْجَمِينَا
وَمَا حَمَلُوا الْحَمِيرَ عَلَى عَتَاقٍ مُضْطَرَّةً فَيُلَفِّقُوا مُنَافِعِينَا

وَمَشَتْ فِي الْعَرَبِ ، فَانْتَحَرَتْ نَزَارَ عَلَى الْبَيْنِ وَالْبَيْنَ عَلَى نَزَارٍ ، وَثَارَتْ
الْمُصِيبَةُ فِي الْبَادِيَةِ وَالْحَاضِرَةِ ، وَتَحَرَّبَ النَّاسُ ، فَتَمَصَّبَ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ لِقَوْمِهِ مِنْ
نَزَارَ عَلَى الْبَيْنِ ، فَانْحَرَفَتْ عَنْهُ إِلَى الدَّعْوَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَكَانَ السَّكَيْتُ سَبَبَ ذَلِكَ .
وَكَانَ لَا مَتَدَاحَةَ بَنِي هَاشِمٍ وَتَمْرِيزُهُ بَيْنِي أُمِيَّةَ ، يُطَالِبُهُ خُلَفَاءُ بَنِي أُمِيَّةَ ،
فَهَرَبَ مِنْهُمْ عَشْرِينَ سَنَةً ، فَخَذَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي طَلْبِهِ وَلَمْ يَجِدْهُ ، وَلَمْ يَسْتَفِرَّ
لِلْكَفِّتِ قَرَارَ مَنْ خَوْفِهِ . وَكَانَ لِمُسْلِمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ حَاجَةٌ عِنْدَ هِشَامٍ بِقَضِيئِهَا
لَهُ ، لَا يَرِدُهُ فِيهَا ، فَخَرَجَ مُسْلِمَةُ لِبَعْضِ صَبُودِهِ ، فَأَتَاهُ النَّاسُ بِسَلْمُونَ عَلَيْهِ ، وَأَتَاهُ
الْكَفِّتُ وَمُسْلِمَةُ لَا يَمُرُّهُ . فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، أَمَا بَعْدَ :
قِفْ بِالذَّبَابِ وَقُوفِ زَائِرٌ وَتَأَيَّ إِنَّكَ غَيْرُ صَافِرٍ^(٣)

(١) وَرَدَّ الشُّطْرُ الثَّانِي عِزًّا فِي الْأَسْوَلِ وَالصَّوَابِ مَا أُنِجَتْهُ مِنَ الْخَافِرِ ٣

(٢) وَالْحَزَانَةُ ١ : ٨٦ .

(٣) ٤ : ٥ وَتَأَيَّ ، وَصَوَابُهُ مِنَ السَّانِ - أَبِي

حتى انتهى إلى قوله :

يا مسلم بن أبي الوليد —————
 علقت حبالى من حبال —————
 فآلآن صرتُ إلى أمي —————
 والآن كنتُ به المصيد —————
 لم ليت إن شئت ناسر —————
 لك ذمة الجار المجاوز —————
 في الأمور لها مصائر —————
 ب كمتد بالأس حائر —————

١٠ قال مسلمة : سبحان الله ! من هذا الذي أقبل من أخريات الناس ^(١) ثم بدأنا بالسلام ، ثم قال : أما بعد ثم الشعر ؟ قيل : الكميت ، فأعجب بفصاحته ، فسأله عما كان فيه من طول غيبته ، فذكر له سخط هشام عليه ، فضمن له أمانه وتوجه به حتى أدخله على هشام ، وهشام لا يعرفه ، فقال الكميت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، فقال هشام : نعم الحمد لله ، من هذا ؟ قال الكميت : مبتدئ الحمد ومبتدعها ، الذي خصّ بالحمد نفسه ، وأمر به ملائكته ، وجعله فاتحة كتابه ، ومنتهى شكره ، وكلام أهل جنته . أحمده حمد من علم يقيناً ، وأبصر مستبيناً ، وأشهد بما شهد به لنفسه ، قائماً بالقسط وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده والرسول له النبي الأُمي ، الذي أرسله والناس في هبوات ^(٢) حيرة ومُدْهَمَات ظلمة ، عند استمرار أئمة الضلالة . فبلغ عن الله ما أمر به ، حتى أتاه اليقين صلى الله عليه وسلم . ثم إنى يا أمير المؤمنين تهت في حيرة ، وحزت في شكره ، أهاب بي داعيها ، فأجابه غاويها ، فاقطعوا طيبت ^(٣) في الضلالة حائداً عن الحق ، قائلاً بفير الصدق ، فهذا مقام العائذ بك ، ومنطلق التائب ، ومبصر الهدى مد طول المعى . يا أمير المؤمنين ، كم من عائر أقلم عثرته ، ومجترم غفوتهم عن جرمه ! فقال هشام - وقد علم أنه الكميت : ممن سن ^(٤) لك هذه القواية ، وأهَاب بك

(١) في القصد : لمن هذا الهدى الملعاب ، اتى أقل . . . ، والمتنكر : الرجل من البهت والباطل . . . : الشيخ الكرم .

(٢) الهبوات : العواصف .

(٣) اقطولى : قارب في شبه إسراعاً .

(٤) ب : « من أين » .

في العماية ؟ قال : الذي أخرج آدم من الجنة ففسى ولم يجد له عزماً ، وأنت يا أمير المؤمنين ، أضاء الله بك الظلمة الداجية بعد المومس فيها فبصرت ، وحقن بك دماء قوم أشرب خوفك قلوبهم ؛ فهم سيكونون لا يملكون من حزمك وعزمك وبصيرتك ، وعزاً بأسك . وثبات جأشك . وأنت مستغن برأيك عن رأى ذوى الألباب ؛ برأى أريب ، وحلم مصيب . فأطال الله لأمير المؤمنين البقاء ، وأتم عليه التمام ، ودفع به الأعداء .

فرضى عنه وأمر له بمال كثير^(١) .

فهذه منزلة الكمية من الشعر والخطابة خلافاً لما يقول : القافية جلبته في المقامات ؛ وغيره من الشعراء كان أولى بموضعه .

• • •

قوله : « حاكها » ، أى نسجها . يريد أن الكمية بمن يصنع الشعر ولا يقول على طبعه ، فلذلك قال : « حاكها » . وسأل بعض الخلفاء جريراً عن الناجية وزهير ، فقال : يتبران الشعر ويسديانه ، والعلاء بالشعر يسمون صنّاع الشعر عبيد الشعر ، مثل زهير وابنه كعب والخطيئة وعدى بن الرقاع والكمية .

قوله : « تمخّذتها » ، أى اتخذتها ، يقال : تمخّذ يتخذ بمنزلة اتخذ يتخذ ، وخُفّف عنه ، حذفوا ألف الوصل من اتخذ ، والتاء الأولى الساكنة ، التى هي فاء الفعل ، فبقى تمخّذ ، ومثله تقي واتقى واتقى ، حذف ألفه وتاؤه الأولى ، وليس يطرد هذا التخفيف ، وإنما جاء فى اتخذ واتقى واتمجه واتسع ، قالوا : تقي وتمخّذ وتمجه وتسع وصلة أى موصلة . تماقيتها : تسكارهتها ، وهى تفاعلت من عفت الشيء أعافه عياناً ، أى كرهته . حالت : تغيّرت . أحر : أجمع . مهّد : أقبل وسهّل . أجمرت : أذبت لنفسى ، جنيت : أذبت لغيرى ، أراد : إن كان عذرى يتنا فاقبله ، وإن كنت ظالماً فتجاوز واسمح . أودع : ضمن وجعل فيه . النضى : شجر جره يثبت فى النار .

(١) المقدّم ٢ : ١٨٣ - ١٨٥ ، مع تصرف وحذف

المِقامَةُ السَّادِسَةُ وَهِيَ الْمِرَاعِيَّةُ

وتعرف بالخِفاء

روى الحارثُ بن همام قال : حَضَرْتُ دِيوانَ النَّظَرِ بِالْمِرَاعَةِ ،
وَقَدْ جَرَسَ بِهِ ذِكْرُ الْبَلَاغَةِ ؛ فَأَجْمَعَ مَنْ حَضَرَ مِنْ فُرُتَانِ الْبِرَاعَةِ ،
وَأَرْبابِ الْبِرَاعَةِ ، عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ مَنْ يُنْقَعُ الْإِنْشَاءُ ، وَيَتَصَرَّفُ
فِيهِ كَيْفَ شَاءَ ، وَلَا خَلْفَ ، بَعْدَ السَّلَفِ ، مَنْ يَتَدَعُ طَرِيقَةَ غُرَاءَ ،
أَوْ يَفْتَرِعُ رِسَالَةَ عَذْرَاءَ ، وَأَنَّ الْمُفْلِقَ مِنْ كُتَّابِ هَذَا الْأَوَانِ ،
الْمَتَكِنُ مِنْ أَرْمَةِ الْبَيَانِ ، كَالْعِيَالِ عَلَى الْأَوَائِلِ ، وَلَوْ مَلَكَ فَمَصَاحَةُ
سَحَابٍ وَأَنْثَى .

ديوان النظر ، أى مجلس المناظرة . للمراغة : بسطة من
كُور أذربيجان . البراعة : القلم قبل أن يبرى ويسوى ، فإذا بُرِيَ وَسُوِيَ قِيلَ
له قلم ، وبقي عليه الاسم الأول وهو البراعة ، والبراع : القصب . أرباب البراعة :
أصحاب أصالة الرأى . والبارع : الأصيل الجيد الرأى ، ويقال : برع يبرع بروعاً
وبراعة ، إذا فاق في السؤدد . وينقح : يحسن ويخلص . الإنشاء . الكتابة . خالف :
بقي . السلف : للتقدمون ، وسلفوا ذهبوا وتقدموا . يتدع : يحدث . طريقة : حالة
موصوفة ، وطريقة فلان كذا ، أى حالته التى هو عليها . غراء : واضحة مشهورة
لم يقل أحد مثلها . وغرة الشيء : أوله . يفتزع : يفتض . بكر : سميت .
عذراء لصعوبة جاعها ، وتعذر الشيء : تصعب ، وافتراع البكر : إداماؤها وإزالة
ما تصعب منها ، وكل ما أدميته فقد فرعته وافترعته ، فعنى يفتزع رسالة عذراء .

أى يأتى برسالة قد تصعب طريقها على غيره ، فاقدر هو على سلوك طريقها
والإتيان بها . لتعلق : الفصح للعرب الذى يأتى بالتأني ؛ وهو الشيء العجيب .
الأوان : الوقت . العيال : مَنْ يَتَكَلَّى فى مؤنته على غيره ولا يقوم بنفسه ، وعال
الرجل عيلة إذا افتقر ، وعُلْتُه عولا : قَت بِمؤنته ، يريد أن كتاب هذا الزمان
عيال على من تقدمهم حيث افتقروا إلى الأخذ من كلامهم .

وقد وعدنا أن نذكر سبحانه فيما يأتى إن شاء الله تعالى .

* * *

وكان بالجلس كهلٌ جالسٌ فى الحاشية ، عند مواقف الحاشية ،
فكان كلما شطَّ القوم فى شوطهم ، وَثَرُوا المَجْوَةَ والنَّجْوَةَ مِنْ نَوَاطِيهِمْ ،
يَنْبِيْءٌ مَخَازِرُ طَرَفِهِ ، وَشَامِخٌ أَتَقَهُ ، أَنَّهُ مُخَرَّبٌ لِيَنْبِاعٍ ، وَمُجَرَّمٌ
سَيِّمَةٌ الْبَاعِ ، وَنَابِضٌ يَبْرِى النَّبَالَ ، وَرَابِضٌ يَبْنِى النَّضَالَ . فَلَمَّا
نُفِذَتِ الْكَنَائِنُ ، وَفَاءَتِ السَّكَاكِينُ ، وَرَكَدَتِ الزَّعَارِعُ ، وَكَفَّ
الْمُنَازِعُ ، وَسَكَنَتِ الزَّجَاجِرُ ، وَسَكَتَ الْمَرْجُورُ وَالزَّاجِرُ ، أَقْبَلَ
عَلَى الْجَمَاعَةِ ، وَقَالَ :

* * *

الكل : التام الخلق ، بين الشاب والشيخ . الحاشية : طرف المجلس .
والحاشية الثانى . الأتباع وخدمة القوم ، وأصلها رُذَالُ الْمَالِ وصغاره ، قال
يعقوب : الحاشية والحواشى والخشو : صفار الإبل ، وأنشد :

* جَلَّتْهَا وَالْأُخْرُ الْخَوَاشِيَا *

شط : جرى . شوطهم : طَلَقَهُمْ . نثروا : أَلقَوْا عليها . المجرة : التمرة

(١٥ - شرح مقامات الحريرى ١)

الطبية . والنجوة : الرديئة ، هكذا كان ينسرها شيخنا أبو بكر بن أضر عن
ابن جهور ، وما وحدث في كتاب لغة أن النجوة اسم للتمرة الرديئة ، وقد بحث
عنها بعض أصحابنا غاية البحث في كل كتاب فيه ذكر النخل والتمر ،
فأخبرني أنه ما وجد لها ذكراً ، وأظنها لغة بصرية متعارفة بينهم في التمر الرديء ،
لا أنها لغة عربية ، فاستعملها كما استعمل غيرها من لغة بلده ، لأن البصرة أكثر
بلاد الله نخلاً ، فيسمون كل نوع من التمر باسم ، والتمر تكثر أنواعه عندهم . ورأيت
أكثر أهل سرجلماسة لا يكادون يحصون أنواعه لكثرتها ، ورأيت بها نوعاً
من التمر زعموا أنه لا يطيب أبداً ، وإنما حاله أن ينكش على نواه ، فلا تجدد
إلا جلدأ يابساً على النواة ، فيملقونه المِعز ، فيحتمل أن يكون مثل هذا في نخل
البصرة يستى نجوة ، ويقابل بالمجوة التي هي أشرف التمر وأطيبه . وأما من
فسر النجوة هنا بالارتفاع من الأرض ، فلا معنى له . الفنجديهي : النجوة ، قيل :
إنها لفظة التمر إذا سقطت لا يبالى بها ، فإن صحت روايتها فكانها سميت
بالنجوة التي هي العذرة . نوطهم : وعاء تمرهم ، قال أبو حنيفة : النوطة : الجلة
الصغيرة من جلال التمر ، والجلة : الوعاء الذي يكثر فيه التمر ، وكل وعاء له علاقة فهو
نوطة ، والجمع نوط ، وقد ناطه بنوطه ، إذا علقه ، فأراد : ألقوا الكلمة الجيدة
والرديئة من كلامهم . بنبي : بخير . تخازر طرفه : كسر عينيه بالنظر ، وتخازر :
نظر بمؤخر عينيه ، وهو نظر المنكر للشيء . تشامخ : ارتقاع ، وهو فعل المستحقر
للشيء . مخربق : متبقي . لينباع : لينهض ، وفسره أبو عبيد في الأمثال .
قال : الخربق : للطرق الساكت ، لينباع . ليثب إذا أصاب فرصة ، قال :
ومعناه أنه سكت لنهاية يريدتها ، وقيل : الخربق : الساكت على السوء . لينباع :
ليظهر الذي في ظنه من الشر . مجرمز : متقبض ، وهو كقول النابغة :
وقلت يا قوم إن الليث متقبضٌ على برائته الوثبة الضارى^(١)

(١) ديوانه ٤٢ والضارى من وصف الليث ، وروى : « لوثبة الضارى » .

فأخذه ابن الرومي فقال :

سَكَنَ سَكُونًا كَانَ رَهْنًا بَوْنِيَّةً . غَمَّاسُ كَهْلِكَ الْآلِيَّةُ الْوُثْبُ يَلْبِيدُ (١)

نابض : رام ، ويقال : أنبض القوس ، إذا جذب وترها ثم أطلقه ليختبر شدتها . ونَبِضُ العرق : تحركه ، فيكون : « نابض » على النسب ، أو على حذف الزائد . الفنجديهي : أورد أبو الحسين بن فارس اللغوي في كتابه المجمل أن نبض لغة في أنبض ، وهما بمعنى واحد ، قال الشاعر :

نَابِزٌ أَبَاهَا مَقْسِمٌ بِيَمِينِهِ لَثْنٌ نَبِضْتُ كَفِّي فَإِنِّي لِنَابِضٌ

فصح بهذا قوله . رابض : لاطىء بالأرض ، وربضت الشاة : اضطلجت .
يعنى النضال ، أى يطلب المراماة ، وأراد أنه يريد أن يلقي عليهم المسائل ليجاذبوه .
قوله : « نُبِضْتُ » ، أى نبضت وصبت ما فيها . الكنائن : الجباب ، وهى أوعية السهام . فاءت : رجعت . السكان : جمع سكينه ، وهى الوقار ، يريد : أتم أهل المجلس كلامهم فسكتوا . ركدت : سكنت . الرعازع : الرياح الشديدة المزلزلة ، واحدها زعزع . كفّ النازع : أمسك الخائف ، يريد أنه قطع كلامه .

لَقَدْ حِثَّمْتُ شَيْئًا إِذَا ، وَجُرْتُ عَنْ الْقَصْدِ جِدًّا ، وَعَظَّمْتُ
الْعِظَامَ الرُّفَاتَ ، وَافْتَتَّمْتُ فِي الْمَيْلِ إِلَى مَنْ فَاتَ ، وَغَمَمْتُ
جِيلَكُمْ الَّذِينَ فِيهِمْ لَكُمْ اللَّدَاتُ ، وَمَعَهُمْ انْمَعَدَتِ الْمَوَدَاتُ .
أَنْسَيْتُمْ يَاجَهَابِذَةَ النَّقْدِ ، وَمَوَابِذَةَ الْحُلِّ وَالْمَعْدِ ، مَا أَبْرَزْتُمْ

(١) يلبيد ، أى يحجم على الأرض .

طَوَارِفُ الْقَرَائِحِ ، وَبَرَزَ فِيهِ الْجَذَعُ عَلَى الْقَارِحِ ، مِنْ الْمِبَارَاتِ
 الْمُهَذَّبَةِ ، وَالِاسْتِمَارَاتِ الْمُسْتَعْدِيَةِ ، وَالرَّسَائِلِ الْمَوْشَحَةِ ، وَالْأَسَاجِيعِ
 الْمُسْتَمْلَحَةِ ، وَهَلْ لِلْقُدَمَاءِ إِذَا أَنْعَمَ النَّظَرُ ، مَنْ حَضَرَ ، غَيْرُ الْمَعَانِي
 الْمَطْرُوقَةِ الْمَوَارِدِ ، الْمَقُولَةِ الشَّوَارِدِ ، الْمَأْمُورَةِ عَنْهُمْ لِتَقَادُمِ
 الْمَوَالِدِ ، لَا لِتَقَدُّمِ الصَّائِرِ عَلَى الْوَارِدِ ، وَإِنِّي لِأَعْرِفُ الْآنَ مِنْ إِذَا
 أَنْشَأَ ، وَشَى ، وَإِذَا عَبَّرَ ، حَبَّرَ ، وَإِنْ أَهْبَبَ ، أَذْهَبَ ، وَإِذَا أَوْجَزَ ،
 أَعْجَزَ ، وَإِنْ بَدَّ ، شَدَّ ، وَمَتَى اخْتَرَعَ ، خَرَعَ .

• • •

إِذَا : أَمْرًا فظاعياً منكراً . جُرِّمَ عَنْ الْقَصْدِ : خَرَجَ عَنْ الْإِسْتِقَامَةِ . جَدًّا :
 كَثِيرًا . الرِّفَاتِ : الْبَالِيَةِ . انْتَمَ : فَعَلِمَ مَا لَا يَجِبُ وَتَجَاوَزَ فِيهِ ، وَيُقَالُ : انْتَمَتِ
 الرَّجُلُ « افْتَمَلَ » مِنَ الْفَوَاتِ ، وَفَاتَ : ذَهَبَ وَعَدِمَ . غَضِصَ : حَقَرَتْهُمُ وَغَطِصَتْ .
 جَيْلَكُمْ : أَهْلَ عَصْرِكُمْ . اللَّدَاتِ : جَمْعُ لَدَّةٍ ، وَهِيَ الَّذِي وَلَدَ مَلَكٌ . جِهَابَذَةٌ :
 حَدَاقٌ ؛ الْوَاحِدُ جِهَبِيزٌ . النَّقْدُ : مَعْرِفَةُ الْكَلَامِ ، نَقْدُهُ : مِيزُهُ ، وَأَصْلُهُ مِنْ مِيزِ الدِّرَاهِمِ
 الْجَيْدَةِ مِنَ الرَّدِيئَةِ . مَوَابِذَةٌ : حِكَاةٌ ، وَالْمَوْبِذُ : الْكَثِيرُ الْجَاءِ مِنَ الْقُرْسِ ، مِثْلُ
 الْوَزِيرِ وَالْقَائِدِ . أَبْرَزَتْهُ : أَظْهَرَتْهُ . طَوَارِفُ ، جَدِيدَاتُ وَغَرِيبَاتُ . الْقَرَائِحُ :
 الْأَذْهَانُ . بَرَزَ : غَلَبَ . الْجَذَعُ مِنَ الْخَيْلِ ابْنُ سَتَيْنِ . الْقَارِحُ : ابْنُ خَمْسٍ ،
 أَيْ غَلَبَ فِيهِ الْخَدِيثُ الْعَصْرَ الْقَدِيمَ . عِبَارَاتُ : جَمْعُ عِبَارَةٍ وَهِيَ التَّفْسِيرُ ،
 وَعَبَّرَ عَنْ فُلَانٍ : تَكَلَّمَ عَنْهُ وَكَفَتْ لِسَانَهُ . الْمُهَذَّبَةُ : الْخُلَصَةُ مِنَ الْعَيْبِ .
 الْإِسْتِمَارَةُ : أَنْ تَمِيزَ اللفظَ مَا يَسْتَحَقُّهُ غَيْرُهُ ، وَهِيَ مِنَ الْعَارِيَةِ . الْمَوْشَحَةُ : الْمَزِينَةُ .
 الْأَسَاجِيعُ : جَمْعُ أَسْجُوعَةٍ ، وَهِيَ الْكَلَامُ لِلرُّبُوطِ بِقَافِيَةٍ . أَنْعَمَ : بِالْعِظَامِ الْمَطْرُوقَةِ :

التي نزل عليها . المعقولة : المربوطة . الشوارد : الفارة ، يقول : ليس للتقدم إلا
 المعاني التي قصدتها المتأخرون ، كما قصدتها المتقدمون ، وقيدتها التأخرون بالكتاب
 كما قيدتها المتقدمون ، فكان تقيدها سبباً لأن مشئت في الألفاظ فعرفت
 وحفظت . الماثورة : المحدث بها . الصادر : الخارج عن الماء ، والوارد : الداخل
 إليه ، وذكر هنا أن الصادر يتقدم الوارد ، وذلك أنا إذا فرضنا موضع ماء
 لا يمكن وروده إلا واحداً بعد واحد ، فالصادر يسبق الوارد على ما ذكره في
 انتظامه . قال الحريري في حرة النواص : إن^(١) الخواص يقولون : هذا أمر يعرفه
 الصادر والوارد ، ووجه الكلام أن يقال : الوارد والصادر ، لأنه مأخوذ من
 الورد والصدر ، ولما كان الورد يقدم الصدر ، وجب أن يقدم لفظ «الوارد»
 على الصادر ، وهذا كما ترى ، الورد يقدم الصدر في حق واحد ، يقال : ورد الماء ثم صدر
 عنه ، وأما في حق اثنين كما قدمنا وكما ذكر هو في هذه المقامة ، فالصادر يتقدم
 الوارد . وقول الناس : هذا أمر يعرفه الصادر والوارد في حق اثنين ، فهم فيه على
 صواب ، ومحال أن يكون المثل في حق واحد ، لأن الشيء لا يعطف على نفسه ،
 ولو كان الوارد على زعمه يتقدم الصادر لجاز تقديم الصادر عليه ، لأن الواو لا تعطى
 رتبة ، يقول : لا تتحدث بكلامهم ونظامهم وثرهم لفضلهم علينا ، لكن لسبقهم لنا .
 أنشأ : كتب . وشئ : زين ورقم . عبر : تكلم أو فسر . حبر : حسن .
 أوجز : اختصر . أعجز ، أى عجز عن فعله غيره . أسهب : أطال الكلام . أذهب :
 جاء بالذهب ، وأصل أسهب ، حفر بثرأ ببيدة القمر ، وأذهب : صادف معلن الذهب
 في حنبر . بدّه : ارتجل ولم يتفكر . شدّه : حير من يشعاطى منزله . اخترع :
 قال ما لم يسبق إليه . خرع : شقق المعاني .

* * *

فَقَالَ لَهُ نَاطُورَةُ الدِّيَّانِ ، وَعَيْنُ أُولَئِكَ الْأَعْيَانِ : مَنْ
 قَارِعُ هَذِي الصَّفَاةِ ، وَقَرِيعُ هَذِهِ الصِّفَاتِ ؟ فَقَالَ : إِنَّهُ قِرْنُ

مَجَالِكَ ، وَقَرَيْنُ جِدَالِكَ ؛ وَإِذَا شِئْتَ ذَاكَ فَرُضْ نَجِيًّا ، وَادْعُ
مُحِبًّا ، لَتَرَى عَجِيبًا . فَقَالَ لَهُ : يَا هَذَا ، إِنَّ الْبُنَاتَ بِأَرْضِنَا
لَا يَسْتَسِيرُ ، وَالتَّيْزَ بَيْنَ الْفِضَّةِ وَالْقِضَّةِ مُتَبَسِّرٌ ، وَقَلَّ مَنْ
اسْتَهْدَفَ لِلنُّضَالِ ، فَخَاصَ مِنَ الدَّاءِ الْعُضَالِ ، أَوْ اسْتَنَارَ نَقَمَ
الْإِمْتِحَانِ ، فَلَمْ يَقْذَ بِالْإِمْتِهَانِ ، فَلَا تُعْرِضْ عِرْضَكَ لِلْمَقَاضِيحِ ،
وَلَا تُعْرِضْ دِينَ نَصَاحَةِ النَّاصِحِ . فَقَالَ : كُلُّ أَمْرِي وَأَعْرِفُ
بَوْسَمِ قِدْحِهِ ، وَمَسْتَفْرِى اللَّيْلِ عَنْ صُبْحِهِ . فَتَنَاجَتْ الْجَمَاعَةُ
فِيمَا يُسَبِّرُ بِهِ قَلْبِيهِ ، وَيُعَمِّدُ فِيهِ تَقْلِيْبِيهِ ؛ فَقَالَ أَحَدُهُمْ :
ذَرُوهُ فِي حِصَّتِي ؛ لِأَرْمِيَهُ بِحَجَرِ قِصَّتِي ، فَإِنَّهَا عُضْلَةُ الْقُدْرِ ،
وَتَحْكُ الْمُنْتَقِدِ . فَقَالُوهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ الزُّعَامَةُ ، تَقْلِيدَ الْخَوَارِجِ ؛
أَبَا نَعَامَةَ .

قوله : « ناظورة » ، أى كبير القوم ومقدمهم الذى ينظرون إليه . الديوان :
دار الكتاب وموضع اجتماعهم . والديوان ، الزمام يسكون فيه أسماء الجند .
وأرزاقهم ، وأصله « ديوان » ، قلبت واوه الأولى ياء لانكسار ما قبلها ، ودل عليه .
دواوين فى جمعه ، وهو اسم أعجمى عربى ، والأصل فى تسميته أن كسرى أمر
الكتاب أن يجتمعوا له فى دار ، ويسموا حساب السواد فى ثلاثة أيام ، وأعجمهم
فيه ، فأخذوا فى ذلك . وأطلع عليهم لينظر ما يصنعون ؛ فنظر إليهم يحسبون بأسرع
ما يمكن ، وينسخون كذلك ، فغضب من كثرة حركتهم ، فقال : أرى « ديوان »
ومعناه شياطين ، ثم سمي موضعهم ديواناً ، ثم استعملته العرب ، وجعل كل محصل .

من كلام أو شعر ديواناً^(١). قارع: ضارب وكاسر. الصفاة: الصخرة للساء، استعارها للصب من الكلام. قريب: سيد. الصفات: النعوت التي تقدم أنه يُعرَف بِفعلها. وقرن مجالك: صاحب كلامك الذي تجول فيه — يعني نفسه. قرين جدالك: صاحب مجادلتك، والقرن بالكسر: الذي يماثلك في شدة أو حصام أو علم، وإن لم يكن بينهما معرفة، وقرينك: صاحبك الذي لا يفارقك كأنه قرن معك. والجال: اللوضع الذي تراض فيه الخيل. روض: سنن ولبن. النجيب: النعل الكريم من الإبل، وعنى نفسه. ادع مجيباً، يقول: سئني ثم ادعني أستجب لك. ترى عجيباً، في حسن جوابي. البغاث: صغار الطير. يستنسر: يصير نسراً، يقول: نحن أهل علم ومعارف، فلا تجوز علينا الخواف، والعرب تقول في أمثالها: «إن البغاث في أرضنا يستنسر»، أي يرجع الضعيف قويا لغزنا وحمايتنا له ممن يريده، وقيل في البغاث: إنه ذكر الرثم، وقيل: البغاث كل ما يُصاد من الطير، والجوارح: كل ما يصيد، والرهام: ما لا يصيد ولا يصاد، كالخطاف وغيره. القصة: الحصى البيض الصغار، ويقال: جاء بالقص والقضيض بالقاف والضاد، ومعناه جاء بالكبير والصغير. والقضيض: صغار الحصى وما تكسرت منه، وقالوا: جاءوا قضيضهم بقضيضهم. أي كلهم. استهدف: صار هدفاً، وهو الأبيض للسهم. التضال: الرامة. المضال: الذي لا يُبرأ منه. استثار: حرك نفع غبار. الامتحان: الاختبار. يفتد: يقع في عينه القذى، وهو ما يستقط في العين، ويقول: من صار غرضاً للألسنة قل أن يسلم، ومن صار طالباً لمناظرة أهل المعارف أهين وأختم. المنافض: الخزيات واشتهار الميوب. وسَم: علامة. قدحه: سهمه، يريد قداح اليسر، وكان كل رجل يعمل في قدحه علامة يعرف بها، قال دريد بن الصمة:

وأصغر من قلاح النبع فرع به علان من عقب وخرس^(٢)

(١) العرب لقجوالقي ١٥٤، وفي شفاء الطليل ٩٤ عن الرزوقي في شرح الفصيح، قال: هو عربى، من دوت الكلمة إذا ضبطها.

(٢) اللسان - خرس

الضرس : العض بالضرس ، وسنذكر في الثالثة والأربعين قذاح العرب :
 سيفرسي : سيتكشف . قوله : « تناجت » ، أي تحدثت سرّاً . يُسَرّ : يقاس .
 قليبه : بثره . يَعْمَد : يَقْصِد . تَقْلِيْه : تجريبه . ذُرُوْه : أتركوه . حِصْتِي : نصيبي .
 قصتي : خبري ، وجعل لمسأله ججراً يرميه به مجاً . عُضْلَة : صمبة . العقد :
 جمع عقدة ، يريد أن عقدها صعب الحل . محك المنتقد : وهو حجر يقاس به جيد
 الفضة والذهب من الرديء ؛ أراد أن مسأله نهاية في الصعوبة ، والمُضْلَة : كل
 مسألة شديدة لا يُهْتدى لمثلها ، ولا يوقف على جوابها ، من قولهم : داه عضال
 ومعضل ، إذا كان شديداً لا يُهْتدى لدوائه ، ولا يوقف على علاجه ، وعضات
 المرأة تعظيلاً ، نشب ولدها في بطنها ، وعضات الدجاجة بيضتها كذلك ، وفلان
 عُضْلَة من العضل ، أي داهية لا يُهْتدى لمكره . قوله : « الزعامة » ، أي
 الرياسة .

[ذكر قطري بن النجاء]

وأبونعامة هو قطري بن النجاء التميمي الخارجي . وكان له فرس يكنى
 بها في الحرب ، ويسكن في السلم أبا محمد . وقطري : منسوب إلى قطر ، موضع
 قريب من عقير .

وكان فارساً شجاعاً شاعراً مجيداً ، وكان رئيس الخوارج ، وسلموا عليه
 بأمر المؤمنين عشرين سنة ، وكان خطيباً فصيحاً . وله خطبة في ذم الدنيا انتهى
 فيها من البلاغة إلى الناية . وأولها :

أما بعد فإني أحذركم الدنيا فإنها حلوة خضرة ، حُتّت بالشهوات ، وراقّت
 بالقليل ، وتحببت بالماجل ، وتحلّت بالأمانى ، وترينت بالغرور ،
 لا تدوم زهرتها ، ولا تؤمن لجمعها ، غرارة ضلالة ، حائلة زائلة ، نافذة بائدة ،

لا تعدو إذا هي تناهت إلى أمنيّة الرغبة فيها ، والرضا عنها ، أن تكون كما قال تعالى : ﴿ كَادَ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴾ .

ومنها :

كم واثقٍ بها قد فجّته ، وذى طمأنينةٍ إليها قد صرّعته ، وذى احتيالٍ فيها قد خدّعته . وكَم من ذى أهبةٍ فيها قد صبرّته حقيراً ، وذى نخوةٍ قد ردّدته ذليلاً ، وذى تاجٍ قد كبّته لليدين والقمم ؛ سلطانها دُول ، وعيشها رنق ، وعذبها أجاج ، وحلوها صبر ، مليكها مسلوب ، وعزيزها مغلوب ، وسليمها منكوب ، وجامعها محروب ؛ مع أن وراء ذلك سكرات الموت ، وهول المطلع ، والوقوف بين يدي الحكم العدل ﴿ ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ﴾ .

ومن جيّد شعره في وقعة دُولاب :

لعمرك إني في الحياة لزاهدٌ	وفي العيش ما لم ألقِ أمّ حكيم ^(١)
من الخفّرات البيض لم ير مثلاً	شفاء لدى بثّ ولا لسقيم ^(٢)
لعمرك إني يوم أطمم وجهها	على نائبات الدهر جدّ لثيم ^(٣)
ولو شهدتني يوم دُولاب أبصرت	طعان فتى في الحرب غير ذميم ^(٤)
غداة طفت علماء بكر بن وائل	وعجّنا صدور الخليل نحو تميم ^(٥)

(١) الأغاني ٦ : ١٤٨ ، الكامل للبهراني ٣ : ٢٩٨ .

(٢) الأغاني : « لم أر مثلاً » .

(٣) دُولاب ، قال في الأغاني : « هي قرية من عمل الأهواز ، بينها وبين الأهواز نحو من أربعة فراسخ ، كانت بها حرب الأزارقة ومسلم بن عيسى بن كرز ، خليفة عبد الله بن الحارث بن نوفل بن عبد المطلب ، وذلك في أيام ابن الزبير » .

(٤) علماء ، يريد على الماء ، ويصده في رواية للبهراني :

وكان لعبد القيس أول جدّها وأحلافها من يَحْصِبِ وسليم

وظلت شيوخ الأزد في حومة الوغى تمسوم وظلّنا في الجلاء نعوم

وفي البيت الثاني إقواء .

لَمْ أَرِ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرُ مَنْظَمًا^(١) يُسْجُ دَمًا مِنْ قَائِظٍ وَكَلِيمٍ^(٢)
 وَضَارِبَةٍ خَدًّا كَرِيمًا عَلَى فَتَى أَغْرَتْ نَجِيبَ الْأُمَمَاتِ كَرِيمِ
 أَصِيبَ بَدُولَابٍ وَلَمْ تَكُ مَوْطِنًا لَهُ أَرْضُ دُولَابٍ وَدِيرٌ حَرِيمٍ^(٣)
 فَلَوْ شَهِدْتُ يَوْمَ ذَلِكَ وَخَلِينَا تَبِيحَ مِنَ الْكَفَارِ كُلِّ حَرِيمِ
 رَأَتْ فَتِيَّةٌ بَاعُوا إِلَالَهُ نَفُوسَهُمْ بِحَنَاتِ عَدَنٍ عِنْدَهُ وَنَعِيمِ

وَأُمُّ حَكِيمٍ الَّتِي شَبَّبَ بِهَا ، كَانَتْ مَعَهُ فِي عَسْكَرِ الْإِبَاضِيَّةِ ، وَكَانَتْ مِنْ أَشْجَعِ النَّاسِ ، وَأَجْمَلِهِمْ وَجْهًا ، وَأَحْسَنِهِمْ بَدِينَهُ مَنَمَسْكَا . وَكَانَ قَطْرِيَّ يَحِبُّهَا وَيَحْلِيهَا ، وَأَخْبَرَ مِنْ شَاهِدِهَا فِي تِلْكَ الْحُرُوبِ أَنَّهَا كَانَتْ تَرْتَجِزُ فَنَقُولُ :
 أَحْمِلُ رَأْسًا قَدْ سَنَمْتُ حَمَلَهُ وَقَدْ مَلَّتْ دَهْنَهُ وَغَسَلَهُ

• أَلَا فَتَى يَحْمِلُ عَنِّي ثِقْلَهُ •

وَالْخَوَارِجُ يَفْتَدُونَهَا بِالْآبَاءِ وَالْأُمَمَاتِ ، وَخِطَابُهَا جَمَاعَةً مِنْ أَشْرَافِ الْخَوَارِجِ فَرَدَّتْهُمْ ، وَقَالَتْ :

أَلَا إِنَّ وَجْهًا حَسَنَ اللَّهِ خَلَقَهُ لِأَجْدَرِ أَنْ يُبَلِّغَنِي بِهِ الْحَسَنَ جَامِعًا
 وَأَكْرَمَ هَذَا الْجِرْمَ عَنْ أَنْ يَنَالَهُ تَوَرُّكَ فَخْذِي هَمَّهْ أَنْ يَجَامِعَا

أَيْنَ هَذِهِ مِنْ أُمِّ خَارِجَةٍ ، وَاسْمُهَا عَمْرَةَ بِنْتُ سَعْدٍ ، كَانَ يُقَالُ : لَهَا خِطْبٌ ،
 فَتَقُولُ : نَسْكَحُ ، وَضَرْبُهَا الْتَلُّ قَلِيلٌ : أَسْرَعُ مِنْ نَسْكَاحِ أُمِّ خَارِجَةٍ^(٤)

(١) الْأَغَانِي وَالْكَامِلُ : « مَقْعَا » ، وَهُوَ الطَّمَنُ بِالرِّيحِ .

(٢) ط : « قَائِظٌ » . تَحْرِيفٌ ، صَوَابُهُ مِنْ أ ، ب ؛ وَالْقَائِظُ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : « قَائِظُ الرَّجُلِ » ، إِفَامَاتٌ .

(٣) دِيرٌ حَرِيمٌ : مَوْضِعٌ بِالْأَهْوَازِ .

(٤) الْمِيدَانِيُّ ١ : ٣٤٨

وأين هي من خفيدة قطريّ مع صاحبها ، حكى الإصبهانيّ عن إسماعيل بن المهاجر قال : خرجت أنا والسيد الحميريّ سكارى ، فلقينا بنت الفجاءة بن عمرو ابن قطريّ بن الفجاءة ، وكانت امرأة برزّة حسناء ، فواقها السيد ، وأنشدها من شعره ، فأعجب كل واحد منهما صاحبه ، ثم خطبها ، قالت : كيف يكون هذا ونحن على ظهر الطريق ! قال : يكون كمنكاح أمّ خارجة ، قبل لها : خطب ، قالت : نكح ، فاستضحكت وقالت : ننظر في هذا ، وعلى ذلك فمن أنت ؟ قال :

إن تسألني بقومي تسألني رجلاً في ذروة المجد من أجواد ذي يمن^(١)
ثم الولاء الذي أنجوا النجاة به من كبة النار للهادي أبي حسن
قالت : لا شيء أعجب من هذا ! يتاني وتيممة ، ورافضى وإباضية ، فكيف يجتمعان ! فقال : بحسن رأيك تسخو نفسك^(٢) ، ولا يذكر أحدنا سلفاً ولا مذهباً ، قالت : أفليس التزويج إذا علم ، انكشف معه الستور^(٣) ؟ قال : وأنا أعرض عليك أخرى ، قالت : وما هي ؟ قال : المنة^(٤) التي لا يعلم بها أحد ، قالت :

(١) بسمه في رواية الأغاني :

حوّلي بها ذو كلاعٍ في منازلها وذو رعينٍ وتمدّانٍ وذو يزَنٍ
والأزدُ أزدُ عُمانٍ الأكرمون إذا عُدّت ماثرهم في سالفِ الزّمنِ
بانت كبريتهم عني فدارهم داري في الرحب من أوطانهم ووطني
لي منزلان : بلحج منزلٌ وسطٌ منها ، ولي منزلٌ للمز في عدنِ

(٢) ط : « تحشد نفسك » ، وما أثبتته من الأغاني .

(٣) الأغاني : « انكشف معه الستور وظهرت خفيات الأمور » .

(٤) المنة : أن تزوج امرأة تتمتع بها أياماً ، ثم تخلى سبيلها ؛ وذلك أن الرجل كان يشارط المرأة شرطاً على شيء بأجل معلوم ، ويطلبها شيئاً ، فيستطاعها بذلك ، ثم تخلى سبيلها من غير تزويج ولا طلاق ؛ وقد كانت مباحة في أول الإسلام ثم حرمت ؛ والجلودي ؛ أحد كبار علماء الشيعة الإمامية كتاب أسماء المنة ومناجاة في تحليلها .

تلك أخت الزنا ، قال : أعيذك بالله أن تكفري بعد إيمانك ! قالت : وكيف ؟ قال لها : قال الله تعالى : ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ ، قالت : أستغفر الله وأقصدك ، إذ كنت صاحب قياس وتفتيش . ولما انصرفت معه ، وبات ممرسًا بها ؛ وبلغ أهلها من الخوارج أمرها تَوَعَّدوها بالقتل ، فجحدت وقالوا : أتزوجت بكافر ! فكانت تختلف إليه مدةً وتواصله ^(١) .

وقوله : « تقليد الخوارج بأبغاة » ، لما قُتِلَ الزبير بن عوف على أيدي أمير الخوارج ، أداروا أمرهم ، فأرادوا تولية عبدة بن هلال البكرى ، فقال : ألا أدلكم على من هو خير مني لکم ؟ مَنْ بطاعن في قُبُلٍ ، يحس عن دُبُرٍ ؛ عليكم بقاءى ابن الفجاءة المازنى ، فبايعوه .

فَأَقْبَلَ عَلَى السَّكَلِ ، وَقَالَ : اعْلَمْ أَنِّي أَوَالِي ، هَذَا الْوَالِي ، وَأَرْفَعُ حَالِي ، بِالْبَيَانِ الْحَالِي . وَكُنْتُ أَسْتَعِينُ عَلَى تَقْوِيمِ أَوْدِي ، فِي بِلَدِي ، بِسَمَةِ ذَاتِ يَدِي ، مَعَ قَلَّةٍ عَدَدِي . فَمَا ثَقُلَ حَاذِي ، وَانْفَدَ رِذَاذِي ، أُمَّتُهُ مِنْ أَرْجَائِي ، بِرِجَائِي ، وَدَعْوَتُهُ لِإِعَادَةِ رِوَايِي ، قَارِوَايِي ؛ فَهَشَّ لِلْوَفَادَةِ وَارْتَاخَ ، وَغَدَا بِالْإِفَادَةِ وَرَاحَ . فَلَمَّا اسْتَأْذَنَتْهُ فِي الْمَرَاكِحِ ، إِلَى الْمَرَاكِحِ ، عَلَى كَاهِلِ الْمَرَاكِحِ ؛ قَالَ : قَدْ أَزَمَّتْ أَلَا أَرْوِدُكَ بَنَاتًا ؛ وَلَا أَتَجَمُّ لَكَ شَتَاتًا ، أَوْ تُنْشِي لِي أَمَامَ ارْتِمَالِكَ ، رِسَالَةً تُودِعُهَا شَرْحَ حَالِكَ ، حُرُوفٌ لِحْدَى كَلِمَتِهَا يَبْنِيهَا النُّقْطُ ، وَحُرُوفٌ الْآخَرَى لَمْ يُجْمَعَنَّ قَطُّ ، وَقَدْ اسْتَأْنَيْتُ

(١) الأغاني ٧ : ٢٦٤ . مع اختلاف في الرواية .

بياني حولا ، فما أحرار قولا ، ونهتُ فكري سنة ، فما ازداد
إلا سنة . واستمعتُ بقاطبة الكتاب ، فكلُّ منهم قطبٌ
وتاب ، فإن كنتَ صدعتَ عن وصفك باليقين ، فأنت بآية إن
كنتَ من الصادقين .

فقال له : لقد استسمنتَ يعقوبا ، واستسقيتَ أسكوبا ،
وأعطيتَ القوسَ باريها ، وأسكنتَ الدارَ بانيها . ثم فكرَ ريثما
استجمَّ قريحته ، واستدرَّ لحيته ، وقال : ألقِ دواتك واقرب^(١) ،
وخُذْ أداتك واكُتُب :

• • •

قوله : « أوالى » ، أى ألزم وأخذته وثيا . أرقح : أصلح ، يقال رقق من
عيشه ، إذا أصلح منه ، قال الشاعر :

بترك ما رقق من عيشه يعبثُ فيه همجُ هامج^(٢)

الهمج : البعوض ، ثم قيل لأرذال الناس : همج . الحالى : اللزيق بالخلى .
أودى : عوجى . سعة : كثرة . ذات يدي ، أى مالى . عددى : عيالى . حاذى :
ظهرى ، وفلان خفيف الحاذ ، أى قليل العيال ، وأصل الحاذ مؤخر الفخذين .
نقد رذاذى : فرغ قليل مالى ، والرذاذ . الطر الضعيف . أمته : قصده . أربأى :
جهاى وبلاذى . ربأى : أملى . روائى : حسن هيتى وحالى : إروائى : إزالة
عطشى . هَشَّ : خفَّ ، ورجل هَشَّ بَسام : طليق الوجه . للوقادة : للقدوم عليه . وارتاح :
حارب واهتز . الإفاذة : تكسيب الفوائد . التراح ، بفتح اليم : الشئ والانصراف .

(١) ساطعة من مخطوطة القامات .

(٢) الهان - رقيق ، ونسبة إلى المارث بن حرة .

والمرّاح، بالضم: الموضع الذي تروح إليه الإبل وتروح منه، أو تراح إليه، أى تساق بالعشي. والمرّاح، بالكسر: النشاط والخفة، وقد مرّح مرّحاً، لعب، من الفرح. كاهل: ما بين فروع الكتفين، استعاره للنشاط. أزمعت: عزمت. بتاناً: زاداً. شتاناً: مالاً متفرقاً. تنشى: تصنع وتكتب. أمام ارتحالك: قبل سفرك: تودّعها: تضمّنّها وتجعل فيها. يعجمن: ينهطن، وأعجمت الكتاب: أزلت عنه عجمته.

قطّ: لفظة موضوعة لما مضى من الدهر. وجعل الحررى قول الخواص: «لا أكله قطّ» من أخش الخياء لتناقض الكلام، قال: وذلك أن العرب تستعمل لفظة «قطّ» فيما مضى من الزمان، كما تستعمل لفظة «أبدأ» فيما يستقبل، فيقولون ما كلمته أبدأ، والمعنى: ما كلمته فيما انقطع من عرى، لأنه من قطع الشيء، إذا قطعته، ومنه قطّ القلم، إذا قطع طرفه. وفيما يؤثّر من شجاعة على رضى الله عنه أنه كان إذا استقبل قداً، وإذا استدبر قطّاً، فالتدّ قطع الشيء طولاً، والقطّ قطع عرضاً^(١). يقول: تصنع رسالة تضمّنّها حالك، يكون تركيبها من كلمة بعمّ حروفها النقط، وكلمة لا ينقط منها حرف، وبهذا المعنى تميّنت للقامة الخيفة، لأنّ الأخيف من الخيل: الذى إحدى عينيه زرقاء. والأخرى كحلاء. استأنيت: أممات وأخرت. أحر: ردّ وراجع. نهت: أبقت. سنّة: حولا. سنّة: نوماً. قاطبة: جماعة. قطب وجهه، إذا عبّسه. صدعت: أوضحت وأظهرت، وأصل الصدع الشق. باليقين: بالحقّ الواضح. آية: علامة، قال ابن الأنبارى رحمه الله: فى قولهم آية من القرآن ثلاثة أوجه: قيل إنها علامة لا تقطع الكلام قبلها وبعدها، واحتجّ أبو عبيدة لذلك بقول الشاعر:

• بآية ما تحبون الطمّاماً •

ويقول النابغة :

تَوَقَّعْتُ آيَاتِهَا فَعَرَفْتُهَا لَسْتُ أَغْوَامَ وَذَا الْقَامُ سَابِعٌ^(١)
 الثانى: مُنِّيت الآيه لأنها جماعة حروف ، قال أبو عمرو: خرج القوم بآيتهم:
 أى بجاعتهم .

الثالث : مُنِّيت آية لأنها عجب من العجائب ، فالآية العجب .

قوله : « استسميت » : طلبت سمية أى جريه . واليتمىوب: الفرس السريع .
 استسقيت : استمطرت وطلبت سقياء . والأسكوب : المطر الكثير . باريها .
 صانها ، وكل هذه أمثال ، ويريد : أنا أهل لكل ما طلبت .

[الخطيئة وسعيد بن العاص]

وأول من قال : أعط القوس باريها^(٢) الخطيئة ، وذلك أنه دخل على سعيد
 ابن العاص وهو يقرى الناس ، فأكل أكلًا جافيًا ، وخرج الناس ، فأقام ، وأتاه
 العاجب ليخرجه فامتنع ، وقال : أترغب بهم عن مجالستي ! إني بنفسى عنهم
 لأرغب ! فقال له سعيد : دعه . ثم تذاكروا الشعر والشعراء ، فقال لم الخطيئة :
 والله ما أصبتم جيد الشعر ولا شاعر العرب ، ولو أعطيت القوس باريها ، وقفتم
 على ما تريدون ، فقال له سعيد : فمن أشعر العرب ؟ قال : الذى يقول :

لَا أَعُدُّ الْإِهْتَارَ عُدَّتًا وَلَكِنْ فَقَدْ مَنَ قَدْ رَزِيَّتُهُ الْإِعْدَامُ

إلى آخر القصيدة . قال : فمن قائلها ؟ قال : أبو دؤاد الإيادى ، قال : ثم
 من ؟ قال : والله لحسبك بى رهبة أو رغبة ؛ أنا إذا رفعت إحدى رجلتى على
 الأخرى ، وعويت فى إثر التوائى كما يعوى الفصيل الصادى إثر أمه ؛ قال :

(١) ديوانه ٥٠ .

(٢) المياني ٢ : ١٩ ، وجهرة الأمثال ١ : ٧٦ .

[من أنت ؟ قال :] ^(١) الحطيثة ، قال : حيّاك الله يا بأمليكة ، ألا أعنتنا بمكائك ، ولم تحملنا على الجهل بك ، فنضيع حقك ونبخسك قسطك ! وأدناه ووصله ^(٢) .

وقال الشاعر :

يا باري القوس . برّيا ليس يُخسِنُه لا تنظم القوس واعط القوس باريها
ريث : مقدار وبطاء . استجَم : استكثر . قريحته : طبيعته ، والقريحة في
الأصل أول ماء البئر النابع ، واستجَمها : تركها حتى تسكن . استدرّ : استنزل
دَرَّها وهو لبنها . واللمحة : الناقة ذات اللبن ؛ يريد : أقام قليلا يفكر ويختار .
ما يقول : ومثل هذه الحالة ذكرُوا أن صديقا لكلثوم العتّابي أتاه يوما ،
فقال له : اصنع لي رسالة ، فاستمدتُ مدّة ، ثم علّق القلم ، فقال له صاحبه : ما أرى
بلاغتك إلّا شاردةً عنك ، فقال له العتّابي : إني لما تناولتُ القلم تداعت عليّ
المعاني من كلّ جهة ، فأحببت أن أترك كلّ معنى حتى يرجع إلى موضعه ، وهذا
مثل قول امرئ القيس - ويقال إنه قالها وهو ابن عشر سنين :

أذودُ القوافي عني ذبادا ذباد غلام غويّ جوادا ^(٣)
فلما كثرت وعنتته تخير منها جوادا جبادا
فأعزل مرجانها جانبا وآخذ من دُرّها المسجادا

وقال عريف القوافي ^(٤) :

أبيتُ بأبواب القوافي كأنما أصادى بها ميربا من الوحش نزعاً
عوامى إلا ما جعلت وراءها عصا ميربدٍ تنشى وجوها وأذرعاً
إذا خفت أن تُروى عليّ ردديها وراء التراقي خشية أن تطلعا

(١) من الأغاني (٧) الأغاني ٢ : ١٦٧ ، مع تصرف واختصار .

(٣) ديوانه : ٢٤٨ .

(٤) كنّا ذكر المؤلف ، والأبيات في الشعر والعمراء ٢٣ ، ٦١٦ ، والبيان والتبيين ٢ : ٩٢ .

والأغاني ١١ : ١٢٣ منسوبة لسويد بن كراع .

أَصَادِي : أَدَارِي ، وجعل القوافي تفتح عليه كالإبل ، وهو يضربها بعصاه حتى يختار جياها .

[فصل في الدواة والمداد والقلم]

قوله « أَلِيقَ » ، أى اجعل فيها ليفة ، تقول : لَاقَتِ الدواة فهي مَلِيقَةٌ ، وَأَلِيقَتْهَا فهي مُلَاقَةٌ ، وجمع اللَّيْقَةِ لَيِّقٌ . ويقال للصُّوفَةُ قَبْلُ أَنْ تُبَيَّلَ بِالْمَدَادِ : البُوهة والموارة ، فإذا بَلَّتْ بِالْمَدَادِ سُمِّيَتْ لَيْقَةً ، وقد يقال لها : لَيْقَةٌ قَبْلُ أَنْ تُبَيَّلَ ، سُمِّيَتْ بِمَا تَمُوتُ إِلَيْهِ ، كما قيل لَلْكَبِشِ : ذَبِيحٌ ، وَلِلصَّيْدِ : رَمِيَّةٌ ، فَإِنْ كَانَتْ قَطَنَةً فَهِيَ الْمُطْبَقُ وَالْكُرْسَفَةُ ، وَكَرَسَفَتِ الدَّوَاةُ كُرْسَفَةً ، وَالْقَطَنُ كُلُّهُ يُقَالُ لَهُ : الْمُطْبَقُ وَالْكُرْسَفُ .

ويقال للمداد : نَقَسَ وَنَقَسَ ، وَالْكَسْرُ أَفْصَحُ ، وَقِيلَ : الْفَتْحُ مُصَدَّرٌ نَزَّهَتْهَا ، جَعَلَتْ فِيهَا نَيْسًا ، وَالْخَبْرُ مِنَ الْمَدَادِ بِالْكَسْرِ لَا غَيْرَ ، وَالْخَبْرُ بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرُ : الْعَالِمُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : سَمِيَ الْمَدَادُ حَبْرًا بِاسْمِ الْعَالِمِ ، كَأَنَّهُمْ أَرَادُوا مَدَادَ حَبْرٍ ، فَخَذَفُوا ، وَلَوْ كَانَ مَا قَالُوهُ صَحِيحًا لَقَالُوا لِلْمَدَادِ : حَبْرٌ بِالْفَتْحِ ، وَالْأَشْبَهُ أَنْ يَسَمَى حَبْرًا لِأَنَّهُ يَحْسُنُ الْكِتَابَةَ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : حَبَرْتُ الشَّيْءَ إِذَا حَسَّنْتَهُ . وَيُقَالُ لِلْجَمَالِ : حَبْرٌ وَسَبْرٌ ، فَمَدَادَ حَبْرٍ ، كَقَوْلِكَ مَدَادَ زِينَةٍ وَجَمَالٍ ، أَوْ يَكُونُ مِنَ الْخَبْرِ وَالْخُبَارِ ، وَهُوَ الْأَثَرُ ، فَيَسَمَى بِذَلِكَ لِتَأْثِيرِهِ فِي الْكِتَابِ . وَيُقَالُ : مَدَدْتُ الدَّوَاةَ أَمَدَهَا مَدًا ، إِذَا جَعَلْتُ فِيهَا مِدَادًا ، فَإِنْ كَانَ فِيهَا مَدَادٌ فَزِدْتُ عَلَيْهِ قَلْتَ : أَمَدَدْتُهَا ، إِذَا أَمَرْتَهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنَ الْمَدَادِ بِالْقَلَمِ قَلْتَ : اسْتَمَدَدَ ، فَإِنْ سَأَلْتَهُ أَنْ يَعْطِيَكَ عَلَى الْقَلَمِ مِدَادًا ، قَلْتَ : أَمَدِدْنِي مِنْ دَوَاتِكَ ، وَاسْتَمَدَدْتُهُ أَنَا ؛ سَأَلْتُهُ أَنْ يَمُدَّنِي . وَقَالَ الْخَلِيلُ : مُدَّنِي وَأَمَدَّنِي : أَعْطَنِي مِنْ مَدَادِ دَوَاتِكَ ، وَكُلُّ شَيْءٍ زَادَ فِي شَيْءٍ فَهُوَ مَدَادٌ لَهُ ، وَأَمَهَتْ الدَّوَاةُ وَمَوَّهَتْهَا ؛ إِذَا جَعَلْتَ فِيهَا مَاءً ، وَالْأَمْرُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ أَمِهْ وَمَوَّهْ دَوَاتَكَ .

وَاشْتَقَّ الدَّوَاةُ مِنَ الدَّوَاءِ ، لِأَنَّ بَيْنَهُمَا إِصْلَاحَ أَمْرِ الْكِتَابِ ، وَبَعْضُ الشُّعْرَاءِ اشْتَقَّهَا مِنْ دَوَى الرَّجُلِ يَدْوِي دَوِيًّا ، إِذَا صَارَ فِي جَوْفِهِ دَاءٌ ، قَالَ : (١٦ - شرح حطامات المريرى)

أما الدواء فأدوى حلقها جدى وحرق الخيط تحريف من القلم^(١)

ووزنها « فعلة » تحركت الياء وقبلها فتحة ، قلبت ألفاً ، وتجمع دويات ؛
كقناة وقنوات ، ودوى كقناة وقتاً . ويقال : أدويت فأنا مدو : اتخذت
دواة ، ويقال للذي يبيعها : دواء كخياط ، وإذا أمرت من يتخذها قلت : أدو
دواة ، ويقال لمن يحملها ويمسكها : دواء ، ويقال لها : الدواء والرقم والنون .
ويقال : هو القلم والمزبر بالزاي والمذبر من زبرت وذبرت ، أى كتبت ، ومن
فرقت بينهما قال : زبرت بالزاي ، أى كتبت ، وذبرت ، أى قرأت . وسمى
قلماً لأنه قلم ، أى قطع وسوى ، كما يقطع الظفر ، وكل عود قطع وخز رأسه وأعلم
بعلامة : هو قلم ، قال الله تعالى : ﴿ إِذْ يُبَلِّغُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾^(٢) ،
وكانت سهاماً فيها أسماءهم مكتوبة . ويقال للذي يقيم به : مقيم ، والذي يُبْرِى
به : مبرى ، ولما سقط عن البرى والتفليم : التلابة والبراية . وقيل لأعرابي :
ما القلم ؟ فذكر ساعة ، وجعل يقلب أصابعه ، ثم قال : لا أدري ؛ فقيل له :
توهته في نفسك ، قال : هو عود قلم من جوانبه كتفليم الأنظار . ويقال
لعمقه : الكموب ، واحداً كعقب ، ولما يئنها الأنابيب ، واحداً أنبوب ،
ويستعملان في الرمح ، وفي كل عود فيه عقد ، والمعدة التي تشينه تسمى
الأبنة وجمعها ابن ، فإن كان في العود أو القصبة تأكل ، قيل فيه : قاذح
ونقد ، ويقال لباطنه : الشحمة ، ولظاهره الليط ، فإن قشرت منه قشرة قلت :
لبيطت من القلم ليطه ، فإن أخذت شحمته بالسكين قيل : شحمته أشحمه ، فإن
أفرطت في أخذها ، قلت : بطنته تبطيناً فهو مبطن ، وحفرته فهو محفور ، فإن
تركت شحمته ، قلت : أشحمته إشحاماً . ويقال لنشائه الذي عليه : الغلاف
واللحاء والقشر ، فإذا نزعها عنه قيل : قشرته ولحوته وقشوته وسحوته ،

(١) الاقصاب ٨٢ .

(٢) آل عمران ٤٤ .

ويقال في ثلاثتها بالياء ، ووسمته ونقخته ، مشددان . ويقال لطرفيه اللذين يكتب بهما : السَّنان والشَّعيرتان ، واحدهما سنّ وشعيرة ، فإذا قطع طرفه وهيئ للكتابة قيل : قَطَطته أَقَطَه قَطًّا ، ونصمته أَفصمه قَصًّا ، والمِقط بالكسر : ما يقط عليه ، وبالفتح الموضع الذي يقط من رأسه ، فإن جعلت إحدى سنيّه أطولَ من الأخرى قلت : قلمٌ محَرَفٌ ، وقد حرّفته تحريفًا ، فإن سَوَّيْتِهما قلت : قلمٌ مبسوطٌ ، فإن سمع له صوت عند الكتابة ، فذلك الصريف والصرير والرشيْق . ويقال للقَصَب : البراع والأباء ، الواحد يَرَاعَة وأبَاءة ، وقيل : الأبَاء أطراف القلم ، أى القصب ، ويقال للقطن الذي يوجد في بطنها : البَيْتِيْلُ والقَيْصِف والقَيْسَم ، واحده بَيْتِلَةٌ وقَيْصِفَةٌ وقَيْسَمَةٌ ، فإن كان في القصب تأكل قيل فيه : قَادِحٌ وقَد ، وكذلك العود والسنّ والقَرْن ، فإن كان فيها عِوَجٌ فذلك الدَّرءُ^(١) .

قوله : «خذ أداتك» ، أى قلمك . وقال ابن طاهر لكتاب له : ألقِ دواتك ، وأطلِ سنّ قلمك ، وفرّق بين السطور ، وتوسط بين الحروف .
وقال ابن عبد ربه : ينبغي للكتاب أن يصلح آلتَه التي لا بدّ له منها ، وأداته التي لا تتمّ صناعته إلا بها ، وهى دواته ، فلينعم ربّها بإصلاحها ، ثم ليغتر من أتايب القصب أَفْلَهَا عَقْدًا ، وأكثفها لحًا ، وأصلبها قشرًا ، وأعدّها لاستواء ، ويحمل لقرطاسه سِكِينًا حادًا ليكون عونًا له على برّى أعلامه ، ويبريها من ناحية نبات القصب .

واعلم أن محلّ النظم من الكتاب محلّ الرّمح من الفارس ، نظم أحد الشعراء فقال :

يُمسِكُ الفارسُ رُحْمًا بيدٍ وأنا أُمسِكُ فيها قَصَبَةً
فكللانا فارسٌ في شأنِهِ إِنما الأَقلامُ رُمُحُ الكُتّابَةِ

(١) نظر المؤلف في هذا الفصل إلى ما أورده ابن السيد البطليوس في كتابه الاختصاص على شرح أدب الكتاب لابن قتيبة ص ٨٢ - ٨٧ مع تصرف واختصار .

وقال أبو الفتح البستي :

إن هزّ أقلامه يوماً ليعملها أنساك كل كيمي هزّ عاملة^(١)
وإن أقرّ على رقّ أنامله أقرّ بالرقّ كتاب الأنام له

رأى جعفر بن يحيى خطأ فاستحسنه ، قال : الخط خط الحكمة ، يُنظم فيه مشورها ، وتُفصل فيه شذورها .

ومن كتاب جعفر بن يحيى إلى محمد بن الليث : أما بعد ، فليكن قلبك محرّفاً ، لا متيناً ولا رقيقاً ، ضيق القلب ، فابره برياً مستويّاً كمنقار الحمامة ، أعطف بطنه ، ورقق شفرتيه ، وليكن قيرطاسك رقيقاً مستويّ النّسج ، مخرج السّحاة^(٢) ، مستويّاً من أحد الطرفين إلى آخره ، فليست تستقيم السّطور إلا فيما كان كذلك ، وليكن أكثر مَطَك في أطراف القيرطاس الذي فيه يسارك ، وأقلّه في الوسط ، ولا تخط في الطرف الآخر ، وللطّ نصف الخط ، ولا يقوى عليه إلا العاقل .

قال المتأبّي : سأني الأصمعيّ في دار الرشيد : أيّ الأنايب للكتابة أصح ، وعليها أصبر ؟ فقلت له : ما نشيف بالحجير ماؤه ، وسره من تلويعه غشاؤه ، من الدّربة الظهور ، النّيرة القشور ، الفصيّة الكسور ؛ قال : فأيّ نوع من البري أصوب وأكتب ؟ فقلت له : البرية المستوية القطعة ، التي عن يمين سنها قرنة^(٣) ، تأمن معها المجّة عند اللدّة والمطة ، للهواء في شتمها صفيق^(٤) ، وللريح في جوفها خريق ، والمداد في خرطومها رقيق . قال المتأبّي : فبقي الأصمعيّ شاخصاً إلى لا يبحر جواباً^(٥) .

(٢) السحاة : القشرة .

(١) بيتية الفهر ٤ : ٢٩١

(٣) القرنة : الطرف المائل من كل شيء .

(٤) المقد : « فيق »

(٥) المقد ٤ : ١٧٣

وقال الحسن بن وهب : يحتاج الكاتب إلى خلال : جودة يرمى القلم ،
 وإطالة جلفته ، وتحريف قِطْعته ، وحسن التآني لامتناء الأفاضل ، وإرسال المدة
 بعد إشباع الحروف ، واستواء الرسوم ، وحلاوة المقاطع .
 وقال بعض الكتاب : عَطَرُوا دِفَاتِرَكُمْ بِحَبِيدِ الْخَبَرِ ، فإِنَّ الْكُتُبَ غَوَانِ
 وَالْخَبَرَ غَوَالِرَ .

وقال بعض الكتاب أيضاً :

وما رَوْضُ الرَّبِيعِ وَقَدْ زَهَاهُ نَدَى الْأَسْعَادِ بِأَرْجٍ بِالْعَدَاةِ
 بِأَضْوَعٍ أَوْ بِأَسْطَعٍ مِنْ نَسِيمِ تَوْدِيهِ الْأَفَاوِهُ مِنْ دَوَاةِ
 كَانَ هَذَا مِنْ قَوْلِ الْآخِرِ :

دَعَى فِي الْكِتَابَةِ لَيْسَ مِنْهَا لَهُ فَيُفَكِّرُ يُعَاذِرُ وَلَا يَبْذِيهِ^(١)
 كَانَ دَوَاتُهُ مِنْ رِيْقٍ فِيهِ تَلَأَقُ ، فَرَحْمُهَا أَبْدَأُ كَرِيهِ

ونظر جعفر بن محمد إلى فتى على ثيابه أثر مداد ، وهو يستره ، قال له :
 لَا تَجْزَعَنَّ مِنَ الْمِدَادِ فَإِنَّهُ عَطَّرَ الرِّجَالَ وَحِلْيَةَ الْكِتَابِ
 وَلِبِضْمِهِمْ يَهْجُو كَاتِبًا :

حَارَتْ فِي الْكِتَابَةِ يَدْعِيهَا كَدَعَوَى آلِ حَرْبٍ فِي زِيَادِ
 فَدَخَ عَنْكَ الْكِتَابَةُ لَسْتَ مِنْهَا وَلَوْ لَطَخْتَ نَفْسَكَ بِالْمِدَادِ
 وَقَالَ كُشَّاجِمُ لُورْدَانٍ يَدْعَى الْكِتَابَةَ :

وَزَعَمْتَ أَنَّكَ فِي الْكِتَابَةِ مَدْرَكٌ شَاوِي ، صَلَتْ رِمَاحُنَا أَقْلَامٌ^(٢)
 هِيَئَاتَ تِلْكَ صِنَاعَةٍ مَمْزُوجَةٍ فِيهَا ضِيَاءٌ وَاضِحٌ وَظِلَامٌ

(١) أدب الكتاب لصولي ١٠١

(٢) ديوانه ١٦٠ وفيه : « يريق دماونا »

هذا الحديد سلاح أبطال الوغى وبه يتسج دماءنا الحجام
وقال أبو العيناء : كنتُ عند إبراهيم بن العباس ، وهو يكتب كتاباً ،
فנקطت من القلم نقطة مفسدة ، فسحها بكمه ؛ فتعجبت ، فقال : لا تعجب ،
المال فرع والقلم أصل ، والأصل أحوج إلى المراجعة من الفرع ، وبهذا السواد
جاءت هذه الثياب ، ثم أطرق قليلاً وقال :

إذا ما التكرُّ وَلَدَ حسن لفظٍ وأسلكه الوجودُ إلى البيانِ
ووشاه فنمنه جوادٌ فصيحٌ في اللقالِ بلا لسانِ
ترى حلال الأتيان منشراتٍ تجلّى بينها صور المعاني
وكتب سليمان بن وهب بقلم صلب ، فاعتمد عليه اعتماداً شديداً ، فصرَّ
القلم في يده ، فأنشد :

إذا ما التقينا واتضينا صوارماً يكاد يُصمُّ السامعين صريرُها
نساقت في القِرطاس منها بدائعٌ كمثل الآلَى نظمها وثيرُها
تقود أبيات البيان بفظنةٍ تكشف عن وجه البلاغة نورُها
تظلُّ للنابا والمطابا شوارعاً تدور بما شئنا وتمضى أمورُها
إذا ما غطوب الدهر أرخت ستورها تجلّت بنا عما يسر ستورها
وأنى رجل وكيماء ، قال : رجل يمت إليك بحزمة ! فقال له : وما حُرمتك ؟
قال له : كنت تكتب بمعبرتي عند الأعشى . فوثب وكيع إلى منزله ، ثم
أخرج منه دنائير لنفقته ، وقال له : اعذرني فما أملك غيرها ، ودنمها إليه .

وقال أبو الحسن بن لبّال في محبرة آبنوس :

وخديعة للعلم في أحشائها كلّف بجمع حلاله وحرامه
ليست رداء اللّيل ثم توشّحت بنجومه وتوجّت بهلاله

وحدثني عن شيخني النقيع أبي عبد الله بن زرقون ابنه النقيع أبو الحسين ،
قال : حدثني أبي أنه كان بسببته أيام السببية والطلب ، في مجلس جمع من طابة
الأدب ، فتعرض لهم رجل بمحبرة صنعها ، وأراد أن يقصد بها الوالي على حسنها ،
وكانت محبرة آبنوس بحلية صفراء مذهبة ، فأطرقوا يروون ، فبادرهم أبو الطالب
ابن أبي ركب فقال :

جاءتك من غُررِ العلا زنجيةٌ في حُلّةٍ من حِلّةٍ تنبغثرُ
سوداء صفراء الحلي كأنها ليل تطرّزه نجوم تزهّرُ

ناستحسنهما من حضر ، ورأوا أنه قد أربى على الفاية فيما عنه صدر ،
فكتبنا للرجل في رقعة ، فبعد ما سار بها قليلا ، رجع فأبرز منها قلم صُغِرَ مذهبا ،
ورغب أن يضمن ذكره في منظوم يضاف إلى البيتين ، فأطرقوا يروون في ذلك ،
فبادرهم أبو طالب للذكور فقال :

كَلَّتْ بِأَصْفَرٍ مِنْ نَجَارِ حُلِيِّهَا تَخْفِيهِ أحيانا ، وحينما يظهرُ
خرسان إلا حين يَرُضِعُ نديها قتره ينطق ما يشاء ويذكرُ
وقال آخر يصف دواة وأقلاما :

قَدْ بَشْنَا إِلَيْكَ أُمَّ لَلْعَطَايا وَالْمَنَايا زَجِيَّةَ الْأَخْسابِ
فِي حِشَاهَا مِنْ غَيْرِ حَرْبٍ حِرَابٍ وَهِيَ أَمْضَى مِنْ نَافِذَاتِ الْحِرَابِ

وأحسن ما قيل في القلم قول حبيب يصف قلم محمد بن عبد الملك الزيات :
لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بَسَنَاهُ نُصَابُ مِنَ الْمَرْءِ السَّكَلَى وَالْمَنَاصِلُ (١)
لَهُ الْجَلَوَاتُ اللَّاءُ لَوْلَا نَجِيئُهَا لَمَّا احْتَضَلَتْ لَكَ تِلْكَ الْمَحَافِلُ
لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتُ لِعَابُهُ وَأَرَى الْجَنَى اشْتَارَتْهُ أَبْدِرُ عَوَاسِلُ (٢)

(١) ديوانه ٢٥٧ ، وشبابة القلم : حده .

(٢) الأرى : العسل .

له ديمةٌ طُلٌّ ، ولكن وقعها بآثاره في الشرق والغرب وإيل^(١)
فصيحٌ إن استنطقته وهو راكب وأعجمٌ إن خاطبته وهو راجلٌ
إذا ما امتطى الحسَّ اللطاف وأفرغت

عليه شعاب الفكر وهي حوافلُ
أطاعته أطرافُ القنا وتوقَّصتْ لنجواه تقويضَ الخيامِ الجعافِ
إذا استغفرَ الذهنَ الذكي وأقبلتْ أعاليه في القِرطاسِ وهي أسافلُ
وقدر دنته الخنصران وسدَّتْ ثلاث نواحيه الثلاثُ الأمايلُ
رأيتَ جايلاً شأنه وهو مرهفٌ ضئي ، وسميئاً خطبه وهو ناحِلُ

وقال أبو الفتح البسي :

إذا أقسم الأبطالُ يوماً بسيفهم وعدوه مما يكسب المجد والكرم^(٢)
كنى قلم الكتاب مجداً ورفعةً مدى الدهر أن الله أقسم بالآلَمِ
وقال البحتري :

تعنوله وزراء الملك خاضعةً وعادةُ السيفِ أن يستخديمَ القلَمَ^(٣)
وقال أبو العباس التنوخي :

إن يخدمَ القلمُ السيفَ الذي خضعت

له الرقابُ ودانت خِوْفُه الاممُ

فاللوتُ والموت لا شيءَ يقابلُهُ ما زال يبيع ما يجري به القلمُ
بذا قضى الله للأقلامِ مذبذبَ ريتُ أن السيوفَ لما مذ أُرِهنتْ خدَمُ

(١) الطل : الطر القليل ، والرايل : الطر الكثير .

(٢) ديوانه ٢٠٤٨

(٣) الطراف ٢٢

وناقضه أبو الطيب المتنبي فقال :

حتى رجعتُ وأقلامي قوائِلُ لي : المجد لل سيف ليس المجد لل قلم^(١)
اكتب بنا أبدأ بعد الكتاب به فإنما نحن للأسياف كالتلدم
وقال الصولي : فاخر صاحب سيف صاحب قلم ، قال صاحب القلم : أنا أكتب
يلا غرر ، وأنت تقتل على خطر ، قال صاحب السيف : القلم خادم السيف إن تم
مداؤه ، وإلا فإلى السيف معاده .

قال الصولي : وقال بعض اليونانيين : الدين والدنيا تحت شيتين : سيف
وقلم ، والسيف تحت القلم .

وفي ذلك يقول جرير النميري :

أتحقرني ولستَ لذك أهلاً وتُدني الأصفرين من الخوان
جهاذة وكتابٌ وليسوا بفرسان الكتيبة والطعان
ستذكرني وتعرفني إذا ما تلاقى الخلقان من البطان
وقال كشاجم :

هنيئاً لأصحاب السيوف بطالة تفقى بها أيامهم في التثمم
وكم فيهم من دائم الأمر لم يرغ بحرب ولم يتهذ لقيرن مصمم
وكل ذوى الأقلام في كل ساعة سيوفهم ليست تجف من الدم
وقال آخر :

قوم إذا أخذوا الأقلام من قصير ثم استمدوا بها ماء المنيات
نالوا بها من أعاديهم وإن بدوا مالا ينال بمدة الشرقيات

وقال البحري يصف كلام الحسن بن وهب وأقلامه :

وإذا تآلق في العيون كلامه الـ
وإذا دجت أقلامه ثم انتحت
فاللفظ يقرب فهمه في بعده
فإنها ، فسانحها خلال بنائه
فكأنها والتمع معقود لها
وقال علي بن الجهم في رقعة جاءته بخط جارية :

ما رقعة جاءتك مثنيةً كأنها خدٌ على خدٍ* (٢)
نبذ سواد في ياضٍ كما (٣)
ساهمة الأسعار مصروفة
يا كاتباً أسلمني عتبهُ
وقال البحتري في ابن الزيات :

قد تصرفت في الكتابة حتى عطّل الناس ذكر عبد الحميد (٤)
في نظام من البلاغة ما شك أمرؤ أنه نظام فريد
وبدع كأنه الزهر الضاحك في روثي الربيع الجديد
ما أعبرت منه بطون القراطيد س وما حملت ظهور البريد
حزن مستعمل الكلام اختياراً وتجنّب ظلمة التقييد
كالعداوي غدوّ في الخلل الصفّر إذا رخن في الخطوب السود
قال المأمون لمحمد بن داود : إن شاركناك في اللفظ فقد تاركناك في الخط .

فقال : يا أمير المؤمنين ، إن من أعظم آيات النبي صلى الله عليه وسلم أنه أدي
عن الله تعالى رسالته ، وحفظ وحيه ، وهو أحمى لا يعرف من فنون الخط فناً .

(٢) ديوانه ٩١
(٤) ديوانه ٦٣٦ .

(١) ديوانه ١٦٤
(٣) للنبذ : الشيء القليل .

ولا يقرأ من حروفها حرفاً ، وبقي عمود ذلك في أهله ، نهم يشرفون بالشرف
الكريم في قص الخط ، كما يشرف غيرهم بزيادته ، وإن أمير المؤمنين أخص
الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ، والوارث لموضعه ، وللمتقلد لتهيئه ولأسره ،
فعلقت به المشابهة الجليلة ، وتناهد إليه الفضيلة . فقال للمأمون : يا محمد ، لقد
تركنتي لا آسى على الكتابة ولو كنت أمياً .

قد ذكرنا من آلات الكتابة ثراً ونظاماً ما فيه كناية وفي السادسة
والعشرين من النظم في أوصاف الكتاب ما يستحسن وينتظم بما أوردنا هنا .
وإنما أخرج الحريري رسالته اتخذنا من هذه الأوصاف المنظومة في الرسائل التي
قدّمناها آنفاً لما ذكره من أن جميع الكتاب قطب لإنشائها وتاب ، لما فيها من
لزوم نطق لفظة وترك أخرى ؛ وهي على ما بها من التكلف ، راحة للماني ،
أنيقة للمباني ، ولو غيره تعاطاها لأخلت معانيها ، وتداعت مبانها ، فله هو !
لقد كان منقاداً له صعب الكلام بأيسر مزام ! وما هو في محاولة البلاغة إلا
كما قال حبيب في سليمان بن وهب :

سُرُحْ نطقه إذا ما استمرت عقدة التي في لسان الخطيب^(١)
ومصيب شواكل الأمر فيه مشكلات مملكت لب اللبيب
لامعنى بكل شيء ولا كل عجيب في عينه بعجيب

الكرم - نبات الله جيش سؤدك - زرين ، والألوم - غصن الدهر
جفن سؤدك يشين ، والأروع يشيب ، والممور يخيب ، والملاحل
يضيف ، والمالحل يخيف ، والسّمح يُنذِي ، والمحك يُقْذِي ، والعطاء
يُنْجِي ، والمطال يُشْجِي ، والدعاء يقى ، والمدح يُنْيقِي ، والحُرث يجزِي .

والإلطاء يُغزى، وإطراحُ ذِي الْحَزْمَةِ غَيٌّ، وَحَزْمَةُ بَنِي الْأَمَالِ بَنِي،
وَمَا صَنَّ إِلَّا غَبِينَ، وَلَا غَبِينَ إِلَّا صَنِينَ، وَلَا خَزَنَ إِلَّا شَقِي، وَلَا
قَبْضَ رَاحَةٍ تَقِي. وَمَا قَتِيَ، وَغَدُكَ يَنِي، وَأَرَاؤُكَ تَشْنِي، وَهِيَ لَكَ
يُضِي، وَحِلْمُكَ يُنْفِي، وَالْأَوُكُ تُنْفِي، وَأَعْدَاؤُكَ تُنْفِي، وَحُسَامُكَ
يُفْنِي، وَسُودُوكَ يَدْنِي، وَمُؤَاصِلُكَ يَجْتَنِي، وَمَادِحُكَ يَهْتَنِي، وَنَمَاحُكَ
يُنْفِي، وَسَمَاؤُكَ تَنْفِي، وَدَرُكَ يَفِيضُ، وَرَدُّكَ يَنْفِيضُ، وَمَوْءُكُ
شَيْخٌ حَكَاهُ فِي، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ شَيْءٌ. أَمُّكَ بَطْنٌ حِرْصُهُ يُثَبُّ، وَمَدْحُكَ
يُنْخَبِ مُهَوَّرُهَا تَجِبُ، وَمَرَامُهُ يَخِفُ، وَأَوَاصِرُهُ تَشِفُ، وَإِطْرَاؤُهُ
يُجْتَذَبُ، وَمَلَامُهُ يُجْتَذَبُ، وَوَرَاءَهُ ضَفَفٌ، مَسَّهُمْ شَطَفٌ، وَحَصَّهُمْ
جَنَفٌ، وَنَمَّهُمْ قَشَفٌ، وَهُوَ فِي دَمْعٍ يَجِبُ، وَوَلَهُ يُذِيبُ؛ وَنَمْرٌ
تَضِيغٌ، وَكَدٌّ نَيْفٌ، لِمَا مَوْلٍ خَيْبٌ، وَإِهْمَالٌ شَيْبٌ، وَعَدُوٌّ تَيْبٌ،
وَهْدُوٌّ تَقِيْبٌ، وَلَمْ يَزْغِ وَدَّهُ فَيَنْضَبُ، وَلَا خَبُثَ عُدُوهُ فَيُتَضَبُ،
وَلَا نَفَثَ صَدْرُهُ، فَيُنْفَضُ، وَلَا نَشْرَ وَصْلُهُ فَيُنْفَضُ، وَمَا يَهْتَضِي
كَرْمُكَ تَبْدَحُ حُرْمُهُ؛ فَيُنْفَضُ أَمَلُهُ، بِتَخْفِيفِ أَمَلِهِ، يَنْتُ حَمْدُكَ بَيْنَ
عَالِيهِ. بَقِيَتْ لِإِمَامَةِ شَجَبٍ، وَإِعْطَاءِ نَسَبٍ، وَمُدَاوَاةِ شَجَنٍ، وَمُرَاعَاةِ
يَفَنٍ، مَوْصُولًا بِخَفَضٍ، وَسُرُورٍ غَضٍّ، مَا غَشِيَ مَعَهُدُ غَيٍّ، أَوْ خَشِيَ
وَمُغَيٍّ، وَالسَّلَامُ :

قوله : «غَضَّ الدهر جفن حُودُك» ، يقال : غَضَّ جَفْنَهُ ، أى سَدَّ عَيْنِيهِ ، دَعَا عَلَيْهِ بِالْمَعَى ، يقول : الكرم يَزِنُ صاحبه . واللؤم — وهو البخل — يَشِينُهُ وَيَعِيبُهُ ، ثم دَعَا له بنوام السعد وثبوتهُ ، وبمعنى عين الحُود حتى لا يَبْصُرَ مَا أُعْطِيَ المَدْحُوح من النعم ، فَيَأْخُذْهَا بِالْعَيْنِ . الأروع : السيد الكرم ، وهو الذى قَصِدَ ، وقيل : الأروع الحديد النفس ، وقيل : الذى يروَعُك بِجَالِهِ . يُنْتَبِ : يُجَازَى . قاصده . والمُتَوَرِّ : البادى التَوَرَّة ، وهو الفارس يظهر فى طمته خلل ، وأراد به الناقص الخلق الكثير السفاهة ، ومن جملة عيوبه البخل حتى يَغِيبَ قاصده ، لأنه قَابِلٌ به الأروع ، وهو التام الجسيم ، الجهير الصوت ، قال الشاعر :

يُوَاخِي لثِيمُ النَّاسِ كُلِّ مَلَأَمٍ وَيَنْطَلِقُ بِالْمَوَزَاءِ مَنْ كَانَ مُقَوِّرًا

الحلال : السيد الذى يَحْمَلُ به الناس كثيراً . يُضَيِّفُ : يُنْزِلُ الأضياف . ويكرمهم . والمآحل : البخیل ، شبه بالبلد المآحل ، وهو الجذب ، فكانَ المآحل الذى لا يوجد عنده خير ، يقال : أَمَحَلَّ البلد ، وبلد مآحل وذو مَحَلٍّ ، مثل لابن وتامر ، والمآحل النِّتَام ، يقال : يَحْمَلُ به إلى السلطان إذا وَثَّقَ به ، وهو الذى يُخَيِّفُ على الحقيقة ، والمآحل أيضاً : الحَاصِم ، وقد مآحَلْتُهُ وَمَآحَلْنِي . يُفْذَى : يَطْم . والحِكُّ : اللجوج ، وهو مقابل السَّمَح الخلق . يُفْذَى : يَجْعَلُ فى العَيْنِ قَذَى ، أى يَضُرُّ قاصده ويؤلِّه . يُنْجَى : يَخْلُصُ صاحبه من الذم ، وتقدَّم لِلطَّال . يُنْقَى : يَفْصَلُ المِيب . والإِلْطَاط : الامتناع من فعل الخير ، ويقال : لَطَّ وأَلَطَّ ، إذا ذهب ، واطَّ الشئ . وأَلَطَهُ ، إذا ستره . يُخْزَى : يَهِين . اطَّراح : ترك . ذى الحرمة ، أى صاحبها ، والحرمة ما لا يَحْمَلُ تركه لضياع ، ومن قصدك قد دخل فى حرمك ، فتركه ليس من الروءة . غَى : فساد وضلال . تَحْرَمَةُ : منع . بنى . الآمال : أهل الرجل الذين يرجون خيره وبأملونه . بَنَى : ظَلَمَ . ضَنَّ : بخل . غَنَيْنَ : مَخْدُوعٌ فى رأيه . ضنين : بخيل ، يقول : مَا يَصْنَعُ بِمَالِهِ من هو شديد .

النظر ولا الصيب الرأى إنما يبخل به مَنْ هـ فاسد النظر مغبون فى رأيه .
 خزن حبس ماله : قبض راحه ضم كفه على مافيه ، وهذه كناية عن المنع والبخل .
 والتقى : الذى يقى نفسه من العذاب بعمله الصالح ، من وقى نفسه أقيها ،
 واختلف فى وزنه قليل « فعول » وأصلها « وقوى » ، فأبدلوا من الواو تاء لقرب
 مخرجيهما ، ومن الواو الثانية ياء وأدغموها فى الياء ، وكسروا القاف لتصحح
 الياء ، والاختيار أن يكون وزنه « فعيلاً » وأصله « تقى » ، فأدغموا الياء فى الياء ،
 وللدليل على صحته جمعهم له على أتقياء ، كولى وأولياء ، ومن قال : إنه
 « فعول » قال : لما أشبه « فعيلاً » بجمع جمعه .

قوله : « ما فتى » ، أى مازال . بفتح : يصدق ويكون وثياً . آراؤك : جمع رأى .
 تشفى : تزيل الهم عن قلب وليك ، وتبرى مرض قاصدك من فقره ، يصفه بخودة
 الرأى وحسن النظر فيما يصلح به أحوال أصحابه وقصاده . هلاكك بفضى :
 يصفه بطلاقة الوجه وإضاءته عند السؤال ، قال زهير :

ترآه إذا ما جتته متهاًلاً كأنك تعطيه الذى أنت سائله^(١)
 وكما قال أبو بكر فى الطلاقة :

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهاًل

خلاقاً لسيء الخلق الذى يقطب وجهه عند اللقاء ، والليثم الذى إذا سئل
 انزوى وتقبض .

بفضى : يسمع . آلاؤك : نعمك . أعداؤك شئى : يقول لكثرة المادحين
 لك والناشرين لفضلك ، لم يمكن أعداؤك وحسادك ذمك لتكذيب الناس
 إياهم ، نصاروا يشنون عليك مع من يشئى ؛ ويحكى أن أعرابياً استضاف حاتماً ،

فلم يُنزلهُ ، فبات جائعاً مقروراً ، فلما كان في السَّحر ركب راحلته ، وانصرف ،
فتقدّمه حاتم ، فلما خرج من بين البيوت لقيه متنكراً ، فقال له : من كان أبا
مثواك البارحة ؟ قال : حاتم ، قال : فكيف كان مبيتك عنده ؟ قال : خير
مبيت ، نحر لي ناقةً فأطعمني لها عبيطاً ، وأسقاني الخمر ، وعلف راحلتي ، وسرتُ
من عنده بخير حال . قال له : أنا حاتم ، والله لا تبرحُ حتى ترى ما وصفت ،
فردّه وقال له : ما حالك على الكذب ؟ قال له الأعرابي : إنَّ الناس كلَّهم
يثنون عليك بالجدود ، ولو ذكرتُ شراً كنتُ أكذب ، فرجعت مضطراً إلى
قولهم ، إبقاء على نفسي لا عليك . وقد تقدّم قول البحريّ في هذا المعنى :

أأشكو نداء بعد ما وسع الوَرَى وَمَنْ ذَا يَذُمُّ الْفَيْثَ إِلَّا مُذَمَّمٌ^(١) !
وقال حبيب :

فإن أنا لم يحمدك عني صاغراً	عدوك فاعلم أنني غير حامدٍ ^(٢)
بسبابة تنساق من غير سائقٍ	وتنقاد في الأناق من غير قائدٍ
أفادت صديقاً من عدوٍّ وصيرت ^(٣)	أقاربَ دنيا من رجالٍ أباعدٍ
ومخلّفة لنا ترذُ أذنَ سامعٍ	فتصدر إلا عن يمين وشاهدٍ

وهذه القصيدة من كلامه يمدح بها محمد بن المهيم ، يقول : يسمع عدوك
إطناي في مدحك فيمدحك صاغراً ، فكيف وليك ! فأمدحك بقصيدة تقطع الأرض ،
ليست يابل نَساق ، ولا يَحْتِيل تنقاد ، فتردّ العدو صديقاً ، والبعيد قريباً ، ولا

(١) ديوانه ١٩٨٠

(٢) ديوانه ١١٩ ، ١٢٠

(٣) ط : « وعاودت »

يسمى أحداً إلا ويخلف أنه لم يسمع مثلاً ، فيشهد له بالصدق .

قوله : « وسوددك بديني » ، أى يرفع لك مجداً وشرافاً . حاسمك يفتى ، أى سيفك يقطع ويفتى أعدائك . مواصلك يجتنى ، أى من زارك وواصلك اجتنى نعمتك ومواهبك . يفتنى ، أى يكتسب . سماؤك تفيث ، أى تآنى . بالفيث وهو للطر فيستنيث الناس به من الجذب . سماحك يفيث ، أى جودك وحسن خلقك يفرّج كرب الهموم ، وتقول : غوث الرجل ، أى قال : واغوثاه ، واغثته أغيثه ، إذا فرّجت عنه ما يشتكى منه . درك يفيض : عطاؤك يشمل ، أى لبئك يملأ الإثاء ويفيض عليه ، يريد أن عطاءه يكثر لسايله . وردك يفيض ، أى منعك يذهب الرزق ، وغاض الماء : غار في الأرض ، مؤمك : راجيك . والنى : الظل بعد الزوال ، يريد أن عمره قد أدبر ، فنبه نفسه بالنى . الذاهب . أمك . بطن ، أى قصدك برجاء . وحرصه ينب ، أى طمعه يتزايد فيجعله في غاية من القلق . نخب : مختارة . مهورها : حقوقها ، يقول : مدحك بنخب في ملكه ، فوجبت حقوقها لحسنها وجودتها . وما ينظر إلى هذه المعارضة قول الشاعر :

وخذ حمدي بجودك ، ذا بهذا كلانا اليوم أربح صيرني
لأصبح من نوالك في رياش وتصبح من مقالى في حلى

وقال آخر :

وحلة كساها	كالخلى في الثهابة
فاستبظت مديحاً	كالأزى في نصابة
فراح في نياي	ورخت في نيايه

وقال ابن شهيد في ضيف له :
 وبل أُنْثَكَ معشوق النواء نَمْدُهُ يبشر وترحيب وبَسْطِ لِسَانٍ ^(١)
 إلى أن تشهَى البينَ من ذاتِ نَفْسِهِ وحنَّ إلى الأهلين حَنَّةَ حَانَ
 فأتبعتُهُ ما سَدَّ خَلَّةَ حَالِهِ وأتبعني ذكراً بكلَّ مَكَانٍ

قوله : « مرأه يخف » ، أى مطلبه يسهل عليك .

أواصره : جمع أصرة وهي صلة الرحم ، والأصر : الموضع الخابس ، من قولهم :
 أصرت فلاناً على الشيء أصيره أصراً ، إذا حبسته عليه وعطفته ، ويقال : ماتأصرني
 على فلان أصرة ، أى ماتحبسني عليه حابسة ، ولا تعطفني عليه عاطفة . ذكره ابن الأنباري .
 وذكر الحريري في الدرّة ، أن اشتقاق أواصر القرابة والعهد من المأصر ،
 بكسر الصاد ، ومعناه الموضع الخابس للمأصر عليه ، قسّيت أواصر ، لأنها
 تعطف على ما يجب رعايته من المودة والرحم . قال : وحكى عبيد الله بن عبد الله
 ابن طاهر ، قال : اجتمع عندنا أبو نصر أحمد بن حاتم وابن الأعرابي فتعادتا ^(٢) ،
 فحكى أبو نصر أن أبا الأسود دخل على عبيد الله بن زياد ، وعليه ثياب رَمَّةٌ ،
 فكساه ثياباً جديدة من غير أن يسأله ، أو استكساه ، فخرج وهو يقول :

كساك ولم تستكبه فحسدتَه فتى ماجد يعطى الجزيل وبأصرٍ
 وإن أحق الناس إن كنتَ مادحاً بمدحك من أعطاك والمرض وافرٍ

نقال ابن الأعرابي : « وناصر » بالنون ، قال له أبو نصر : دعني يا هذا
 وباصري وعليك بناصرك ؛ يريد : « يا صر » يعطف ^(٣) .

(١) الفخيرة لابن بياض : ٢٦٧

(٢) الدرّة : « فتعاديا المعهت » .

(٣) دوة النواصير ٧١

قوله : «تشف» ، أى تزيد وتفضل غيرها ، يقول : إن الأسباب التى توجب عطفك وحنانك على كثيرة منها الشيخ^(١) والضعف وكثرة العيال وجودة المدح ، والجهود السابقة التى بينى وبينك . إطراؤه يُجذب ، أى مدحه بتجاذبه الناس ويحرصون على تحصيله لجودته ، وأصل الإطراء المدح فى الوجه ، فهو بمشاهدته كأنه مدح طرى ، أو ظهرت عليه طراوة . ملامه يُجتنب : ذمه يخاف ويبعد منه ، فيرتضى عليه ، يقول : إن الذى رجاك شيخ مسنٌ قَبْرُ قَصْدِكَ بيقين لأنك من أهل الكرم ، فطامعه لذلك يزيد لما ارتجى من معروفك ، وأهدى إليك من مدائحه عرائس وجبت عليك حقوقها ، ومرامه سهل عليك ، ولديك علق تقوم مقام القرابة ، وتزيد على ذلك ، وله مدح يرغب فيه وذم يرهب منه .

ورواه ضفف ، أى خلفه كثرة عيال ، من ضف الطعام ضفا إذا كثرت القوم عليه ، وضمف الميش اشتد . والشطف : سوء الحال . حصمهم : عراهم وتفرشهم . جفف : ميل الدهر عليهم . قشف : بؤس عيش . يحيب : يساعد . وآله : هم وحيرة . يذيب : يذهب اللحم . تضيف : نزل به ومال إليه . كمد : حزن قارب الموت . تيف : زاد على المجهود . لأمول ، أى لمقصود مرجو . إهمال : تضييع وتسييب . نيب : عض بأسنانه . وهدو تقيب ، أى سكون وأمن زال عنه . يزغ : يمل . نفث صدره ، أى تكلم بشراً ، ونفث : برق من داء فى صدره . ومنه المثل : لا بد للمصدور أن ينفث . ينفض ، أى يضرب وييمد . نشز : ارتفع وزال . يقتضى : يتضمن ويلزم . نبذ : طرح . حرمة : جمع حرمة . يبيض أمله ، أى أسعد رجاءه ، وزدّه أبيض بمطالك الذى يخفف ألمه ، ويزيل وجعه . ينت : يفسر . عاله : ناسه وأهل زمانه . بقيت : عشت وطال بقاؤك . إماطة شجب : إزالة هلاك وتنحيته . نسب : مال . شجن : حزن ، والشجن أيضاً الحاجة . مراعاة : حفظ . يقن : شيخ كبير . موصولاً ، أى

(١) الشيخ ، محرر ، مصدر شاخ شيخ ، مثل الشيخوخة .

محتصلاً . بخفض : عيش هنيء . غنى : ناعم جديد . غشى : قصد ودخل .
ممهّد : موضع يمهّد به جلوسه . وهم غبي : غلط جاهل .

* * *

فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ إِهْلَاءِ رِسَالَتِهِ ، وَجَلَّى فِي هَيْجَاءِ الْبَلَاغَةِ عَنْ
بَسَاتِيهِ ، أَرْضَتَهُ الْجَمَاعَةُ قِعْلًا وَقَوْلًا ، وَأَوْسَعَتْهُ حِفَاوَةٌ وَطَوْلًا . ثُمَّ
سُئِلَ مِنْ أَىِّ الشُّعُوبِ نِجَارُهُ ، وَفِي أَىِّ الشُّعَابِ وَبَارُهُ ،
فَقَالَ :

غَسَّانُ أَسْرَتِي الصَّمِيمَةِ	وَسَرُوجُ تَرْبَتِي الْقَدِيمَةِ
فَالَيْتُ مِثْلُ الشَّمْسِ إِذَا	سَرَاقًا وَمَنْزِلَةً جَسِيمَةً
وَالرَّبْعُ كَالْفِرْدَوْسِ مَطْمَ-	يِيَّةٍ وَمَنْزَهَةٍ وَفِيمَةِ
وَاهَا لِعَبَشٍ كَانَ لِي	فِيهَا وَلَدَاتٍ عَيْمِمَةٍ
أَيَّامَ أَسْحَبٍ مُطَرِّفِي	فِي رَوْضِهَا مَاضِي الْقَرِيَةِ
أَخْتَالُ فِي بُرْدِ الشَّبَا	بِ وَأَجْتَلِي النِّعَمَ الْوَسِيمَةَ
لَا أَتَقِي نَوْبَ الزَّمَا	بِ وَلَا حَوَادِثَهُ الْمَلِيمَةَ
فَلَوْ أَنَّ كَرِيمًا مُتَافِئًا	لَتَلَفْتُ مِنْ كَرَمِي الْمَقِيمَةَ
أَوْ يُفْتَدَى عَيْشُ مَضَى	لَقَدَّمْتُ مُهَجَّتِي الْكَرِيمَةَ
فَالْمَوْتُ خَيْرٌ لِفَتَى	مِنْ عَيْشِهِ عَيْشِ الْبَهِيمَةِ
تَقَادَهُ بَرَّةُ الصَّفَا	رَ إِلَى الْعَظِيمَةِ وَالْهَضِيمَةِ

وَيَرَى السَّبَّاحَ تَنَوَّشُهَا أَيْدَى الضَّبَاعِ السَّتْفِيْمَةِ
وَالذَّنْبُ لِلْأَيَّامِ لَوْ لَا شَوْمُهَا لَمْ تَنْبُ شَرِيْمَةُ
وَلَوْ اسْتَفَامَتْ كَانَتْ أَلْ أَحْوَالُ فِيهَا مُسْتَقِيْمَةُ

• • •

قوله : «إملاء رسالته» ، أى إلقائها عليه ليكتبها . جلى : كشف . الميعاء :
الحرب ، وهى من المنيج وهو الحركة والاضطراب . بسالته : شجاعته . أوسته :
كثرت له . حفاوة : إكرام . والطَّوْل : الإناث . الشعوب : القبائل ، واحدها
شعب ، بفتح الشين وهو الأب الكبير . ثعلب ، الشعب : الأب الأكبر الذى ينتهون
إليه والقبيلة دونه . نجاره : أصله . الثَّعَاب : الطارق فى الجبال . وجَّاره : جُعره .
أراد بَنِيَّتَهُ لأنهم سألوه من أى قبيلة هو ، وعن مسكنه فى أى موضع هو .
قوله : «غسان أسرقى» : أى هذه القبيلة أصل وقوايقى . الصميمة : العريضة .
الخالصة . تربقى . بلدنى . إضيقاً : ضياء وثقا من العيب . جسيمة : عظيمة .
الفردوس : الجنة ، سُمِّيَتْ بذلك لعراشها ، والفردوس : العرش من الكرم .
مطية ، أى سروج مثل الجنة فى طيب الهواء ، وفى نزهتها وحسنها ، وفى قدرها .
وأراد بالبيت غُسان ، وبالربع مَروج ، أو يريد بيقته فى غسان فى الشرف .
كالشمس ، ومنزله فى مَروج كالجنة فى طيبها ونزهتها ، وقد قال فى أخرى :

مَنْ رَأَاهَا قَالَ مَرْنَى جَنَّةِ الدُّنْيَا مَرْوَجُ

ومثل قوله فى البيت مثل الشمس ، قول أبى الطَّمَعَانِ التَّمِيّ :

وَلَأَنَّى مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ هُمْ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ^(١)

نجوم سماء كلما غار كوكبٌ بدا كوكب ثانوى إليه كواكبُهُ
أضاعت لهم أحاسيهم ووجوههم دُحى الليل حتى نظم الجزع ناقبه^(١)

وقال حسان بن ثابت :

بيض الوجوه مضيئة أحاسيهم شم الأنوف من الطراز الأول^(٢)
وزاد عليه في الإضاءة والإشراق حجة بن المضر ب فقال :

أضأت لهم أحاسيهم فتضاءلت لنورهم الشمس المنيرة والبدُرُ
وزاد عليه أبو الطيب وعلى الناس في علو الهمة وتباعد منازلها من منازل
الكواكب ، حيث يقول :

وعزمة بشئها همة زحل^(٣) من تحمها بمكان الترب من زحل
وزحل أرفع من الشمس ومن سائر الكواكب منزلة ، وهذا من غلو
المتنبى الذى يخرج به عن الناس حتى يُعاب ، لأنه لو جعلها مع زحل في منزلة
واحدة ، كما جعل الحريرى منزلته مع الشمس لكان قد بلغ النهاية ، وزاد على
غيره ، فلم يكف بذلك حتى جعلها تعلو على زحل ، كما يعلو زحل على الأرض .
ومن هذا الإفراط في شعره كثير ، وأكثر النقاد يعميرون عليه ؛ وبعد هذا فمعجزاته
في اتساع زاد بها على المتقدمين والمتأخرين عند الأكثر فلا يحارى في كثير منها .
وأما : تعجباً ، كأنه قال : ما أعجب ما كان عيشى بها ! عجيبة : كثيرة .
أسحب مطراني : أجر ثوبى المعلم في طرفه إعجاباً بنفسى . أختال : أمشى الخيلاء
مستكبراً . برّد الشباب : ثوب الفتوة . أجتلى : أنظر . الوسيمة : الحسان .
والتوب والحوادث : النوازل والمصائب ، كلها بمعنى واحد ، وهى ما ينوب
الإنسان ، أو يحدث عليه أو ينزل به ، أو يصيبه من البلاء بعد العافية . الليمة :

(١) الجزع ، بالفتح ويكسر : الحورز البان .

(٢) ديوانه ٣٠٨

(٣) لم أجده في ديوانه ، كما لم أجده في شعره أبى طالب التنبى الأندلسى فيما أورده ابن
بسام في الذخيرة وعلى بن سعيد في الترمذ .

التي تأتي بما يلام عليه . كَرَبِي النقيمة : همومي الثابتة . مُهَجَّتِي : نفسي ، وأصلها دم القلب . تَقْتَادُهُ : تسوقه . بُرَّةٌ : حَلَقَةٌ من صُفَرٍ تجعل في وترة أنف البعير ، يذلل بها . الصَّفَّار : الذَّلَّةُ . العظيمة : داهية يُستعظم أمرها . والمهزيمة : الحُمرة لشأنه عند الناس ، فيريد بالبهيمة البعير الذي يقاد ويذلل بالبرَّة ، وبالعظيمة سؤاله الناس ، وبالمهزيمة احتقارهم له إذا سألهم فيردونه خائباً . والسباع هنا : الأسود . تنوشها : تتناولها ومخدشها .

[الضباع وما قيل فيها]

والضباع : جمع ضَبْعٍ ؛ وهو نوع من سباع الأرض ، وهي مضادة في الخِلقة لسبع الأندلس ، لأنها عظيمة الكفَل والفخذين رقيقة الصدر ، وهذا السبع أَرَلٌ^(١) عظيم الصدر ، والضبع عظيم البطن ، ولذلك سمي خُضاجر بالجمع ، والخضجر : عظيم البطن . والخضجر : الوطاب الكبير من اللبن ، ويشبه به العظيم البطن . وهي عرجاء مثل هذا السبع ، ويضرب بحماتها للثمل فيقال : أحق من ضَبْعٍ . وأحق من أم عامر وهي كنيته . ومن حمها أن الصائد يدخل وجارها فيقول لها : خامري أم عامر ، ومعناه الجئي إلى أقصى مفارك واستتري ، فتتقبص ، فيقول : أم عامر ليست في وجارها ، ثم يقول : أبشري أم عامر بكبر الرجال ، أبشري أم عامر بشاة هزلي ، وجراذة عظامي ، فتمد يديها ورجليها ، فيوقها ويشد عراقيبها . بحبال فلا تتحرك ، ولو شاءت أن تقتله لأمكنها ، ولا بدخل عليها إلا عرياناً . وإن دخل بثوب قتله ، ثم يخرج لأصحابه بالحبال ، وهم على فم الوجار بأسلحتهم ، فيخرجونها بالجرح من قعر الوجار ويقتلونها .

ومن حمها أنها تترك جِراءها إذا خرجت تلتصص ما تأكل ، فتجد جِراء أخرى قد خرجت أيضاً لذلك ، وتركت جِراءها فترضع أولاد غيرها ، وترك أولادها ، فربما ضاعت جِراؤها فأكلها الذئب^(٢) . وقال الشاعر :

(١) الأزل : الخفيف الوركين .

(٢) جبهة الأمثال ١ : ٤١٦ ، البيان ١ : ٢٣٨ .

كَمْ رُضْمَةٌ أَوْلَادُ أُخْرَى وَضَيَّعَتْ^١ بنى بطيها، هذا الضلال عن التقصير

قال أبو زيد: والضباع لا تفرس شيئاً إنما تأكل الجيف، وتنش القبور
عن الموتى، وربما اجتمعت الجماعة منها على حمار فأكلته، وليس لها بالنهار
كبير عمل، قال الهذلي:

تبيت الليل لا يخفى عليها حمارٌ حيث جُرٌّ ولا قتيل^(١)

قوله: «المستضيئة» أى اللذلة. والضم: الذل؛ يضرب الليل لتلاعه الزمان
بالناس بالأسود والضباع، فقال: إن الضباع المحفورة عند الأسود تتناول
الأسود بالضرر، وكذلك الزمان يرفع الحقير والمجبن ويكثر رزقه، ويضع
الرفيع ويقتصر عليه، ويملك المجتأ والأراذل الخطاط الجسام، ويجرع النبلاء
والأعيان غصص الخازي وكنوس الحمام.

[نبذ في أحوال الدهر]

وهذه أحوال مشاهدة تنسب إلى الدهر لوقوعها فيه، وقد رها الباري عز وجل
اختبار المبادء، وليبصر العقلاء جريان أحكامه في خلقه، وأن الكل تحت قهره،
وأن كل إنسان من أهل الخزم والرأى عاجز عن إدراك ما لم يقدر له؛ وقال محمد
ابن الفضل:

هانت الدنيا على الله فأعطاها الله
فهم فيها يعيشون نوبلحون الكرامنا

(١) مساعدة بن جوية الهذلي، ديوان الهذليين ١: ٢١٦.

وقال المعري في معنى بيت الحريري :

وَمَنْ صَحِبَ اللَّيَالِي عِلْمُهُ خَدَاعِ الْإِنْفِ وَالْقِيلِ لِلْحَالِ^(١)
وَعَبَّرَ الْخُطُوبَ عَلَيْهِ حَتَّى تَرِبَ الذَّرُّ بِحِمَانِ الْجَبَالِ
وقال يزيد الهادي يرثي المتوكل :

عَلَيْكَ أَسِيفٌ مِنْ لَادُونِهِ أَحَدٌ وَلَيْسَ فَوْقَكَ إِلَّا الْوَاحِدُ الصَّمَدُ^(٢)
وَأَصْبَحَ النَّاسُ فَوْضَى يَعْجُبُونَ بِهِ لَيْثًا صَرِيحًا تَنْدَى حَوْلَهُ النَّقْدُ^(٣)
وأخذ لفظ يثته من قول حبيب :

مَنْ لَمْ يَبَايِنِ أَبَا نَصْرِ وَقَاتَلَهُ فَمَا رَأَى ضُبْعًا فِي شِدْقِهِ سُبُعٌ^(٤)
فِيمِ الثَّمَانَةِ إِيْعَانًا بِأَسَدٍ وَعَى أَفْنَاهُمُ الصَّبْرُ إِذْ أَبْقَاكَ الْجَزَعُ !
هكذا ينظم حرّ الكلام ، ويمتدحون الكرام ، وتمنّي عنهم ثمانية اللثام .
وقد أحسن الاعتذار أيضاً لأبي نصر بأعرب من هذا ، وجعله قاتل نفسه ، إذ
لا نظير له في شجاعته فيقتله ، وإثما قتله أمر الله الذي لا يقالب ، كما قال أبو الطيب :
أَلَا إِنَّمَا كَانَتْ وَقَاةُ مُحَمَّدٍ دَلِيلًا عَلَى أَنْ لَيْسَ اللَّهُ غَالِبٌ^(٥)
وكذلك قوله :

فَإِنْ تَرَمَ عَنْ عَمْرِى تَوَانَى بِهِ لِلدَى خَفَانِكَ حَتَّى لَمْ يَجِدْ فَيْكِ مَنْزَعًا^(٦)
فَمَا كُنْتُ إِلَّا السَّيْفَ لَا فِى ضَرْبِيهِ قَطَعْمَا حَتَّى أَثْنَى فَتَقَطَعَا

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٤ : ١٢٤

(٤) ديوانه ٣٧٢

(٦) ديوانه ٣٧٤

(١) سقط الزند ٨١

(٣) النقد : جنس من الفم .

(٥) ديوانه ١٠٩ : ١

أى لم يقتل حتى قتل أعداءه ، وأبو نصر هو محمد بن حميد قتله بابك الخرمى
، ومما قال فيه حبيب — وهو أشجع بيت قيل — قوله :

ونفسٌ تعاف العار حتى كأنما هو الكفر يوم الرُّوع أو دونه الكفر^(١)
فأثبت في مستنقع الموت رجلاً وقال لها: من تحت إحصيك الحشرُ

قوله : «الذنب للأيام» ، نسب الذنب إليها لوقوع الكروه فيها كما تقدم .
تنبُ : ترتفع ، شيمة : أى لولا شؤم الأيام لم تنخير الطباع ، أى لو استقامت
هى لاستقامت أحوال الناس فيها ، فكان كل إنسان يترك منها على قدر منزلته .



[نبذ وأقوال وحكايات في ذم الزمان]

ومما قيل في ذم الزمان مما يوافق هذا المعنى ، أن عبد الملك بن مروان سأل
مسلمة بن يزيد — وكان من المعمرين — فقال : أى للوك رأيت أكمل ؟ وأى
الزمان رأيت أفضل ؟ فقال : أما للوك فلم أر إلا حامداً أو ذاماً ، وأما الزمان
فغيره أقواماً ويضع أقواماً ، وكلهم يذم زمانه . لأنه يبلى جديدهم ، ويفرق عديدهم ،
ويهرم صغيرهم ، ويهلك كبيرهم .

أبو جعفر الشيباني قال : أتاناً أبو ميثاس الشاعر ، ونحن في جماعة ، فقال :
ما أنتم فيه ؟ قلنا : نذكر الزمان وفساده ، قال : كلاً إن الزمان وعاء ، وما ألقى
فيه من خير أو شر كان على حاله ، ثم أنشأ يقول :

أرى حُللاً تُصان على رجال وأخلاقاً تُدال ولا تُصانُ
يقولون الزمان به فساد وهم فسدوا وما فسد الزمان

وقال آخر :

أبا دهر إن كنت عاديبتنا فيها قد صنعت بنا ما كففاً
جعلت الشرار علينا خیاراً وأوليتنا بدم وجه قفاً

وقال أبو المتاهية :

كفناك عن الدنيا الذميمة مخبراً غنى باخليها واختار كرامها
وأن رجال النفع تحت مداسها وأن رجال الضر فوق سنامها

وقال ابن كفك :

يا زمانا أليس الأح شرار ذلاً ومهانة
لت عندي بزمان إنما أنت زمانة^(١)

وقال ابن الرومي :

دهر علا قدر الوضيع به وغدا الشريف يحطه شرفه^(٢)
كالبحر يرسب فيه لؤلؤه سفلاً ويعفو فوقه جيفه

وكرره فقال :

قالت : علا الناس إلا أنت قلت لها : كذلك يسفل في الليزان مارح جلا

وقال آخر :

رب يوم بكيت فيه فلماً صرت في غيره بكيت عليه^(٣)

(١) الزمان : العامة

(٢) التثيل والمحاضرة ٢٥٩

(٣) التثيل والمحاضرة ١٠٦ نهاية الأرب ٣ : ٩٨

وقال آخر :

لم أبلك من زمنٍ نكدي أساء به إلا بكيتُ عليه حين أقدته
ولا جزعتُ على ميتٍ فجمتُ به إلا ظلت بسكنى القبر أحسده
ولا ذمتُ زماناً في قلبه إلا وفي زمني قد صيرتُ أحمده
وقال ابن أبي عيزارة :

عتبتُ على سلمٍ فلما قدته وجربتُ أقواماً بكيتُ على سلم
رجعتُ إليه بعد نفوتٍ غيره فكان كبره بعد طول من السقم

وأشد المبرد :

حياة أبي العباس زيدتُ بقربه أخا ثقةٍ قاس الأمور وجرباً
ونعتب أحياناً عليه ولو قضى ليكننا على الباقي من الناس أعتباً

قال عروة بن الزبير : الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم ، أخذه أبو الطيب

فقال :

وشبه الشيء منجذبٌ إليه وأشبهنا بديننا أنا الطغام^(١)
ولو لم يعلُ إلا ذو محلٍ تعالى الجيشُ وانحطَّ القَتَامُ
ودهرٌ ناسُهُ ناسٌ صفارٌ وإن كانت لهم جثثُ عظامٍ
وما أنا منهمُ بالعيشِ فيهمُ ولكن معدنُ الذهبِ الرغامُ
الطغام : السفلة .

ثم إن خبره نفاً إلى الوالى ، فملاً فاه بالآلى ، وسامه أن
ينصوى إلى أخائه ، ويلى ديوان إنشائه ، فأحسبه الجاء
وظلفه عن الولاية الإباء .

قال الراوى : وَكُنْتُ عَرَفْتُ عُودَ شَجَرَتِهِ ، قَبْلَ إِيْنَاعِ
ثَمَرَتِهِ ، وَكِدْتُ أَنْبَهُ عَلَى عُلُوِّ قَدْرِهِ ، قَبْلَ اسْتِئْزَارِهِ بِدَرِهِ ،
فَأَوْحَى إِلَيَّ بِإِيْمَاضِ جَفْنِهِ ، أَلَّا أُجْرِدَ عَصْبُهُ مِنْ جَفْنِهِ . فَمَّا
خَرَجَ بَطِينُ الْخُرْجِ ، وَفَمَلَّ فَايْزًا بِالْقُلُجِ ، شَيَّعَتْهُ قَاصِيَا حَقِّ
الرُّعَايَةِ ، وَلَا حِيَا لَهُ عَلَى رَفْضِ الْوِلَايَةِ ، فَأَعْرَضَ مُتَبَسِّمًا ،
وَأَنْشَدَ مُتَرَنِّمًا :

لِجَنُوبِ الْبِلَادِ مَعَ الْمُسْتَرْبَةِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْمَرْتَبَةِ
لِأَنَّ الْوِلَاةَ لَهُمْ نَبَوَةٌ وَمَعْتَبَةٌ يَا لَهَا مَعْتَبَةٌ
وَمَا فِيهِمْ مَنْ يَرْبُّ الصَّنِيعَ وَلَا مَنْ يُشِيدُ مَارْتَبَةَ
فَلَا يَخْدَعُنَّكَ لُئُوعُ السَّرَابِ وَلَا تَأْتِ أَمْرًا إِذَا مَا اشْتَبَهَ
فَكَمْ حَالِمٍ سَرَّهُ حِلُّهُ وَأَذْرَكَهُ الرُّوعُ لَمَّا انْتَبَهَ



قوله : « تما » ، أى ارتفع ووصل . الآلى : الدرر . سامه : كلفه .
ينضوى : ينضم . وأحشائه : خاصته . بلى ديوان إنشائه : يتولى دار كتابته ،
أى يكون هو الذى ينشئ الكتب ، وينسخها الكتاب وتنفذ إلى البلاد .
أحسبه : كفاه . الحياء : العطاء . ظلفه : منعه . الإباء : الامتناع ، وقد أبيت
من كذا ، أى امتنعت منه ؛ ويكنى به عن نزاهة النفس . عود شجرته ، يريد
أنه كان عرفه قبل أن يتكلم ، وأن يعرف نفسه . وإيناع الثمرة : إدراكها
ونضج ثمرتها . إيماض جفنه : إشارة عينه . عصبه : سيفه . جفنه : غنده ، أى

أشار على أن أستره . بطين : مملوء . الخرج : وعاء مملوء ، وهذا
كقول الشاعر :

يبيتون بالدهن خفافاً عمايتهم ويخرجن من دارين بجز الخائب^(١)

وقد أخذ هذا اللفظ في مقامة أخرى قال : حتى آل ذاعية خضراء
وحقية بجراء ، أى مملوءة . وإلى هذا المعنى أشار ، نصيب في قوله :

أقول لركب قافلين رأيتهم قفازات أو شالومو لأك قارب^(٢)

قفوا خبروني عن سليمان إنسي لمروفا من أهل ودان طالب^(٣)

فماجوا فأنثوا بالذي أنت أهله ولوسكثوا أننت عنك انحائب

تناوها عليه ، أن بدت للناس مملوءة من معروفة ، فأتى أبو العتاهية فزاد
للغنى بياناً بقوله :

إن المطايا تشكيك لأنها قطعت إليك سباسباً ورمالاً^(٤)

فلذا أنين بنا أتين مخففة وإذا رجمن بنا رجمن ثقلاً

قوله : « فصل » ، أى زال وتنحى . الفلج : الظفر بما أراد . الرعاية :
حفظ الصحبة . لاحقاً : لاحقاً . رفض : ترك . مترنماً : مطرباً ، أى لما
خرج ممثلي الوعاء « ظافراً بما أراد ، لئله على ترك خدمة الأمير التي كلفه ، فأنشد .

(١) لأعشى مبلغان ، يهجو لصوصاً ؛ وهو من شواهد ابن عليل ١٩٨/١

(٢) البيان والبيان ١ : ٨٣ . والقارب : طالب الماء . وذات أوعاله : موضع به

(٣) ودان : موضع بين مكة والمدينة قريب من الجسفة ؛ قال ياقوت : « وقد أكثر
نصيب من ذكرهما في هزمه » وأنتد الأبيات .

(٤) ديوانه ٣١٧ .

معتذراً . للتربة ، أى الفقر . المرتبة : للترقة الرفيعة . وهذا البيت ينظر إلى حكاية الأصمى وقد رثى راكباً حماراً قفيل له : أبعد براذين الخلفاء تركب هذا ؟ فقال متمثلاً .

ولما أبت إلا طرافاً يودها وتكديرها الشرب الذى كان صانيا
شربنا برنقى من هواها مكدير وليس يعاف الرنق من كان صادبا
يقول : هذا وأملك دينى ونفسى ، أحب إلى من ذلك مع ذهابهما (١) .
أطرف الشيء وتطرقه : استفاده ، وقيل : استجاده .

نبوة : ارتفاع وقلة ثبات . معتبة : سخط . يالها : تعجب ، كأنه قال :
يا عجباً لها ، ما أشدها . يرب : يصلح ويقوى . الصنيع : الفعل الجليل . بشيد :
يرفع ويتم . رتبة : بناء وهتاف . السراب : ما يظهر نصف النهار كأنه ماء ،
اشتبه : أشكل . الخالم : من يرى فى منامه رؤيا ، وقد حلم يحلم : والروع :
الفرع ، يقول : مثل للترقة بالخطبة السلطانية كحالم رأى نفسه فى النوم أميراً ،
فانتبه فى أحدى أعاديه أسيراً ، أو رأى نفسه بين غزلان ورباحين فانتبه لزير
أسود ولصغير ثمايين ، وكذلك الأمراء إن رفعوا الخديم ببعض إنعامهم كدروه
بتمجيل انتقامهم . وما يجرى فى هذا النمط قول الشاعر :

إلى الله أشكو كل يومٍ وليلةٍ إذا كنت لم أعدم خواطر أو هامٍ
فإن كان شراً كان لاشكٍ واقماً وإن كان خيراً كان أضفأً أحلامٍ

أخذ المعنى هذا الشاعر من قول أشعب الطماع ، قال : رأيت رؤيا نصفها حق ،
ونصفها باطل ، قيل : وكيف ذلك ؟ قال : كنت أراى أحمل بدرة ؛ فمن ثقلها كنت
أسلح فى ثيابي ، فانتبعت فإذا السلح ولا بدرة . قال الفنجديسى : ومن أحسن
ما سمعت فى هذا المعنى أبيات لطيفة للمعانى طريقة اللباني ، شرقتى بإنشادها وإملائها
إلى السيد الأجل أبر المظفر يوسف بن أيوب صلاح الدين بقاهرة مصر لبعضهم :

وزارني طيف من أهوى على وجلٍ من الوشاة وداعى الصبح قد هتفا
فكدت أوقظ من حولي به فرحاً وكاد يهتك ستر الحب بي شغفاً
نم اتبعت وأمالى تحييني نيل للنى فاستعالت غبطتى أسفاً

ومن ملح هذا الباب ، أن ابن عبدل دخل على بشر بن مروان لما ولى الكوفة ، قال : أيها الأمير إني رأيت رؤيا ، فأخذي بقصتها ، فقال : قل ، فقال :

أغفيت قبل الصبح نوم مسهدٍ في ساعة ما كنت قبل أناهما^(١)
فرايت أنك رُعيتي بوليدةٍ مفنوجة حسنٍ على قيامها
وببدرٍ ملحت إلى وبضلةٍ شهباء ناجية يصل لجأها^(٢)

فقال له بشر : بكل شيء رأيتك فهو عندك إلا البغلة ، فإنها دهاء ، قال : امرأتى طالق ثلاثاً إن كنت رأيتها إلا دهاء ولكنى غلطت .

قال البطين الشاعر : قدمت على علي بن يحيى الأرميني ، فنكبت إليه :
رأيت في النوم أنني راكب فرساً ولي غلام وفي كفي دنانيرُ
فجئت مستبشراً مستبشراً فرحاً وعند مثلك لي بالتمل تبشيرُ
فوقع في أسفل كتابي : ﴿ أضفك أحلامٍ ومأ نحن يتأويل الأحلام
بمالمين ﴾^(٣) ، ثم أمر لي بكل ما رأيته في منامي

(١) الحجر والشعر في ذيل زمر الآداب ١٠١ .

(٢) بقية في زمر الآداب :

فدعوتُ ربِّي أن يثيبك جنةً عوذاً يصيبك بردها وسلامها

(٣) سورة يوسف ٢٤ .

المقالة السابعة وهي البرقعية

حكى الحارث بن همام ، قال : أزممتُ الشخصَ من برقعية ،
وقد شمتُ برق عِيدٍ ، فكَرِهْتُ الرِّحْلَةَ عَنْ تِلْكَ الْمَدِينَةِ ، أَوْ أَشْهَدَ
بِهَا يَوْمَ الزَّيْنَةِ . فَلَمَّا أَظَلَّ بِفَرْضِهِ وَنَقَلُوهُ ، وَأَجْلَبَ بِحَيْلِهِ
وَرَجَلِهِ ، اتَّبَعْتُ السَّنَةَ فِي لُبْسِ الْجَدِيدِ ، وَبَرَزْتُ مَعَ مَنْ بَرَزَ
لِلتَّعْيِيدِ . وَحِينَ النَّامِ جُمُعُ الْمُصَلَّى وَانْتَعَمَ ، وَأَخَذَ الزَّحَامُ بِالْكَظَمِ ،
طَلَعَ شَيْخٌ فِي شَمَكَيْنِ ، مَحْجُوبُ الْمُقْلَتَيْنِ ، وَقَدْ اغْتَضَدَ شِبْهَ الْخَلَاةِ ،
وَاسْتَقَادَ الْمَجُوزَ كَالسَّلَاقِ ، فَوَقَفَ وَفَقَّةً مُتَهَافِتٍ ، وَحَيًّا نَحِيَّةً
خَافِتٍ . وَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ دُعَائِهِ ، أَجَالَ خَمْسَةً فِي وَعَائِهِ ؛ فَأَبْرَزَ
مِنْهُ رِقَاعًا قَدْ كَثَبْنَ بِالْوَانِ الْأَصْبَاحِ ، فِي أَوَانِ الْفِرَاقِ ، فَنَاولَهُنَّ عَجُوزُهُ
الْحَبِزْبُوتَ ، وَأَمَرَهَا بِأَنْ تَتَوَسَّمَ الزُّبُونُ ، فَمَنْ آتَتْ نَذَى
يَدَيْهِ ، أَلْقَتْ مِنْهُنَّ وَرَقَةً لَدَيْهِ ، فَأَتَا حَاحَ لَهُ الْقَدْرُ الْمَعْتُوبُ ، رَقْمَةً
فِيهَا مَكْتُوبٌ ...

• • •

أزممت الشخص ، أى عزمته على الخروج . برقعية : بلد بينه وبين
للوصل عشرون فرسخاً . شمت : نظرت .

ويريد برق عيد ، مقدمات العيد التى يتظر الناس بها فى أسبابه ، سأل رجل

الجَنيد ، لماذا سُمِّيَ يوم العيد ؟ فقال : لأنَّ آدم لما خرج من الجنة ، وأهبط إلى الأرض ، ثم تاب الله عليه ، فردّه إلى الجنة ، كان في ذلك اليوم ؛ فقيل له يوم عيد ، لأنه أُعيد إلى الجنة فيه ، قال ابن الأنباري رحمه الله : معنى يوم العيد ، الذي يعود فيه الفرح والسرور . والعيد عند العرب : الوقت الذي يعود فيه الفرح أو الحزن ، وأصله « العود » لأنه من عاد يُعود ، فلما سُكِّنَت الواو وكُسِّرَ ما قبلها قُلِبَت ياء ، فصارت من باب ميزان وميقات ، وهما من الوزن والوقت ، وكذلك الياء إذا سكنت ، وانضمَّ ما قبلها قُلِبَت واواً مثل مُوسر ومُوقن ، وهما من أيسر وأيقن ، ويقولون في الجمع مياسر .

المدينة : البلد ، مَنْ أَخَذَهَا مِنْ مَدَنٍ بِالْمَكَانِ يَمْدُنُ ، إذا أقام فيه ، فهي « قَعِيلَة » والجمع مدائن بالهمز ، واليم أصلية والياء زائدة ، ومن أَخَذَهَا مِنْ دَانَ يَدِينُ ، فاليم زائدة والياء أصلية ، وهي « منعوْلَة » . يقال : دِنْتُ الرَّجُلَ مَلَكَتَهُ ، ودنت له أطعت ، ويقال للأمة مَدِينَة لأنها مملوكة ، قال الشاعر :

رَبِّتْ وَرَبَّاءً فِي حَجَرِهَا ابْنُ مَدِينَةٍ يَظَلُّ عَلَى مَسْحَاتِهِ يَتَرَكَلُ (١)

يعنى عبداً . يوم الزينة : يوم العيد لتزيّن الناس فيه . قوله : « أَظَلُّ » ، أى قرب ودنا حتى دخلنا في ظله . بفرضه : بمعنى زكاة الفطر . ونفله : بمعنى صلاة العيد . الفَنجْدِيهِى : فَرَضَ العيد : صدقة الفطر ، ونَفَلَ العيد مثل الصلاة والفُسل ولبس الجديد من الثياب .

ابن عمر رضى الله عنهما : فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان على الناس صاعاً من تمر أو شعير ، على كل حرٍّ أو عبد ، ذكر أو أنثى من المسلمين .

ابن عباس رضى الله عنهما : فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة

(١) للاخطل ، ديوانه . . تركل التى : دفعه برجله .

الفطر من رمضان لجبر الصيام من اللغو والرفث طعمة للمساكين، فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ، ومن أداها بعدها فهي صدقة من الصدقات .
أجلب بخيله ورجله ، أى جمع أصحاب الخيل والرجالة وجاء بهم ، ضرب به المثل لإقباله وتصميمه على الحج . لبس : لباس ، وجاء فى لبس الجديد حديث عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما على أحدكم أن يكون له ثوبان سوى ثوبى مهنته لجمته ولميده » .

جابر : كان للنبي صلى الله عليه وسلم حلة يلبسها فى العيدين ويوم الجمعة . برزت : خرجت . التأم : التحم والتصق . الصلى : موضع صلاة العيد . الزحام : الضيق لكثرة الناس . الكظم : تضيق النفس من شدة الزحام . شملتين : عبايتين ، والشملة : نوع من الأكسية ، وقيل لها شملة لأن صاحبها يشتمل بها ، أى يديرها حواله . محجوب : مستور . المقتلين : العيينين ، أراد أنه أعمى . اعتضد : علقها فى عضده . استفاد : جعلها تقوده . السعلاة : أتى القول ، وذكروها يسمى الكمنكع ، وأنشدوا :

• غولا تراعى شرياً كمنكماً •

والقول : جن مسكنها الصحارى تراهى للإنسان كأنها إنسان فلا يزال يتبعها حتى يصل الطريق فيهلك . قوله : « متهافت » ، أى متساقط لضغفه ، وتهافت الشيء فى يدي : تناثر . خافت : خفى الصوت ، وقد خفت الرجل ، إذا ظهر عليه الضعف من مرض أو جوع أو غير ذلك ، وأصل خفت مات هزالاً . فرغ : أتم . أجال : مشى وصرف . خسه : أصابه . فى وعائه ، بمعنى المخللة التى اعتضدها ، وهى تعلقية يعلقها السائل فى عنقه أو ذراعه ، ويجعل فيها ما يعلقى من الصدقة . أبرز : أخرج . أوان : وقت . الفراغ : قلة الشغل . ناولهن : أعطاهن . الحيزبون : المسنة القوية الخلق . تتوسم : تنظر . الزبون : المتخدد عن حاله « قول » بمعنى « مفعول » ، وهومن ألقاظ أهل المشرق ، وأراد به الكثير

الصدقة ، آنت : أبصرت . ندى : كرم . أتاح : ساق . القدر المعنوي : اللوم .

لَقَدْ أَصْبَحْتُ مَوْقُودًا بِأَوْجَاعٍ وَأَوْجَالٍ
وَمَمْنُوءًا بِمَحْتَالٍ وَمُخْتَالٍ وَمُفْتَالٍ
وَحَوَّانٍ مِنَ الْإِخْوَانِ نِ قَالَ لِي لِإِلَآئِي
وَأَعْمَالٍ مِنَ الْأُمَمَاءِ لِي فِي تَضْلِيلِ أَعْمَالِي
فِيكُمْ أَصْلَى بِأَذْحَالٍ وَأَحْمَالٍ وَتَرْحَالٍ
وَكَمْ أَخْطَرُ فِي بَالٍ وَلَا أَخْطَرُ فِي بَالٍ
غَلَبَتِ الدَّهْرُ لَنَا جَا رَ أَطْفَالِي أَطْفَالِي
فَلَوْلَا أَنِّي أَشْبَالِي أَغْلَالِي وَأَعْلَالِي
لَمَّا جَزَّزْتُ أَمَالِي إِلَى آلٍ وَلَا وَآلِي
وَلَا جَزَّزْتُ أَذْيَالِي عَلَى مَسْحَبٍ إِذْ لَالِي
فَمِخْرَابِي أُخْرَى بِي وَأَسْمَالِي أَسْتَمِي لِي
فَهَلْ حُرٌّ يَرَى تَخَفِيفَ أَثْقَالِي بِمِثْقَالٍ
وَيُطْفِئُ حَرَّ بَلْبَالِي بِصِرْبَالٍ وَسِرْوَالٍ !

• • •

قوله : « موقوداً » ، أى مشرقاً على الموت من شدة الأوجاع والأوجال ،
والموقودة في القرآن ^(١) : المقتولة بالحطب ، والوقد : شدة الضرب . أو جال :
مخاوف . ممْنُوءًا : مبتلى . محتال : ما كر كثير الحيلة . مختال : متكبر . مفتال :
مهلك . حوَّان : كثير الخيانة .

ابن عمر رضى الله عنهما : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قلما يوجد في

(١) وهو قوله تعالى في سورة المائدة ٣ : « واللخعة والموقودة » .

آخر الزمان درهم من حلال ، أو أخ يوتق به . قال : مبغض . إقلالى : قرى .
 إعمال : جيدٌ وبحث ، تقول : أعمت الشيء فى الشيء ، إذ جعلته يعمل
 فيه . والعمال : عاملو كل شيء . تضليع : إفساد . أعمال : جمع عمل ، يريد أنه
 مطلوب يبحث على أعماله إذا أتى بها مجموعة فتتقض أعماله وتصير له أضلاعاً بعد
 اجتماعها ، وذلك فساد لها . ويحتمل أن يكون التضليع من « ضلّك مع فلان » .
 أى ميلك معه ، فأعماله تميل عن طارقه فتفسد . وقيل : تضليع الأعمال : تنقيتها ،
 قال الأزهري رحمه الله : ضلّع الدين : قلّه حتى يميل صاحبه عن الاستواء لثقله ،
 وفى الحديث : « أعوذ بالله من ضلّع الدين » . أصلى : أحترق . أذحال : أحتاد
 وعداوات . إمحال : قمر . ترّحال : سَفَر وثقله من بلد إلى بلد . أخطر : أمشى
 متبخترأ ، وقد خطر الرجل ، إذا أقبل بيديه وأدبر بهما ، وهى مشية الشبان . بال :
 خلّق . ولا أخطر فى بال : لا أصرّ على بال أحد ولا خاطره . جاز : مال عن الحق .
 ولم يعدل . أطفأ : أمت . أطفألى : أولادى ، ومثله : أشبالى .

النجديين : يقول : ليت الدهر لنا ظلم أولادى ، وجار عليهم أمانتى .
 لا تخلص ، فإنّ مقاساة الولائد سبب الوقوع فى المعائد . قال ابن عيينة : قلت .
 لصياد : أى طائر أسرع إلى مصابكم ؟ قال : الذى يزق ، يعنى الذى يطعم ولده .
 أغلالى : قيودى . والأعلال : جمع علّ ، وهو القراد الضخم ، وهو الذى
 ياصق بأغاذ الدواب ، وهو كثير التشبث والاتصاق ، لا يقام إلا بجهد ،
 فيريد بالأعلال أولاده لأنهم قيوده فلا يسرح بسببهم ، وبالأعلال أنهم
 قد تعلّقوا به يطلبون ما عنده ، وقال الشاعر يصف ناقته :

• ولو ظلّ فى أوصالها القلّ يوتق •

ويقال للقراد : الطلح والفينق والحجير والدّلّ والبُرام والقُرشوم واللّبود
 فى بعض اللغات . جهزت : أرسلت . آل : قريب ، وآل : أهل ، أو يكون
 آل أميراً وسائلاً ؛ قال عمر رضى الله عنه : أَلّنا وأيلّ علينا ، أى سُنّنا الناس .

. وساسنا غيرنا ، فيكون على هذا مقلوباً من «آيل» ، كما قيل : سار في سائر .
 - مسح : طريق . يقول : لولا ذلّ الأولاد ما قصدت والياً ، ولا جررت ذبلي
 في طريق ذلّ ، ويقال : سحب ذيله سحباً إذا جرّه ، والمسحب : موضع جرّه
 ثوبه محرابي : مسجدي . أخرى : أحقّ بي . أسمالي . أثوابي الخلقة . أسمى لي :
 أعزّ لي وأرفع لقدري . أقالى : هوى أو دىوني ، أو كثرة عيالي واحداً ثقل ،
 وثقل الشيء ثقلاً ضدّ خفّ ، وأثقل الرجل : كثر عياله . بلبالي : حزني ،
 والبلبال : وسواس الموم . سربال : قيص . والسروال : معروف ، وفي الحديث
 أن امرأة سقطت من على حمار فأعرض النبي صلى الله عليه وسلم بوجهه عنها ،
 فقالوا : إنها منسرولة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «اللهم اغفر للمنسرولات
 من أمتي» - ثلاثاً - يأتيها الناس اتخذوا السراويلات فإنها من أستر ثيابكم ،
 ويحضوا بها نساءكم إذا خرجن » .

ومن ملاح صاحب بن عباد أن بعض الشعراء ^(١) كتب له :

أَيَا مَنْ عَمَلَاهُ تُعْطَى النِّعَى إِلَى رَاحَتِي مَنْ نَأَى أَوْ ذَنَا
 كَسَوْتَ الْقِيَمِينَ وَالزَّائِرِينَ كَمَا لَمْ يَخُلْ مِثْلَهَا مُمْكِنَا
 وَحَاشِيَةَ النَّارِ يَمْشُونَ فِي ثِيَابٍ مِنَ الْخَزْإِ إِلَّا أَنَا

فقال صاحب : قرأت في أخبار معن بن زائدة أن رجلاً قال له : احببني
 أيها الأمير ، فأمر له بإتاقه وفرس وبفلة وحمار وجارية ، ثم قال له : لو علمت
 أن الله خلق مركوباً غير هذا لملتك عليه . وقد أمرنا لك من الخزائنية وقيص
 ودراعة وسراويل وعمامة ومنديل ومطراف ورداء وكساء وجوزب وكبس ،
 ولو علمنا لباساً غير هذا من الخزائنية لأعطيناكه . ثم أمر بإدخاله إلى الخزائنة ؛
 فوصب تلك انظلم عليه ^(٢) .

وأخبار صاحب مستظرفة كثيرة للتح .

(١) هو أبو القاسم الزعفراني .

(٢) الخبر والعرف في بقيمة الدر ٣ : ١٤١ ، مع تصرف واختصار .

قال الحارث بن همام : فلما استعرضت حلة الأنيات ، أتت
إلى ممرقة ملحمةا ، وراقم عليها . فناجاني الفكر بأن الوصلة إلى
المجوز ، وأفتاني بأن حلوان الممرق مجوز ؛ مرصدها ومي
تستقرى الصفوف صفا صفا ؛ وتستوكف الأكف كفا كفا ،
وما إن ينجح لها عناية ، ولا يرشح على يدها إناء ، فلما أكدي
استعطافها ، وكدها مطافها ، عاذت بالاسترجاع ، ومالت إلى إرجاع
الرقاع ، وأنساها الشيطان ذكر رقتي ، فلم تمج إلى بقعتي ، وآبت
إلى الشئخ باركية الحزمان ، شاكية تحائل الزمان ؛
فقال : إنا لله ، وأفوض أمري إلى الله ، ولا حول ولا قوة إلا
بالله انتم أنشد :

لَمْ يَبْقَ صَافٍ وَلَا مُصَافٍ وَلَا مَعِينٌ وَلَا مُعِينٌ
وَفِي الْمَسَاوِي بَدَا التَّسَاوِي فَلَا أَمِينٌ وَلَا نَمِينٌ

* * *

قوله : « ملحمةا » ، ناسجها ، ولما جعل الشعر حلة جعل له ناسجا وراقما .
ناجاني : حدثني . الوصلة : الموصلة . استعرضت ، أي نظرت وعرضتها على
نفسى . تفتت : اشتقت . أفتاني ، أعلمنى . الحلوان : أجز السكبان ، وأراد
أجرة المراف ، وهو الذى يعرف بالتلاف للقطعة أربابها ، فيفتكونها منه بما اتفقوا
عليه ، فذهب مالك أن من عرف القطعة^(١) ، وكان من شأنه أخذ الجمل على مثل
ذلك ، فله أجرة مثله ، والثانى لا يوجب له حقا سوا كان من شأنه أن يعرف .

(١) القطعة ، كهيئة : ما انقطع .

باللقطة أو لم يكن ، تعب في ذلك أو لم يتعب ، إلا أن يشترط قبل الطلب .
 رصدها : ارتقبها . تستقري : تتبع ؛ واقترنت الأرض واستقرتها ،
 تفتقها متاملاً . تستوكف : تستمطر . بنجح : ينفع ويؤثر ؛ يقال : نجحت
 الحاجة إذا انقضت ، ونجح طالبها إذا لم ينجب ، وأنجح : أشهر ؛ يقول : إن مشيها
 عليهم لم يقض حاجتها ولا نفعها . وقصد برشح الإناء كرم الكف ؛ يقول :
 لم يرشح لها كفٌ بهيئة . أكدي : خاب وصعب ، ويقال : أكدي الحافر ،
 وهو أن يحفر البئر يطلب الماء ، فإذا بلغ إلى الصلابة ويئس من الماء ولم يقدر على
 الحفر قيل له : أكدي فهو مكدي ، والكدبة هي الصلابة التي يتعذر حفرها .
 استعطافها : تليينها القلوب . كدّها : أتعبها . مطافها : مشيها وطوفها على الناس ،
 ويحسن أن ينشد هنا في حالها لأبي نواس :

إذا لم يُعِينك الله فيما تريدُه فليس لخلقٍ إليه سبيلُ
 وإن هو لم يرشدك في كلِّ مَلَكٍ ضلّاتٌ ، ولو أن السَّمَك دليلاً
 غيره :

إنا لم يكن عونٌ من الله للفتى فأكثر ما يجنى عليه اجتباؤه
 عاذت : تموّذت ولاذت . الاسترجاع ؛ قولهم : إنا لله وإنا إليه راجعون ،
 وفي حديث أم سلمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ما قال أحدٌ عند
 المصيبة إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجِرْني في مُصيبتي ، وأخلف لي خيراً
 منها ؛ إلا استجيب له » .

إرجاع : ردّ . تعج : تميل وترجع . بقعتي : موضعي . آبت : رجعت .
 الحرمان : الخلية والنع . تحامل : مشقات ، وتحاملت في الأمر : نكلته على
 مشقة . أفوض : أورد .

لا حول ، أى لا حيلة ، يقال : ما له حيلة ولا حول ، وما له احتيال ولا محال ، ولا تحالة ولا محيلة ؛ كـ«بمعنى» . ويقال : ما له محال بالفتح ، أى حول ، ومحال بالكسر ، أى مكر . ثعلب : هو من قولهم : يحل به ؛ إذا سعى به إلى السلطان وعرضه للهلاك . وتحل به القرآن : شهد عليه بالتقصير ؛ وقال الفراء : التحالة على ثلاثة أقسام ؛ هى الحيلة ، والتي تجعل على رأس البزكالبكرة ، وواحدة محال الظهر وهى قفاره . ويقال : أخذت فى الحوالة والحوالة ، إذا قلت : لا حول ولا قوة إلا بالله ، وينصب « لا حول ولا قوة » بالتبرئة ، وإن شئت رفعتها بالابتداء ، « وبالله » خبر « قوة » ، وحذفت خبر « لا حول » لدلالة الثانى عليه ، وإن شئت رفعت « حول » بالابتداء ، ونصبت « قوة » بالتبرئة ، وإن شئت نصبت « حولا » بالتبرئة ورفعت « قوة » بالمطاف على موضع « لا حول » ، وإن شئت نصبت « قوة » بالتنوين عطفاً على اللفظ .

قوله : « صاف » ، أى خالص الود . مصاف : صادق فى وده . معين : ماء كثير ، يريد صاحب كرم كثير . معين : يُعين بـ«الماء» . للساوى : ضد الحسن ، واحدا « سوء » على غير قياس ، وقيل لا واحداً لها . بدا : ظهر . الثمين : النفيس الثالى الثمن ؛ يقول : إن الناس قد استووا فى الأفعال السيئة ، وأراد قوله صلى الله عليه وسلم : « لا يزال الناس بخير ما تابنوا » ، فإذا استووا هلكوا ، ومنه أن الناس فى الغالب إنما يتساوون فى الشر ، ولا تجدم كلهم فضلاء لأن الخير قليل .

قال أبو العباس التطيلي فيما يتعلق بهذا المعنى :

والناس كالناس إلا أن تجربهم وللبصيرة حكم ليس للبصر^(١)
كلاؤيك مشتبهات فى متابها وإنا بقع التفضيل بالثمر
وقال التهامي :

وَمِنْ الرِّجَالِ مَعَالِمٌ وَبَاحِلٌ وَمِنَ النُّجُومِ غَوَامِضٌ وَدَرَارِي^(١)
وَلَرَبَّمَا اعْتَصَدَ الْحَلِيمُ بِجَاهِلٍ لَا خَيْرَ فِي يُمْنِي بِغَيْرِ يَسَارٍ
وَالنَّاسُ مُشْتَبِهُونَ فِي إِيرَادِهِمْ وَتَفَاضُلُ الْأَقْوَامِ بِالْإِسْدَارِ

* * *

نَمَّ قَالَ لَهَا : مَتَى النَّفْسَ وَعِيدِيهَا ، وَاجْعِي الرِّقَاعَ وَوُعْدِيهَا ،
فَقَالَتْ : لَقَدْ عَدَدْتُهَا لَمَّا اسْتَعَدْتُهَا ، فَوَجَدْتُ يَدَ الصَّيَاعِ ،
قَدْ غَالَتْ إِحْدَى الرِّقَاعِ ، فَقَالَ : تَعَسَّ لَكَ يَالْكَاعِ ، أَنْتُغَرَّمُ
وَيَعَكِ الْقَنْصَ وَالْجِبَالَةَ ، وَالْقَبَسَ وَالذُّبَالَةَ ! إِنَّهَا لَضِغْتُ عَلَى
إِبَالَةٍ . فَانْصَاعَتْ تَقْنَصُ مَدْرَجَهَا ، وَتَنْشُدُ مَدْرَجَهَا ؛ فَلَمَّا
دَانَتْ قَرَنْتَ بِالرُّقْمَةِ ، دِرْهَمًا وَقِطْمَةً ، وَقُلْتُ لَهَا : إِنْ رَغِبْتَ
فِي الْمَشُوفِ الْمُغْلَمِ - وَأَشَرْتُ إِلَى الدَّرْهَمِ - فَبُوحِي بِالسَّرِّ الْمُبْهِمِ .
وَإِنْ أَمِيتَ أَنْ تَشْرَحِي ، فَخُذِي الْقِطْمَةَ وَأَسْرَحِي . فَهَالَتْ إِلَى
الْإِسْتِخْلَاصِ الْبَذْرِ التَّمِّ ، وَالْأَبْلَجِ الْهِمِّ ، وَقَالَتْ : دَعِ جِدَالَكَ ،
وَسَلْ عَمَّا بَدَالَكَ ، فَاسْتَظْلَمَهَا طِلْعَ الشَّيْخِ وَبِلْدَتِهِ ، وَالشَّعْرِ
وَنَاسِجِ بُرْدَتِهِ .

• • •

قوله : «عديها» ، أى طمعيها . استعديها : رددتها . غالت : أهلكت ،
واستعار للتضييع «بدأ» مجازاً . تعسا : هلكا ، والنفس : الدعاء ألا تقال عثرته .
يالكاع : يا لثيمة يا مُنْقِنَةً ، واللكاع : وسخ القروح . واللكع : ولد الحمار .
القنص : الصيد .

الحُبالة : الشبكة ، وصفة الحُبالة أن يُعمد لحبل من شعر مخلوط بيسير من صوف ، فذلك أقوى له ، فيعقد في أحد طرفيه عين يجرى فيها الحبل ، ويربط في الطرف الثاني خشبة ، وربما حذدوا طرفها ، ثم يأتون إلى الطريق الذي يدخل منه الصيد إلى الماء فيحفرون فيه حفرة فيغطونها بورق الشجر وشبهها ، ويفتحون عليها عين الحبل ، ثم يغطونها بالتراب والزبل ، حتى تصير في طبع الأرض ، فإذا أقبل الصيد للماء ، فوضع يده أو رجله في الحفرة ، سقطت به ، وانضم على يده أو رجله الحبل ، فينب فازعاً وافر ، فتنبه تلك الخشبة ، فكلما انتفض أقبلت عليه ، فتضربه بين يديه ورجليه وبطنه وظهره ، فتوهي أعضائه ، وربما كسرت يديه أو رجله ، فلا يسير بها قدر ميل . حتى يقف موقوذاً منها ، فيأتيه الصائد فيأخذه ، وأنواع الحُبالة كثيرة .

قوله : «القبس» ، يريد به نور المصباح . والذبالة : العتيلة . ضِفْتُ : حُزِمَ . من حشيش صغيرة ، وأصلها جماعة القضبان ، وشبهها من النبات ، يجمعها أصل واحد ، وكل ما جمعت عليه كنتك من حشيش أو عيدان فانتزعته من أصله ضفْتُ . إبالة : حُزْمَة كبيرة ، والضفْتُ على الأبالة مثل حزمة الخطاب إذا حملها للبيع ، وجعل فوقها حُزْمَة صغيرة لنفسه ؛ فالكبيرة إبالة والصغيرة ضِفْتُ ، فكأنه قال : إنها خسارة على خسارة ، ويقال لها : إبالة وأبيل وأبيلة ، وضِفْتُ على إبالة ، مثل أخذه من قول الشاعر :

في كلِّ يوم من ذُواله ضِفْتُ يزيدُ على إبالة^(١)

وقال آخر وذكر ناقته :

رَدَّتْ عواري غيطان النمل ونجت بمثل إبالة من خالص الشعر

وهذا مثل قول حبيب :

(١) الميداني ١ : ٤١٥ ، من غير نسبة واللان - أبيل ، ونسبه إلى أسماء بن خارجة .

فَكَمْ حَزَنُ وَادِي جَبِّ ذِرْوَةِ غَارِبٍ وَبِالْأَمْسِ كَانَتْ أَمْكُهُ جَوَانِيهِ^(١)

قوله : « انصاعت » ، أى ذهبت نافرة واشتت مسرعة ، وكل ما تينت ولونته بسرعة ؛ فقد صمته صوعاً ، وكذلك إذا جمعت وفرقتة ، فذهب عنك بسرعة ، وصاع الشجاع التوم في الحرب ؛ إذا جمعهم بهيئته ثم ضدهم ، ففروا سراعاً متفرقين ، وكل نافرٍ مسرعٍ منصاع ، وقال ذو الرمة في الخمر :

رَمَى نَاحِطًا ، الْأَقْدَارُ غَالِبَةً فَانْصَعَنَ وَالْوَيْلُ هَجِيرَاهُ وَالْحَرْبُ^(٢)

تقتص ، أى تتبع . مدرجها : طريقها التى مشت فيها لتفريق الرقاع ، ويقال : درج الشيخ والصبي درجاً ودرجاً ، إذا تقاربت خطاهما ، والمدرج : اللوضع الذى درج فيه ، والمدرجة : قارعة الطريق . تنشذ : تطلب من نشذت الضالة ، ومدرجها : رقتها ، ويقال : أدرجت الكتاب والثوب طوبيهما . القِطْعة : عند أهل المشرق : الواحدة من صرف يعرفونه الحندوس ، يعمدون إلى دراهمه فيقطعونها قطعاً ، فهى صرفهم ، وبها يتصدقون ، فأراد أنه قرن برقعة الشعر درهماً ، وقطعة من الحندوس ، وقال لها : إن خبرتني بقاتل الشعر ، نخذي الدرهم أجرة ، وإن أبيت أن تعرفيني به نخذي القطعة صدقة وانصرفي . المشوف : المصقول المجلوف ، والشوف : لجلاء ، والمعلم : للنفوش ، ونقشه علامته ، وقيل : هو الذى عليه علامة الملك ، وأخذه من قول عنتره :

وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمُدَامَةِ بَمَدْمَا رَكَدَ الْمَوَاجِرُ بِالشُّوفِ الْمَعْلَمِ^(٣)

(١) ديوانه ٤٤ - جزع الوادى : جانبه . جب : قطع . الذروة : أعلى تى . « غارب : السكامل . أمكه : رفته . وفي الديوان : « أمكه جوائيه » .

(٢) ديوانه ١٦ ، وانظر حواشيه .

(٣) من المعلقة ٢٥٨ بشرح التبريزي .

بُوحى . تكلّمى . اللبهم : الملق بالمليس . أُنيت : امتنعت . اسرحى : اذهبى .
استخلاص : تخليص ، واستخلص الشيء ، جعله خالصاً . التّم : الكامل . والأبلج :
النقى الأبيض ، وفعله ابلاج كاحمار . الهمّ : الكبير الذى يهيم به من رآه ،
وشيوخهم : ممن ، والهمّ : الرقيق النحيف ، وهو من همت النار إذا أذاقت ،
وهمت الشعم : أذبت . استطلمتها طلمع : استخبرتها خبره ، وسألها أن تطامنى
عليه ، وتقول : استطلمت طلمع الشيء ، إذا حاولت الاطلاع عليه ، وأردت معرفة
خبره الذى تطلع منه عليه ، وطمع بالكسر . بُردته : ثوبه .

فَقَالَتْ : إِنَّ الشَّيْخَ مِنْ أَهْلِ سَرُوجَ ، وَهُوَ الَّذِي وَشَى الشَّخْرَ
الْمَنْسُوجَ . ثُمَّ خَطَفَتْ الدَّرَمَ خِطْفَةَ الْبَاشِقِ ، وَمَرَقَتْ مُرُوقَ
السُّنَمِ الرَّاشِقِ ، فَخَالَجَ قَلْبِي أَنَّ أَبَا زَيْدٍ هُوَ الْمَشَارُ إِلَيْهِ ، وَتَأَجَّجَ كَرْبِي
لِمَصَابِهِ بِنَاطِرِيهِ ، وَآثَرْتُ أَنْ أَفَاجِيهِ وَأُنَاجِيهِ ، لِأَعْجُمَ عُودَ قِرَاسَتِي
فِيهِ ، وَمَا كُنْتُ لِأَمِلَ إِلَيْهِ إِلَّا بَتَخَطَّى رِقَابَ الْجَمْعِ ، الْمُنْبِي
عَنْهُ فِي الشَّرْعِ ، وَعِيفْتُ أَنْ يَتَأَذَّى بِي قَوْمٌ ، أَوْ يَسْرِى
إِلَى لَوْمٍ ، فَسَكَدْتُ بِمَكَانِي ، وَجَمَلْتُ شَخْصَهُ قَيْدَ عِيَانِي ،
إِلَى أَنْ انْقَضَتِ الْخُطْبَةُ ، وَحَقَّتِ الْوَيْبَةُ ، فَخَفَقْتُ إِلَيْهِ ،
وَتَوَسَّيْتُ عَلَى التَّحَامِ جَفْنِيهِ ، فَإِذَا الْمَسْمِيَّةُ الْمَسْمِيَّةُ ابْنِ عَبَّاسٍ ،
وَقِرَاسَتِي قِرَاسَةُ إِيَّاسٍ .

وشى : زين ورقم . خطفت : أخذت بسرعة . الباشق : من جوارح
الطير . مرقت : خرجت بسرعة . الراشق : الذى يرشق الصيد ، أى ينشبه ،

ويكون الراشق بمعنى الرشوق ، كقوله تعالى : ﴿ من ماء دافق ﴾ ^(١) ، أى مدفوق .
قوله : « خالج » ، أى داخل وجاذب . تأجج : اشتعل . كربى : هَمَى ، والتأجج
« التفتل » من الأجيح ، وهو تصويت النار ولهبها إذا اشتعلت وعظمت .
آثرت : اخترت وفضلت ، وآثرته بكذا : فضّلته به والإيثار للصدر . أفاجيه :
آتبه فجأة وهو لا يشعر . أناجيه : أحذّته . أعجم : أجرب . فراسى : نظرى ،
وجعل لها عوداً مجازاً . تخطى رقاب الجمع : الجواز على أعناق الناس ؛ خرج
الترمذى فى النهى عن ذلك ، قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من
تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسراً إلى جهنم » .

عفت : كرهت . بذأى : يصيبهم أذى . يسرى : يصل . اللوم : ضد الحمد ،
وهو أن تأخذ الإنسان بلسانك ذمّاً لما فعل . شكّدت : التصقت ولزمت . قيد .
عيانى : غرض نظرى ، أى قيدت نظرى فيه . انقضت : تمت . حقت الوثبة ،
أى وجبت القفزة إليه . خفت : أسرع . توسّمت : نظارته . التهام : التصاق .
وانغلاق . ألميتى : ذكأتى وصدق غتى ، والألمى ، هو الذى يظن بك الظن ،
ولا يخطئ ، وهو اليمى من اللعان ، كأنه يلع لذكائه وجودة فطنته ،
وقال أوس :

الألمى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعاً ^(٢)

ولا يبين أحد الألمى بأحسن مما بينه أوس ، فإذا سئلت : ما الألمى ؟
فأنشدت بيته ثأت بالجواب الشافى .

والنِراسة ، أن تنظر الشيء فتستدل بظاهره على باطنه ، وبما حضر على ما
غاب ، وقيل : الألمية أن ترى الشيء على بُد فتعرفه وتحققه ، والنِراسة أن ترى
الرجل بين يديك فتحكم عليه بما أضمر ، أو بما يريد أن يفعله ، فالألمية فى البعد .
والنِراسة فى القرب ، وكيف اختلفت الألمية والنِراسة ، فالظن الصادق يجمع بينهما .

[ذكر ابن عباس وبعض أخباره]

وابن عباس رضى الله عنه ، هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشى الهاشمى ، يكنى أبا العباس .

ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، وكان ابن ثلاث عشرة سنة يوم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم . واختلف فى السنة التى مات فيها ، ما بين ثمان وستين فى الأقل ، وأربع وسبعين فى الأكثر . وصلى عليه محمد بن الحنفية ، وقال : اليوم مات ربانى هذه الأمة ، وضرب على قبره فسطاط .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «اللهم علّمه الحكمة وتأويل القرآن» ، وفى حديث آخر : «اللهم بارك فيه ، وانشر منه ، واجعله من عبادك الصالحين» . وفى حديث آخر : «اللهم زده علماً وفقهه» ؛ وفى حديث آخر : «اللهم فقهه فى الدين وعلّمه التأويل» . وكلها أحاديث صحاح .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يحبه ويُدبّنه ويقربه ويشاوره ، مع وفور جلة الصحابة رضى الله عنهم .

وكان ابن عمر رضى الله عنه يقول : ابن عباس فى الكهول ، له لسان سنول ، وقلب عقول .

عبد الله بن عبد الله : ما رأيت أحداً كان أعلم بالسنة ، ولا أجَدَّ رأياً ، ولا أثبت نظراً من ابن عباس .

ولقد كان عمر يمدّه للمضلات ، مع اجتهد عمر ونظره للسليدين .

عمرو بن دينار : ما رأيت مجلساً كان أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس ، الحلال والحرام والعربية والأنساب والشعر .

عطاء : كان الناس يأتون ابن عباس فى الشعر والأنساب ، وناس يأتونه

لأيام العرب ووقائعها ، وناس يأتونه للعلم والنقح ، فما منهم صنف إلا يقبل عليهم بما يشاءون .

مسروق : كنت إذا رأيت ابن عباس ، قلت : أجل الناس ؛ فإذا تكلم قلت : أفصح الناس ، فإذا تحدث قلت : أعلم الناس .

أبو وائل : خطبنا ابن عباس رضى الله عنهما ، وهو على الموسم ، فافتتح سورة ، فجعل يقرأ ويفسر ، فجعلت أقول : ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثله ، لو سمعته فارس والترك والروم لأسلت .

طاوس : أدركت نحو خمسمائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا ذكروا ابن عباس خالفوه ، فلم يزل يقودهم حتى ينتهوا إلى قوله .
ابن مسعود : زعمت ترجمان القرآن ابن عباس ، ولو أدرك أستاذنا معاشره منا رجل .

يزيد الأصم : خرج معاوية حاجباً ، ومعه ابن عباس ، فكان لمعاوية موكب ، ولابن عباس موكب ممن يطلب العلم .

القاسم بن محمد : ما رأيت في مجلس ابن عباس باطلاً قطاً ، وما سمعت فتوى أشبه بالسنة من فتواه .

وكان أصحابه يسمونه العجبر والبحر . وذكر أبو العباس في الكامل أن عمر بن أبي ربيعة أنشده قصيدته :

أَمِنْ آلِ نَمٍ أَنْتَ غَادٍ فَبَكْرُ غَدَاةٍ غَدٍ أَمْ رَاغٍ فَهَجْرُ

خفظها من سمعها ، وهي ثمانون بيتاً^(١) .

(١) الكامل للبرد ٣ : ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، وفي آخره بعد أن أورد أبياتاً من القصيدة : فقال له ابن الأزرقي — وقد كان حاضرًا في المجلس : قد أنت يا ابن عباس ! اضرب إليك =

مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما : رأيتُ جبريل عليه السلام عند النبي صلى الله عليه وسلم مرتين ، ودعا لى بالحكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين .

وروى عنه أنه رأى رجلاً مع النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعرفه ، فسأل عنه النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : رأيتَه ؟ قال : نعم ، قال : ذاك جبريل ، أما إنك ستفقد بصرك ؛ فمضى بعد ذلك فى آخر عمره ، وهو القائل فى ذلك - وروى لسان رضى الله عنهما :

إِن يَأْخُذِ اللَّهُ مِنْ عَيْنِي نَوْرَهَا فَنِي لِسَانِي وَقَلْبِي مِنْهَا نُورٌ^(١)
 قَلْبٌ ذِكْرٌ وَعَقْلٌ غَيْرُ ذِي دَخَلٍ وَفِي قَلْبِي صَارُمٌ كَالسَيْفِ مَأْنُورٌ
 نظر إليه الحطيئة فى مجلس عمر رضى الله عنهما ، فقال : مَنْ هذا الذى جرع الناس بعلفه ، ونزل عنهم بسنه ؟ فقيل له : عبد الله بن عباس .

وقال فيه حسان بن ثابت رضى الله عنهما :

إِذَا مَا ابْنُ عَبَّاسٍ بَدَا لَكَ وَجْهُهُ رَأَيْتَ لَهُ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ فَضْلًا^(٢)
 إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرِكْ مَقَالًا لِقَائِلٍ بِمَنْتَطَحَاتٍ لَا تَرَى يَدِيهَا فَضْلًا^(٣)
 كَفَى وَشَفَى مَا فِي النُّفُوسِ وَلَمْ يَدْعُ لَدَى إِرْبَةِ فِي الْقَوْلِ جِدًّا وَلَا هَزْلًا

= أ كباد الإبل ، فسأله عن الدين فتمرض ، وبأنتك غلام من قرينى فيفندك سفها فتسمه : فقال : ناله ما سميت سفها ، فقال ابن الأزرى : أما أنتدك :

رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَغْزَى ، وَأَمَّا بِالْمَشَى فَيَغْصِرُ
 فقال : ما مكنا قال ؟ إنما قال : ه فيصحن وأما بالمشى فيغصر ه فقال : أوتخفظ الذى قال ؟ قال : والله ما سمعتها إلا ساعتى هذه ، ولو شئت أن أرددها لرددتها ، قال : فارددها ، فأنشدها ما كلبا .

(١) ديوان حسان ١٦٥ .

(٢) ديوانه ٣٥٩ ، ولم يرد فيه البيت الأول .

(٣) الديوان : « بمنطحات » .

سموتَ إلى العليا بغير مشقة فنلت ذراها لا ذليلاً ولا غلاً^(١)

ونظر إليه معاوية يوماً يتكلم معه ، فأتبعه بصره ، فقال متمثلاً :

إذا قال لم يترك مثلاً لقائل مصيب ولم يثن اللسان على هُجر
يصرّف بالقول اللسان إذا اتحن وينظر في أعطافه نظر الصقر

وروى أن طائراً أبيض خرج من قبره ، فتأولوه علمه خرج إلى الناس .

وقيل : دخل قبره طائر أبيض ، قبيل : هو بصره .

وقال أبو الزبير : مات ابن عباس رضي الله عنهما بالطائف ، فجاء طائر
أبيض فدخل في نمشه حين حُل ، فما رُئي خارجاً منه .

وفضائله كثيرة مشهورة ، فلنتقف منها على هذا القدر .

[ذكر إياس القاضي]

وأما إياس ، فهو أبو وائلة بن معاوية بن قرّة بن إياس بن هلال بن رباب
للزنى ، قاضي البصرة . وسبب قضائه أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كتب
إلى عدى بن أرملة عامله على البصرة : أن اجمع إياس بن معاوية للزنى والقاسم
ابن ربيعة الخارثي ، قول القضاء أنفذهما وأقهمهما . فجمع بينهما ، فقال كل واحد :
إن صاحبه أنفذ وأقهم ، فقال له إياس : سل عنّي وعن القاسم فقيهي المصير :
الحسن وابن سيرين - وكان القاسم يأتيهما وإياس لا يأتيهما - فعلم القاسم أنه
إن سألهما أشارا به . فقال القاسم : لا تسأل عنّي ولا عنه ؛ فوالله الذي لا إله
إلا هو ؛ إن إياساً لأقهم منّي ، فإن كنت كاذباً فما عليك إلا ألا توليئي

(١) الرغل من الرجال : الضعيف الباطل .

وأنا كاذب، وإن كنت صادقاً فينبغي لك أن تقبل قولي. فقال له إياس: إنك جئت برجل، فوقفته على شفير جهنم، ففتح نفسه منها يمين كاذبة يستغفر الله منها، وينجو مما يخاف، فقال له عدى: أما إنك إذ فهمتها فأنت لها؛ فاستقضاء. وقال إياس رحمه الله: أرسل إلى ابن هبيرة فأتيته، فسألني فسكت، فلما أطلت قال: هيه! قلت: سل عما بدا لك، قال: أقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قال: أتعرض القرائن؟ قلت: نعم، قال: أتعرف من أيام العرب شيئاً؟ قلت: نعم، قال: أتعرف من أيام العجم شيئاً؟ قلت: أنا بها أعرف، قال: إني أريد أن أستمين بك على عمل، قلت: إن في خصالاً ثلاثاً لا أصلح معها للعمل، قال: ما هي؟ قلت: أنا دميم كما ترى، وأنا عيى، وأنا حديد، قال: أما دمايمك فإني لا أريد أن أحاسن بك الناس، وأما العيى فإني أراك تُعرب عن نفسك، وأما الحديد فإني السوط يقومك، قم. فولاني القضاء، وأعطاني عشرة آلاف درهم، فهي أول مالي تمولته.

ودخل عليه عدى بن أرطاة في مجلس القضاء. وعدى أمير البصرة، وكان أعرابي الطبع - فقال: يا هناء، أين أنت؟ قال: بينك وبين الخائط، قال: فاسمع مني، قال: للاستماع جلست، قال: إني تزوجت امرأة، قال: بالرفاء والبنين، قال: وشرطت لأهلها ألا أخرجها من بينهم، قال: أوف لهم بالشرط، قال: فأننا أريد الخروج، قال: في حفظ الله، قال: فاقض بيننا، قال: قد فعلت، قال: فبهم محكم؟ قال: بآلأ نخرجها، قال: بشهادة من؟ قال: بشهادة ابن أخت خالتك.

وأول ما ظهر من ذكائه، أنه دخل دمشق، وهو غلام، فتصاحم مع شيخ عند قاضيهما، فقال إياس بحديثه على الشيخ، فقال له القاضي: إنه شيخ كبير، فغمض كلامك، فقال له إياس: الحق أكبر منه، فقال له القاضي:

اسكت ، فقال : وَمَنْ يَنْطِقُ بِحَجَّتِي ؟ فقال له القاضي : ما أراك تقول حقاً ، فقال إياس : لا إله إلا الله ، أحقُّ هذا أم باطل ؟ فدخل القاضي من فوره إلى عبد الملك بن مروان ، فأعلمه بما رأى من ذكائه ، فقال له عبد الملك : اخرج فاحكم بينهما ، وأخرجهُ الآن من دمشق إلى بلاده ثلاثاً يُفسد على أهل الشام .

ولما دخل عبد الملك البصرة رأى إياساً وهو صبي ، وخلفه أربعة من القراء أصحاب الطيالة ، وإياس يقدمهم ، فقال عبد الملك : أفٍ لهذه العنانين ؛ أما فيهم شيخٌ يقدمهم غير هذا الحدّث ! ثم التفت إليه ، وقال : كم سنّك ؟ فقال : سنّي - أطال الله بقاء الأمير - سنُّ أسامة بن زيد بن حارثة حين ولّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشاً فيهم أبو بكر وعمر ؛ فقال : تقدّم بارك الله فيك ، وكان سنّه سبع عشرة سنة .

وأما ذكّؤه وفراسته ، فقد ألّف في ذلك للدائي كتاباً سمّاه كتاب «زكّن إياس» . والزكّن : التشبيه ، يقال : زكّن عليهم وزكّم : شبّه وخيّل ، وقيل : «الزكّن : اللّظنّ والتفرض» . ومن زكّنه أنه اختصم إليه رجلان في قطيفتين : حمراء وخضراء ، فقال أحدهما : دخلت الحوض لأغتسل ووضعت قطيفتي ، ثم دخل واغتسل ، فخرج قبلي ، وأخذ قطيفتي ، فبعتها ، فزعم أنها قطيفته ، فقال : ألك يئنه ؟ قال : لا ، قال : اثنوني بمشط ، فأثني به ، فسرّح رأس هذا ، ثم هذا ، فخرج من رأس أحدهما صوف أحمر ، ومن رأس الآخر أخضر ، فقضى بالأخضر لصاحب الأخضر ، وبالأحمر لصاحب الأحمر .

وأتى المدينة فصلّى في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فزكّنه أهله حتى صاروا فرقتين : فرقة تزعم أنه معلم ، وأخرى تزعم أنه قاضٍ ، ثم وجهوا إليه رجلاً ، فأخبره خبرهم ، قال : أصاب الدين ذكروا أني قاضٍ ، ورويداً . أخبرك عن القوم ؛ أما الذي من صفته كذا فهو كذا ، وأما الذي يليه فهو كذا ، وأما ذاك الشيخ فإنه نجار ، قال الرجل : في كلّهم والله أصبت إلّا في الشيخ ،

فإنه من قريش ، فقال إياس : وإن كان من قريش ! فقام الرجل إلى أصحابه ، فقال : قد جئكم من عند أعجب الناس ، والله إن منكم من أحده إلا أحبرني بصناعته إلا هذا فزعم أنه نجار ، قال : صدق والله : إني لأتجر عيذان حوارى - يعنى عود الزمار .

ونظر إلى ثلاث نسوة فزعن من شيء ، قال : هذه حامل ، وهذه مرضع ، وهذه بكر ، فسئلتن فوجدن كذلك ، فسئل من أين لك علم ذلك ؟ فقال : لما فزعن وضعت كل واحدة منهن يدها على أمّ اللواضع لها ، فوضعت المرضع على ثديها ، والحامل على بطنها ، والبكر على فرجها .

وسمع نباح كلب لم يره ، فقال : هذا نباح كلب مربوط على شفير بئر ، فنظروا فكان كما قال ، فقيل له في ذلك ، فقال : سمعت عند نباحه دويًا ، ثم سمعت بعده صدًى يجيبه ، فعلمت أنه عند بئر .

ومن فراسته أنه رأى أثر اعتلاف بغير ، فقال : هذا بغير أعور ، فنظروا فكان كما قال ، فقيل له في ذلك ، فقال : لأن وجدت اعتلافه من جهة واحدة .

ولما صار ذكاؤه يضرب به للتل ، كما يضرب بجود حاتم وحلم الأحنف وشجاعة عمرو بن مديكرب ، فقامهم حبيب في بيت جمع فضائلهم المتفرقة للمباس ابن المأمون ، فقال :

إقدامُ عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس^(١)
وتوثي ستة ثنتين وعشرين ومائة . وأخباره كثيرة ، وفيما أوردناه كفاية ..

فدركته حينئذٍ شخصي ؛ وآثرته بأحد قمصي ، وأهبت به -
إلى قريصي ، فهش إعارفتي وعرفاني ، ولبي دعوة رُغفاني ..

(١) جيواته ١٧٤ ، وفيه : « يمدح أحمد بن المنعم » .

وَانْطَلَقَ وَيَدِي زِمَامُهُ ، وَظَلِّي إِمَامُهُ ، وَالْمَجُوزُ ثَلَاثَةُ الْاِثْنَانِ ،
وَالرَّقِيبُ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِي . فَلَمَّا اسْتَحْلَسَ وَكُنْتِي ،
وَأَخْضَرْتُهُ عُجَالَةَ مُسْكِنَتِي ، قَالَ لِي : يَا حَارِثُ ، أَمَعْنَا ثَالِثُ ؟
فَقُلْتُ : لَيْسَ إِلَّا الْمَجُوزُ ، قَالَ : مَادُونَهَا سِرٌّ مَحْجُوزٌ . ثُمَّ فَتَحَ
إِخْدَى كَرِيَّتِيهِ ، وَرَأَى بَتْوَةً مَتِيهِ ، فَإِذَا سِرَاجًا وَجْهِهِ يَقْدَانِ ،
كَأَنَّهُمَا الْفَرْقَدَانِ . فَأَبْتَهَجْتُ بِسَلَامَةٍ بَصَرِهِ ، وَعَجِبْتُ مِنْ
غَرَائِبِ سِيرِهِ ، وَلَمْ يُلْقِنِي قَرَارًا ، وَلَا طَاوَعَنِي اصْطِبَارًا ، حَتَّى
سَأَلْتُهُ : مَا دَعَاكَ إِلَى التَّعَالِي ؛ مَعَ سَيْرِكَ فِي الْمَعَامِي ، وَجَوَابِكَ الْمَوَامِي ،
وَأَيْنَاكَ فِي الْمَرَامِي ؟

قوله : « أَهْبَتْ بِهِ » ، أَي دَعَوْتُهُ ، وَأَصْلُ « أَهَابَ » دَعَا نَفْسَهُ مِنْ بَعْدِ : وَقِيلَ :
الْإِهَابَةُ دَعَا ، الْإِبِلُ لِلشَّرْبِ . وَالْقُرْمُ : رَغِيفٌ صَغِيرٌ يُسَمَّى قُرْصًا ، كَأَنَّهُ قُرْصٌ مِنْ
الْعَجِينِ ، أَيْ قُطِعَ ، وَالتَّقْرِيصُ : التَّقْطِيعُ . هُنَّ : خَفَّ فَرْحًا : وَالْعَارِفَةُ ، يَرِيدُ النِّعْمَةَ
وَهِيَ الْمَعْرُوفُ . لَبَّى : أَجَابَ وَقَالَ : لَبَّيْكَ ، وَمَصْدَرُهُ تَلْبِيَةٌ وَهِيَ « تَعْلَمَةُ » ، مِنْ
الْإِلْبَابِ وَهُوَ الْاِزْوَمُ ، وَلَبَّ بِالْمَكَانِ وَأَلْبَّ بِهِ : أَقَامَ ، وَأَصْلُهُ لَبَّ بِثَلَاثِ بَاءَاتٍ ،
فَأَبْدَلُوا الْآخِرَةَ يَاءً اسْتِقْلَالًا لِاجْتِمَاعِ الْأَمْثَالِ ، كَمَا قَالُوا : تَنْظَيْتُ وَتَعْمَيْتُ ، فَالْيَاءُ
فِيهِمَا بَدَلٌ مِنْ مِثْلِ الْحَرْفِ الَّذِي قَبْلَهَا ، ثُمَّ أَتْبَعُوهُ الْإِبْدَالَ فِي الْمَصْدَرِ وَهُوَ تَلْبِيَةٌ ،
فَيَاؤُهُ بَاءٌ . وَقَوْلُهُمْ : لَبَّيْكَ ، مَعْنَاهُ إِجَابَةٌ بَعْدَ إِجَابَةٍ ، وَلِزُومًا لَطَاعَتِكَ بَعْدَ لُزُومِ .
رُغْنَانٍ : جَمْعُ رَغِيفٍ ، يَرِيدُ أَنَّهُ لَمَّا سَمِعَ بِذِكْرِ الْخَبْرِ ، فَكَأَنَّ الْخَبَرَ دَعَا فَأَجَابَهُ .
زِمَامُهُ : مَقُودُهُ . إِمَامُهُ : هَادِيهِ . الْاِثْنَانِ : حِجَارَةُ الْقَدَرِ ، وَهِيَ ثَلَاثُ ، وَالْعَرَبُ
تَقُولُ : رَمَاهُ اللَّهُ بِثَلَاثَةِ الْاِثْنَانِ - يَعْنُونَ بِهَا الْجَبَلِ ، لِأَنَّهُمْ يَجْعَلُونَ حَجَرَيْنِ

و يُلصقونهما بالجبل ، فيقوم الجبل مقام الحجر الثالث ، واحداً منها أُنْمِيَّةً بالتشديد .
وقد تُخَفَّفُ ، وقد أُثْقِيَتِ القدر وأثَقَّتْها وثَقِيَّتْها ، وتَسَىَّ العربُ أثافيَّ الحديد .
الْمِنْصَب . الرقيب : الحافظ ، يريد الله تعالى . استحلس وُكْنَتِي ، أى دخل بيتي .
وجلس على حِلْسِه ، وهو ما يُبْسَطُ تحت بسطه ؛ بقيها الأرض ، وفلان جِلْس .
يَتَه ، أى لازم التعمود فيه ، وفي الحديث : « كن في الفتنة جِلْسَ يَتِكَ » ، أى .
لا تدخل فيها ، والجِلْس : كساء يلي ظهر البعير تحت البرذعة ويلزمه ، فُسْبَه
الذين يعرفون الشيء ويلزمونه بالجِلْس ، ومنه قولهم : لست من أحلاسها ، أى .
من أصحابها المارفين بها . ومنه بنو فلان أحلاس الخيل ، أى الذين يضربونها
ويلزمون ظهورها ، وأحلاس القوافي : المجيدون في نظم الشعر ، والوُكْنَةُ : النقبة .
في الحائط يسكنها الطائر ، وقيل : هى الوضع من الشجرة وغيرها ، يقع عليه .
للبيت ، وهى الوَكْن ، ووَكْن الطائرُ وَكْنًا ، فهو واكن إذا حضن على فرخه .
فلزم وُكْنَتَه . عَجَّالَةٌ مُكْنَتِي : ما تعجل وأمكن من الطعام . محجوز : ممنوع .
وحجرت الشيء : حَزَرْتَه ومنعته ، وحجرت بين الشئين حجراً ، فأنا حاجز ، إذا
جعلت بينهما جانلاً ، والمفعول محجوز ، ومنه الحِجَاز ؛ لأنها أرض حجرت بين
نَجْد والسرّة . كَرِيْمَتِي : عينه ، وفي الحديث قال النبي صلى الله عليه وسلم :
« ما من عبد أذهب الله كَرِيْمَتِي إلا كان ثوابه عند الله الجنة » قالوا :
وما كَرِيْمَتاه ؟ قال : عيناه . رَأَى : قَلَبَهُمَا وأدارهما إدارة كثيرة . وتَوَهَّمتاه :
كَرِيْمَتاه ، وقوله : « مَحَّ كَرِيْمَتِي » ، يريد أنه حَكَمَهُمَا بكفّه ، فانتفض عنهما
ما كان ألصقهما به ، حتى التهما . وقيل : رَأَى : أدار العين وحددَ نظرها .
وتَوَهَّمتاه : عيناه ، وفي الفريبي المصنّف : رَأَتْ المرأة بعينها ولألت ، إذا برقت
عينها ، وأنشد ابن الأعرابي :

عجبت من الحور الكرم نجارها تُرَأَى بالعَيْنين للرجل الحبل^(١)

الحبل : الداهية . الفرقدان : نجان مُتَبَرِّان في بنات نفس . ابتهجت : فرحت .

(١) اللسان - جبل ، وروايته : « فبا عجا الخود تدى قناعها » .

سيره : عاداته . يُبْقِي قرار : يحببني سكون وطمانينة . التَّعَامَى : استعمال العمى .
 المعامى : الطريق المجهولة ، وقيل : القفار البعيدة التي تعمى فيها الآثار فلا يُهْتَدَى
 فيها . الموامى : القفار ، واحدها مَوَماة . إيفالك : إبعادك ومبالغة دخولك .
 المرامى : المقاصد والبلاد التي ترميه إلى بلاد أخرى ؛ يقول : سألت ما الذي
 دعاك إلى استعمالك العمى مع دخولك لطلبك الرزق في المشتات وجُوب البلاد
 البعيدة ، فلم تجد نفسك حيلة حتى تشبَّهت بالعميان !

فَتَظَاهَرَ بِاللُّكْنَةِ ، وَتَشَاغَلَ بِاللَّهْنَةِ ، حَتَّى إِذَا قَضَى وَطَرَهُ ، أَتَارَ
 إِلَى نَظَرِهِ ؛ وَأَنْشَدَ :

وَأَمَّا تَقَامَى الدَّهْرُ وَهُوَ أَبَوُ الْوَرَى عَنْ الرُّشْدِ فِي أَنْحَائِهِ وَمَقَامِدِهِ
 تَعَامَيْتُ حَتَّى قِيلَ إِنِّي أَخُو عَمَى وَلَا غَرَّرَ أَنْ يَحْذُو الْفَتَى حَذُوَ وَالِدِهِ
 ثُمَّ قَالَ لِي : انْهَضْ إِلَى الْمُخْدَعِ فَانْتَنِي بِمَسْئُولِ يَرُوقُ الظَّرْفُ ،
 وَيُنْقَى السِّكْفُ ، وَيُنْعَمُ الْبَشَرَةُ ، وَيُعْطَرُ السِّكْكَةُ ، وَيَشْدُ اللَّئِنَةُ ،
 وَيَقْوَى الْمَعِدَةُ ، وَلِيَكُنْ نَظِيفَ الظَّرْفِ ، أَرِيحَ الظَّرْفِ ، أَمَى
 الذَّقُّ ، نَاعِمَ السَّخَقِ ، يَحْسِبُهُ اللَّامِسُ دُرُورًا ، وَيَحَالُهُ النَّاشِقُ كَافُورًا ،
 وَاقْرَأْ بِهِيَ خِلَالَ تَقِيَّةِ الْأَصْلِ ، مَحْبُوبَةَ الْوَصْلِ ، أَيْنَقَةَ الشَّكْلِ ، مَدْعَاةَ
 إِلَى الْأَكْلِ ؛ لَهَا نَحَافَةُ الصَّبِّ ، وَمَقَالَةُ الْعَضْبِ ، وَآلَةُ الْحَرْبِ ،
 وَلَذُونَةُ النُّصْنِ الرَّطْبِ .

تظاهر : استعان . واللكنة : احتباس اللسان ؛ يريدوننا امتلاً فنه بالطعام ،

لم يدرّح لسانه بالكلام ، فوجد بذلك علة لقطع الجواب ، فكان الألسنة أعانته على ذلك . اللهنة : الطعام المعجل للضيف قبل الفداء ، وكل ما تمجّله قبل إدراك الطعام لهنة ، ولهنت الضيف : علته بذلك . قضى وطّره : أتم حاجته من الأكل ، والوطر : المراد ، ولا فعل له . أثار : تابع نظره وحدّده . الورى : الخلق . أنحائه : أغراضه ومقاصده ، والنحو كالتصدد . لا غرو : لا عجب . يحدو حدوة : أى يفعل فعله .

[ذكر المعنى وما ورد فيه من الشعر]

وهذا الاعتذار عن التعامى حسن ، وقد تقدم اعتذار ابن عباس رضى الله عنهما عنه . وما يعزى للحصري^(١) فى ذلك :

وقالوا قد عمت فقلت كلاً فإنى اليوم أبصر من بصير
سواد العين زار سواد قلبى ليجمعهما على فهم الأمور
أخذه من قول بشار :

إذا ولد المولود أعمى وجدته وجدك أهدى من بصير وأخولا^(٢)
عمت جنبناً والذكاء من المعى فجت عجب الظنّ للعلم معيلاً
وغاض ضياء العين للقلب فاغتدى بقلب إذا ما ضيع الناس حصلاً
وشعر كنوز الرّوض لا امت بينه بقول إذا ما أحنّ الشعر أسماً
وقال بشار :

قالوا المعى منظر قبيح قلت بفقدى لكم يهون^(٣)
تالله ما فى البسلاد شئ تأسى على فقدّه المعيون

(١) الحصري ، يضم الحاء وسكون الصاد ، مندوب إلى عمل الحصر أو يعمها : على ابن عبد الله القميرواني ، صاحب قصيدة « ياليل الصب » ، وهو ابن خالة إبراهيم بن علي المصري ، صاحب كتاب زهر الآداب ، والبيان فى نكت الهميان ٧٦ .

(٢) الأبيات عند الأول فى الأغاني ٣ : ١٤٢ ، ونكت الهميان ٧٥ .

(٣) نكت الهميان ٧٥ .

وعكس هذا المعنى أبو العينا. حين سأله المتوكل : ما أشد ما عليك في ذهاب بصرك ؟ قال : ما حرمتُه يا أمير المؤمنين من رؤيتك مع إجماع الناس على جمالك .

ومما يستلح من هذا الباب : نشأ أعمى بين أعورين ، فإذا مشيا أو قعدا ، لحاذي عورٍ هذا عورَ هذا نشأ بينهما أعمى .

وقال المتنبي يمدح العور ويذمه في بيت واحد :

أبا بن كرويس بانصف أعمى وإن تفخر فيا نصف البصير^(١)
فإذا انضم ابن كرويس إلى مثله نشأ بينهما أعمى ، قال الشاعر :
وِينَنَا أبدأ أعمى نؤلفه قد يخلق الله عيانا من العور
وقال آخر :

ألم ترني وعمراً حين نفسدو إلى الحاجات ليس لنا نظيرُ
أسايره على يميني يديه وفيما بيننا رجلٌ ضريرُ
وقال آخر في أعور وعوراء تعاشقا :

هي عوراء باليمين وهذا أعورٌ بالشمال وافق شتاً
بين شخصيهما ضريرٌ إذا ما قعدت عن شماله تنفخ
فأما قول جميل^(٢) الشكري في صفة الذئب^(٣) :

وأعور من يمينه إن شاء مرة وإن شاء من يسراه ما كان راقداً
لقد فزت دون العور - أوس - برتبة^(٣) وأعطيت ناباً يلقى الصخر بارداً

(١) ديوانه ٢ : ١٤٤ ، قال في شرحه : « مخاطب ابن كرويس الأعور وكان ياديه » .

(٢) كذا في الأصول ، ولعله تصحيف عن « النخل » .

(٣) أوس اسم علم على الذئب .

فإنما وصفه بشدة الحذر ، وذكر المور على معنى الاستعارة كما قال حميد
ابن ثور :

بنامٌ بإحدى مقلتيه ويتى بأخرى للنايا فهو يظان نائم^(١)
وقال ابن المعتل :

أشتهى في القلة القبلا لا كثيراً يشبه الحولاً .
واحرار الخلد من خجلٍ إني أستحسن الخجلاً
وقال آخر :

وأحول ذي حرَّكته يملأ بيتي برَّكته

يريد أنه يرى من الشئائين ، كما قال الآخر :
قد جعلت أرى الشخصين أربعةً والواحد اثنين مما يورك البصرُ
لأن هذا يصف الكبير .

واعتذر القاضي أبو محمد عبد الوهاب^(٢) عن الحول فأحسن ، حيث يقول :
حدت إلهي إذ بُليت بحبِّها وبى حَوْلٍ يَفْنَى عن النَّظَرِ الشَّرِّ
نظرتُ إليها والرقيبُ يَفْظَنِي نظرتُ إليه ، فاسترحت من العَذْرِ
فَعَوَّلُهُ رَفَعَهُ عَنْهُ قُلُوبُ الْمُؤَنَةِ التَّكَافُفِ الَّذِي ذَكَرَ الْآخَرُ حِينَ قَالَ :
وَلَمَّا التَّمَيَّنَا وَالْمَيُونُ نَوَاطِرُ وَلَيْسَ لَنَا رُشْلٌ سِوَى الطَّرْفِ لِلطَّرْفِ

(١) البيت لحيد بن ثور ، ديوانه ١٠٥ ، : : يظان حاجم .

(٢) هو أبو محمد عبد الوهاب بن نصر بن أحمد المالكي ، القاضي ذكره البيهقي في
المرقبة الميا ٤٠ - ٤٢ .

نهرت في خديك من نظر خفي وما زلت أخفي الودَّ ضمه على ضعفي
فإن غفل الواشون فزتُ بنظرة وإن نظروا نحوي نظرتُ إلى كفي
فلذلك حمد الله على الحول .

وقال النashi في هذا المعنى فأحسن :

يتناقلان اللغظ من جفنيهما فكأنما يتناسخان كتابا
وإذا سمعتُ عينُ الرقيب تخالتُ كفهما خلس اللام سلابا

وللقاضي أبي محمد عبد الوهاب ، أنشدنا بعض أشياخنا البيت الثاني
والأخير من القطعة التالية ، وكان كثيراً ما يعرضنا بها على الطلب ، وبلينا
عن العربية :

ومحبوبة في الخدر عن كل ناظر ولوبرزت بالليل ماضل من يسري
أقول لها والدمع يئلب صبرها أعدي لفقدى ما استطعت من الصبر
سأنفق ريعان الشبية آفاً على طلب القلياء أو طلب الأجر
أليس من الحرمان أن لياليا تمر بلا نفع وتحسب من عري
ولم ينشدنا البيت الأول ولا الأوسط ، وهما من القطعة .

وأما كلام الحريري الذي فرغنا من شرحه ؛ فهو منقول من مقامة البديع^(١) ،
يقول على لسان عيسى بن هشام : « ثم فارقهم وتبعته ، وعرفت أنه متعالم لسرعة
ما عرف الدبنار . فلما نظمنا خلوة ، مدت يميني إلى يسرى عضديه ، قلت :
والله لتريني سرهك ، أو لأهتك^(٢) سترك ، ففتح عن توءمته^(٣) ، وحذر لثامه .
عن وجهه ، فإذا والله أبو الفتح الإسكندري ، قلت له : أنت أبو الفتح ؟ قال :

(١) المقامات ٩٣ .

(٢) المقامات : « لا كفني » .

(٣) المقامات : « توءمته لوز » .

أنا أبو قنوت في كل لون أكون
 اخترت من الكسب دوناً فإن دهرك دون
 زج الزمان بحسبي إن الزمان زبون
 لا تكذب بعقل ما العقل إلا الجنون

وعتب الحريري على المي فائق في النثر ، وشعره في الاعتذار عنه رائق في
 النظام ، وهو على انطباعه في التصد إذا أتى باليتين أتى بالمعجب ، وهو في ذلك
 كما قيل في أبي منصور الفقيه : إذا رمى بزجيه قتل .

* * *

قوله : «المخدع» ، هو بيت داخل بيت ، قال ابن الأنباري : هو الخيانة في جانب
 البيت ، وهو من خدع ، إذا توارى واستتر ، وأخدعه إخداعاً : أخفاه ، فمن ضم
 ميم «مخدع» فهو من «أخدع» ، ومن فتح فهو من «خدع» ، وخدع الضب
 في جعره خدعاً : دخله خوفاً من صائده . الله - قول : الأسنان ، وهو الذئابة ،
 ويقال أيضاً : الفاسول ، وكل ما غسلت به ثوبك أو رأسك فهو غسل وغسول .
 يروق : يعجب . والطرف : العين . ينقى : ينظف . والبشرة : ظاهر الجلد .
 والنسكة : رائحة الفم ، ونكمت الرجل أنكبه وأنكبه - والفتح أقل -
 واستهكته ، كله شممت فاه ، قال الشاعر :

نكمت مجالداً فشممت منه كريح الكلب مات حديث عهد
 واللثة : اللحم على الأسنان . نظيف الظرف : حتى الوعاء . أريج العرف :
 عطر الرائحة ، والأريج : فروع الطيب وأرج المسك : قاح . فتى الدق : طرى السكر .
 ناعم : حسن ، قد بولغ في سحقه ، يريد أنه في الحال الذي يسحق يستعمل .
 الناشق : الشام . والذرور والكافور : من أنواع الطيب ، والذرور هو

(١) اللسان - نكه ، وفيه : « فوجئت منه » .

المعروف بالذرية ، والذرور أيضاً : غبار يُذَرّ في العين ، وكله مأخوذ من الذرّ ، وهو التفرق ، لأن أجزاءه تفرقت عند سحبه ، وفعله ذرّ ، وأصله ذرر . والكافور مأخوذ من الكثر ، وهو التغطية ، فلشدّة قوّته وحده يستر رائحة غيره من الطّيب . واللامس : الذي يمسّه بيده . الخلالة : عويدة رقيق يخرج به الإمام من خلل الأسنان . أنيقة الشكل ، معجبة الهيئة ، وشكل الشيء : هيئته التي هو عليها . ومدعاة : داعية ، والماء للمبالغة . مخافة الصّبّ : رقة العاشق . والعضب : السيف القاطع . آلة : عدّة وأداة ، يربد أنها معدّة مصنوعة مثل آلة الحرب . ويروي : « آلة » بالتشديد ، وهي الحربة . لدونة : لين . مخافة الصّبّ : ليس هو تشبيهاً حقيقياً ، وإنما أراد أنها أخذت من العاشق مخافته ، ومن العضب صفاته ، ومن النصّ لدونته ، ولو شبه الخلالة في الرقة بالعاشق ومحوه لكان جائزاً ، وكان من التشبيه المقلوب ، وكلاهما بديع في بابه .

والخلالة التي ذكر ، أصلها نبات لكجبرينبت في الصيف ، وتطلع له رؤوس ، يكون في الواحد منها عدّة من قضبان رقاق ، فيمسك الرجل منها في جيبه رأساً ، فتأكل طعاماً بزغ منها قضيباً فتخلل به ، ويعرف هذا النبات عندنا بالبستنج ، فيحتمل أن يكون هذا بعينه هو الذي عندهم في المشرق ، وإلا فصفت التي وصفت موجودة في البستنج من الرقة والصفاء واللين والحدة .

وجاء في الحديث النّهى عن التخلل بمود الآس والرمان والقصب ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تقوا أفواهكم بالخلل فإنها مسكن للمكين الكاتبين الحافظين ، وإن قلها لسان ، ومدادها الرّيق ، وليس عليهما شيء أشدّ من فضول الطعام » .

أبو أيوب : قال صلى الله عليه وسلم : « حبنا المتخللون في الوضوء والطعام » . أبو هريرة قال : قال صلى الله عليه وسلم : « من أكل فليتخلل ، فما تخلل فليلفظ ، ومالاك بلسانه فليتلع » .

[استطراد بذكر أشعار في التشبيه رائعة]

والحِلالة إذا بلغت من رقبتها ، أن تقع بين الأسنان ، فالعاشق إذا بلغ الغاية التحول ، هو الذي يشبه بها ، كما قال في التاسعة في وصف الصبي الهزيل من الجوع : « ولى منه سُلالة ، كأنها خِلالة » ، وأخذه من قول ديك الجن :
 ارحمَ اليوم ذلتى وخُصُوعى فلقد صرت ناحلاً كالخِلالِ
 وقال أبو الطيب :

روحٌ تَرَدَّد في مثل الخلال إذا أطارَت الريح عنه الثوب لم يَبين^(١)
 فذكر أن ثوبه على بدنٍ لم يتبين للناظر . والتشبيه للقلوب عندم شئ مستظرف ، ومذهب مستحسن كما قال ذو الرمة :
 ورملي كأوراكِ المذارى قطعته وقد جَلَّته المظلماتُ الحناديسُ^(٢)
 فقلب التشبيه ، لأن العادة أن تشبه الأبحار بكثبان الرمل ، كما قال الآخر
 * مثل قضيبٍ تحته كتيبٌ *

وكما قال الآخر :

وبيضٍ نصيراتِ الوجوه كأنسا تازرن دون الأزرِ رملاتِ عالجِ
 وأخذه حبيب ، وجود الصنعة حيث قال :
 كم أحرزت قضيب المندى مصلته تهتز من قضيب تهتز من كُتب^(٣)

(١) ديوانه ٤ : ١٨٦

(٢) ديوانه ٣١٨

(٣) ديوانه ١١

علق قوله: «من قُضِبَ تَهْتَز» : «أحرزت» يلج^(١) لك بديع صنعته بسرعة ، فإنه أراد: كم أحرزت قُضِبَ الهند وهي السيوف إذا أُضِلَّت من أغمارها ، وهزّت . من قُضِبَ ، أى قدود نساء . تهتز من كُشِبَ ، أى أكفال شبه أكفاس رمال . وما أعذب وأخرف قول البعترى :

أين الفزال للمستعير من النفا كَفَلًا ، ومن نورِ الأفايح مِيسًا^(٢)

فهذا هو الذى جرت به العادة فى التشبيه ، قلب ذو الرمة العُرف والعادة ؛ فشبه كُشِبَانِ النفا بأ كفال النساء ، وتبعه خالد الكاتب وغيره .

حدث جعظة قال : حدثني خالد الكاتب ، قال : جاءني يوماً رسول إبراهيم بن المهدي ، فسرت إليه ، فرأيت رجلاً أسود على فُرُشٍ قد غاص فيها ، فاستجسني وقال : أنشدني من شعرك ، فأنشدته :

رأت منه عيني منظرين كما رأته	من الشمس والبدر المنير على الأرض
عشيّة حيّاني بوردٍ كأنّه	خدود أضيفت بمضنّ إلى بعض
ونازعني كأنّ كان حبايبها	دنوعي لما صدّ عن مُتَلَقِي غمضي
وراح وفعلُ الراح في حركاته	كيفل نسيم الريح في النّصن الغضّ

فزحف حتى صار في ثلثي الفراش ، وقال : يا فتى ، شبهوا الخدود بالورد هو أنت شبهت الورد بالخدود ! فزدني ، فأنشدته :

عائبتُ نفسي في هوا	لك فلم أجدها تقبل ^(٣)
وأطمت داعيها إلي	لمك ولم أطع من يغذل
لا والذى جمل الوجو	لحسن وجهك تملّ
لا قلت إن الصبر عند	لك من التّصابي أجمل

(١) كذا في أ ، ب ، وى ط : « يلج » .

(٢) الأغاني ٢١ : ٣١

(٣) ديوانه ١٩٥٨

فزحف حتى انحدر من الفراش ، ثم قال : زدني ، فأنشدته :

عش فحُبِّيكَ سريعاَ قاتلي والصنى إن لم تصلى واصل
فأنا بين اكتابِ وضئى تركاني كالتَّصِيبِ الدَّابِل
فبكي العاذل لي من رحمةٍ فبكاني لبكاءِ العاذِل

فاستخفتُ طرباً ، ثم قال : يا بليق^(١) ، كم معك لنفقتنا؟ قال : ثمانمائة وخمسون ديناراً ، قال : اقسما بيني وبين خالد ، فدفع إلي نصفها .

وقد سبق إلى قوله : « كأنه خدود » ، قال المفضل : دخلت على الرشيد وبين يديه طبق ورد ، وعنده جاريةٌ مليحةٌ شاعرةٌ أدبية ، قد أهدت إليه ، قال : يا مفضل ، قل في هذا الورد شيئاً تشبه به ، فأنشأتُ أقول :

كأنه خدٌ معشوقٍ يقبله فم الحبيب وقد أبقى به خجلاً

وقالت الجارية :

كأنه لونُ خدَي حين تدفني كف الرشيدٍ لأمر يوجب الفسلاً
فقال : يا مفضل قم فاخرج ، فإن هذه اللاجنة قد هيَّجتنا ، قممت وأرخت .
الستور .

ولقد أحسن ابن الزقاق في قوله :

ورياضٍ من الشقائق أضحت تنهادي بها نسيم الرياح^(٢)
زرتها والنعام يجلد منها زهراي تروق لونَ الرياح
قلت : ما ذنبها ؟ فقال مجيباً : سرقتُ مُحرمةَ الخدودِ الملاح

(١) الأغاني : « يارشيقي » .

(٢) ديوانه ١٣٥ ، المغرب ٢٢٤ .

وقال البحتري :

في طلعة الشمس شيء من ملاحظتها وللقضيب نصيب من تشبهها^(١)

وقال ابن المعتز :

سقتني في ليل شبيهة بشعرها شبيهة خديها بغير رقيب
فأمسيت في ليلين : في الشعر والدجى وشمسين : من خمر وخذ حبيب
وأستطرد إلى قلب التشبيه من مبالغة التحول الذي ذكرنا ، فأقول : إذا
صار جسم العاشق من التحول يوصف بمثل قول الشاعر :

أنحلتني الحب فلو زج بي في مُقَلَّةِ النَّائم لم ينتبه
قد كان لي فيما مضى خاتم والآن لو شئت تمنعت به
وبمثل قول أبي بكر بن دريد :

إن الذي أبقيت من جسمه يامتف الصب ولم يشعر^(٢)
صباية لو أنها قطرة تجول في جفئك لم تقطر

صار جسم الخلالة على محافته أكبر من جسم الصب بأضعاف ، فينقلب
التشبيه ، وكذلك إذا بولغ في وصف الأ كفال بالمعظم صغرت عندها الكفبان ،
فينقلب التشبيه .

وقد ترجم ابن جني في خصائصه ترجمة ، قال : هذا باب من غابة الأصول
على الفروع ، ثم أنشد بعض ما أنشدنا ، وقرنها بمسائل من العربية حسان تشبه
الباب^(٣) .

(١) ديوانه ٢٤١ ، وفيه : « في حرة الورد شكل من تلها » .

(٢) ديوانه ٦٧

(٣) المحاسن ١ : ٢٠١ - ٢٠٣

والمتقدمين والتأخرين في النحول شعر كثير، ويستحسن في ذلك قول المجنون:
 فأصبحتُ من ليلَى الغداة كناظرٍ مع الصبح في أعقاب نجم مقرب^(١)
 ألا إنما غادرتِ يا أُمَّ مالكٍ صدَى أينما تذهب به الريح يذهب
 أخذه المومل فقال :

قد صرتُ من ضعفى إلى حالِّه تجرى لها آفاقُ حُسادى
 بكاد جسمى من نحول الضنى تحمله أغاسُ عُودادى
 وزاد خالد الكاتب ، فحمله لا يدرك إلا بالوهم ، فقال :

يا من تجاملَ عما كان يعله عمداً وباح بسرٍّ كان يكتمه
 غداً خليلك نضواً لا حراكَ به لم يبق من جسمه إلا توهمه
 فزاد ابن المعتز ، وجعله يخفى على الموت ، فقال :

مُسَهَّدٌ خانهُ التفريقُ فى أَمَلِهِ أضناه سَيِّدُهُ ظُلماً بمرتحله^(٢)
 فدفقَ حتى لو أن الدهرَ قَادَ لَهُ حنناً لما أبهرته مقلتنا أجله
 فأعدهم للتنبئ واستريح منه ، فقال :

أراكِ حببتِ السَّلكَ جسمى فَمَفَّتِهِ عليك بدُرٍّ عَنْ لقاءِ النَّرائبِ^(٣)
 ولو قَلَمَ أَلْبَتُّ فى شَقِّ رَأْسِهِ من السَّقمِ ما غَيَّرْتُ من خَطِّ كَاتِبِ

* * *

قال : فَهَضَبْتُ فِيمَا أَمَرُ ، لَأَذْرَأَ عَنْهُ النَّمَرَ ، وَلَمْ أَمِ إِلَى أَنَّهُ

(١) البيتان في حاشية ابن الفجرى ١٥٦ ينسبهما إلى محمد بن النمرى

(٢) ديوانه ١ : ١٤٩ . السلك : الخط . والنرائب : عل القلادة من الصدر .

قَصَدَ أَنْ يَخْدَعَ ، بِإِذْخَالِي الْمَخْدَعَ ، وَلَا تَطَنَّبْتُ أَنَّهُ سَخِرَ مِنَ الرَّسُولِ ،
فِي اسْتِدْعَاءِ الْخَلَالَةِ وَالْفُسُولِ .

فَلَمَّا عُدْتُ بِالْمَلْتَمَسِ ، فِي أَقْرَبَ مِنْ رَجْعِ النَّفْسِ ، وَجَدْتُ
الْجَوَّ قَدْ خَلَا ، وَالشَّيْخَ وَالشَّيْخَةَ قَدْ أَجْفَلَا ، فَاسْتَشْطْتُ مِنْ مَكْرِهِ
غَضَبًا ، وَأَوْغَلْتُ فِي إِرْيِهِ طَلَبًا ، فَكَانَ كَمَنْ قُمِسَ فِي الْمَاءِ ، أَوْ
عُرِجَ بِهِ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ .

• • •

قوله : «أدرا» ، أى أزيل . القمر : الودك . أم : أظن ، ويذهب وهمي .
تطنبت : حسبت ، وأبدل إحدى نوني «ظن» بباء تخفيفاً للتضعيف . سخر : هزأ .
الملتمس : اللطوب . الجوّ هنا : داخل البيت . أجفلا : هربا وأسرعنا . قوله :
«استشطت» : اشتد غضبي . مكرو : خداعه . أوغلت : بالفت وباعدت .
قميس : قميص . عرج به : طلع به . عنان بفتح العين : سحاب ، والعنانة :
السحابة ، وأعنت السماء : صار لها عنان ، والله الموفق للصواب .

المقالة الثامنة وهي المعصرة

[معصرة النعمان]

هي بلدة بالشام ، والنعمان : اسم جبل معلّ عليها ، والمعصرة اسم البلدة ، فأضيفت إليه ، ولها سبعة أبواب ، وعلى جبل منها دَيْرُ نَعْمَان ، فيه قبر عمر بن عبدالعزيز . وقبر شيث بن آدم عند باب شيث منها ، وداخلها قبر يوشع بن نون ، وله يوم حَفِيل في كل عام ، وإلى المعصرة ينسب الشاعر المرمي . قال شيخنا ابن جبير : إنه خرج من قنسرين يريد حمص ، قال : فرأينا عن يمين طريقنا بمقدار فرسخين بلاد المعصرة ، وهي سواد كلها محاطة بشجر الزيتون والتين والفستق وأنواع الفواكه ، ويتصل التفاف بساتبينها وانتظام قراها مسيرة يومين ، وهي من أخصب البلاد ، وأكثرها أرزاقا ، ووراءها جبل لبنان ، وهو ساعى الارتفاع ، ممتدّ المول ، متّصل من البحر إلى البحر ، وفي سفح الجبل حصون للملحدة الإسماعيلية ، فرقة مَرَقَتْ من الإسلام ، وادّعت الإلهية^(١) ، قَبِضَ لهم شيطان يعرف ببنان ، خدعهم بأباطيل وخيالات ، وموّه عليهم باستعمالها ، وسحّرم بمعالها ، فآخذوه إلهًا يعبدونه ، ويذلّون الأنفس دونه ، وحصلوا من طاعته^(٢) بحيث يأمر أحدهم بالتردي من شاهق جبل ، فيتردى المأمور ، والله يضل من يشاء^(٣) .

أخبر الحارث بن هشام قال : رأيتُ من أعاجيب الزَّمانِ ، أن :

(١) بعدها في ابن جبير « في أحد الأيام » .

(٢) بعدها في ابن جبير « وانتال أمره » .

(٣) رحلة ابن جبير ٢٣٤

تَقْدَمَ خَصْمَانِ ، إِلَى قَاضِي مَرَّةٍ الثَّمَانِ ، أَحَدُهُمَا قَدْ ذَهَبَ مِنْهُ
الْأُطْيَانُ ، وَالْآخَرُ كَأَنَّهُ قَضِيبُ الْبَانِ .

• • •

قوله : « الأُطْيَان » ، أى الأكل والنكاح ، أى هوشينخ مسن ، وقيل :
الأطيان : النوم والنكاح ، وقيل : طيب النكاح ، وطيب النكحة .

أبو هريرة ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : « الأُطْيَان التمر والابن » .

وسئل شيخ مسن من العرب عن حاه ، فقال : ذهب منى الأُطْيَان :
السَّيْر والأَيْر ، وبقي الأُرْطَبَان : الضراط والسعال .

والبان : شجر تشبه بقضبانة القدود الناعمة .

• • •

فَقَالَ الشَّيْخُ : أَيَّدَ اللَّهُ الْقَاضِي ، كَمَا أَيَّرَ بِهِ الْمُتَقَاضِي ، إِنَّهُ
كَانَتْ لِي تَمْلُوكَةٌ رَشِيْقَةٌ الْقَدِّ ، أَسِيْلَةٌ الْخُلْدِ ، صَبُورٌ عَلَى الْكَدِّ ،
تَحْبُ أَحْيَانًا كَالْثَّهْدِ ، وَتَرْقُدُ أَطْوَارًا فِي الْمَهْدِ ، وَتَجِدُ فِي تَمُوزَ
مَسَّ الْبَرْدِ ، ذَاتُ عَقْلِ وَعَيْنَانِ ، وَخَدَّ وَسَيْنَانِ ، وَكَفَّ يَبْنَانِ ، وَفَمِ
بِلَا أَسْنَانِ ؛ تَلْدَغُ بِلِسَانٍ نَضْنَاضٍ ، وَتَرْقُلُ فِي ذَيْلٍ فَضْفَاضٍ ،
وَتُجَلِّي فِي سَوَادٍ وَيَيَاضٍ ، وَتُسْقَى وَلَسِكِنْ مِنْ غَيْرِ حَيَاضٍ ، نَاصِحَةٌ
خُدْعَةٌ ، خُبَاءَةٌ طُلْعَةٌ ، مَطْبُوعَةٌ عَلَى الْمُنْقَمَةِ ، وَمِطْوَاعَةٌ فِي الضُّيْقِ
وَالسَّعَةِ ، إِذَا قَطَعْتَ وَصَلْتَ ، وَمَتَى فَصَلْتَهَا عَنْكَ أَنْفَصَلْتَ ، وَطَلَمْنَا
خُدْمَتَكَ فَجَبَلْتَ ، وَرُبَّمَا جَنَّتْ عَلَيْكَ فَالَمْتَ وَمَلَمْتَ ، وَإِنْ هَذَا

الْفَقَى اسْتَحْدَمْنِيهَا لِفَرْضٍ ، فَأَخْدَمْتُهُ إِيَّاهَا بِلَا عِوَضٍ ، عَلَى أَنْ
يَجْنِيَ نَفْعَهَا ، وَلَا يُكَلِّفَهَا إِلَّا وَشَمَهَا ، فَأَوْلَجَ فِيهَا مَتَاعَهُ ، وَأَطَالَ
بِهَا أَسْتِمَاعَهُ ، ثُمَّ أَعَادَهَا إِلَيَّ وَقَدْ أَفْضَاهَا ، وَبَذَلَ عَنْهَا قِيَمَةً
لَا أَرْضَاهَا .

• • •

المتقاضى ، أى المتعاضد ، الذى يطلب من الحاكم قضاءه ، وعونه على خصمه ؛
وهذا الفرض الذى ذكره ضرب من الألتاز ، لأنه مشى كلامه فى وصف جارية .
وغلام ، وقد ضمن الكلام وصف إبنة ومزود . مملوكة ، يعنى الإبنة جعلها مملوكة
لأنها مما يتمول . رشيقة القد : معتدلة القامة . أسيلة : ملساء . خذ الإبنة : شق فيه .
تقبها ، وأصل الخذ شق مستطيل فى الأرض ، والأسالة : ملاسة مع طول .
صبور على الكد ، أى صابرة على الشقة والتعب ، ونعول - بمعنى فاعل -
يُمتنع من إلحاق الماء به إذا وقع صفة لؤث ، قال عنتره :

إِنِّى أَمْرُؤٌ سَهْلٌ الْخَلِيقَةُ مَا جَدُّ لَا أَتَّبِعُ النَّفْسَ اللَّابِجُوجَ هَوَاهَا

ومنه : امرأة شكور وصبور ولجوج ولحن أبو محمد خواص العراق بقولهم :
شكورة ولجوجة وصبورة ، قال : إن هذه التاء إنما تدخل فى «نعول» إذا كانت
بمعنى «منعول» ، نحو ناقة ركوبة وشاة حلوبة^(١) . قال : وذكر النحويون فى امتناع
الماء من «نعول» بمعنى «فاعل» للمؤنث عللاً ، أجودها أن الصفات الموضوعة
للمبالغة نُقلت عن بابها لتدل على المعنى الذى تخصصت به ، فأسقط الماء من صبور
وفتاة معطار ونظائره ؛ كما ألحقت بصفة المذكر فى رجل علامة ونسابة ، ليدل
على تحقيق المبالغة ، وتؤذن بحدوث معنى زائد فى الصفة . وامتناع الماء المذكورة .

(١) قال فى درة النواص : «لأنهما بمعنى مركوبة وعملوية» .

أصل مطرد [لم يشذ منه إلا قولهم] ^(١) : عدوة، فإنهم ألقوه بصديقه، والشيء في أصول العربية [قد] يحتمل على ضده وتقيضه، كما يحتمل على نظيره ورسيه ^(٢).
 تَخَبَّ : ثَبَّ في الثوب بسرعة . التَّهْد : الترس الضخم . أطواراً : أحياناً، ومهدا : منبر الخياط الذي تُمسك به إبرته . تَمُوز : أحد الشهور، وهو يولييه .
 والبرد : أن يبردها الحداد بالبرد ليقومها ويعدّلها ، فالبرد هنا فعل صانها . قال ابن ظنر : ذهب بالبرد إلى ما طبع عليه الحديد من البرد في القبط . قوله : « ذات عقل وعنان » ، أراد بالعنان الخيط لأنها ترسله في الخياطة ، والعقل شدّها بالخيط حين تُمسك في الثوب . سنان : طرفها المسنون ، أى الحداد . كَفَّ بينان : الكف والتضريب شيثان معروفان في الخياطة ، فيريد أن الخياط يقلب التضريب بأصابعه وهى البنان وبكفه بالإبرة . فم ، يريد ثقب الإبرة . تلدغ : تضرب الإصبع . واللسان التضناض للحية ، والنضنضة ، قيل : هى صوت الحية ، وقيل : حركة لسانها ، وإنما اختلف فيها لأن الحية إذا ضيق عليها فتحت فاهها وصفرت وحركت لسانها ، فيقال : نضنضت ، وشبه طرف الإبرة بلسان الحية لكثرة حركته في الثوب ؛ وما أحسن قول الشاعر في تشبيه لسان الأفعى بنور السراج :

وقندبلي كأن النور منه محيّا من أحب إذا تجلّى
 أشار على الدجى بلسان أفعى فشمر ذيله فرقاً ووَلّى

وقال ابن الصباغ الصقلي في شمة :

يطعن صدر الدجى بعالية صنوبرى لسان كوكبها
 كحّة باللسان لاحسة ما أدركت من سواد غيبتها

وللبيتين الأولين حكاية مستظرفة ، حدثني بها غير واحد من الطلبة أردت ترك ذكرها لأمرين : لشهرتها ، ولأنى وجدت البيتين منبتين في بعض النسخ من

القلائد لأحد رجالها ، ثم عزم على بعض الأدباء أن أذكرها ، فذكرتها على اختصار لفائدتها ؛ وذلك أن الشاعر المعروف بالبكيّ الهجاء ، دخل عليه في ليلة مطرة ذات رعد وبرق في بيت فندق دوابّ - شخص في الظلام لا يعرفه ، وعلى البكيّ بقية من سيّئامه^(١) خلقة ، لا يواريه غيرها ، وعلى الثاني بقية من قبص قد اسودّ من طول البلى وكثرة الأوساخ ، حتى لا يعرف رائيه من أيّ ثوب هو ؛ وقد بلّل كلّ واحدٍ منهما المطر ، وهما في بلاء من الفقر والجوع والبرد ، فرقّ لها خادم الفندق ، فدخل عليهما بقنديل ، فعندما نظر كلّ واحد منهما صاحبه تأمّس به ، ورأى أنه قد وجد لنفسه نظيراً في الشقاء . فقال البكيّ لجليسه : أيّ شيء أنت ؟ فقال : شاعر ، وشوّم الأدب بلغ بي مآثرى ، قال : فأجِزْ ، فقال :
* وقنديلٍ كأنّ النورَ منه *

فقال الآخر :

* محبّاً من أحبّ إذا مجلّى *

فقال البكيّ :

* أشار على الدجى بلسانٍ أقمى *

فقال الآخر :

* فشمر ذيله فرقاً ووّلّى *

فقال له البكيّ - وقد أعجب به : بمن تعرّف ؟ فقال : بعنق البرة ، قال له : وأنا البكيّ ، فجعلنا يتناظران بقية ليلتهما في أيّهما أكثر حرماناً ، حتى أصبحا وكانا يتلمسان . فقال عنق البرة للبكيّ : هلمّ لنفترع ؛ أينما يقيم هنا ، وأبنا يرمحل ؟ فإننا إن بقينا في موضعٍ واحدٍ ، أدرك الناس من شوّمنا ما يؤدّي بهم إلى الهلاك ، فافترعا فخرجت قرعة البكيّ بالرحيل ، فارتحل ونزل بفاس ، فحلّ بأهلها من بلائه ما قد شهّر .

(١) كذا في الأصول ، ولم أقف على معناها .

قوله : « ترفل في ذيل فضفاض » ، أى تمشى في خيط طويل . تجلّى في سواد وبياض ، أى تبرز في خيط أسود لخياطة السواد ، وأبيض لخياطة البياض . تسقى : أراد سقى الحداد لها إذا أخرجها من النار وألقاها في الماء لتصلب . ناصحة : خائطة ، والنصاح : الخياط ، ونصحت الثوب : خطلته . خُدعة : تمخّذ الخائط كثيراً ، فتخيط وجه الثوب الأعلى ، وتترك الأسفل ، والماء في هذه الصفات للبلابة . خُبأة طُلعة : يصف حالها من الخياطة حين تمخّض في الثوب ، ثم تطلع في يد الخائط . مطبوعة ، أى مصنوعة لينتفع بها . مطواعة في الضيق والسعة ؛ يريد إذا دفعته في الثوب دخلت فيه ، سواء اتسع موضع دخولها أو ضاق . إذا قطعت وصلت ، يريد إذا قطعت الثوب وفصلته ألقته . فصاتها عنك : نحيتها ، وجعلتها في مثيرها . خدمتك ، أى صرفتها فيما محتاج من خياطة ثيابك . جمّلت : ألفت قطع الثوب . جنت عليك فألت ، أى ضربتك فأوجعتك وصيّرتك ذا ألم . مالمت ، أى جعلتك متقلّباً لشدة الوجع . قوله : « استخدمنيها » ، أى طلب منى خدمتها . الفرض : الحاجة ، وأصل الفرض ما قصده سهم الرامي ، ثم سميت الحاجة غرضاً ، لأنها قصدت بالرغبة فيها . وسعها : طاقتها وقدّر ما تحتمل مما تكلف . أوج فيها متاعه ، أى أدخل فيها خيطه . أفضاها : خرق عينها ، وفي المرأة خلط مسلكيها ، من أفضيت إلى الشيء ، وصلت إلى متاعه ، ومنه : القوم فوضى ، أى متسعون مختلطون . بذل : أعطى .

وَمَالَ الْخَدَثُ : أَمَّا الشَّيْخُ فَأَصْدَقُ مِنَ الْقَطَا ، وَأَمَّا الْإِفْضَاءُ
فَقَرَطَ عَنْ خَطَا ، وَقَدْ رَهْنَتْهُ ، عَنْ أَرْضٍ مَا أَوْهَنْتُهُ ، تَمْلُوكًا لِي
مُتَنَاسِبِ الطَّرَفَيْنِ ، مُنْتَسِبًا إِلَى الْقَيْنِ ، نَقِيًّا مِنَ الدَّرَنِ وَالشَّيْنِ ،
مُقَارِنُ مَحَلِّهِ سَوَادَ الْعَيْنِ . يُفْشِي الْإِحْسَانَ ، وَيُنْشِي الْاسْتِحْسَانَ ،

وَيُفْذِي الْإِنْسَانَ ، وَيَتَحَامَى اللِّسَانَ ، إِنَّ سُودَ جَادَ ، أَوْ وَسَمَ
 أَجَادَ ، وَإِذَا زُوِّدَ وَهَبَ الزَّادَ ، وَمَتَى اسْتَزِيدَ زَادَ ، لَا يَسْتَقِرُّ بَعْثِي ،
 وَقَلَمًا يَنْكِحُ إِلَّا مَثْنَى ، يَسْنُو بِمَوْجُودِهِ ، وَيَسْمُو عِنْدَ جُودِهِ ،
 وَيَنْقَادُ مَعَ قَرِيبَتِهِ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ طَيْبَتِهِ ، وَسَمْتَعُ بَرِيَّتِهِ ،
 وَإِنْ لَمْ يُطْمَعْ فِي لَيْتَتِهِ .

[القَطَا]

الْقَطَا : طائر يصيح « قَطَا قَطَا » فسُمِّيَ بصياحه ، وبما يُفهم من صوته ، ولذلك
 تسميه العرب الصَّدُوق ، ويقال : أنسب من قطاة ، لأنها إذا صاحت عرفت ،
 وقال الشاعر :

تدعو القطا وبه تدعى إذا انشبت يا صِدْقَهَا حين تدعوها فتتنسبُ
 حمرام مقلبة سَكَّاه مدبرة للءاء في البحر منها نَوَاطة تجبُّ
 وقال الكيث :

لَا تَكْذِبِ الْقَوْلَ إِنْ قَالَتْ قَطَا صَدَقْتُ إِذْ كُلَّ ذِي نَسَبٍ لَا بُدَّ يَنْتَحِلُ^(١)
 وقال أبو وجزة :

مَا زِلْنِي يَفْسُئِينَ وَهَنًا كُلَّ صَادِقَةٍ بَاتَتْ تَبَاشِرُ غُرْمًا غَيْرَ أَزْوَاجِ^(٢)

(١) الحيوان ٦ : ٥٧٨ .

(٢) الحيوان ٥ : ٥٧٣ ، وروايته : « ومن يفسئ » ، والوهن : نصف الليل

يريد ، أن الخير وَرَدَتِ الماء ليلاً ، فأثارت القطا عن أفاحيصه ، فصاحت : «قطا»
 قطا : فذلك انتسابه وجعلها صادقة لصياحها قطا ، والمُرْم يبيض ، لأن فيه سواداً
 وبياضاً ، وبييض القطا أفراد ثلاثة أو خمسة ، قال مزاحم العقيلي في القطا وفرادها :
 فلما دَعَتْهُ بِالْقَطَاةِ أَجَابَهَا بِمِثْلِ الَّذِي قَالَتْ لَهُ لَمْ يَبْدَلِ^(١)

وقال للمرّي :

عُرِفْتُ جُدُودَكَ إِذْ نَطَقْتَ وَطَلَمًا لَفْظَ الْقَطَا فَأَبَانَ عَنِ أَنْسَابِهَا^(٢)
 وقال الأصمعي : القطا لا تصيح إلا إذا أرادت الماء ، فإذا عدم الماء ، وسمعت
 العرب صياح القطا ، فرحوا به وعرفوا أقرب الماء من بعده .
 وقيل : سُمِّيَ القطا لثَقَلِ مشيه ، يقال : قَطَا الرجل يَقْطُو ، إِذَا ثَقُلَ مشيه ..

* * *

قوله : «فرط» أي سبق . عن خطا ، أي عن غير تمّدد . رهته : أعطيته .
 رهناً ، وأرهنتك : أعطيتك ما ترهته . والأرث : قيمة الميب ، أي دية الجرح ،
 مأخوذ من أرش بين القوم لأنّ الأرض يُختصم في قدره . أوهته : أفسده ،
 ووهن الشيء يَوْهِنُ وَيُهِنُ : ضَعُفَ ، وَأَوْهَتُهُ أَنَا ، إِذَا أضعفته . مملوكا ، بمعنى
 المروء . متناسب العارفين ، أي هذا الطرف مثل هذا الطرف ، تكتحل بأيّهما
 شئت . القَيْن : الحدّاد الذي صنعه . الدَرَن : وَسَخُ الحديد ، والشَّيْن : العيب ،
 أي هو مصقول معتلد ليس فيه اعوجاج ولا عيب . يقارن بحلّه سواد العين ،
 أي عند التكتحل به . ينشئ : يحدث ويظهر . وإحسان الكحل في العين
 لا ينحى . ينشئ : استحسان ، أي ينشئ لناظر العين استحسان الكحل في العين .

(١) الحيوان ٥ : ٥٧٨ .

(٢) لم أجده في سقط الزند ولا في الزمانيات .

والإنسان : إنسان العَيْن يَنْذِيهِ بالكُحْل ، والإنسان : السَّوَاد الذي في وسط العين ، إِذَا رَأَيْتَهُ رَأَيْتَ فِيهِ شَخْصًا ، والشخص هو الإنسان ، فَسَمِيَ السَّوَاد بِهِ .
يَتَحَامَى : يَبْعَدُهُ ، يَرِيدُ أَنَّهُ يَكْحَلُ العين ولا يقرب من القم . قوله : « سَوْد » ،
أى جعل فيه الكحل . جاد : أعطاه العين . وَسَمِ الْعَيْنَ بالكحل : أجاد عمله فيها . قَلَّمَا يَنْكَحُ إِلَّا مَتْنِي ، أى . نَكَحَ عَيْنًا واحدة في الغالب . وقد نظم هذا
الشرفى الثانية والأربعين .

جوده ، أى . يَجُودُ بِكَحْلِهِ لَلْعَيْن . وَيَسْمُو : يَطْلُعُ للعين ، وجعل له الكحل
غذاءً يأخذ ويرتفع به للغير . قَرَبَتْهُ : مُكْحَلَتْهُ . من طِينَتِهِ : من جنسه .
زَيْنَتِهِ : تَزِينَتُهُ للعين . يُطْمَعُ فِي لِينَتِهِ : أى لا يطمع أن يكون الحديد لِينًا . وكلَّ
لفظة فسرَ بها المروءة والإبرة ، لها لفظ في ظاهرها غير ما فسرت به .

فَقَالَ لَهُمَا الْقَاضِي : إِمَّا أَنْ تُبَيِّنَا ، وَإِلَّا فَبَيِّنَا ، فَابْتَدَرَ
الغلامُ ، وَقَالَ :

أَعَارَنِي إِبْرَةً لِأَرْفُوَ أَطْ	مَارًا عَفَاهَا الْبَلَى وَسَوَّدَهَا
فَانْخَرَمَتْ فِي يَدَيَّ عَلَى خَطَا	مِنِّي لَمَّا جَذَبْتُ مِقْوَدَهَا
فَلَمْ يَرَ الشَّيْخُ أَنْ يُسَامِحَنِي	بَارْشِيهَا إِذْ رَأَى تَأْوُدَهَا
بَلْ قَالَ هَاتِ إِبْرَةً تُعَاثِلُهَا	أَوْ قِيَمَةً بَعْدَ أَنْ تُجَوِّدَهَا
وَاعْتَاقَ مِثْلِي رَهْنًا لَدَيْهِ وَنَا	هَيْكَ بِهَا مِثْبَةً تَزَوِّدَهَا
فَأَمِينٌ مَرَمَى لِرَهْنِهِ وَيَدِي	تَقْصُرُ عَنْ أَنْ تَفُكَّ مِرْوَدَهَا
فَأَسْبَرُ بَدَا الشَّرْحُ غَوْرَ مَسْكَتِي	وَارِثٍ لِيْنٍ لَمْ يَكُنْ تَعْمُدَهَا

تينا : توضحنا وتفسرا حديثكما اللهم المنز . فيينا : أبدا ، أو ارتعنا .
قوله : «أرفوه» أى أخيط ، ويروى «لأرقأ» يقال : رفأت الثوب أرفؤه ورفوته
وأرفوه ، والرفو من أدق أنواع الخياطة ، وهو نسج الخرق في الثوب حتى يموذ
كأنه لم يكن فيه خرق .

[مما قيل في رفو الثياب]

وقال ابن القابلة السبتي في غلام رفاء :

يارافيا قطع كل ثوبٍ ويارشاً حبةً اعماذى
عسى يخط الوصال ترفو ما قطع المجر من فؤادى
وقال الحلواني في خياط :

رب خياطٍ فتنت به فتنة أوهت قوى جلدى
لاعب بالخياط يفتله أتراه ظنه جسمى !
ليت أنى كنته فأرى بين ذلك الدر والبرد
فعلت بالثوب إبرته فعل سهم الشوق فى خلدى
وجرى المراض فى يده جرى عينيه على كبدى

ومن مجون أبى نواس ، أنه كان يؤا كل إسماعيل بن أبى سهل ، فعرضت
له على مائدة رفاقة فى جانبها خرق قد ضم ، فرفعها بإحدى يديه وقرأها بالأخرى ،
فانفجرت ، وقال وهو يضعك : أخبزكم مرفوه ؟ فلما خرج قال :

خبز إسماعيل كالونسى إذا ما انشق يرفأ
عجبا من أثر الصنمة فيه كيف يخفى
إن رفاءك هنا أطف الأمة كفا
فلذا قابل بالنصف من الخبزة نصفك

أَلْطَفَ الصَّنْعَةَ حَتَّى لَا تَرَى لِلْمُفَرَّزِ أَشْفَى
مِثْلَ مَا جَاءَ مِنَ التَّنُورِ مَا غَادَرَ حَرْفًا

والأطهار : الثياب الخلقعة ، واحدها طِمْر . عفاها البلى : غيَّرَهَا القَدَمُ
وَدَرَسَهَا ، وَسَوَّدَهَا بِالْأَوْسَاحِ حَتَّى صَارَتْ فِي طَبْعِ الثَّوبِ ، فَتَى غَسَلَتْ لَمْ تَزَلْ .

[مِمَّا قَالَتِ الشُّعْرَاءُ فِي الْأَطْهَارِ الْبَالِيَةِ]

وَمِمَّا قَالَتِ الشُّعْرَاءُ فِي الْأَطْهَارِ الْبَالِيَةِ مِمَّا يَسْتَحْسِنُ قَوْلَ الْحَمْدُونِيِّ فِي
طَيْلَسَانَ^(١) وَهَبَهُ لَهُ أَحْمَدُ بْنُ حَرْبٍ الْمُهَلَّبِيُّ :

يَا بْنَ حَرْبٍ أَطْلَتِ هَمِّي بِرَفْوِي طَيْلَسَانًا قَدْ كُنْتُ عَنْهُ غَفِيًّا^(٢)
فَهَوِيَ الرَّفْوُ آلَ فِرْعَوْنَ فِي الْقَرْوِ ضَ عَلَى النَّارِ بَكْرَةً وَعَشِيًّا
وَقَالَ أَيْضًا فِيهِ :

طَيْلَسَانُ لَا بْنَ حَرْبٍ يَتَدَاعَى لَا مَسَاسًا
قَدْ طَوَى قَرْوَنَا قَرْوَنَا وَأَنَاسًا فَأَنَاسًا
لَيْسَ الْأَيَّامُ حَتَّى لَمْ تَدْعُ فِيهِ لِبَاسًا
غَابَ تَحْتَ أَحْسَى حَتَّى لَا يُرَى إِلَّا قِيَّاسًا

(١) قال الثعالبي في المضاف والمنسوب ٦٠٢ : كان محمد بن حرب أهدى إلى الحمدوني طيلسانا خلقا ، وكان الحمدوني يحفظ قول ابن حمران الهلبي في طيلسان :

يَا طَيْلَسَانَ أَبِي حَمْرَانَ قَدْ بَرَمَتْ بِكَ الْحَيَاةُ فَمَا تَلْتَذُّ بِالْمُسْمَرِ
فِي كُلِّ يَوْمٍ لَهُ رَفًا يَجِدُّهُ هَيْبَاتٍ يَنْفَعُ تَجْدِيدُهَا مَعَ الْكِبَرِ
إِذَا ارْتَدَاهُ لَعِيدٍ أَوْ لَجَمْتَهُ نَكَبَ النَّاسَ لَا يَبْلَى مِنَ النَّفَرِ

وَأَحْتَذَى حَذْوَهُ ، وَاتَّكَتَ عَلَيْهِ الْمَأْنَى ، حَتَّى قَالَ وَوَصَفَ الطَّيْلَسَانَ قِرَابَةً مَائِي . مَطْلُوعَةٌ ، وَلَا تَخْلُو وَاحِدَةً مِنْهَا مِنْ مَعْنَى يَدِيحُ .

(٢) المضاف والمنسوب للثعالبي ٦٠٢ ، وفيه : « أَطْلَتِ قَرْوِي » .

وقال فيه أيضاً :

قل لابن حرب مقالة العاتب
أما رأيت الرفاء يُحزِنِي
أفناه جَوْرُ البلي عليه كما
ولستُ فيما أقولُ بالكاذِبِ
برفؤِ طيلسانك الذاهِبِ
أفنى الهوى عمرَ خالهِ الكاتبِ

وقال فيه أيضاً :

إن ابن حرب جادى كاسياً
انظر إلى كثرة تمزيقه
رفوى له وهو رميم كمن
يصدعه اللحظ بإيماضه
بُذِّكرُنِي كثرة تمزيقه
بطيلسان هريم قشعر
كأنما مُزق في مائمه
يبنى بناء فوق مستهدم
صدع فؤاد العاشق للفرم
تترقّ الناس عن الموسم

وقال فيه أيضاً :

يا بن حرب كسرتني طيلساناً
طال ترداده إلى الرفو حتى
فَحَسِبْنَا نسج المناكب قد جئنَ
ملّ من صحبة الزمان وصدّا^(١)
لو بعثناه وحده كتهدي
إلى ضعف طيلسانك شدا

وقال أيضاً فيه :

يا قاتل الله ابن حرب لقد
بطيلسان خلت أن البلي
أجد في رفوى له والبلي
أطال إتماعي على عمد
يطلبه بالوثر والحد
يا هو بهي الخزل والجد

إِنْ أَنْتُمْ الرَّافِي فِي رَفْوِهِ مَغْنَى بِهِ التَّمْزِيقُ فِي تَجْدِ
تَمَنِّيْتَهُ لَا مَغْنَى رَاحِلًا : تَرَكَتْنِي يَا وَاحِدِي وَوَاحِدِي

والحمد لله هو إسماعيل بن إبراهيم جدويه ، نُسب إلى جده ، وهو من أهل
مَيسان ، وكان حلو التصرف ما يحل الافتنان ، وهو القائل :

مَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا لَهُ شَارَةٌ فَتَحَسَّ مِنْ نَظَارَةِ أَذَنِي
نَلَحْظُهَا مِنْ كُتُبِ حَسْرَةٍ كَأَنَّا لَفْظٌ بِلَا مَعْنَى

وقال ابن الرومي في طليسانه :

وَلِي طَلِيَّاسٌ نَاحِلٌ غَيْرُ أَنَّهُ ثَبُوتُ لَهْمَاتِ الرِّيحِ الزَّعَازِعِ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّهُ مَنَهَتْكَ يَحُلِي سَبِيلَ الرِّيحِ غَيْرُ مُنَازِعِ
أَرَاهُ لَضَوْءَ الشَّمْسِ بِالْعَيْنِ رُؤْيَةً وَيَمْنَعُنِي مِنْ لَمَعِ الْأَصَابِعِ
شَكَاتُ اسْمِ الطَّلِيَّاسِ لَضَعْفِهِ فَسَمِيَتْهُ سَاجِدًا قَهْلَ ذَاكَ نَافِعِي !

وقال ابن سارة في فروة :

أَوْدَتْ بِذَاتِ يَدَيِ فُرْبُوعُهُ أَرْنبِ كَفَوَادِ عُرْوَةٍ فِي الضَّنَا وَالرَّقَةِ
يَتَجَشَّمُ الرِّقَاقَ فِي تَرْقِيعِهَا بَعْدَ اللَّشَقَةِ فِي قَرِيبِ الشُّقَّةِ
لَوْ أَنَّ مَا أَتَقَقَّتْ فِي تَرْقِيعِهَا يَحْقَى لَزَادَ عَلَى رِمَالِ الرَّقَةِ
إِنْ قُلْتُ : « بِاسْمِ اللَّهِ » عِنْدَ لَبَاسِهَا قَرَأْتُ عَلَى « إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ »

وله فيها أيضاً :

لِي فُرُوعٌ وَصَفَى لِحَاثُحَتِي بِهَا بَاتِيكَ بَيْنَ مَقْرَمٍ وَمَشْتَفٍ
عَطَّلْتُ كُتُبَ أَبِي عَيْدٍ بِالَّذِي أَلَقْتُ فِيهَا مِنْ غَرِيبِ مُصَنَّفٍ
يَسْطُو عَلَى الْغَرَمِ فِي تَرْقِيعِهَا سَطَوَ الْغَرَامُ عَلَى فَوَادِ الْمَدَنَفِ

فأنا وفروى خوف تمزقى لها أحكى معاوية بجنب الأحنف
وله فى طيلسان :

وطيلسان هَرَمٍ يُحْتَمَى عليه أكل الخَلِّ والبَقْلِ
كَانَ كَفَى إِذَا انْضَمَّتَا عليه خوف الرِّيحِ فى غُلِّ
ولبعض أصحابه فيه :

على منكب ابن على سَمَلٌ تَقَامُهُ لِحَفَظَاتِ الْمَلَلِ
إِذَا غِيَمَ الْجَوَّ أَبْصَرْتَهُ رَهِينَ الذَّبُولِ بِكَفِّ الْبَلَلِ
نِسْوَاطِ طِيلَسَانَ ابْنَ حَرْبٍ بِهِ وَصَارُوا بِهِ يَضْرِبُونَ الْمَثَلِ
وله فى غِفَارَتِهِ (١) :

لأحمد بن على غِفَارَةٌ كَالسَّرَابِ
إِنْ هَبَّ أَدْنَى نَسِيمٍ تَمَرَّ مَرَّ السَّحَابِ

والشعر فى هذا الباب كثير .

قوله : « انخرمت » ، أى انكسرت . مقودها : خيماها . فأودها :
انكسارها ، وأصله الاعوجاج . أعتاق مِيلَى : أحبس مِرْوَدى . ناهيك :
كافيك ، ومعناه المبالغة ، كأنه بلغ النهاية فى الغيب الذى فعل . سَبَّةٌ : عيب
يُسَبُّ به . مَرَّحَى : خالية من الكحل ، وقد مَرَّه الرجل مَرَّهَا إِذَا لم يتمهد
السكحل ، والمرَّحَى من النساء : البيضاء البيضاء الزَّرَقَ الذى يختص السكحل فى
زرقها . اشْبُرَ : قَسَ . غَوَّرَ : غاية وقَدَّرَ . ارثَ : ارحم وتوجع .

• • •

(١) الغفارة ، ككتابة : زرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة .

(٢١ - شرح مقامات المبررى ١)

فَأَقْبَلَ الْقَاضِي عَلَى الشَّيْخِ ، وَقَالَ : إِيْهِ ، بِغَيْرِ تَمْوِيْهِ ،

فَقَالَ :

أَفْسَمْتُ بِالشَّعْرِ الْحَرَامِ وَمَنْ ضَمَّ مِنَ النَّاسِكِينَ خَيْفَ مِنِّي
لَوْ سَاءَ عَنِّي الْأَيَّامُ لَمْ يَرْنِي مُرْتَهَنًا مِثْلَهُ الَّذِي رَهَنًا
وَلَا تَصَدِّتُ أَبْنِيَّ بَدَلًا مِنْ إِبْرَةٍ غَالِيَا وَلَا ثَمَنًا
لَكِنَّ قَوْسَ الْخَطُوبِ تَرشُقُنِي بِمُضْمِيَّاتٍ مِنْ هَاهُنَا وَهَنَا
وَكُفْرٌ حَالِي كَكُفْرِ حَالَتِهِ ضُرًّا وَبُؤْسًا وَغُرْبَةً وَصَنَى
قَدْ عَدَلَ الدَّهْرُ يَتَنَّنَا فَأَنَا نَظِيرُهُ فِي الشَّقَاءِ وَهُوَ أَنَا
لَاهُو يَسْتَطِيعُ فَكَّ مِرْوَدِهِ لَمَّا غَدَا فِي يَدَيَّ مُرْتَهَنًا
وَلَا مَجَالِي لِضَيْقِ ذَاتِ يَدِي فِيهِ اتِّسَاعٌ لِلْعَفْوِ حِينَ جَنَى
فِيهِدِرِ قِصَّتِي وَقِصَّتُهُ فَانْظُرْ إِلَيْنَا وَيَتَنَّنَا وَلَنَا

° ° °

إِيْهِ : كلمة يُستزاد بها الحديث . والتمويه : الكذب ، وهو في الحديث كالتمويه ، وقد موه عليه ، إذا خيل له أنه على شيء وهو على ضده ، وأصل التمويه الضَّغْل ، كأنَّ على ألفاظه الموهمة صفالة ، وهو من لفظ الماء . المشعر : المزدلفة ، وهو جمع ، سُمِّيَ مشعراً لأنه من علامات الحج ، وكلَّ علامات الحج مشاعر ، والشعر والنسك : موضع ذبح الهدى بمكة للفضل ، سُمِّيَ مشعراً ، لأنه شعر أنه حرام كالبيت . الناسكين : الحجاج الذين يُشعرون الهدى وما يُنجز ، أَنْسَكَ وَنَسَكَ مَنَسَكَ وَنَسَكَ ، إذا ذبح الأُنسك ، وأصلها ذبائح

الجاهلية ثم سُميت الأضاحي، والذاسك أيضاً : الزاهد . خَيف : موضع بمعنى .
 قوله : « ساعدتني » : ساعدتني . تصدّيت : تمرّضت . غالها : أهلكتها .
 الخملوب : الأمور الشداد . ترشفتني : تصببني . بمصميات : بسهام قاتلة .
 بؤس : شدة حال . ضئى : ضعف ومرض . وهو أنا ، أى هو مثلي في
 ضيق الحال . مجالى : موضع نصرتي . ذات يدي : مالى ، وذات اليد ما يملك .
 العفو : الغفران . جئى : أذنب . قصّيتى : حديثي ، يقول : فانظر إلينا بعين الشفقة
 والرحمة ، وأصاح بيننا بما ننصرف به شاكرين لك ، وهب لنا ما نثني به
 عليك ، وجعل النظر عاملاً في الجميع ، لأن من وجوه النظر الإصلاح بينهم
 والتكريم عليهم .

فلما وعى القاضي قصصهم ، وتبين خصائصهم وتخصّصهم ؛
 أبرز لهم ديناراً من تحت مصلاه ، وقال لهم : أقطما به الخصاص
 وافصلا . فتلقاه الشيخ دون الحديث ، واستخلصه على وجه
 الجد لا العبث ، وقال للحديث : نصفه لي بسهم مبرّتي ،
 وسهمك لي عن أرض إبرتي ، ولست عن الحق أميل ، فقم
 وخذ المبل . فقرأ الحديث لما حدثت كتاب ، واكفهر على
 سماهم سحاب ، وجم له القاضي ، وهيج أسفه على الديار الماضى ؛
 إلا أنه جبر بالفتى وبلباله ، بدريهمات رضى بها له ، وقال
 لهم : اجتنبا المعاملات ، وادرا المخاصمات ، ولا تحضرا في
 المحاكمات ، فما عندي كيس الفرامات .

فَنَهَضًا مِنْ عِنْدِهِ ، فَرَحِينَ بِرِفْدِهِ ، مُفَصِّحِينَ بِحَمْدِهِ ،
وَالْقَاضِيَ مَا يَنْجُو ضَجْرُهُ ، مُذْ بَضْ حَجْرُهُ ، وَلَا يَنْصُلُ كَمْدُهُ ،
مُذْ رَشَحَ جَلَمْدُهُ .

* * *

قصصهما ، أى حديثهما ، وهو جمع قصة . خصائصهما : فقرهما . تخصصهما : رفعتهما واقتباسهما ، وقد تخصص الرجل ، إذا انقبض عن العامة وتشبه بالخاصة . أبرز : أخرج . مصلاه : بساطه الذى يصلى عليه . انفصلاه : اقطامه وأزيلاه . استغلبه : حازه لنفسه خالصاً . الجِدَّة : التحقيق . العبث : الهزل . سهم : نصيب . مبرتى : إكراى الذى وصلنى به القاضى . أميل : أخرج وأعدل عنه . عَرَا : قصد ونزل به . حَـدَث : ظهر . اكتتاب : حُزن وحم . وجَم : غضب ، والوجوم : السكرت على غضب . هَيَّج : حرك . أسفه : حزنه . باله : فكره . بلباله : حزنه ووسواسه . رضح : كثر العطاء . اجتنبا : باعدا . للمعاملات : للمعاملات والمواري . ادركا : ادفعا . كيس : وعاء الدراهم . رِفْدَه : عطاؤه . ينجو ضجره : يسكن غضبه : بضع حجره : رشعت كفه ، قال الأخطل :

كَزَمَ الْيَدَيْنِ مِنَ الْمُطَيَّةِ مَمْسِكٌ مَا إِنْ تَبِضَّ صَفَاتُهُ بِيَلَالٍ^(١)

ينصل كدده : يزول حزنه . الجلد : الصخر الصلب ، كنى به عن كفه ؛ وأنه بخيل ، ويد البخيل تشبه بالحجر ، وقال جرير :

كَأَنَّمَا خَلَقْتَ كَفَّاهُ مِنْ حَجَرٍ فَلَيْسَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَالنَّيْدَى عَمَلٌ^(٢)
يَرَى التَّيْمُ فِي بَرٍّ وَفِي بَحْرِ غَخَافَةٌ أَنْ يَرَى فِي كَفِّهِ بَلَلٌ

(١) ديوانه ١٥٩ .

(٢) لم يرد البيتان في ديوانه

وقال ابن عبد ربه :

يَرَاعَةُ غُرَّتِي مِنْهَا وَمِضْرُ سَنَاءٍ حَتَّى مَدَدْتُ إِلَيْهِ الْكَفَّ مُقْتَبِسًا^(١)
فَصَادَفْتُ حَجْرًا لَوْ كُنْتُ تَضْرِبُهُ مِنْ لُؤْمِهِ بِمِصَا مُوسَى لَمَا انْبَجَسَا
كَأَنَّمَا صَيِغَ مِنْ لُؤْمٍ وَمِنْ كَذِبٍ فَكَانَ هَذَا لَهُ رُوحًا وَذَا نَفْسًا

أين هذه الألف من التي ذكر حجة بن المضرب ، حين قال :

أَنَاسٌ إِذَا مَا الدَّهْرُ أَظْلَمَ وَجْهَهُ فَأَبْدِيَهُمْ بِيضٌ وَأَوْجُهُمْ غُرٌّ
يَصُونُونَ أَحْسَابًا وَمَجْدًا مَوْثَلًا بِيْذِلْ أَلْفٌ دُونَهَا لُزْنُ وَالْبَحْرُ
غَلَا لَامِسَ الصَّخْرِ الْأَمَمِ أَكْثَهُمْ أَقَاضَ يَنَابِيعَ النَّدَى ذَلِكَ الصَّخْرُ

وقال أبو الشيص :

إِنِّ الْأَمَانَ مِنَ الزَّمَانِ وَرَيْبِهِ يَا عَقَبَ شَطَاً بِمَرْكَ الْفَيَاقِ^(٢)
بِحَرٍّ يَلُودُ الْمُتَفَوِّتِ بِسَيْلِهِ فَمِ الْجَدَاوِلِ مَتَرَعُ الْأَحْوَاضِ
لَأَبِي عَمْدٍ لِلْوَمَلِ رَاحَتَا مَلَكٍ إِلَى أَعْلَى الْعُلَا نَهَاضِ
فِيَدٌ تَدْفُقُ بِالنَّفَى لَصَدِيقِهِ وَيَدٌ عَلَى الْأَسْدَاءِ سَمٌ قَاضِ

وقال أبو تمام :

تَعْوَدُ بَسْطَ الْكَفِّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ دَعَاها لَقَبَضَ لَمْ تَجِبْهُ أُنَامِلُهُ^(٣)

وقال البحتري :

قَدْ قَلْتُ لِلْفَيْثِ الرِّكَامِ وَلَجٍ فِي إِبْرَاقِهِ ، وَأُلْحَ فِي إِرْعَادِهِ :^(٤)

(٢) طبقات الشعراء لابن المعتز ٧٦
(٤) ديوانه ٧٠٣

(١) المقدم ٦ : ٢٩٥ .
(٣) ديوانه ٣٣٢

لا تعرضنَّ للجعفرِ منشَبَةً بندي يديه فلتَ من أُنْداده
الله شرفه ، وأعلى ذكره ورآه غيثَ بلاده وعباده

وقال ابن الرومي :

مُقَبِّلُ ظُهر الكف وهاب بطنها له راحةٌ فيها الحطيمُ وزمزمُ
فظاهرها للناس ركنٌ مقبَّلٌ وباطنها عينٌ من الجود عَليمٌ

حَتَّى إِذَا أَفَاقَ مِنْ غَشِيَتِهِ ، أَقْبَلَ عَلَى غَاشِيَتِهِ وَقَالَ : قَدْ
أَشْرَبَ حَيْسِي ، وَتَبَأْنِي حَدْسِي ؛ أَنْتُمَا صَاحِبَا دَهَاءٍ ، لَأَخْصَمَا ادْعَاءِ ،
فَكَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى سَبْرِهِمَا ، وَاسْتِنْبَاطِ مِرِّهِمَا ؟ فَقَالَ لَهُ يُخْرِيرُ
زُمَرَتِهِ ، وَشَرَارَةُ جَمَرَتِهِ : إِنَّهُ لَمْ يَتِمَّ اسْتِخْرَاجُ خَبْئِهِمَا إِلَّا بِهِمَا ،
فَقَفَّاهُمَا عَوْنًا يُرْجِعُهُمَا إِلَيْهِ ، فَلَمَّا مَثَلَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، قَالَ لَهُمَا : اصْدُقَانِي .
سَنَ بَكَرِكُمَا ، وَكَكُمَا الْأَمَانُ مِنْ تَبِيعَةِ مَكْرِكُمَا . فَأَخْجَمَ الْحَدَّثُ
وَاسْتَقَالَ ، وَأَقْدَمَ الشَّيْخُ وَقَالَ :

قوله : « غشيته » ، أى ذهاب عقله بأن يُغْفَى عليه . وغاشيته : زواره ومن
ينشئ موضعه . أشرب : دُوِخِلَ : حِيسِي : إدراكى وفهى . تبأنى : حدثنى .
وأخبرنى . حدسى : ظنى ، قال الفراء رحمه الله : حدثت أحديس ، إذا قلت فى
الشيء برأيك . غيره : حدثت : ظننت ظناً بلغت منه غاية الشيء فى عدده أو

وزنه ، وأصله من قول العرب : باغت الخدس ، أى الشيء الذى تطلب لحاقه .
والدهاء فى الرجل : الخدق والتبصّر فى الأشياء . لاختصاصه ادّعاء ، أى ليس بينهما
ادّعاء على الحقيقة فيختصمان فيها . سبّرها : اختبارها . استنباط : استخراج .
نحرير : حاذق . زميرته : جماعته ، وجملة شرارة ؛ لنفوذ ذهنه واتقاده ، ولذلك
يسمى نحريراً ، أى ماهراً بالأشياء كلها ، كأنه لإدراكه وفهمه بالأشياء ينحصرها بظنه
الصادق . خبئها : خفيّ ما عندها . قفاها : أتبعها . والعون : الشرطى ، لأنه
يُعين من يصعّب له . مثلاً : وفقاً ، يقال : ممثّل الشيء ، فهو مائل ، إذا قام
وانتصب ، وإذا لُغى بالأرض أو ذهب ، وهو من الأضداد . سنّ بكر كما :
حقيقة خبر كما . والبكر : النقيّ من الإبل ، وسنّه : مبلغ عمره ، لأنّ بالسّن يُعرف كم
بلغ من العمر ، ونظّم المثل « صدقنى سنّ بكرة » ، وروى البكرى عن ابن الأعرابى
أن رجلاً ساء رجلاً بَكراً على أن يشتريه مسنّاً ، فقال البائع : هذا جهل ؛ لبكر
له ، وقول المشتري : هذا بَكْر ، فقال البائع : بل هو مسنّ ، فبينما هما يتنازعان
إذ نفر البكر ، فقال صاحبه : ليسكن نفاره : « هدع هدع » ، وهى كلمة من العرب
يسكن بها صغار الإبل عند نفارها ، ولا تقال للكبار ، فقال المشتري عند ذلك :
صدقنى سنّ بكرة . تبعة ؛ شُرحت فى الصدر . أحجم : تأخّر فزعاً . أقدم :
تقدم متشجعاً . استقال : طلب الإقامة .



أنا المَرْجُوعِيُّ وَهَذَا وَلَدِي	وَالسَّبِيلُ فِي الْمَخْبِرِ مِثْلُ الْأَسَدِ
وَمَا تَعَدَّتْ يَدُهُ وَلَا يَدِي	فِي إِبْرَةِ يَوْمًا وَلَا فِي مِرْوَدِ
وَأِنَّمَا الدَّهْرُ الْمُسِيَّ الْمُتَعَدِّي	مَالَ بَنَّا حَتَّى غَدَوْنَا نَجْتَدِي
كُلَّ نَدَى الرَّاحَةِ عَذْبِ الْمُرْدِ	وَكُلَّ جَعْدِ الْكَفِّ مَنُولِ الْيَدِ

بِكُلِّ فَنِّ وَبِكُلِّ مَقْصِدٍ بِالْجِدِّ إِنْ أَجْدَى وَإِلَّا بِالذِّدِ
لِتَجْلِبَ الرِّشْحَ إِلَى الْحِطِّ الصَّدَى وَتَنْفِدَ الْعُمَرَ بِعَيْشِ أَنْكَدِ
وَالْمَوْتُ مِنْ بَعْدِ لَنَا بِالْمَرْصَدِ إِنْ لَمْ يَفَاجِ الْيَوْمَ فَاجَى فِي غَدِ

• • •

السَّيْلُ : ولد الأسد . المخِيرُ : التجربة والخبرة . تَعَدَّتْ : ظَلَّتْ ، والمتعدَّى :
الظالم المجاوز الحد في الظلم . مال بنا ، أى حطَّنا . نَجْتَدِي : نسأل الناس الجدا ، وهو
للهطاء . ندى الراحة : كريم الكف . وجند الكف ، ضده ، وأراد أن يسأل كل
كريم سهل العطاء ، وكل لثيم صعبه ، وأصل الجموعة انقباض الشعر ، ثم استمرت
لقبض الكف من اللؤم ، ومثله مغلول اليد ، أى كأن يده محبوسة بفعل اللؤمها ،
والسائل كأنه يحاول بسطها بالجود فيجدها محبوسة بفعل اللؤم ، وفي الكتاب
العزيز : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾^(١)
فهذا نهى عن التبذير .

وقال حبيب في قصيدة يمدح بها حفص بن عمر الأزدي ويذكر الجموعة ، وهي :

يَرَى الْوَعْدَ أَخْزَى الْعَارِ إِنْ هُوَ لَمْ تَكُنْ مَوَاهِبُهُ تَأْتِي مَقْدَمَةَ الْوَعْدِ^(٢)
فَلَوْ كَانَ مَا يَعْطِيهِ غِيثًا لَأَمْطَرَتْ سَعَابَتُهُ مِنْ غَيْرِ بَرَقٍ وَلَا رَعْدِ
مَنْ الْقَوْمِ جَعَدُ أَيْبُضُ الْوَجْهِ وَالنَّدَى وَلَيْسَ بِنَانٍ يَجْتَدِي مِنْهُ بِالْجَدِّ

(١) سورة الإسراء ٢٩

(٢) ديوانه ١٣٠

وقال البحتري :

حَسَنَتْنِي عَنْ مَعَاشِرٍ لَا أُسَمِّي أَوْلِيَهُمْ إِلَّا غَدَاةَ سَيْبَانِي ^(١)
 مِنْ جِمَادٍ الْأَكْفَ غَيْرِ جِمَادٍ وَغَضَابِ الْوَجْهِ غَيْرِ غَضَابِ
 خَطَرُوا خَطَرَةَ الْجَهَامِ وَسَارُوا فِي نَوَاحِي الظُّنُونِ سَيْرَ السَّحَابِ

وقال أيضاً في نحوه :

وَخَلَقَنِي الزَّمَانُ عَلَى أَنْاسٍ وَجُوهَهُمْ وَأَيْدِيَهُمْ حَدِيدٌ ^(٢)
 لَمْ حُلِّلْ حَسَنٌ فَهِنْ يَبْغُزُ وَأَخْلَقَ قُبْعَنْ فَهِنْ سَوْدُ
 أَنْاسٌ لَوْ تَأَمَّلْتَهُمْ لَيَبْدُ بِكَيْ الْخُلْفِ الَّذِي يَشْكُو لَيَبْدُ

قوله « الدد » : ضد الجدة ، وهو اللهو واللعب ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لَسْتُ مَنَّ دَدٍ وَلَا دَدٌ مَنِي » ، أي لست من باطل ولا الباطل مني أجدى : نفع . الحفظ : البخت والنصيب . والصدى : العطشان ، وأراد أن حظه في الدنيا قليل ، فهو سعى له ليحلب رزقاً يكثر به حظه . تنفذ : تتم . أنكد : مشغوم وكل ما جلب شراً فهو أنكد ونكد . والرصد : الموضع الذي ترتقب فيه من تريد أخذه ، وقد رصده رصداً ترتقبه . يفاج : يأت على غفلة ، وأصله فاجأ بالهمز ، فستهله .

• • •

فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي : اللَّهُ دَرَكٌ ، فَأَا أَعَذَّبَ تَفَاتٍ فِيكَ ، وَوَاهَا
 لَكَ لَوْلَا خِدَاعُ فِيكَ ، وَإِنِّي لَكَ لِمَنِ الْمُنْذِرِينَ ، وَعَلَيْكَ مِنْ

(١) ديوانه ٨٦

(٢) ديوانه ٨١ •

الْحَذِرِينَ ، فَلَا تُحَاكِزْ بَعْدَهَا الْحَاكِمِينَ ، وَاتَّقِ سَطْوَةَ الْمُتَحَكِّمِينَ ،
فَمَا كُلُّ مُسَيِّطَرٍ يُقِيلُ ، وَلَا كُلُّ أَوَانٍ يُسْمَعُ الْقِيلَ .

فَمَاهِدُهُ الشَّيْخُ عَلَى اتِّبَاعِ مَشُورَتِهِ ، وَالْارْتِدَاعُ عَنْ تَلْيِيسِ
صُورَتِهِ . وَفَصَلَ عَنْ جَهَنَّمِ ، وَاخْتَرُ يَلْمَعُ مِنْ جَبْهَتِهِ .

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ : فَلَمْ أَرَ أَعْجَبَ مِنْهَا فِي تَصَارِيفِ الْأَسْفَارِ ،
وَلَا قَرَأْتُ مِثْلَهَا فِي تَصَانِيفِ الْأَسْفَارِ .

قوله : «لله درك» ، أى ما أحسن كلامك ، والدَّرْ أصله اللين ، وكأنه سُمِّيَ
بحسكاية صوته عند الحالب . والله ، أصله القسم ، ولا تدخل اللام في القسم إلا على
اسم الله تعالى ، والتعجب معها لازم ، فإذا قال الذى يسمع صوت الحلب لصاحب
الناقة : لله درك ! فكأنه قال : والله إن درك هذا لكثير ، ثم استعير للفصيح في
كلامه ، ولكل من أحسن فى شيء ، فكأنه قيل : ما أحسن ما جئت به ! وقيل :
معناه لله اللين الذى شربته من أمك ، قال الفراء رحمه الله : ربما قالوا : درك ، ولم
يقولوا : لله درك ، وأنشد :

دَرَ دَرَ الشَّبَابِ وَالشَّمَرِ الْأَسَدِ سَوْدٍ وَالضَّامِرَاتِ مَحْتِ الرَّجَالِ

قوله : «فثبات» ، أى كلمات . واهأ : عجباً . والنذر : الملم بما يخاف . تماكر :
تخادع . سطوة : بطشة . التتحكم : الذى يتحكم بما شاء فيُمثِّلُ حكمه . مسيطر :
أمير مساط . يقيل : يفر الزلة . أوان : وقت . عاهده : حالته . مشورته : أخذ
رأيه . الارتداع : الكف . تلييس : تخليط . صورته : قصته . فصل : زال .

الخنز : الخداع . يلع : يضيء ، يريد أنه انفصل عنه وعلى وجهه علامة الفدر ،
وأن يمينه التي حلف له كاذبة ، وأوّل مَنْ نظم في هذا المعنى الشماخ
حين قال :

أنتنى تميمٌ قَصَّها بقضيفيها تَمَحَّ حَولى بالبيع سبالها
يقولون لى : احلف ولست بحالف أخادعهم عنها لكيا أنالها
ففرّجت هم النفس عنى بحلفةٍ كما شَقَّت الشقراء عنى جلالها .

ومن الملح فى اليمين الفاجرة ، قول ابن الرومى :

وإنى لنو حالفٍ كاذبٍ إذا ما استمحت وفى المال ضيقُ
وهلى من جناح على معسر يدافع بالله ما لا يطيقُ
وقال فيه أيضاً :

إذا حلت على ضيق دُبُونِي وباكرنى التجار وخوفُونِي
دفعتهم بمن لو شاء أَدَى حقوقهم إليهم منذ حينِ

ولدعبل :

سألونى اليمينَ فارتعتُ عنها كى يفروا بذلك الإرتباع^(١)
ثم أرسلتها كنعدر السَّيْلِ تدلى من المكان اليناع
وأنشد أبو على :

لا شىء يدفعُ حقَّ خصمٍ شاغبٍ إلا كحلف عبيدة بن سَمِيدَع
يمضى اليمين على اليمين الحاجة عَضَّ الجروح على اللجام القديع
فإذا يذكر حلفة أصغى لها وإذا يذكر بالتقى لم يسمع

قوله: «تصاريف»، أراد التصريف بالجلولان في البلدان. والأسفار: الأول :
 جمع السفر في البلاد، والثاني : جمع سَفَر، وهو الكتاب، قال الفراء رحمه الله:
 الأسفار : الكتب العظام . والتصانيف : التأليف للنوعية، والمصنف الذي فيه
 أنواع شتى .

المقامة التاسعة وهي الإبراهيمية

قال الحارث بن همام : طعاني مَرَحُ الشَّبَابِ ؛ وَهَوَى
الْاِكْتِسَابِ ، إِلَى أَنْ جُبْتُ مَا بَيْنَ فَرْغَانَةٍ وَغَانَةٍ ، أَخُوضُ النِّمَارَ ،
لِأَجْنَى النِّمَارِ ، وَأَقْتَحِمُ الْأَخْطَارَ ، لِكُنَى أَذْرِكِ الْأَوْطَارَ ،
وَكُنْتُ لَقِيفْتُ مِنْ أَفْوَاهِ الْعُلَمَاءِ ، وَتَقِفْتُ مِنْ وَصَايَا الْحُكَمَاءِ ،
أَنَّهُ يَلْزَمُ الْأَدِيبَ الْأَرِيبُ ، إِذَا دَخَلَ الْبَلَدَ الْغَرِيبُ ، أَنْ يَسْتِمِيلَ
قَاضِيَهُ ، وَبَسْتَخِصَّ مَرَاضِيَهُ ، لِيَسْتَدَّ ظَهْرَهُ عِنْدَ الْخِصَامِ ،
وَيَأْمَنَ فِي الْغُرْبَةِ جُورَ الْحُكَّامِ ؛ فَاتَّخَذْتُ هَذَا الْأَدَبَ إِمَامًا ،
وَجَعَلْتُهُ لِمَصَالِحِي زِمَامًا ، فَخَا دَخَلْتُ مَدِينَةً ، وَلَا وَجِلْتُ عَرِيْنَةً ،
إِلَّا وَامْتَزَجْتُ بِحَاكِمِهَا امْتِزَاجَ الْمَاءِ بِالرَّاحِ ، وَتَقَوَّيْتُ بِنَايَتِهِ
تَقَوَّى الْأَجْسَادُ بِاللُّوْحِ .

• • •

طعنا بك قلبك ووجهك طعنا وطعنا : ذهب بك ، وطعنا الله الأرض
ودحاما : بسطها . ابن الأنباري : طعنا قلبني الهوى واللهم ، إذا تناول وتمادى ، قال .
علقة :

* طعنا بك قلب في الحسان طروب *

مرح الشباب : نشاط الفتوة . جبت : قطعت ومثبت .

[ذكر فرغانة]

فرغانة : مدينة في أقصى خراسان ، وكان فيها بيت يُسَمَّى هيكَل الشمس ، بناه فارس الملك ، وخزَّ به المَعتَصم ، وبها قُتِل قتيبة بن مسلم الباهلي أمير خراسان سنة ثلاث وخمسين ، وبينها وبين سَمَرْقَنْد ثلاثة وخمسون فرسخاً . قال اليمقوبي : من سَمَرْقَنْد إلى أسروشنة خمس مراحل شرقاً ، ومن أسروشنة إلى فرغانة مرحلتان ، ومدينة فرغانة التي بنزلها الملك يقال لها كاسان ، وهي مدينة جارية القدر ، عظيمة الأمر ، وكلُّ هذه المدن مضافة إلى عمل سَمَرْقَنْد . وكان أنوش . وان بني فرغانة ، وقل إليها من كل بيت قومًا ، وسماها أزرخان ، أي من كل بيت .

[ذكر غانة]

وغانة : بلد من بلاد السودان ، وإليها ينتهي التجار ، وللدخل إليها من سِجِلْمَاسَة ر ن سِجِلْمَاسَة إليها مسافة ثلاثة أشهر ، ومن غانة إلى سِجِلْمَاسَة شهر ونصف ، ودون ذلك ، وسبب ذلك أن الرِّفَاق تتجهز إليها من سِجِلْمَاسَة بالأمّاع والأثقال ، فتباع في غانة بالتبر ، فمن سافر إليها بثلاثين حِمْلًا يرجع منها بثلاثة أحمال ، أو بمحملين : واحد لركوبه ، وثاني للماء بسبب المفازة التي في طريقها ، حدثني غير واحد من تجارها أنهم يقطعون المفازة في ستة عشر يومًا ، لا يرون فيها ماء إلا على ظهور الإبل ، فأثمان أحمال الثلاثين حِمْلًا يجتمع فيها من التبر ما يحمل في مزود واحد ، فيطوون الراحل للخفة . وغانة بلد مملكة السودان ، وانتشر الإسلام في أهلها ، وبها مدارس للعلم ، وبها من تجار المغرب كثير يدخلون للتجارة فيصيبون الخصب والأمن وكثرة المتاجر ، فيشترون بها خدماً للتسري ، ويقيمون بها عند أميرها في غاية الكرامة ، والخدم فيها قد جبل الله فيهم من

الخصال الكريمة في خلقهن وخلقهن فوق المراد من ملاسة الأبدان، وتفتق السواد،
وحسن العينين، واعتدال الأنوف، وبياض الأسنان، وطيب الروائح.

[مما ورد من الشعر في وصف السواد والبياض]

وكان ابن الرومي وصف واحدة منهن بقوله :

تذكرك المسك والقوالى والنَّدْ ذواتُ النَّسيمِ والعَبَقِ
ليست من العُبْسِ الأكف ولا الفُلجِ الشَّفاءِ الخبائثِ العَرَقِ
أَكسبها الحبُّ أنها صُفِّتْ صِنْفَةَ حَبِّ القُلُوبِ والحدَقِ
يفتَرِّذاك السَّوادُ عن بَقِيٍّ من تَفْرِها كاللَّالىءِ النَّسَقِ
كانَّها والمِزاجُ بضحكها ليلُ تَعْرِى دُجَاهُ عن فَاقِ
لها حِرٌّ يستعيرُ وقْدَةً من قلبِ صَبٍّ وصدرِ ذى حَنَقِ
يزداد ضيقاً على المراسِ كما تزداد ضيقاً أنشوطَةُ الوَهَقِ
غصن من الآبنوس رُكْبٌ في مؤزَّرٍ معجِبٍ ومنطِقِ
وقال الشريف الرضى :

أحْبَبُ بِالْوَنِ السَّوَادِ فَإِنِّي رَأَيْتُكَ فِي الْعَيْنَيْنِ وَالْقَلْبِ تَوَّاماً^(١)
وما كان سهمُ العين لولا سَوادُها لِيَلِغَ حَبَاتِ القُلُوبِ إِذَا رَمَى
إِذَا كُنْتَ تَهْوِي الظُّبَى أَلَمَى فَلَاتَلَمْ جَنُونِي عَلَى الظُّبَى الَّذِي كَلَّمَ لَمَى
وقال ابن مسلة :

يَكُونُ الْخِلَالُ فِي خَدِّ قَبِيحٍ فَيَكْسُوهُ لِلْأَحْسَةِ وَالْجَمَالِ

فكيف يُلامُ مشفوفٌ على مَنْ يراها كلُّها في العينِ خالاً :
وله أيضاً :

لامِ العوازلِ في سوداءِ فاحيةٍ كأنَّها في سوادِ القلبِ تمثالُ
وهامِ بانالِ أقوامٍ وما علِمُوا أنَّ أهِيمُ بشخصٍ كلُّه خالُ
ولابنِ رباح :

وسوداءِ الأديمِ إذا تبدَّتْ يرى ماءَ التميمِ جرى عليه
رأها ناظرِي نصبا إليها وشبههُ الشَّيْءُ مُنْجَذِبٌ إليه
ولابنِ رشيقي :

دعا بِكَ الحسنِ فاستجِبي بِامسِكُ في صِفةٍ وطيبِ (١)
تِهَيِّ على البيضِ واستطيلي تِهَيَّ شبابٍ على مَشِيبِ
ولا يرعكَ اسودادُ لونٍ كمُقَلَّةِ الشَّادِنِ الرَّبِيبِ
فإنَّما الثُّورُ عن سوادٍ في أعينِ الناسِ والقُلُوبِ

قال ابن رشيقي : أخذته من قول الآخر ، أنشده الجاحظ :

مشبهاتُ الشَّبابِ والمسكِ تُفدِيهِنَّ قَسَى مِنَ الرَّدَى والخطوبِ
كيف يهوى الذئبيُّ وصالَ السَّبِيضِ ، والبيضُ مشبهاتُ المَشِيبِ
وأخذ بيته الآخر من قول الآخر ، أنشده الجاحظ :

وإنَّ سوادَ العينِ في العينِ نورُها وما لبياضِ العينِ نُورٌ قَتِيمٌ
فأخذه أيضاً أبو الطيب ، فقال في كافور وأحسن :

(١) النيث المنسجم ٢ : ١٦١ ، معاهد التنصيص ٢ : ٢٣ ، ديوان الصباية (على هامش
تزيين الأسوان) ٦٨ .

فجاءت بنا إنسانَ عينِ زمانه وخَلَّتْ بياضاً خَلْفَها وماقياً^(١)
ولابن الجهم :

وعائب للشمس من جهله منفعل للبيض ذى عك^(٢)
قولوا له عني : أما تستحي ! أن يحمل الكافور كالسك !
والسابق لهذا المعنى أبو حفص الشطرنجي ، والناس تبع له حيث قال :
أشبهك المسك وأشبهته قاعة في لونه قاعة
لا شك - إذ لونكما واحد أنكما من طينة واحد
على أن العباس^(٣) بن الأحنف معاصره ، قال :
أحب النساء السود من أجل نكتهن

ومن أجلها أحببت ما كان أسوداً
فجئني بمثل المسك أطيب نكته وجئني بمثل الليل أطيب مرقداً
أخذ بيته الأول من قول ابن الأعرابي :

أحبُّ لحبها السودان حتى أحبُّ لحبها سود الكلاب
وقال ابن الرومي في تفضيل التواد على البياض :

وبعض ما فضل التواد به والحق ذو سلم وذو نفق
ألا يعب السواد خُلُكته وقد يُعاب البياض بالبهق

وهذه الأقوال كلها على استحسانها اعتذارات واقتدارات من الشعراء على
تحسين القبيح ، والأمر الجمع عليه تفضيل البياض .

(١) ديوانه ٤ : ٢٨٧

(٢) ديوانه ١٦٢ (عن الصريفي)

(٣) كذا في ب ، وق ط ، ١ : « على بن العباس » ، تصحيف ، ولم أجد الأبيات في
ديوان عباس بن الأحنف .

(٢٢ - شرح مقامات الحريري ١)

قال الجاحظ : العرب تمدح بالبياض ، وتهجو بالسواد ، وربما مدحوا
بالسواد ، ولكن أصل ما يبنون عليه أمرهم ذمه ، وأنشد :

لهم ديباجةٌ عُرِفَتْ قديمًا بياضٌ في الوجوه وفي الجلود
وأحسن كشاجم فيما قصد إليه بقوله :

بامشيها في فعله لونه لم تعد ما أوجبت القسمة^(١)
خُلِقَ من خَلْقِكَ مستخرجٌ والظلم مشتقٌ من الظلمة^(٢)

قوله : « جبت ما بين فرغانة وغانة » ، ماها هنا بمعنى الذي ، كأنه قال : جبت
الذي بين فرغانة التي هي أقصى المشرق ، وغانة التي هي أقصى المغرب من البلاد
والقفار والبحار لكسب المال ، فها هي التي أوجبت ليا بين البلدين ما ذكر
أن يعم بالشئ ، ولوسطة لم يلزم العموم ، وكأنه يشير بهذا التعبير إلى
قول حبيب :

سلي هل عمرت القفر وهو سباسبٌ وغادرت ربي من ركابي سباسباً^(٣)
وغربت حتى لم أجد ذكر مشرقٍ وشرقت حتى قد نسيت للمغارباً

قوله : « أخوض النمار » ، أي أدخل المياه الغزيرة فأجوزها . أفتنعم
الأخطار ، أي أترامى في المخاوف . والخطر : الفرر . والأوطار : الحاجات .
وقال أبو عمر القسطلي^(٤) فيما يتعلق بهذا :

نخوفني طول السفر وإنني لتقبل كفة المارئي سفير
دعيني أريد ماءً للفاوز آجناً إلى حيث ماء السكرات تمير

(١) ديوانه ١٧ ، وفيه : « في لونه فله » .

(٢) في الديوان : « خالك من خالك » .

(٣) ديوانه ١٧ ، والسباسب : القفار الصعبة .

(٤) هو أبو عمر أحمد بن محمد بن الماس بن أحمد بن سليمان بن عيسى بن دار ، المروفي
بأن دراج القسطلي ، فط : « أبو عمرو » ، خطأ يذكر في بعض تراجمه ؟ وقد نبه إليه الدكتور
عمود مكي في حواشيه على ديوان ابن دراج ص ٢١ ، والأيات في ديوانه ٢٩٨ .

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ الثَّوَاءَ هُوَ النَّوَى وَأَنَّ بَيُوتَ الْعَاجِزِينَ قُبُورُ
وَأَنَّ خَطِيرَاتِ الْمَهَالِكِ ضُمُنُ لِرَاكِبِهَا أَنَّ الْجَزَاءَ خَطِيرُ
وَقَالَ النَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ :

إِذَا لِلرَّهْلِ لَمْ يَطْلُبْ مَعَاشًا لِنَفْسِهِ

شَكَالَ الْفَقْرَ أَوْ لَامَ الصَّدِيقَ فَأَكْثَرًا^(١)

فَسِرُّ فِي بِلَادِ اللَّهِ وَالتَّمَسُّ الْغِنَى تَمَشُّ ذَا بَسَارٍ أَوْ تَمُوتُ فَتُفْذَرَا
وَقَالَ ابْنُ سَارَةَ :

سَافِرٌ فَإِنَّ الْغِنَى مِنْ بَاتٍ مَفْتَحًا قُفْلَ الْفَجَاحِ بِمِفْتَاحٍ مِنَ السَّفَرِ
إِنْ شئتَ خَضَرْتَهَا يَا ابْنَ الرَّخَاءِ فَكُنْ

فِي طَلْقٍ غَمْرِ الْقِيَاسِ نَائِيِ الْحَضَرِ
وَلَا يَصْدَنُّكَ عَنْ أَمْرِ نَصَبِهِ قَدْ يَنْبِغُ الْكُوْثَرُ السَّلَالِ مِنْ حَجَرٍ
لَا بَدَأَ أَنْ يَقَعَ لِلْمَطْلُوبِ فِي شَرَكٍ وَلَوْ بَنَى وَكْرَهُ فِي دَارَةِ الْقَمَرِ

[بَابُ فِي الْحَضَرِ عَلَى السَّفَرِ وَتَرْكِ الْمَجْز]

وَمَا يَنْتَظِمُ فِي بَابِ الْحَضَرِ عَلَى السَّفَرِ وَتَرْكِ الْمَجْزِ قَوْلُهُمْ : لَا يَنْبَغِي لِلْمَاقِلِ
أَنْ يَكُونَ إِلَّا فِي إِحْدَى الْمَنْزِلَتَيْنِ ، إِمَّا فِي الْغَايَةِ مِنْ طَلَبِ الدُّنْيَا ، وَإِمَّا فِي الْغَايَةِ
مِنْ تَرْكِهَا ، وَلَا يَنْبَغِي لِلْمَاقِلِ أَنْ يُرَى إِلَّا فِي أَحَدِ مَكَانَيْنِ ، إِمَّا مَعَ الْمُلُوكِ مَكْرَمًا ،
وإِمَّا مَعَ الْعِبَادِ مُتَبَتِّلًا ، وَلَا يَصْدُ الْغَرَمُ غَرَمًا إِلَّا إِذَا سَاقَ غَنَمًا ، وَلَا اسْتَمَّ غَنَمًا إِلَّا
إِذَا سَاقَ غُرَمًا ؛ وَنَظَمَ هَذَا الْمَعْرِيُّ قَالًا :

ذِرِ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تَحْظَ فِيهَا وَكُنْ فِيهَا كَثِيرًا أَوْ قَلِيلًا^(١)
وَأَصْبَحْ وَاحِدَ الرَّجُلَيْنِ إِنَّمَا مَلِكًا فِي الْعَشَائِرِ أَوْ أَيْلًا

الأيل : الراهب .

وفي كتاب الهند : من لم يركب الأهوال لم ينل الرغائب .
وفي التوراة : ابن آدم ، خلقت من الحركة إلى الحركة ، فتحرك وأنا معك .
وفي بعض الكتب : امدد يدك إلى باب من العمل ؛ أفتح لك باباً من
الرزق .

وقالوا : مَنْ ضَعُفَ عَنْ عَمَلِهِ اتَّكَلَّ عَلَى رِزْقٍ غَيْرِهِ .
وقال علي رضي الله عنه : الحرص مقدمة الكون . .
وقال النبي صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس : ما البروة فيكم ؟ قالوا :
الدعة والحِرنة .

ورثي عكرمة وراء نهر بُلخ ، فقيل له : ما جاء بك هاهنا ؟ فقال : بناتي .
وقال رجل لعروف الكرخي : يا أبا محفوظ أتحرك لطلب الرزق أم أجلس ؟
قال : لا بل تحرك ، فإنه أصلحُ لك ، فقال : أقول هذا ؟ قال : وما أنا قاتله
ولكن الله عز وجل أمر به ، قال لمريم عليها السلام : ﴿ وَهْزِي إِلَيْكَ الْجِذْعَ
النَّخْلَةِ نَسَاتِطِ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ۖ ﴾^(٢) ولو شاء لأنزله عليها .

وأنشد الثعالبي :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَوْحَى لِمَرْيَمَ وَهْزَى إِلَيْكَ الْجِذْعَ يَسَاقُطُ الرُّطْبُ

(١) سقط الزند ١٣٧١ .

(٢) سورة مريم ٢٥

ولو شاء أن يجنيه من غير هزّها جنته ، ولكن كل شيء له سبب
وقال موسى بن عمران عليه السلام : لا تلوموا السفر ؛ فإنّي أدركت فيه ما لم
يذكره أحد ؛ يريد أن الله كلمه فيه .
ونظم هذا المعنى حبيب قال :

يا موصى صلى على روحه الله صلاة كثيرة القدس^(١)
صار نبيا وعظما بعيتيه في جذوة للصلاة والقبس^(٢)
قال المؤمن : لا شيء ألد من السفر في كفاية ؛ لأنك تحمل كل يوم في حيلة
لم تحلها ، وتعاشر قوما لم تعاشرهم .

الثعالبي : من فضائل السفر أن صاحبه يرى من عجائب الأمصار ، وبدائع
الأقطار ، ومحاسن الآثار ، ما يزيد علمه بقدرة الله ، ويدعوه إلى شكر نعمته .

وفي الأثر الصحيح : سافروا تصحّوا وتقنموا .

آخر : السفر يشدّ الأبدان ، وينشط الكسلان ، ويشهّى إلى الطعام .

آخر : ليس بينك وبين بلد نسب ، تغير البلاد ما حلت .

قال ابن رشيّق : كتبت إلى بعض إخواني : مثل الرجل القاعد - أعزّك الله -
كمثل الماء الراكد ، إن ترك تغير ، وإن تحرّك تكدر ، ومثل المسافر كالسحاب
الماطر ، هؤلاء يدعونه رحمة ، وهؤلاء يدعونه نقمة ، فإذا اتصلت أيامه ، ثقل
مقامه ، وكثر كؤامه ، فاجمع لنفسك فرجة النية ، وفرحة الأوبة ، والسلام .

وقال ابن رشيّق :

غِبْ عن بلادك وارْجُ حسن مغيّة إن كنت حقا تشكى الإقلا^(٣)

(١) ديوانه ١٧٠ . والقدس : الطهارة

(٢) البنية : المطلب . الجذوة : الحفرة ، والصلاة ، التدفؤ .

(٣) غله في التنف ٥٩

فالبدر لم يُجحف به إداره ألا يسافر يطلب الإقبالا
وقال أبو الطيب :

وما بلد الإنسان غير الموافق ولأهله الأدنون غير الأصدق^(١)
وقال البحري :

وإذا ما تذكرت لي بلاداً أو صديق فإنتى بالخيار^(٢)
وقال أبو الطيب :

إذا لم أجد في بلدة ما أريده فعندى لأخرى عزمة وركاب
وقال إبراهيم بن العباس الصولي :

لا يمتنعك خفض العيش في دعة نزوع نفسي إلى أهل وأوطان^(٣)
تلقى بكل بلاد إن حلت بها أهلاً بأهل وجيراناً بجيران

أي لا يمتنعك الشوق إلى الوطن في الغربة من الاستمتاع بلذة العيش ،
فالأرض واحدة ، والناس جنس واحد . وفي غير الحماسة :

لا يمتنعك خفض العيش في دعة من أن تبدل أوطاناً بأوطان
برفع « خفض » ، أي لا يمتنعك عيشك الهنيء في بلدك أن تجول في البلدان ،
وترى الناس ، تستفيد النزهة والتجربة .

وقالوا : المسافر يسمع العجائب ، ويكشف التجارب ، ويحبب المكاسب .
أوحش أهلك إذا كان أنسك في إباحشهم ، واهجر وطنك إذا نبت نفسك منه .
فيل لأعشى بكر : إلى كم ذا الاغتراب ؟ أما ترضى بالدعة ! قال : لودامت
الشمس عليكم يومين للتموها .

(١) ديوانه ٢ : ٣٢٠ .

(٢) ديوانه ٩٨٧ .

(٣) ديوانه ١٠١ ، ديوان الثاني ١ : ١٩٢ .

أخذه حبيب فقال :

وطولُ مقامِ المرءِ في الحَيِّ مُخْلِقٌ لِدِيَابِجَتِهِ فَاغْتَرَبَ تَتَجَدَّدُ^(١)
فَأَتَى رَأَيْتُ الشَّمْسَ زِيدَتْ حَبَبَهُ إِلَى النَّاسِ أَنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدٍ
وقال الحكماء : لا تُنَالِ الراحة إلا بالتمب ، ولا تدرك الدعة إلا بالنصب .

وقال حبيب :

على أنني لم أحوِ وَفراً مجتمعا ففرت به إلا بشملٍ مبدؤ^(٢)
ولم تُعْطِنِي الأَبَآمَ يوماً مسكنًا الذَّ به إلا بنومٍ مُشردٍ

وقال ابن عبد ربه : هل يجوز في عقل ، أو يمثل في وهم ، أو يصح في قياس ، أن يُحَمَّدَ زرعٌ بغير بذر ، أو يتم مالٌ بغير طلب ، أو تُجَنَّى ثمرةٌ بغير غرس ، أو يُوزَى زندٌ بغير قدح ! وقد يكون الإكداء مع المكدة ، والخفية مع الغيبة .

وقال الشاعر :

وما زلت أقطعُ عَرْضَ البلادِ من الشرفين إلى المغربين
وأدريج الخوفِ تحت الدجى وأستصحب الجدوى والفرقدَيْن
وأطوى وأشرُّ ثوبَ المموم إلى أن رجعتُ بِخُفَى حُنَيْنِ

وقال ابن رشيقي :

يُعْطَى الْفَتَى فِينَالُ فِي دَعَا مالم ينل بالكد والتعب^(٣)
فاطلبْ لنفسك قَصْلَ رَاحِيَا إذ ليست الأشياء بالطلبِ
إن كان لا رزقٌ بلا سببٍ فرجاء ربك أعظمُ السببِ

وقال محمد بن يسير :

(١) ديوانه ١٠٠٠ ، ١٠١٠

(٢) ديوانه ١٠٠٠ . وفيه : « ولكنني لم أحو » .

(٣) قله في التنف ١١

قد يُرْزَقُ الخافِضُ للقيمِ وما شدَّ لِعُنْسٍ رَحَلًا ولا قَتَبًا (١)
ويحرَمُ المسال ذو المطية والرُّه حلَّ ومَن لا يزال مُعْتَرِبًا
وقال آخر :

قد يُرْزَقُ المرء لم تتعب رواحله ويحرَمُ الرُّزْقَ بالأسفار والتَّعبِ
إني وعمرك ما أحصى ذوى حقِّ الرُّزْقُ أعدى بهم من لاصقِ الحَرْبِ
ولآخر :

ألا ربَّ باغى حاجة لا ينالها وآخر قد تُفَقِّى له وهو جالسٌ
آخر :

قد يُرْزَقُ المرء، لا من حُسْنِ حيلته ويُصرف الرُّزْقُ عن ذى الحيلة الدَّاهِي
مامسنى من غنى يومٍ ولا عدمٍ إلا وقولى فيه : الحمد لله
آخر :

لو كان باللبَّ يزداد اللبيب غنى لكان كلَّ لبيب مثل كافورٍ
لكنه الرُّزْقُ بالقسطاس من حِكَمٍ يُقْصَى اللبيب، ويعطى كلَّ ما خورٍ
ومثل هذا قليل فى كثير وإتما يحكم بالأغلب ، والفُتُوح مع الطلب أكثر ،
والحرمان للعاجز أصعب ، وشرح حبيب هذا المعنى فقال :

همم الفقى فى الأرض أغصانُ المنى غُرِسَتْ وليست كلَّ حين تُورِقُ
أوصى بعضُ الحكماء ابنه وأراد سفرا ، فقال : إنك تدخل بلدا لا تعرفه ،
ولا يعرفك أهله ، فتمسك بوصيتى تدفق بها ؛ عليك بحسن الشائل ؛ فإنها تدل على
الحريَّة ، ونقاء الأطراف فإنها تشهد بالملوكية ، ونظافة البرَّة فإنها تشهد بالنسب فى
النعمة ، وطيب الرائحة فإنها تظهر المروءة ، والأدب الجميل فإنه يُكسب المحبة ،
وليكن عقلك دون دينك ، وقولك دون فعلك ، ولباسك دون قدرك ، والزم

الحياء والأئمة فإليك إن استحييت من الفظاظة اجتنبت الخساسة ، وإن أنفت
من الغلبة لم يتقدمك نظير في مرتبة .

قوله : «لَقِيتُ» ، أخذت ، والَلَقَفَ : أخذ ما يرمى إليك يدك ، تَقِفْتُ : قيدت ،
وَيُمدح الرجل الحازم به فيقال : فلان تَقَفَ لَقِف . والأَرِيب : العاقل ، وقد أَرَب
أَرابة وأَرَبًا ، صار أَرِيبًا ، والأَرِيب من أَرَبَتِ المَقْدَةُ أَرَبًا ، شدتها . يستميل :
يستنزل ويدعوه أن يميل إليه . يستخلص مراضيه ، أى يحوزها لنفسه . ومراضيه :
ما يُرضى القاضى ويوافق ، وهو جمع مَرْضَاة ، ويقال : صلة الرحم مَرْضَاة للرب ،
أى يرضيه برّها ، يقول : العاقل إذا دخل بلدة استعطف قاضيتها لنفسه ، بحسن خلقه
حتى يخفّ عليه أمره . ليشْتَدَّ : ليتقوى . جَوْرٌ : ظُلم ، إِمَامًا : قُدْوَةً ، زَمَامًا :
حبالاً تؤدها به . ولجت : دخلت . عريضة : بلدة ، وأصلها بيت الأسد . الراح :
اسم الخمر ، وأبهم على ابن الرومى ممّ اشتق اسمها حين قال :

والله ما أدري لأبّة علّة يدعوها فى الراح باسم الراح
ألريحها أم رُوحها تحت الحشا أم لارتياح نديمها الراح !

وانظر الامتزاج الذى ذكر فى الخامة والأربمين .

عنايته : اعتناؤه به واهتمامه .

فبينما أنا عند حاكم الإسكندرية ، فى عشية عريّة ، وقد
أخضرت مآل الصدقات ، ليُفضّه على ذوى الفاقات ، إذ حلّ شخص
عفريّة ، تملّهُ امرأة مُصِيبَةٌ ، فقالت : أيد الله القاضى ، وأدام به
التراضى ، إني امرأة من أكرم جرثومة ، وأطهر أرومة ،

وَأَشْرَفَ خُثُولَةً وَعُمُومَةً ، مَبْسُومِي الصَّوْنِ ، وَشَيْعِي الْهَوْنِ ،
وَوَخُلُقِي نَمَمَ التَّمُونِ ، وَبَيْنِي وَبَيْنَ جَارَاتِي بَوْنٌ ، وَكَانَ أَبِي إِذَا خَطَبَنِي
بُنَاءَ الْمَجْدِ ، وَأَرْزَابُ الْجَدِّ ، سَكَّتَهُمْ وَبَكَّتَهُمْ ، وَعَافَ
وَصَلَّتَهُمْ وَصَلَّتَهُمْ ، وَاحْتَجَّ بِأَنَّهُ عَاهَدَ اللَّهُ بِحِلْفَةٍ ، أَلَّا يُصَاهِرَ
غَيْرَ ذِي حِرْفَةٍ .

° ° °

[ذكر الإسكندرية]

مدينة عظيمة من بلاد مصر ، بناها الإسكندر ذو القرنين ، وهو الذي
مشى مشارق الأرض ومغاربها . قال السدي : لما سأل أهل الكتاب النبي
صلى الله عليه وسلم عن ذي القرنين ، قال : سأخبركم كما تجدونه مكتوباً عندكم :
إِنَّ أَوَّلَ أَمْرِهِ أَنَّهُ غَلَامٌ مِنَ الرُّومِ ، أُعْطِيَ مُلْكًا ، فَسَارَ حَتَّى أَتَى سَاحِلَ الْبَحْرِ
مِنْ أَرْضِ مِصْرَ ، فَأَبْنَى عِنْدَهَا مَدِينَةً يُقَالُ لَهَا الْإِسْكََنْدَرِيَّةُ .

وقال الهذلي : ذو القرنين ينسب إليه التاريخ قبل الإسلام ، ومؤدبه
أرسطاطاليس الحكيم ، وكان مُلْكُهُ الَّذِي بَلَغَ فِيهِ أَقْصَى الشَّرْقِ وَالْقَرْبِ خَمْسَةَ عَشَرَ
عَامًا ، وَالْإِسْكََنْدَرِيَّةُ لَمَّا بَنَاهَا رُخْمًا بِالرَّخَامِ الْأَبْيَضِ جُدُّهَا وَأَرْضُهَا ، فَكَانَ
لِبَاسِهِمْ فِيهَا السَّوَادُ مِنْ نَصُوعِ بَيَاضِ الرَّخَامِ ، وَإِذَا كَانَتْ لَيْلَةٌ مَقْمَرَةٌ يَدْخُلُ
الْغَيْطُ الْغَيْطُ فِي خَرَقِ الْإِبْرَةِ مِنْ بَيَاضِ رُخَامِهَا .

وقيل : إنها مكنت سبعين عامًا لا يدخلها أحد إلا وعلى بصره خرقة سوداء
من بياض جِصِّهَا وَرُخَامِهَا ، وَلَمْ يَحْتَجْ لَهَا فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ إِلَى سِرَاجٍ بِاللَّيْلِ مِنْ
ضِيَّائِهَا . وقيل : كانت ثلاث مدن يحيط بجميعها سور .

قال ابن جبير: ما شهدنا^(١) بلداً أوسع مسالكاً، ولا أعلى بناءً، ولا أعتق. ولا أحفل من الإسكندرية، وأسواقها في نهاية الاحتفال. ومن أعجب ما في وصفها: أن بناءها تحت الأرض كبنائها فوقها وأعتق، لأنّ الماء إذا جاء من النيل يخترق جميع آبارها وأزقتها تحت الأرض، فتتصل الآبار بعضها ببعض، ويمد بعضها بعضاً، وعائناً فيها من سوارى الرخام وألواح كبراً وعلواً واتساقاً وحسناً مالا يتخيل إلا بالوم؛ حتى إنك تلقى بعض سوارىها يفضّ بها الجو صموداً لا بدري معناها. ولا لأي شيء وضعت إلا ما يتحدث به أنه كان عليها من قديم الزمان مبانٍ للفلاسفة وأهل الرياسة. ومن أعظم عجائبها المنار، آية للمتوسمين وهداية للمسافرين، لولاه ما اهتموا في البحر إلى برّ الاسكندرية، ويظهر على أزيد من سبعين ميلاً، وميناء في نهاية المتأقّة والثاقّة طولاً وعرضاً، يراحم الجو سموّاً وارتفاعاً ينحصر عنه الوصف، وينحصر دونه الطرف، انظر عنه. يضيق، والشاهدة له تنقسم، ذرّعنا أحد جوانبه الأربع، فألقينا فيه ثقيلاً وخسین باعاً، وبذکر أن في طوله أزيد من مائة وخمسين قامة.

وأما داخله فرأى هائل، اتساع معارج، ومدخل^(٢) وكثرة مساكن. حتى إنّ الواجب في مسالكه ربّما ضلّ. وفي أعلاه مسجد موصوف بالبركة، يبرزك الناس بالصلاة فيه، طلعنا إليه، وشهدنا من شأن ميناء عجيباً لا يستوفيه وصف واصل، والله تعالى لا يخفيه من عزة الإسلام.

قوله «عشية عربية»، أي باردة. فضّه: يفرّقه. ذوى القافات: أهل القفر والحاجات. عفرية: يقال رجل عفرية وعفر وعفري، إذا كان صحيحاً شديداً موقوفاً.

(١) رحلة ابن جبير ٩، ١٠ بتصرف.

(٢) ط: «دواخل»، وما أثبتته من أ، ب وابن جبير.

الخلق ، أَخَذْنِمَ عَفْرَ الْأَرْضِ : وهو التراب ، أى من علق به عفره بالأرض ومنه
ليث عَفْرَيْن ، أى ليث ليوث ، مَعْفَرٌ لغيرته . قال الخليل : رجل عَفْرٌ بَيْنَ العَفَارَةِ ،
إذا وَصِفَ بالشيطنة ، والعَفِيرُ أيضاً : الظريف الكيس ، ويقال للشيطان : عَفِيرٌ
وعَفْرِيَّةٌ ، وهم عَفَارِيَّةٌ . وقرئ : (قَالَ عَفْرِيَّةٌ مِنَ الْحِنْ) ^(١) ، وفى الحديث : «إِنَّ
اللَّهَ لَيُبْفِضُ الْعَفْرِيَةَ النَّفْرِيَةَ» ، قيل هو الْجُمُوعُ النَّفْرُوعُ .

وقال أبو عَمَّانَ النَّهْدِيُّ : دخل رجل عظيم الجسم على النبي صلى الله عليه
وسلم فقال له : متى عهدك بالْحَيِّ . قال : ما أعرفها ، قال : فبالصَّدَاقِ ؟ قال :
ما أدري ماهو ! قال : أَفَأَصِيبُ بِمَالِكَ ؟ قال : لا ، قال : أَفَرُزْتُ بِوَلَدِكَ ؟ قال :
لا ، فقال صلى الله عليه وسلم : «إِنَّ اللَّهَ يُبْفِضُ الْعَفْرِيَةَ النَّفْرِيَةَ» ، وهو الذى
لا يرزأ فى بدنه ولا يصاب فى ماله .

وقوله : «تقتله» ، أى تمسوقه بمنف ، وكذلك تدعاه . مُصْبِيَّةٌ : مُلَاصِبِيَّةٌ .
جَرْنُومَةٌ : أَصْلٌ ، وكذلك أَرُومَةٌ . مَيْسَمِيٌّ : عَلَامَتِي . الصَّوْنُ : الصِّيَانَةُ
وَالْإِتْقَانُ . شَيْمَتِيٌّ : طَبِيعَتِي . الْمَوْنُ هـ الرَفَقُ . بُونٌ : بُعْدٌ . بِنَاءٌ : جَمْعُ بَانٍ ،
وَالْجَدُّ : الشَّرَفُ الضَّيْعُ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْإِبِلِ الْمَوَاجِدِ ، وَهِيَ الَّتِي امْتَلَأَتْ
بَطْنُهَا مِنَ الرَّعْيِ وَعَظُمَتْ . وَأَمَجَدَ هَارَاعِيهَا ، إِذَا رَعَاهَا بِحَيْثُ تَمَجَّدَ ، وَتَمَجَّدَتْ
وَهِيَ تَمَجَّدٌ : رَعَتْ فَاْمْتَلَأَتْ . وَحَكَى الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : أُتَيْتُ شُعْبَةَ يَوْمًا ؛ وَعِنْدَهُ
حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ ، وَهَمَّا بِتَكْلَمَانِ فِي حَدِيثٍ فَقَالَ شُعْبَةُ : يَا أَبَا سَلَمَةَ ، هَذَا الْفَتَى الَّذِي
ذَكَرْتَ لَكَ ، فَقَالَ حَمَادُ يَا بَنِيَّ كَيْفَ تَنْشُدُ بَيْتَ الْخَطِيئَةِ : «أَوَلَيْكَ قَوْمٌ . . ؟»
فَاِبْتَدَأَتْ الْقَصِيدَةَ مِنْ أَوَّلِهَا :

أَلَا طَرَقْتَنَا بَعْدَ مَا هَجَمْتَ هِنْدُ وَقَدَمِرْنَا خَسَاوَاتِلَ بِهَا الْجِدَّ ^(٢)

(١) هى قراءة عيسى التقي ، وانظر تفسير القرطبي ١٤ : ٢٠٣ .

(٢) ديوانه ١٩ ، ٢٠ .

إلى أن بلغت قوله :

أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا إليَّ وإن عاهدوا أوفوا وإن عَقَدُوا شَدًّا^(١) .
 قال لى حماد بن عمار بن العبد بن العبد : بَنَى بَنَى بَنَى ، ويقولون
 فى الشرف : نَبَا يَنْبُو نَبُو ، فَأَنْشِدْ هَذَا الْبَيْتَ « أَحْسِنُوا إِلَيَّ » ، فَعَرَفْتُ قَدْرَ
 حَمَادٍ مِنْ ذَلِكَ فَمَا كُنْتُ أَنْشِدُ إِلَّا كَمَا لَقْنِي .

قوله : « أَرْبَابُ الْجَدِّ » . أى أصحاب السعد والمال . والعرب تقول : لفلان .
 جَدٌّ فى الدنيا ، أى حظ وبخت ، قال امرؤ القيس :
 * وَقَامَ جَدُّهُمْ بَيْنِي أَيْيَهُمْ^(٢) *

وقال آخر :

عَشْ بِجَدِّهِ وَلَا يَضُرُّكَ نَوْكُ^١ إِنَّمَا عِيشُ مَنْ تَرَى بِالْجَدُودِ
 وَجَدَّ الرَّجُلُ : صَارَ لَهُ جَدٌّ ، وَأَجَدَّهُ اللَّهُ : جَعَلَ لَهُ جَدًّا ، وَمَا كُنْتُ
 ذَا جَدٍّ ، وَلَقَدْ جَدِّدْتُ تَجِدَّةً ، وَرَجُلٌ جَدِيدٌ : حَافِظٌ مِنَ الْجَدِّ وَالْخَطِّ .
 أَبُو عُبَيْدٍ قَوْلُهُ : « وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ »^(٢) ، أى وَلَا يَنْفَعُ ذَا النَّفَى .
 مِنْكَ غِنَاهُ إِنَّمَا تَنْفَعُهُ طَاعَتُهُ . بِمَقْرُوبٍ : أى مِنْ كَانَ لَهُ حِظٌّ فى الدُّنْيَا لَمْ يَنْفَعِهِ
 ذَلِكَ فى الآخِرَةِ .

بَكْتَمِهِمْ : قَطَعَ كَلَامَهُمْ وَأَهَانَهُمْ . عَافٍ : كَرِهَ . وَضَلَّتْهُمْ : اتَّصَلَتْهُمْ بِهِ ،
 وَالْوُضْلَةُ : سَبَبُ التَّوَاصُلِ ، وَهِيَ فى الْآدَمِيِّينَ مَا يَصِلُ وَاحِدًا بِآخَرٍ مِنْ حُبٍّ وَغَيْرِهِ ،
 وَالْوُضْلَةُ بِالْفَتْحِ : مَا جَمَعَتْهُ بَيْنَ عَوْدٍ وَعَوْدٍ ، أَوْ حَبْلٍ وَحَبْلٍ ، فَوُضِلَتْهُمَا بِهِ . ضَلَّتْهُمْ :
 عَاطَيْتُهُمْ . حِلْفَةٌ : يَمِينٌ . بِصَاهِرٍ : بِخَاتَنِ . حِرْزَةٌ : صِنْعَةٌ وَمَكْسَبٌ ، وَهِيَ فِتْلَةٌ
 مِنَ الْحَرْفِ وَهُوَ الْحَرَمَانُ ، وَالْحَارَفُ : الْحَرُومُ ، كَأَنَّ صَاحِبَهَا مَنَعَ الرِّزْقَ ، فَصَارَ
 بِمَالِهِ كَسْبُهُ .

(١) ديوان : ١٣٨٠ وبقية :

* وَبِالْأَشْقَيْنِ مَا كَانَ الْعِقَابُ *

(٢) اللسان - جدد ، وفى رواية : الجدد ، بكسر الجيم ، أى الاجتهاد والسل .

أبو هريرة رضى الله عنه ، قال صلى الله عليه وسلم : « خير الكسب كسب يد العامل إذا نصح » .

سهل بن سعد رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عمل الأبرار من الرجال النخيلة ، ومن النساء الفزل » .

فَقِيْضَ الْقَدَرُ لِنَصِيٍّ وَوَصِيٍّ ، أَنْ حَضَرَ هَذَا الْخُدَّةُ
نَادَى أَبِي ، فَأَقْسَمَ بَيْنَ رَهْطِهِ ، أَنَّهُ وَفَى شَرْمِهِ ، وَادَّعَى أَنَّهُ طَائِمًا
نَظَّمَ دُرَّةً إِلَى دُرَّةٍ ، فَبَاءَهُمَا بَيْدَرَةٌ ؛ فَاغْتَرَأَنِ بِزُخْرَفٍ مُعَالِهِ ؛
وَزَوَّجْنِيهِ قَبْلَ اخْتِبَارِ حَالِهِ ، فَلَمَّا اسْتَخْرَجَنِي مِنْ كِنَايِي ، وَرَحَّلَنِي
عَنْ أُنَايِي ، وَتَقَلَّنِي إِلَى كِسْرِهِ ، وَحَصَّلَنِي تَحْتَ أُسْرِهِ ، وَجَدَّاهُ
قُعْدَةً جُيْمَةً ، وَالْقَبِيْئَةَ ضُجْمَةً نُومَةً . وَكُنْتُ صَحْبَتُهُ بِرِيَاشٍ
وَزِيٍّ ، وَأُنَاثٍ وَرِيٍّ ، فَمَا بَرِحَ يَبِيْعُهُ فِي سُوقِ الْهَضْمِ ،
وَيُتْلِفُ ثَمَنَهُ فِي الْخَضْمِ وَالْقَضْمِ ، إِلَى أَنْ مَزَّقَ حَالِي بِأُسْرِهِ ، وَأَنْفَقَ
مَالِي فِي عُسْرِهِ .

o o o

قوله : « فبصر » ، أى قدر وساق . نَصِيٍّ : تعبي . وَوَصِيٍّ : مرضى ،
ونصيب الرجل نصيباً . أَعْيَا مِنْ التَّعَبِ ، وَوَصَبَ وَصَبًا : أَتَعَبَهُ الْمَرَضُ ، فَهُوَ نَصِيبٌ
وَوَصِبٌ . الْخُدَّةُ : الْكَثِيرُ الْخُدَاعِ لغيره ، وَبِكَوْنِ الدَّالِ الَّذِي يَخْدَعُهُ غَيْرُهُ
كَثِيرًا ؛ التَّحْرِيكُ لِلْعَاوِلِ وَالسَّكُونُ لِلْمَفْعُولِ فَيَأْتِي عَلَى « مُفَعَّلَةٍ » مِنَ الصِّفَاتِ .
نَادَى : مَجْلَسٌ . رَهْطُهُ : قَوْمُهُ ، وَهُوَ اسْمُ الْجَمَاعَةِ مِنْ ثَلَاثَةِ إِلَى عَشْرَةٍ ، وَيَجْمَعُ

أَرْهَطُ وَأَرَاهُطُ . وَفَّقَ شَرْطُهُ : أَيْ مُوَافَقَ مَا اشْتَرَطَ . نَظَّمُ دُرَّةً ، يَرِيدُ أَنَّهُ
 جَوْهَرِيٌّ يَنْظُمُ سُلُوكَ اللُّؤْلُؤِ . بَذَرَةٌ : عَشْرَةٌ آلَافَ دَرَاهِمَ ، وَأَرَادَ بِالدَّرَّةِ هُنَا
 الْكَلَامَةَ ، وَيَعْتَبِرُ بِهَا عَنِ الْحِكْمَةِ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَا تَدْعُوا الدَّرَّةَ
 فِي أَفْوَاهِ الْكِلَابِ » ، يَعْنِي الْعِلْمَ . اغْتَرَبَ : انْخَدَعَ ، وَهُوَ افْتَعَلَ مِنَ الْغُرُورِ . زَخْرَفَ
 مَحَالَهُ : تَزَيَّنَ بِأَوَّلِهِ ، وَأَصْلُ زَخْرَفَ ؛ زَيَّنَ الشَّيْءَ بِالزَّخْرِفِ وَهُوَ الذَّهَبُ .
 كِنَاسِيٌّ : يَبْقَى وَأَصْلُهُ لِلْفُلْبِيِّ ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ الْجَوَارِ الْكُنَاسِ ﴾ ^(١) تَشْبِيهًا
 لَهَا بِالْغُلْبَاءِ عَلَى مَا ذَكَرَهُ ابْنُ قَتَيْبَةَ ؛ وَيُقَالُ لَهُ : كُنَّاسٌ وَمِثْلُ كُنَّاسٍ مِنَ الْكُنَّاسِ ،
 كَانَ الْغُلْبِيَّةُ قَدْ كُنَّتْ مَرَقْدَهَا وَوُطْأَتَهُ . رَحَّلَنِي : ثَقَلَنِي وَحَمَلَنِي عَلَى الرَّحْلِ .
 كَسَّرَهُ : بَيْتَهُ ، وَأَصْلُهُ جَانِبُ بَيْتِ الشَّعْرِ أَوْ الْخِلْبَاءِ ، لِأَنَّ جَانِبَ الْخِلْبَاءِ قَدْ
 انْكَسَرَ عَنْ يَمِينِهِ . أَشْرَهُ : حَبَسَهُ . قُعْدَةٌ : كَثِيرُ الْقُمُودِ . جُمُتَةٌ : كَثِيرُ الْجُثُومِ ،
 وَهُوَ مُلَازِمَةُ الْمَوْضِعِ . ضُجْجَةٌ : كَثِيرُ الْاضْطِجَاعِ ، وَهُوَ الْإِمْتِدَادُ عَلَى الْأَرْضِ
 لِلنَّوْمِ . نَوْمَةٌ : كَثِيرُ النَّوْمِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ثَلَاثَةٌ لَمْ يَلِقَ
 مِنْ اللَّهِ » ، وَذَكَرَ الَّذِي يَكْثُرُ النَّوْمُ بِالنَّهَارِ ، وَلَمْ يَأْخُذْ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا ، وَفِي حَدِيثٍ
 آخَرَ : « خَيْرُ أَهْلِ شَرِّ الزَّمَانِ مُؤْمِنٌ نَوْمَةٌ » . أَبُو عُبَيْدَةَ : هُوَ الْخَامِلُ الَّذِي كَرَّ
 الَّذِي لَا يَعْرِفُ الشَّرَّ وَأَهْلَهُ ، فَتَرِيدُ أَنَّهُ عَاجِزٌ قَدْ لَازَمَ بَيْتَهَا ، فَإِنْ تَصَرَّفَتْ فِيهِ
 اعْتَرَضَهَا مِمْتَدًّا ، فَلَا تَجِدُ مَعْرَاحَةً . رِيَاشٌ : ثِيَابٌ ، « فِعَالٌ » مِنَ الرِّيشِ ، لِأَنَّهَا تَكْسُو
 الْبَدْنَ كَمَا يَكْسُو الرِّيشُ الطَّائِرَ . زَيٌّ : هَيْئَةٌ حَسَنَةٌ مِنَ الْبِلَاسِ . أَثْنَاتٌ : مَتَاعٌ .
 رِيٌّ : حَالَةٌ حَسَنَةٌ ، وَأَصْلُهُ الْهَمْزُ ، فَسُئِلَ وَأُذْغِمَ لِيُوَافِقَ « زِيًّا » . قَالَ ابْنُ الْأَثَرِيِّ :
 الْأَثْنَاتُ : لِلتَّنَاعِ وَالرَّوْيِ وَالرَّؤْيَاءِ : لِلنَّظَرِ ، وَمَا لَهُ رُؤَاءٌ أَيْ مَا لَهُ مَنَظَرٌ وَلَا لِسَانٌ .
 وَالْحَرْفَانِ ، مَنْ رَأَيْتُ أَرَى . مَا بَرَحَ : مَا زَالَ . الْهَضْمُ : التَّقْصَانُ . اتْلَخَضَ :
 الْأَكَلَ بِالْفَهْمِ كُلَّهُ . وَالتَّقْضَمُ : الْأَكَلَ بِأَطْرَافِ الْأَسْنَانِ . مَزَقَ : قَطَعَ وَأَفْسَدَ .
 حَالِيٌّ : غَنَائِيٌّ ، وَيُرْوَى « مَالِيٌّ » مَكَانَ « حَالِيٌّ » ، وَمَا فِيهِ بِمَعْنَى الَّذِي كَانَهُ قَالَ : فَرَّقَ

الذى لى ، ورواية ابن ظفر «بالي» بالباء ، وقال : البال : الخاطر ، وما لهذا الشئ ،
بال ، إذا حَقَرْتَهُ ، والبال كالتلهد ، تقول خَطَرَ بِيَالِي ، كما تقول : خَطَرَ بِخَلْدِي .
ونفسى ، وكانَ هذا هو الأصل . والبال : الحال أيضاً ، ومنه قوله :

* وخالف بال أهل الدار بالي *

عسره ، أى قهره .

* * *

فَلَمَّا أُنْسَانِي طَعْمَ الرَّاحَةِ ، وَغَادَرَ يَنْتِي أَنْتَى مِنَ الرَّاحَةِ ،
قُلْتُ لَهُ : يَا هَذَا ، إِنَّهُ لَا غَبَابَ بَعْدَ بُؤْسٍ ، وَلَا عِطْرَ بَعْدَ عُرُوسٍ ،
فَانْهَضْ لِلْاِكْتِسَابِ بِمِصْنَاعَتِكَ ، وَأَجْنِبْنِي ثَمَرَةَ بَرَاءَتِكَ ؛ فَرَعَمَ أَنَّ
صِيَاغَتَهُ قَدْ رُمِيتْ بِالْكَسَادِ ، لِأَظْهَرَ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْفَسَادِ ،
وَلِي مِنْهُ سُلَالَةٌ ، كَأَنَّهُ خِلَالَةٌ ، وَكِلَانَا مَا بَيْنَا مَقَامُهُ
شَبَعَةٌ ، وَلَا تَرْقَا لَهُ مِنَ الطَّوَى دَمَمُهُ ، وَقَدْ قُدَّتُهُ
إِلَيْكَ ، وَأَخْضَرْتُهُ لَدَيْكَ ، لِنَتَجَمَّ عُوْدَ دَعْوَاهُ ، وَتَعْلَمَ يَدُنَا
بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ .

فَأَقْبَلَ الْقَاضِي عَلَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ : قَدْ وَعَيْتُ قَصَصَ عِزِّكَ ،
فَبَرِهْنِ الْآنَ عَنْ نَفْسِكَ ، وَإِلَّا كَشَفْتُ عَنْ لَبْسِكَ ،
وَأَمَرْتُ بِجَنْسِكَ ؛ فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الْأَنْعُمَانِ ، ثُمَّ شَمَرَ لِلْعَرَبِ
الْعَرَانِ ، وَقَالَ :

الراحة : القرار والعيش الهنيء ، وأراد : باقى من الراحة خلوا الكف
من الشعر . مخبأ : ستر . بؤس : شدة فقر . عطر : طيب .

[أصل اللث : لا عطر بعد عروس]

ولا عطر بعد عروس ، مثل يضرب لتأخير الشيء عن وقت الحاجة إليه ،
وأصله أن رجلاً تزوج امرأة فوجدها تنفلة^(١) ، قال لها : أين عطرِك ؟ قالت :
خبأت له هذا الوقت ، قال لها : لا مخبأ لعطر بعد عروس ؛ وبهذا اللفظ روى
أبو زيد الأنصارى اللث^(٢) .

البكرى : عروس رجل كانت عنده ابنة عم له ، فات عنها ، فترجها
بعده ابن عم لها آخر ، وهى كارهة ، وانطلق بها إلى أهلها وقد زوجها طيباً فى
سقط ، فترجها بقبر عروس ، فأقبلت تبكيه وترفع صوتها ، وتقول : يا عروس الأعراس ،
ويا شديداً الباس ؛ مع أشياء لا يعلمها الناس . فأنهرها زوجها ، وقال : ماتلك
الأشياء ؟ فقالت : كان عن المكارم غير نكاح ، يُعمل السيف صبيحة الباس .
ثم قالت : يا عروس الأعراس الأزهر ، الكريم الحضر ، مع أشياء كانت
تذكر ؛ فازداد زوجها غضباً ، وقال : ماتلك الأشياء ؟ فقالت : كان عيولاً
للغنا والمذكر ، طيب النكهة غير أبخر ، ثم أخذت السقط وكسرتة على قبر
عروس ، ثم قالت : لا عطر بعد عروس ، فذهب مثلاً . قال زوجها : ارجى
إلى أهيك ، أنت طالق ، فقالت : إذا أنصرف منتبطة^(٣) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن عروساً هذا رجل من هذيل ، وامرأته
هذلية اسمها أسماء .

قوله : « براعتك » ، أى جودة تدبيرك . سالة : ولد صغير كما سُل من بطن

(١) نخل الشيء : تثيرت رائحته ، وامرأة تنفلة ومتفالة .

(٢) اللسان - عرس : جمرة الأمتال ٢ : ٣٩٥ ، الفاخر ٢١١ .

(٣) فصل اللثال ٣٣٨

أُمهُ ؛ وَلِهَذَا سُمِّيَ وَلَدُ النَّاقَةِ عِنْدَ النَّتَاجِ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ أَذْكَرُ هُوَ أَمْ أُنْثَى : سَلِيلٌ ،
ثُمَّ اسْمُوا فِي السَّلَالَةِ قَالُوا : فَلَانُ كَرِيمِ السَّلَالَةِ . وَالْخِلَالَةُ : عُودٌ تُنْقَى بِهِ الْأَضْرَاسُ
مِنَ الطَّعَامِ ، شَبَّهَتْ وَلَدَهَا بِهِ فِي رِقَّتِهِ . تَرَقًّا : تَنْقُطُ . الطَّوَى : الْجَوْعُ ، وَقَالَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كُنْ بِالرَّءِ إِثْمًا أَنْ يَضْطِيعَ مِنْ يَقُوتِ » . تَعَجُّمٌ : تَحْتَبِرُ .
دَعَاوُهُ : مَا أَدْعَاهُ مِنَ الصَّنْعَةِ ، وَعَجَمَتِ الْعُودُ : عَضَضَتْهُ بِأَسْنَانِكَ لَتَعْلَمَ قُوَّتَهُ مِنْ
ضَعْفِهِ . وَعَيْتٌ : حَفِظْتُ . قِصَصُ عَرَسِكَ : حَدِيثُ زَوْجِكَ . بَرَهْنٌ : أَظْهَرَ
حُجَّتَكَ ، وَالْبُرْهَانُ : الْحُجَّةُ . لَبَسَكَ : تَخْلِيطُكَ وَالتَّبَاسُ أَمْرُكَ . أَطْرَقَ : أَمَالَ
رَأْسَهُ إِلَى الْأَرْضِ سَاكِنًا . الْأَفْمُوانُ : ذَكَرُ الْأَفَاعِي ، وَهَذَا مَقُولٌ مِنْ
قَوْلِ اللَّاتِسِ :

فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الشَّجَاعِ وَلَوْ رَأَى مَسَاغًا لَنَابِيهِ الشَّجَاعُ لَصَمًّا^(١)
وَوَقَعَ لَنَا فِي رِوَايَةِ « لَنَابَاهُ »^(٢) ، وَهِيَ لَفَةٌ . شَمَرٌ : احْتَزَمَ . الْعَوَانُ : الَّتِي
قُوتِلَ فِيهَا مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى ، وَهِيَ أَشَدُّ ، وَالرَّاءُ الْقَوَانُ : الَّتِي عُلْتُ فِي السَّنِّ
وَلَمْ تَهْرَمْ . وَالْعَوَانُ : التَّيِّبُ ، كَانَتْ ذَاتُ زَوْجٍ أَوْ لَمْ تَكُنْ ، وَعَوْنَتِ الْمَرَأَةُ
تَعْوِينًا ، وَاجْمَعُ عُونُ .

اسْمَعْ حَدِيثِي فَإِنَّهُ عَجَبٌ * يُضْحَكُ مِنْ شَرِّهِ وَيُنْتَعَبُ *
أَنَا امْرُؤٌ لَيْسَ فِي خَصَائِعِهِ * عَيْبٌ وَلَا فِي فَخَائِرِهِ رَيْبٌ
سَرُوجٌ دَارِي الَّتِي وَلِدْتُ بِهَا * وَالْأَصْلُ غَسَّانُ حِينَ أَنْتَسِبُ
وَشَنْبَلِي الدَّرْسُ ، وَالتَّبَعْرُ فِي السَّيْلِ * طَلَّابِي ، وَحَبْدَا الطَّلَبُ
وَرَأْسُ مَالِي سِحْرُ الْكَلَامِ الَّذِي * مِنْهُ يُصَاغُ الْقَرِيضُ وَالْخُلْطَبُ

(١) مِنَ الْأَصْحَةِ ٩٢ ص ٢٥٦ ، الشَّجَاعُ : الْحَيَّةُ الذَّكْرُ ، وَمَسَاغٌ مَفْعُلٌ مِنْ سَاغَ يَسَاغُ ،
وَأَصْلُ مَتَاهُ سَهْوَةٌ مَدْخُلُ الشَّرَابِ فِي الْمَلَقِ .

(٢) يَحْمِلُونَهُ شَاهِدًا عَلَى إِثْرَامِ الثَّنَى الْأَلْفِ فِي إِعْرَابِهِ .

أُغْوَصُ فِي لُجَّةِ الْبَيَانِ فَأُخْصِتَارُ اللَّالِي مِنْهَا وَأُتَخَبُّ
وَأُجْتَنَى الْيَانِعُ الْجَنَى مِنَ السَّقُولِ ، وَغَيْرِي لِلْعُودِ يَحْتَطِبُ
وَأَخْذُ اللَّفْظِ فِضَّةٌ فَلِذَا مَا صُنِّتُهُ قِيلَ إِنَّهُ ذَهَبٌ
وَكُنْتُ مِنْ قَبْلُ أَمْتَرِي نَشَبًا بِالْأَدَبِ الْمُتَقَى وَأُخْتَلِبُ
وَسَتَطِي أُنْخِصِي لِحُزْمَتِهِ مَرَاتِبًا لَيْسَ فَوْقَهَا رُتَبُ
وَطَالَمَا زُفَّتِ الصَّلَاتُ إِلَى رَبِّي فَلَمْ أَرْضَ كُلَّ مَنْ يَهَبُ

• • •

قوله : « يُتَخَبُّ » ، أى يُبَكَّى ، ونحِبُ نَحِيحًا : أعلن بالبكاء . خصائصه :
فضائله وما يختص به من الأفعال المحمودة . رَبُّبُ : شكوك . التبخر : التوسع .
حِلَابِي : أى طليبي ، وإنما هو العلم ، وذكر التبخر واللالى والنومس وغير ذلك
مجازاً ؛ وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما اتعلم رجل قط ولا تخفف
ولا لبس ثوباً ليفدؤ في طلب علم يتعلمه إلا غفر الله له حيث يخطو عتبة بيته » .
رَوَى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول : « من اتعلم ليتعلم خيراً غفر الله له قبل أن يخطو » .

ابن عباس رضى الله عنهما ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الفُدُوءُ والرواح
في تعليم العلم خيرٌ عند الله من الجهاد في سبيله » .

ابن مسعود رضى الله عنه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَنْ خَرَجَ يَطْلُبُ
بَاباً مِنَ الْعِلْمِ لِيَرُدَّ بِهِ ضَلَالاً إِلَى هَدًى ، أَوْ بَاطِلاً إِلَى حَقٍّ ، كَانَ كَمِثَادَةِ مَتْعَبِدٍ
أَرْبَعِينَ سَنَةً » .

قوله : « يَصَاغُ » ، أى يصنع . القريض : الشعر . أَغْوَصُ : أغيب في الماء إلى
قعره . واللُّجَّةُ : معظم الماء ، جعله للبيان مجازاً . اللَّالَى : جمع لؤلؤة . أُتَخَبُّ :

أختار . وقال السيب بن علس^(١) في وصف القائن وانتخابه الدرّة ونشيبه
للرّاة بها :

كجُمانَةِ البحرِ جاءَ بِها نَوامِها من لُجّةِ البحرِ^(٢)
نصفَ النّهارِ الماءَ غامرُهُ وشربَكَ بالنيبِ ما لمْ يرى
فأصابَ مُنَيَّتَهُ فجاءَ بِها صدقَةُ كضِيّةِ الجَمْرِ
يُعْطَى بِها لَنَا فيمنعُها ويقولُ صاحِبُهُ : ألا تُشْرِى !^(٣)
وترى الصّرارى يسجدونَ لها ويضُمُّها بيديهِ للنحرِ
وقال عبد الرحمن بن حسان :

وهى بيضاء مثل جوهرة الفواصِ مُيزَّتْ من جوهري مكنون .
وقال النّافقة :

أو درّة صدقَةٍ غواصُها بوجّ متى يرها يُهَلِّ وسجد
قوله : « اليانِع » أى الناعم . الجنيّ : الطارى . أمترى نشباً ، أى أَسْتَخْرِجُ .
مالاً ، ومريتُ ضرع النّافقة : مسحته وحكته ليدِرّ اللبن . والنّشَب ، قيل : هو
القنار وما لا ينقل ، وكأنّ مالِكهُ قد نشب إليه حيث لا ينتقل به ، كالذى مالهُ الماشية .
أو الذهب والفضة . المنتقى : المختار ، ويروى « اللقننى » ، وهو للكتّيب . ويقال :
احتلب وحلب حلباً ، والحليب اللبن ، وهو الحلاب ، والحلاب أيضاً : الإماء بحلب
فيه ، وأصله السّيلان . وتحلب الفَرع : سال ، وانحلبت عينه : سال دمعها . يمتطى :
يركب . أحمى : باطن قدمي ، وهو ماضر منها وارْتَفَعَ عن الأرض : حرّمته :
أى لرفعته وشرفه . مراتباً : منازل : والرتبة منزلة الشرف ، من الرتب وهو

(١) ط : ه على ، تحريف .

(٢) الأبيات في شعراء النصارية ٣٥٦ ، وخزاعة الأدب ١ : ٥٥٥ .

(٣) ألا تشرى ، أى ألا تبيع ، كما ذكره ابن الأثير في الأضداد ٧٤

ما أشرف من الأرض . والرُّتَب : جمع رتبة ، وهى بمعنى المرتبة ، وأصل الرُّتَب الدَّرَج تُقَطَع فى الحجر ليصعد بها إلى أعلى الجبل ، ومنه رتَبَ كلامه ، إذا أتبع بمضمه بعضا على نظام واعتدال . رُفَّت : مُحِت ، من رَفَعَت العروس إلى زوجها إذا أهدى بها له . الصَّلَات : العطايا . رَبَّنِي : منزلى . لم أرض كل مَنْ يَهَبُ ، أى لا أرضى أن أكون تحت مِنَّة كل أحد .

فَالْيَوْمَ مَنْ يَمْلِكُ الرَّجَاءَ بِهِ أَسَدُ شَيْءٍ فِي سَوْقِهِ الْأَدَبُ
لَا عِزُّ أُنْبَاءِهِ يُصَانُ وَلَا يُرْقَبُ فِيهِمْ إِلَّا وَلَا نَسَبُ
كَأَنَّهُمْ فِي عِرَاصِهِمْ جَيْفٌ يُبْعَدُ مِنْ نَفْسِهَا وَتُجْتَنَّبُ
فَخَارَ لُبِّي لِمَا مُنِنْتُ بِهِ مِنْ الْآيَالَى وَصَرَفُهَا عَجَبُ
وَصَاقَ ذَرْعِي لَضِيقِ ذَاتِ يَدِي وَسَاوَرَتْنِي الْهُمُومُ وَالْكُرْبُ
وَقَادَنِي دَهْرِي الْمَلِيمُ إِلَى سُلُوكٍ مَا يَسْتَشِينُهُ الْحَسَبُ
فَبِغْتُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لِي سَبَدٌ وَلَا بَقَاتٌ إِلَيْهِ أَنْقَابُ
وَاذْنْتُ حَتَّى أَتَقَلْتُ مَا لَفَتِي بِحَمَلِ دَيْنٍ مِنْ دُونِهِ الْعَطَبُ
ثُمَّ طَوَيْتُ الْخُنَى عَلَى مَنَاقِبِ خَمْسًا فَلَمَّا أَمَضَنِي السَّعْبُ
لَمْ أَرَ إِلَّا جِهَازَهَا عَرَصًا أَجُولُ فِي يَبْعِهِ وَأَضْطَرِبُ

مَنْ يَمْلِكُ : معنى من استفهام ^(١) . يَرْقُبُ : يرعى . إِلَ : قرابة ، وإِلَ : بقاء

(١) حاشية ط : قوله : مَنْ استفهام ، الطاهر أن من موصولة وعبارة غيره ؛ أى أن من يطلق به الأمل ، ويرجى منه النوال لا يستعمل الأدب والمعارف ، حتى صار ذلك كالسلعة بالكسادة عنده . انتهى بالحرف . مصححه .

عهد . وسبب : معرفة وصحبه ، والسبب : العلم ، ومنه : ﴿وَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾^(١) ؛ وأصله الخيل ؛ ثم يستعمل في كل ما يربط شيئاً بشيء ، من كلام أو غيره . عِرَاصِهِمْ : مواضعهم ، وأصل العِرَاصَةُ ، فناء الدار . يقال : لَبَّ الرَّجُلُ يُلَبُّ لَبَابَةً ، ورجل ملُيُوب : موصوف باللبابة ، ولُبَّ كل شيء من الثمار ولبابه : داخله ، ولَبَّ كل شيء : خالسه . مُنِيَّتْ : ابتليت وقُدِّرَلى . صَرَفُهَا : قلبها وتصرفها بما بكره . ذَرَعَى : كناية عن صدرى وخُلِقَى ، وأصل الذَّرْعُ : كيل الشيء بالذراع ؛ ثم صار مثلاً ، يقال : ضاق ذَرَعَى بكذا إذا لم تحمله . وضاق تصرفك فيه . ذات يدي ، أى مالى . ساورتني : وانبتني . السُكُوبُ : الهموم ، وكررها لاختلاف اللفظ . اللِّسَمُ : الذى أتى بما يُبْلَم عليه . سُلُوكٌ : دخول . يستشيه : يستعيبه ، والشَّيْنُ : العيب . لَبَدٌ : شيء لا قليل ولا كثير ، وأصله الصوف ، وأكثر ما يستعمل مُزْدَوِجاً مع سَبَدٍ ؛ يقال : ما عنده سَبَدٌ ولا لَبَدٌ ، أى لا شعر ولا صوف ، ويراد بها نقي الإبل والنعم ، ثم صار نقياً لكل شيء من المال . بَتَات : زاد . أَقْلَب : أرجع .

أَدْنَتْ : أخذت بالدين ، وفي حديث عمر : «فَإِذَا نَ مُعْرِضًا»^(٢) . والسالفة : صنعة العنق ، يريد أن هذا الدين ثقله ومقاساة هوم . فوق العَطَبِ ، والعطاب : الذى هو الهلاك دونه فى الشدة . عائشة رضى الله عنها : قال النبى صلى الله عليه وسلم : «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَذِلَّ عَبْدَهُ ابْتِلَاهُ بِالَّذِينَ وَجَعَهُ فِي عُنُقِهِ» ، وقال أنس رضى الله عنه : قال النبى صلى الله عليه وسلم : «إِبَاكُمْ وَالَّذِينَ فَإِنَّهُمْ بِاللَّيْلِ وَمَذَلَّةً بِالنَّهَارِ» ، وروى جابر رضى الله عنه ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : «لَا مَّ إِلَّا مَّ الدِّينَ وَلَا وَجَعَ إِلَّا وَجَعَ الْعَيْنَ» .

الحشى : أسقاط الجوف . سَقَبٌ : جوع . أَمْضَى : أحرقتى . جهازها :

(١) سورة الكهف ٨٤ .

(٢) فى حديثه عن أسيف جبينه ، أى استعان مرضاً . النهاية لابن الأثير ٢ : ١٤٩ .

متاعها الذي جاءتني به ، والجهاز ، متاع البيت ، يريد شوارها . عَرَضًا ، أراد « عَرَضًا » فحركة ضرورة ، والمرض الأمتعة هنا ، أخبرني بهذا مَنْ يوثق به في اللغة : والمرض خلاف النقد مشهور في اللغة . وفي المين : المرض ، بفتح الراء : كثرة المال ، فيقول : لما لم يبقَ لي مالٌ لم أرَ مالاَ إلا جهازها ، فيكون على هذا أتم معنى ، ويخرج عن الضرورة التي ألزمته ذلك التحريك . أحول : أنصرف . اضطرب : أكثر التردد والتصرف .

فَجَلْتُ فِيهِ وَالنَّفْسُ كَارِهَةٌ	وَالْمَيْنُ عَبْرِي وَالْقَابُ مَكْتَبٌ
وَمَا تَجَاوَزْتُ إِذْ عَبَّيْتُ بِهِ	حَدَّ التَّرَاضِي فَيَعْدُ النَّضْبُ
فَإِنْ يَكُنْ غَاظَهَا تَوَهُمَهَا	أَنْ بَنَانِي بِالنَّظْمِ تَكْتَسِبُ
أَوْ أَنِّي إِذْ عَزَمْتُ خِطْبَتَهَا	زَخَرْتُ قَوْلِي لِيَنْجَحَ الْأَرْبُ
فَوَالَّذِي سَارَتْ الرَّفَاقُ إِلَى	كَمْبَتِهِ نَسْتَحِثُّهَا النَّجْبُ
مَا الْمَكْرُ بِالْمَحْصَنَاتِ مِنْ شَيْءٍ	وَلَا شِغَارِي التَّنْوِيهِ وَالْكَذِبُ
وَلَا يَدِي مَذْ نَشَأْتُ نِيطَ بَهَا	إِلَّا مَوَاضِي الْبِرَاجِ وَالْكَتَبُ
بَلْ فَمَكْرَتِي تَنْظِمُ الْقَلَائِدَ لَا	كُنِّي ، وَشِعْرِي الْمَنْظُومُ لَا السُّخْبُ
فَهَذِي الْحِرْفَةُ الْمُشَارُ إِلَى	مَا كُنْتُ أَخْوِي بَهَا وَأَجْتَلِبُ
فَأَذَنْ لَشَرْحِي كَمَا أَذِنَتْ لَهَا	وَلَا تَرَاقِبْ وَاحْكُمْ بِمَا يَجِبُ

عَبْرِي : باكية . مكتب : حزين . لعبت وتحكمت فيه ؛ يقول : ما تصرف في بيعة إلا برضا منها ومعنى^(١) . قوله : « تَوَهُمَهَا » ، أى ظننها . خطبتها :

(١) حاشية ط : « قوله : ومعنى ، لاجابة إليه » .

مراسلتها في النكاح . لينتجج الأرب : لتفضي الحاجة . تستعجها : تستعجلها .
 الثُّجْبُ : الإبل الكرام . الكر : الخداع ، المحصنات : العفاف . شيمى :
 طبائعى . شعارى : علامتى : التمويه ، تقدم في الثامنة . نيط : علق ، وناط الشيء .
 نوطاً : علقه . البراع : الأقلام . والمواضى : السرعة في الكتابة ؛ يريد أنه فصيح
 لا يتوقف قلبه . السُّخْبُ : جمع سخاب ، وهي قلادة قرنفل ليس فيها جوهر
 ولا لؤلؤ . قال ابن ظر : السُّخْبُ : العقود من اللؤلؤ وغيره ، ومن الطَّيِّب
 أيضاً . أخوى : أخوز وأجمع .

فأذن : اسمع . لا تراقب : لا تراع مقاً أحداً ولا تؤثره على صاحبه
 واحكم بيننا بما يجب ؛ وأخذ معنى الآيات المتقدمة من قول ابن هرمة :
 إني امرؤ لأصوغ العلىَ عمله كفاى لكن لاني صائغُ الكلامِ
 وقال آخر :

وإني لنظامُ القلائد للملأ ولستُ بنظامُ القلائد للذَّخرِ

قال : فلما أحكم ما شأده ، وأكمل إنشأده ، عطفت القاضى إلى
 الفتاة ، بعد أن شغف بالآيات ، وقال : أما إنه قد ثبت عند جميع
 الحكماء ، وولاة الأحكام ، انقراض جيل الكرام ، وميل الأيام
 إلى اللثام ، وإني لإخال بملك صدوقا في الكلام ، برياً من الملايم ،
 وهامراً قد اعترف لك بالقرض ، وصرح عن المحض ، وبين مصداق
 النظم ، وبين أنه مروق العظم ، وإغنائى المذير ملامة ، وحبس
 المسير ملامة ، وكتمان الفقير زهادة ، وانتظار الفرج بالصبر

عِبَادَةَ ، فَارْجِي إِلَى خِدْرِكَ ، وَاعْذُرِي أَبَا عُذْرِكَ ، وَتَهْنِئِي
مِنْ غُرْبِكَ ، وَسَلِّمِي لِقَضَاءِ رَبِّكَ . ثُمَّ إِنَّهُ فَرَضَ لَهُمَا فِي
الصَّدَقَاتِ حِمَّةً ، وَنَاوَلَهُمَا مِنْ دَرَاهِمِهِمَا قَبْضَةً ، وَقَالَ لهُمَا :
تَمَلَّلَا بِهَذِهِ الْمَلَالَةِ ، وَتَنَدَّيَا بِهَذِهِ الْبِلَالَةِ ، وَاضْبِرَا
عَلَى كَيْدِ الزَّمَانِ وَكَدِّهِ ، فَمَتَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ
أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ . فَهَئِذَا وَالشَّيْخُ فَرَحَةٌ الْمُطْلَقِ مِنَ الْإِسَارِ ،
وَهِزَّةُ الْمَوْسَرِّ بَعْدَ الْإِعْسَارِ .

قوله : « أَحْكَمْ » ، أى أُنْقِنَ . شاده : بناء وزينته ، وشاد البناء : أطالَه وعَمِلَه
بالشَّيد ، وهو الجِصَّ ، ويقال فيه : أشاد ، ويقال : شاد عمله بالشَّيد وأشاده : أطالَه ،
هو الأول ، وأشاد الحديث : رافعه ، وعطف : ثنى عُنُقَه ورَدَّهَا ، وكل ما تشنيه
من عنق أو جارحة أو عُودٍ قَدْ عَطَفْتَهُ . شَمِيفٌ : أعجب . اقراض : اقتطاع
وهلاك . جيل : صِنْفٌ ، وجيلُك : أهل عصرِكَ . بَنَكَ : زوجك ؛ وبَنَل الرجل
بُؤُولَه : تزوّج . والقرض : السَّلف ، أراد به ما أعطته من ثمن جهازها سلفاً .
صرّح : بَيَّن . وصرّح عن الخُص ، مثل يضرب لمرءٍ الأمر ، إذا انكشف ،
وقالوا : أمرٌ صُراح ، أى منكشف ظاهر ، والصرّيح من اللبن : الخُص الخالص
الذى لا رَغْوَه فيه ، قال الشاعر :

• وَتَحْتِ الرِّغْوَةِ اللَّبَنِ الصَّرِيحُ ^(١) •

ثم قالوا : لكل شئٍ خالص صريح . وقوله : « بَيْنَ مُصْدَاقِ النِّظَمِ » ، يريد
أن نظمه إنما هو للشعر لا للجوهر . معروق : لا لحم على عظمه ، أى هو فقير

(١) أصل النمل : « تحت الرغوة الصريح » ، وأول من قاله عامر بن الطرب . وانظر

إعنات : مشقة . العذر : الذى يجهد نفسه فى الشئ ثم لا يستطيعه ، يقال : قد أعذر ، أى قد بين عذره أنه لا يقدر عليه ، وعذر فهو معذر ، إذا قصر فى طلب الشئ ، قال تعالى : ﴿ وَجَاءَ الْمُذَرُّونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ﴾ ^(١) ، وقال ابن دريد :
 * حكم المذّر غير حكم للعذر *

الملائمة والملائمة : اللزوم والإثم . والمسر : التقير : والزهادة : قلة الرغبة ، قال أبو هريرة رضى الله عنه : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ جاع واحتاج فكتمه الناس وأنزله بالله ، كان حقاً على الله أن يفتح عليه رزق سنة من حلال » .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « انتظار الفرج بالصبر عبادة » .

وقال ابن عمر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما صبر أهل بيت على جهد ثلاثاً إلا أتاهم الله عز وجل برزق » .

خدرك : يبتك ، وأصله الشتر يكون خلفه الجارية المحجوبة . أبا تذرك : زوجك للفتن لك . نهى : كفى . غربك : حدة لسانك . وقيل : معنى « نهى » من غربك ، أى غيضى من دموعك ، والغرب : قبض الدمع ، والأول أشبه . سلمى : اتحدى . قرص ، أى أوجب . حصّة : نصيب . ناولها : أعطاهما . قبضة : ما أخذت بأطراف أصابعك . الملالة : الشئ القليل . تملاً : خذاً منه شيئاً بعد شئ ، وكذلك تندياً ، وأصل الملالة بقية الماء فى الإناء ، وبقية اللبن فى الفرسع بعد الحلب ، قال الراجز :

* يرضعها الدرة والملالة * ^(٢)

(١) سورة التوبة ٩٠ (٢) اللسان - علل ، وروايته : « يرضع » ، وقوله :

* أحمل أُمى وهى الحلالة *

والبلالة : الندى القليل يبلُّ وجه الأرض . كيد : مكر . كذبه : جهده .
وأشدُّ أبو مخجن الثقي :

عسى فرجٌ يأتي به الله إنه له كلُّ يومٍ في خليقته أمرٌ
عسى ما ترى ألا يدوم وأن ترى له فرجاً مما ألح به الدهرُ
إذا اشتدَّ عسرٌ قارجٌ يُمرُّ فإنه قضى الله أن العسرَ يتبعه اليسرُ

الإسار : الحبل يشدُّ به الأسير . هزّة : طرب . اللوسر : الفنى . الإعسار :
الفقر ، وسئل حكيم : أى الأشياء أحلى ؟ قال : النصرة على العدو بعد الهزيمة ،
والاستغناء بعد الحاجة ، والعلبة للمتكلم .

• • •

قال الراوى : وكنتُ عرفتُ أنه أبو زيد ساعةً بزغتْ
شمسه ، ونزعتْ عرسه ، وكذبتُ أفصحُ عن افتنانه ؛ وإثمارِ
أفئانه ؛ ثم أشفقتُ من عُثورِ القاضى على بهتانِهِ ، وتزويقِ
لسانه ، فلا يرى عندَ عرفانه ، أن يُرشحه لإخسانِهِ ، فأحجمتُ
عن القولِ إجحامِ المرتابِ ، وطويتُ ذكرَهُ كطى السجلِ للسكرابِ ؛
إلا أنى قلتُ بعدَ ما فصلَ ، ووصلَ إلى ما وصلَ : لو أن لنا
من ينطلقُ فى أثرِهِ ، لأنانا بفصِّ خبرِهِ ، وبما يُنشرُّ من خبرِهِ ؛
فأتبعهُ القاضى أحدَ أمتانِهِ ، وأمرَهُ بالتجسسِ عن أبنائِهِ ،
فما لبثَ أن رجَعَ مُتدَهِدِها ، ومهقَرٍ مُقترِقِها ، فقال له القاضى : منهم ،
يا أبا مريم ، فقال : لقدَ ماينتُ عجبا ، وصممتُ ما أنشأ لي طربا ،

فَقَالَ لَهُ : مَاذَا رَأَيْتُ ، وَالَّذِي وَعَيْتُ !

• • •

قوله : « نزغت » ، أى طلعت . ونزغت : نشرت وقابلته بالشر والذِّكر
« القبيح » ، وأراد أنه عرفه حين ساقته زوجته إلى القاضى . أفصح : أبين . افتنانه :
تنوعه . إثمار : إخراج الثمر ، وهو حمل كل شجرة . أفنانه : أغصانه . أشنفت :
خافت . عشور : ظهور ، وعثر على الأمر : أطلع عليه . بهتانه : باطله وكذبه .
تزويق : تزين ، وهو من الزَّووق الذى يعرفه العامة بالزَّواق ، أى أنه تزين
فى الظاهر ، وليس له ثبات . عرفانه : تقدّم معرفته . يرشعه : يهيئه ، وفلان يرشع
لكذا ، أى يؤهل له ، من رشعت الأم ولدها بالابن ، إذا جعلته فى فيه شيئاً بعد
شئ حتى يقوى ، وقيل : الترشيع : التربية ، وقيل : هو تحنُّن الأم على ولدها من
الشدة . أحججت : تأخرت . المرتاب : صاحب الريبة . طويت : سترت . السَّجَل :
الورق . والكتاب : المكتوب فيها ، وقوله تعالى : ﴿ كُتِبَ السَّجَلُ لِلْكِتَابِ ﴾ ^(١) ،
قيل : السَّجَل : اسم كاتب للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل : ملاك من السماء الثالثة ترفع
إليه الحظوظ أعمال العباد كل خميس وإثنين . فصل : زال وانفصل . بنص خبره :
بحقيقة أمره . بنشر : يظهر . خبره : حسن كلامه ، وأصله ثياب يمانية مزينة ،
ونشرها : حلقها من طياتها . التجسس : البحث . أنبائه : أخباره . ما لبث ، أى
ما أقام ، والمعنى ما أبداً شيئاً حتى رجع . متدهداً : متعرجاً كآ ، والتدهده : قدَّنت
الحجر من أعلى إلى أسفل . قهقر : رجع إلى خلف مقهقماً : مبالغاً فى الضحك ،
والقهقهة : حكاية صوت الضاحك . مهمم : كلمة استفهام ، معناها : ما الأمر ؟
عأينت : رأيت . أنشأ : أحدث ، وتهديره : سمعت شيئاً أحدث لى ذلك الشئ .

المسوع الطَّرب ، ولا يكون « أنشأ » فعلاً لأبي زيد ، إنما هو فعل « ما » من قوله : « ما أنشأ » . وعيت : حفظت .

قال : ولم يزل الشيخ مُذْ خَرَجَ يُصَفِّقُ يَدَيْهِ ، وَيُخَالِفُ بَيْنَ رِجْلَيْهِ ، وَيَنْفَرِدُ عَلَى شِدْقَيْهِ ، وَيَقُولُ :

كَذْتُ أَمْسَلَى بَيْلِيهِ مِنْ وَقَاحِ شَمْرِيَّةِ
وَأَزُورُ السَّجْنَ لَوْلَا حَاكِمُ الإسْكَنْدَرِيَّةِ
فَضَحَكَ الْقَاضِي حَتَّى هَوَتْ دَرِينَتُهُ ، وَذَوَتْ مَسْكِيَّتُهُ ،
فَلَمَّا فَاءَ إِلَى الْوَقَارِ ، وَعَقَّبَ الاسْتِغْرَابَ بِالاسْتِغْفَارِ ، قَالَ : اللَّهُمَّ
بِحُرْمَةِ عِبَادِكَ الْمُقَرَّبِينَ ، حَرِّمْ حَبْسِي عَلَى الْمُتَأَذِّبِينَ . ثُمَّ قَالَ
لِذَلِكَ الْأَمِينِ : عَلَى يَهْ ، فَاَنْطَلِقْ مُجِدِّدًا فِي طَلَبِيهِ . ثُمَّ حَادَّ بَعْدَ
لَايِهِ ، مُخْبِرًا بَنَائِدَ ، فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي : أَمَا إِنَّهُ لَوْ حَضَرَ ، لَكُنِّي
الْحَذَرُ ، ثُمَّ لَاوَلَيْتُهُ مَا هُوَ بِرَأْوَلِي ، وَلَا دَرَيْتُهُ أَنْ الْآخِرَةُ خَيْرٌ
لَهُ مِنَ الْأُولَى .

قال الحارث بن همام : فَلَمَّا رَأَيْتُ صُنُوقَ الْقَاضِي إِلَيْهِ ، وَفَوْتُ
ثَمَرَةِ التَّنْبِيهِ عَلَيْهِ ، غَشِيَتْنِي نَدَامَةُ الْفِرْزَدِقِ حِينَ أَبَانَ النُّوَارَ ،
وَالْكُسَيْبِي لَمَّا اسْتَبَانَ التَّهَارَ .

يُصَفِّقُ يَدَيْهِ : يضرب بكفيه . يَخَالِفُ بَيْنَ رِجْلَيْهِ : يبعث بهما في مشيه .

خفيض كل رَجُلٍ موضع الأخرى ، وهى من أنواع الرقص ؛ أراد أنه
بصر بكنّيه ويرقص . يفرّد : يفتّى . يملء شذقيه ، أى بصوت شديد تمتلئ
به أشداقه .

وملء الفدح : قدر ما يملؤه . أبو يعقوب : يقال : أعطنى ملء الفدح ماء ، وأعطى
مِلْأَيْه ، وأعطى ثلاثة أمْلَانِه .

أصلى ببلية ، أى قربتُ أن أحترق بها وأتصلّى بها ، والبلية : المصيبة يبتلى
بها ، وقّاح ، جمع وقاحة ، وهى صلابة الوجه ، وأصلها من الحافر الصّلب ، وقال
بعضهم فى صلابة الوجه :

لا يعملُ المَبْرَدُ فى وَجْهِهِ بل وجهه يعمل فى المَبْرَدِ

فجعل وجهه لصلابته يؤثّر فى الحديد . شَمْرِيّة ، أى شديدة القسوة ، قال
الأصمعى : سألت أعرابياً ، وقد خرج من الصلاة : ما قرأ الإمام ؟ قال : ما أدرى
إلا أنه وقع بين موسى وفرعون شَمْرِيّة . هوت : سقطت . دَرِينَتَه : قلنسوته ، وهذه
اللفظة إنما وقعت فى القامات بفتح الدال وكسر النون ، ودِينَتَه بنونين لتوافق
«سكينته» ، والصحيح حذف نونها الثانية وكسر الأولى ، وهى قانسوة محدّدة
الطرف يلبسها القضاة والأكابر ، وليست من كلام العرب ، إنما هى من الألفاظ
المستعملة فى العراق ، وقد استعملها شعراؤهم ، قال ابن لَنَسْكَك :

نفسى نفيك أبا الهندامِ يا أَمَلِي إِنِّى بَكلِّ الذى ترضاه لى راضِي^(١)
ما كان أيرى فقيهاً إذ ظفرت به فكيف ألبسته دِينَتَه القاصِي
وقال الصابى :

وفوقه دِينَتُهُ تَذْهَبُ طَوْرًا وتَجِي

(١) بيتة الدهر .

(١) بيتة الدهر ٢ : ٣٢٦ ، وهناك : « نفيك أبا الهندام كل أذى » ، وأبى الهندام
شاعرا اسمه كلاب بن مرة ؛ كان ابن لَنَسْكَك مولدا بهجائه .

ذَوْتُ : زالت وخفيت . سكينته : وقاره ، وأصل ذَوَى ، في الشيء الذي فيه بلل وندوة ، فيجف بَلُّهُ ، فاستعاره للسكينة . فاء : رجع . وعقَّب : أتبع . الاستغراب : كثرة الضحك ، حتى تدمع العينان ؛ أراد أنه أتبع ضحكه الاستغفار ليكون كفارة له ، وهذا الذي حُكي عن القاضي يُحكى مثاله عن الحجاج ، يقال : إنه كان إذا استغرب ضحكاً يوالى من الاستغفار .

وقال عبد الله بن مسعود : في كتاب الله آيتان ما أصاب عبد ذنباً قرأها ثم استغفر الله إلا غفر له الأولى : قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا قَالُوا فَاحِشَةً . . . ﴾ ^(١) الآية ، والثانية قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ . . . ﴾ ^(٢) الآية . قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : من قال : « أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الخلق القيوم وأتوب إليه » خمس مرات ، غفر له ولو فرّ من الزحف . شدّاد بن أوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سيد الاستغفار أن تقول : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت وأنا عبدك أصبحت على عهدك ^(٣) ووعدك ما استطعت . أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء بنعمتك عليّ ، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » .

وأصل غفر واستغفر غطى . قال قطرب : اللهم اغفر لنا ذنوبنا ، أي غطها ، من قول العرب : غفرت للتابع في الوعاء أغفره غفراً ، أي غطيته . ثعلب : غفر الرجل في مرضه يغفر غفراً ، أي نكس ، فكأن الرض غطى عليه . وقال الأصمعي رحمه الله : اللهم اغفر لنا ذنوبنا ، أي استرها علينا ، ومنه : اصبح ثوبك ، فإنه أغفر لابسك ، أي أستر ، وهذه معان متقاربة .

(١) آل عمران ١٣٥

(٢) النساء ١١٠ .

(٣) الجامع الصغير ١ : ٥٧ ، وفيه : « وأنا عبدك » ، وأنا على عهدك ووعدك ، وفي آخر الحديث : « ومن قالها من الليل وهو موثق بها فأت قبل أن يصبح كان من أهل الجنة » .

قوله : « عَلَىَّ بِهِ » ، أى جئني به . مجدداً : مجتهداً في طلبه . لأيه : لإبطائه . نأيه : بعده . الحذر : الخوف . أوليته ، بمعنى وليته وأعطيته . أولي : أحق ، يريد أنه لو رجع إليه كان يصله في المرة الثانية بما هو خير مما وصله به أول مرة . قوله : « صفو » ، أى ميل . فَوَتْ : ذهابت . التنبيه : الإعلام . غشيتي : غطيتي ولحقتي . أبان : طلق . النوار : بنت عم الفرزدق وزوجه . استبان : تبين . وقال الشاعر :

لو أن صدور الأمر تبرز لالتقى كاعقابه لم تُلَفه يندم

[ذكر الفرزدق وبعض أخباره]

والفرزدق اسمه هام بن غالب بن صعصعة ، دارمي من أشراف تميم ، والفرزدق ألقب به لجهومة وجهه وغلظه ، والفرزدق : قطعة المعين ، وقيل : الرغيف الضخم .

وخبره مع النوار بنت أعين الجاشعي ، أنه خطبها رجل من قريش أو من دارم ، فبعثت إلى الفرزدق أن يكون وليها إذا كان ابن عمها ، قال : إن بالشأم من هو أقرب إليك مني ولواء ، وأنا حذر من أن يقدم منهم قادم ، فينكر ذلك علي ، فاشهدى أنك جعلت أمرك إلي . فجعلت له أمرها أن يزوجه ممن يرى ، وأشهدت له بذلك ، فقال لها : أرسلي إلى القوم أزوجهك تمن خطبك . فلما غص مسجداً بنى مجاشع بيني تميم جاء الفرزدق ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : قد علمت أن النوار ولتني أمرها ، وأشهدكم أنني قد زوجتها من نفسي ، فنشرت عليه ونافرته من البصرة إلى عبد الله بن الزبير بمكة حين أعيأها أمراء البصرة ، أن يطبقوها منه . وأعيأها الشهود أن يشهدوا لها اتقاء من شره ، فلم يقدر أحد على

حملها ، حتى تحمّلها قومٌ من بني عدى ، يقال لهم بنو نسيروا إلى مكة ، فصححهم
النوار ، فقال الفرزدق :

وقد سخطت مني النوار الذي ارتضى به قباها الأزواج ، حاب رحيلها^(١)
أطاعت بني أمّ النسيير فأصبحت على شاربٍ ورفاء صعب ذلوكها^(٢)
وإن امرأ يسى ليفسد زوجي^(٣) كساع إلى أسد الشرى يستديها^(٤)
ومن دون أبوال الأسود بسالة^(٥) وبسطة أيدٍ يمنع الضيم طولها
وإن أمير المؤمنين لمالم بتأويل ما وصّى العباد رسولها

ثم ارتحل في أثرها حتى وصلا مكة ، فنزلت النوار على بنت منظور بن
زبان زوجة عبد الله بن الزبير رضى الله عنه ، ونزل الفرزدق على ابنة حمزة ، وقال :
أصبحتُ قد نزلتُ بحمزة حاجتي إن المنوّه باسمه الوثوق^(١)
بأبي عماره خير من وطئ الحصى وجرت له في الصاخين عروق
بين الحوارى الأغرى وهاشم ثم الخليفة بعد الصدّيق
فكان كل ما أصلح حمزة بن عبد الله من شأن الفرزدق نهاراً أفسده
بنت منظور ليلاً ، حتى غلبت النوار ، وقضى ابن الزبير عليه ، فقال :

أما البنون فلم تُقبل شفاعتهم وشهمت بنت منظور بن زباناً^(٢)
ليس الشفيع الذى باتيك مؤزراً مثل الشنيع الذى باتيك عرياناً
فلما سمع ابن الزبير شعره ، توقف في أمره ، فلقبه يوماً بباب المسجد ، فصّده
إلى الخائط ، حتى كادت تُزهِق نفس الفرزدق . وكان الزبير في غاية من القوة ، ثم

(١) ديوانه ٦٠٤ ، ٦ القائض ٨٠٤ ، طاقات الشعراء ٢٨١ (٢) الشارف : الافة المنة .

(٣) يستبيلها : يأخذ بولها بيده . (٤) ديوانه ٥٧٠ .

(٥) ديوانه ٨٧٤ ، القائض ٨٠٥ ، طبقات الشعراء ٢٨٢ .

(٢٤) - شرح مقامات الحريري (١)

هرّة وتركه خائفاً. ثم دخل على النّوار ، فقال لها : إمّا أن تُتِمّي زواج ابن عمك وإلا قتلتك ، وأرحت المسلمين من شرّ لسانك ، فقالت له : ولا بدّ أن تقتله ؟ قال : ولا بدّ ، فمطّفها عليه رَحِم القراية ، وقالت : لا والله لا أدعُه للقتل ، قدر ضيقته . فتزوَّجها ، فحكم عليه ابن الزبير بمهر مثلها عشرة آلاف درهم ، فسأل : هل بمكة أحد يمينه ؟ فدلّ على سلم بن زياد ، وكان ابن الزبير قد حبّسه ، فقال :

دَعِيَ مُفْلِقِي الْأَبْوَابِ دُونَ فَعَالِهِمْ وَمُرِّي بِمُسْرَى لِي هُبْلَى إِلَى سَلَمٍ^(١)
إِلَى مَنْ يَرَى الْمَعْرُوفَ سَهْلًا سَبِيلَهُ وَيَفْعَلُ أَفْعَالَ الْكِرَامِ الَّتِي تَنْبِي

ثم دخل على سلم ؛ وأنشده القصيدة ، قال : هي لك ومثلها لنفتكتك ، فقبض عشرين ألفاً ، فدفع مهرها ، فدخل بها ، وأحبها قبل أن يخرج من مكة ، ثم خرج بها ، وهما عدلان في محل ، وكانت أبدأً تخالفه وتبته ، لأنها كانت صاحبة الدّين ، وكان هو رديء الدين ، زانياً فاذاً للمحصنات ، فكانت تكرهه .

ومن ملح أخبارها أنه راود امرأة شريفة على نفسها ، فامتنعت عليه ، فهدّدها بالهجاء ، فاستعانت بالنّوار ، فقالت : واعدنيه ليلة ، ثم أعلينني . ففعلت ، وجاءت النّوار ، ودخلت الحجرة مع المرأة ، فلما دخل الفرزدق البيت ، أمرت الجارية فأطفت السراج ، وبادر الحجرة والنّوار فيها ، وهو لا يشك أنها صاحبة الدار ، فواقمها . فلما فرغ قالت : يا عدو الله ، يا فاسق ! فعرّفها ، وعلم أنه قد خُدِع ، فقال لها : وأنت هي يا سبحان الله ! ما أطيبك حراماً ، وأبردك حلالاً ! فلم تزل تؤذيه بلسانها حتى أبغضها .

لَحْدَتْ أَبُو مَعْقِل رَاوِيَتَهُ ، قَالَ : قَالَ لِي الْفَرَزْدَقُ يَوْمًا : امض بنا إلى حلقة الحسن ، فإنّي أريد أن أطلّق النّوار ، قلت : إنّي أخاف أن تتبعها نفسك ، ويشهد

عليك الحسن وأصحابه ، قال : امض بنا ، فجننا حتى وقفنا على الحسن فقال :
كيف أصبحت يا أبا سعيد ؟ قال : بخير ، كيف أصبحت يا أبا فراس ؟ قال :
لله من أن الأنوار طالق مني ثلاثاً ، فقال الحسن وأصحابه : قد سمعنا ، قال :
فانطلقنا ، قال الترمذی : يا هذا ، إن في قلبي من النوار شيئاً ، قلت : قد
حذرتك ، قال :

ندمتُ ندامةَ الكُسمَى لَمَّا غدت مِنِّي مطلقَةً نَوَارُ^(١)
وكانتُ جَنَّتِي نَجَرْتُ مِنْهَا كَأَدَمَ حِينَ أَخْرَجَهُ الضَّرَارُ
ولو أني ملكتُ يَدِي ونَفْسِي لأصبح لي على القَدَرِ اختِيارُ
وكنتُ كَفَاقٍ عَيْنِيهِ عَمْدًا فأصبح ما يُضِيءُ له نَهَارُ

وتوفي سنة عشر ومائة. وفيها مات جرير وابن سبرين والحسن ، فقالت
امرأة بصرية : كيف يفلح بلد مات فيها شاعرا ، وأضافت جريراً إلى البصرة
لكثرة قدومه إليها ، ومسكنه باليمامة . وأخباره أطول ، وإنما ذكرنا منها ما تعلق
بالنوار معه .

[ذكر خبر الكُسمَى وقومه]

وأما الكُسمَى فرجل منسوب إلى كُح ، قبيلة باليمن ، واسمه محارب
ابن قيس ، وبندامته يُضرب المثل ؛ يقال : أُنْدم من الكُسمَى^(٢) ، وقيل : إنه من بني
سمد بن ذبيان ، وقيل : اسمه عامر بن الحارث .

ومن حديثه أنه كان يرعى إبلاً بوادي كثير العشب والخلط ، فبينما هو يرعاها
يُصْرَ بِتَبْعَةٍ على صخرة ، قال : ينبغي أن تكون هذه قوساً ، فجعل يتمهدا
ويقومها حتى أدركت ، قطعها ، فلما جئت اتخذ منها قوساً ، وأنشأ يقول :

(١) ديوانه ٣٦٣ .

(٢) ثمار القلوب ١٣٤ ، البغاني ٢ : ٣٤٨

يَا رَبِّ وَقَفِّي لِنَحْتِ قَوْسِي فَأَنَا مِنْ لَدُنِّي لِنَفْسِي
وَأَنْقِمْ بِقَوْسِي وَلَدِي وَعِرْيِي أَنْعُمًا صَفْرَاءَ مِثْلَ الْوَرْدِ
• صَدَاءَ لَيْسَ كَقَيْسٍ النَّكْسِ •

ثم دهنها وخطمها بوتر، واتخذ من بُرايتها خمسة أسهم، وجعل يلقبها في
كفه، وَبُنَشْدُ :

مَنْ وَرَبِّي أَسْهَمٌ حِسَانٌ يَلْدُ لَأَرَامِي بِهَا الْبَنَاتُ
كَأَنَّمَا قَوْمُهَا مِيزَانٌ فَأَبْشُرُوا بِالْخَصْبِ يَا صَبِيَانُ
• إِنْ لَمْ يَبْقَى الشُّؤْمُ وَالْحِرْمَانُ •

ثم أتى قُتْرَةَ^(١) على موارد حُرٍّ، فسكن فيها، فرء به قطيع، فرمى غيراً
منها بسهم، فأخطه - أي أنهذه - وجازاه، وأصاب الجبل، فأورى نارا، فظن أنه
أخطاه، فأنشأ يقول :

أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الرَّحْمَنِ مِنْ نَكْدِ الْجَدِّ مَعَا وَالْحِرْمَانِ
مَالِي دَأَيْتُ السَّهْمَ بَيْنَ الصَّوَانِ يُورِي شَرَاراً مِثْلَ لَوْنِ الْعُقَيَانِ
• فَأَخْلَفَ الْيَوْمَ رَجَاءَ الصَّبِيَانِ •

ثم مرء به قطيع آخر، فرمى غيراً فأخطه السهم، فصنع صنيعه الأول،
فأنشأ يقول :

لَا بَارَكَ الرَّحْمَنُ فِرْمِي الْقَتَرُ أَعُوذُ بِالْخَالِقِ مِنْ شَرِّ الْقَدَرِ
أَخْطُ السَّهْمَ لِإِرْهَاقِ الضَّرَرِ أَمْ ذَا لَمْ يَكُنْ سِوَهُ احْتِيَالٍ وَنَظَرِ
• أَمْ لَيْسَ بِنَفْسِي حَذَرٌ عَنْهُ قَدَرُ •

ثم مرة به قطع آخر فرى عيراً ، فأخطه السهم ، فصنع صنيعه الأول ، فأنشأ
بقول :

ما بال سهمى يوقد الحباحباً قد كنت أرجو أن يكون صائباً
فأخطأ العير وولى جانباً فصار رأيي فيه رأياً حائباً
ثم مرة به قطع آخر ، فرى عيراً بسهم فأخطه السهم ، وصنع ما صنع أولاً ،
فأنشأ بقول :

يا أسفاً للشؤم والجد التكد فى قوس صدق لم تزين بأود
أخلف ما أرجو لأهل وولّد فيها ولم يسن الحذار والجلد
* تغاب ظنّ الأهل جمعاً والولّد *

ثم مرة به قطع آخر ، فرى عيراً بسهم ، فأخطه السهم ، وصنع كما صنع أولاً ،
فأنشأ بقول :

أبعد خس قد حفظت مدّها أحيل قوسى وأريد ردّها
أخزى الإله ليها وشدّها والله لا نلّم منى بمدّها
* ولا أرحى ما حيت رفدّها *

ثم أخذ القوس ، فكسرها على حجر وبات ، فلما أصبح أبصر الأعيار
الخمسة مطروحة حوله ، فأسف وندم على كسر القوس ، وعرض على إيهامه
قطعها تلهاً ، وأنشأ يقول :

ندمت ندامة لو أنّ نفسى تطاوّعنى إنّا لقطمت نخسى
تبين لي سقاء الراى منى لعمرك أريك حين كسرت قوسى

المقامة العاشرة وتعرف بالرحبية

حكى الحارث بن همام قال : هتف بي داعي الشوق ، إلى رغبة
مالك بن طوق ؛ فليته تمتطياً شملة ، ومُتَضِياً عزيمة مُشَمِّلة . فلمّا
ألقيتُ بها الرمايى ، وشدّدتُ أمرأى ، وبرزتُ من الحمام بعد
سبمتِ رايى ، رأيتُ غلاماً أفرغ في قالب الجمال ، وألبس من الحسن
حُلّة السكّال .

• • •

هتف بي ، أى دعانى ، يقال : هتف بي هتفاً وهتافاً : دعاه ، وهتفت الحمامة .
مدت صوتها . والشوق : تحريك الحب ، يريد أن شوقه إلى الرّغبة يهيج عليه
حتى سار إليها ، وجعل له داعياً مجازاً . والرّغبة : مدينة شهيرة من عمالة الفرات ،
بناها مالك بن طوق ، ووليها فنُسبت إليه ، وإليها تنسب الثياب الرّحبية ، وتعرف
برغبة الشام ، وهى على يسار الطريق هى والرقّة فى استقبال الفرات جاثيا من
حران ، وهى فى آخر ديار ربيعة ، وأول بلاد الشام والفرات ، بين ديار ربيعة
والشام ، فإذا عبرته صرت فى حدّ الشام .

[ذكر مالك بن طوق]

ومالك - كنيته أبو كلثوم - بن مالك بن عتاب بن سعيد بن زهير بن جشم
ابن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن ثعلب . وقال حبيب يمدحُه ويذكر
الرّغبة :

يأمالٍ قد علمت ربيعةً أنه
طالت يدي لما رأيتك سالماً
وشمت ترب الرحبة المبق الثرى
كم حلّ في أكنافها من معدم
ما كان مثلك في الأراقم أرقم^(١)
وأنيخ عن خدّي ذاك العظيم^(٢)
وشفى صدّاي البحر منها الحُضرم^(٣)
أمسى بها بأوى إليه للمدم

وقال فيه:

رأته في النوم عتّابٌ قال لها
فجاء والنسب الوضّاح جاء به
طعان عمرو بن كلثوم وناثله
لو كان يأمل عمرو مثله خلفاً^(٤)
ذوو القراصة : هذا صفوة الكرم^(٥)
كأنه بهيمةٌ فيهم من البهم^(٦)
إن السيور التي قدت من الأدم^(٧)
من صلبه لم يجد الموت من ألم

يقول هذا في اتصاله بنسب عمرو بن كلثوم ، وأين هذا من قول دعبيل

يهجوه :

الناس كلهم يمدو لحاجته
بمالك ظلل مشغولاً بنسبته
يبنى بيوتاً خراباً لا أنيس بها
ما بين طوقٍ إلى عمرو بن كلثوم^(٨)
ما بين ذي فرجٍ منهم ومهموم^(٩)
يرؤم منها بناء غير مهذوم^(٩)

(١) ديوانه ٢٧٥ ، والأراقم بنو نطلب .

(٢) الديوان : « وأنحت عن خدي » ، والنظم ، كزرج : نيت يصنع به .

(٣) الحُضرم : الماء الكثير .

(٤) ديوانه ٢٦٨ .

(٥) البهمة : الشجاع .

(٦) النائل : المطاء . والأدم : الجلد .

(٧) الديوان : « ولما » .

(٨) ديوانه ١٤٤ ، ديوان الثاني ١ : ١٨١ .

(٩) الديوان « خراباً غير مهموم » .

وكان ملكاً شجاعاً ، جواداً ممدوحاً أميراً على الجزيرة مسكن قومه
بنى ثعلب .

• • •

قوله « لبيته » ، أى أجبته . محتطياً : راكباً . شِمْلَةً : ناقة سريعة . منتصياً :
مجرّداً . عزمة مشعّلة ، أى عزمة سرية لا توائى فيها . للرأسى : هى محابس
السفينة . أمراسى : حبالى ، يريد أنه استعد للإقامة وترك السفر ، وضرب لذلك
المثل بإلقاء الرأسى وشدّ الأمراس . برزت : خرجت وظهرت . سَبَّتْ : حَاقَ ،
ومتى دخل أهل الشرق الحمام حلّقوا رؤوسهم . أفرغ : وُضِعَ ليصنع . والقالب :
الذى تطيع فيه الدراهم ، ودرهم مفرغ ، إذا أذيت فضته وصُبَّتْ فى قالبه ، فيريد
أنّ هذا الغلام لإفراط حسنه أفرغ فى قالب الجلال .

[نبذ وحكايات وأشعار مما ورد فى الحسن والجمال]

ونذكر فى هذه القامة من أوصاف الحسن والجمال ما أمكن ، ونضيف إلى
ذلك ما قيل فى الملمان من الأشعار الحسان ممّا يلقى بهذا المكان ونذكرها من كل
مقامة يقع فيها ذكر الملمان . قال ابن عبد ربه : الحسن أحمر ، وقد تضرب فيه
الصفرة مع طول السكّ فى السكّن والتضمخ بالطيب كما تضرب فى بيضة الأدهى .
وقال أعرابى :

وما تطيّبت من صفراء خالية كالماج صفرها إلا كنان والطيبُ

وقال آخر :

كأنّ لون البيض فى الأدهى لونك لولا صفرة الجادى

يريد أنها تضمخ بالجادى ، وهو الزعفران ، وصفرة النعمة لا تبلغ صفرة .

وقالوا : إن الجارية الحساء تلتون بلون الشمس ، فهى بالصّحى بيضاء ،

وبالمنى صفراء ، قال الأعشى :

بيضاء ضحوتها وصفراء العشية كالمرارة^(١)

المرار : البهار .

وقال الحريري في الدرة : فأما^(٢) قولهم في الحسن : أحمر ، فمعناه أنه لا يكتسب ما فيه من الجمال إلا بتحتل مشقة يحمر^(٣) منها الوجه ، كما قالوا : السنة الجراء المحدبة^(٤) ، وكنوا عن الأمر المستعصب بالموت الأحمر ، وأما قوله :

هيجان عليها حمرة في بياضها تروق لها العينان والحسن أحمر
فإنه عني به الحسن في حمرة اللون مع البياض ، دون غيره من الألوان .

وقالوا في الجارية : جميلة من بعيد ، مليحة من قريب ، فالجميلة التي تأخذ بصرك جملة ، فإذا دنت منك لم تكن كذلك ، والمليحة التي كلما كررت بصرك فيها زادتك حسناً .

وقيل : الجميلة السمينة ؛ من الجميل ، وهو الشحم^(٥) ، والمليحة البيضاء من المألحة^(٦) ؛ وهي البياض ، والصبيحة كذلك من الصبح لبياضه .

وقالوا : إن الوجه الرقيق البشرة الصافي الأديم إذا خجل يحمر ، وإذا فرق يصفر ، ومنه قولهم : ديباج الوجه ، يريدون تلونه من رفته .
وقال عدئ بن زيد في تلون الوجه :

حمرة خلط صفرة في بياض مثل ما حاك حالك ديباجا

(١) ديوانه ١٥٣ . والمرارة : شجر لما نور أسفر .

(٢) دوة النواص ١٠٤

(٣) الدرة : • بحار • .

(٤) الدرة : • لسنة المحدبة سراء • .

(٥) في القاموس : • الجميل : الشحم القالب • .

(٦) في القاموس : • المألحة : يابض يخالط سواد • .

وقال ابن عبد ربه في ذلك :

يَا زُلُوفَا بَنِي الْعُقُولِ أُنِيقًا وَرَشًا يَنْقَطِعُ الْقُلُوبِ رَفِيقًا^(١)
 مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ يَنْتَهَلُهُ دُرًّا يَعُودُ مِنَ الْحَيَاءِ عَقِيقًا
 وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى مُحَاسِنِ وَجْهِهِ أَلْفَيْتُ وَجْهَكَ فِي سَنَاءِ غَرِيقًا
 يَأْمَنُ تَقَطُّعَ خَصْرُهُ مِنْ رِقَّةٍ مَا بَالُ قَلْبِكَ لَا يَكُونُ رَقِيقًا !

وأعاد معنى: « دُرًّا يَعُودُ مِنَ الْحَيَاءِ عَقِيقًا » ، في بيت آخر فقال وأحسن :

كَمْ سَوَّسَنِ لَطْفَ الْحَيَاءِ بِلُونِهِ فَأَصَارُهُ وَرْدًا عَلَى وَجَنَاتِهِ
 قَالَتْ امْرَأَةُ خَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ لَخَالِدٍ: لَقَدْ أَصْبَحْتَ جَمِيلًا ، قَالَ : وَكَيْفَ ذَاكَ
 وَمَا فِي رَدَاءِ الْحُسْنِ وَلَا عُمُودِهِ وَلَا بُرْنَسِهِ ! قَالَتْ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : عُمُودُهُ
 الشُّطَّاطُ^(٢) ، وَرَدَاؤُهُ الْبَيَاضُ ، وَبُرْنَسُهُ سَوَادُ الشَّعْرِ .

وقالوا: الْحَلَاوَةُ فِي الْمَبْنِيِّ ، وَالْجَمَالُ فِي الْأُنْفِ ، وَالْحُسْنُ فِي الْوَجْهِ ، وَالْمَلَا حَةُ
 فِي الْقَمْرِ .

وقال بعضهم : الْغَارِفُ فِي الْقَدِّ ، وَالْبِرَاعَةُ فِي الْجِيدِ ، وَالرَّقَّةُ فِي الْأَطْرَافِ
 وَالْخُمْرُ ، وَالشَّانُ كُلُّهُ فِي الْكَلَامِ ، وَالْمَدَارُ عَلَى الدِّقْلِ .

وقال علي بن عبيد الرِّيحَانِيُّ : الْحُسْنُ تَنَاسُبُ الصُّورَةِ ، وَزِينَتُهُ اعْتِدَالُ
 الْحَرَكَةِ ؛ ثُمَّ مَا لَا يَحْسُنُ اللِّسَانُ التَّرْجُمَةَ عَنْهُ مِنْ خَفَةِ الرُّوحِ وَالْقَبُولِ .

وسئل عن اختياره من الحُسْنِ ، فقال : أَمَّا مَا يُمْكِنُ نَعْتُهُ فَخَلَّتْكَانَ

(١) مطمح الأتس ٥٢

(٢) الشُّطَّاطُ : الطُّولُ وَحُسْنُ الْقَوَامِ .

وثلاثة بينهما ، ايسر من صفة اللسان تعجني صورة أكثر نعتها الملاحه ،
وبراعة بفصاحة ، والخلة الثالثة نسيها مراح الروح وشكل النفس وماهية الشوق ،
وبتقدير تمكن الثالثة من القلب يستحكم سلطان الهوى على العقل ، فهذه زبدة
هذا الباب .

وأحسن الحسن ، مما لم يُجَلَّب بتزيين وتضييق ، وتحلية وتزويق ، وأطيب
الطيب أنفاس عقيقة من كبديسايمة ، ومزاج معتدل ، ونفرتي ، قال امرؤ القيس :
الم تر آبي كلما جئت طارِقاً وجدتُ بها طيباً وإن لم تطيب^(١)
ويعكى أن سيبويه كان يقرأ على الخليل بن أحمد منتقياً ، ثلاثاً يشغله بحسنه
عن تعليمه . ومعنى «سيبويه» بالفارسية رائحة التفاح ، وكان يقال : إنه أطيّبُ
الناس رائحة ومع تحفظ الخليل وورعه ، فكان إذا استأذن عليه سيبويه
يقول : مرحباً بزائر لا يمل .

وكان أبو حاتم السجستاني يحتم القرآن في كل أسبوع ، ويتصدق كل يوم
بدينار ، ومع هذا الفضل كان يميل بحبه إلى أبي العباس المبرد ، وكان أبو العباس
يلزم حلقته وهو غلام وسيم ، فقال فيه :

ماذا لقيت اليوم من مُتَجَنِّ خَنِيث الكلام^(٢)
وقف الجبال بوجهه فمت له خلق الأنام
حركاته وسكوته يُجَنِّي بها ثمر الانام
فإذا خلوت بمثله وعزمت فيه على اغترام^(٣)
لم أعد أفضال التقا ف ، وذلك آكد للغرام
نسي فداؤك يا أبا العباس بإجل اعتصامي

(١) ديوانه ٤١ .

(٢) الشعر والخبر في ابن خلكان ١ : ٢١٨ ، والآيات الثلاثة الأخيرة في نزهة الألبا ١٩٠٠ .

(٣) ابن خلكان : « اغترام » .

فَارْحَمْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ تَزَرُّ الْكُرَى بِأَدَى السَّامِ
وَأَنَّ اللَّهَ مَادُونُ الْحَرَامِ مَ قَلِيلٌ يَرْغَبُ فِي الْحَرَامِ

والرُّكُوعُ فِي الْجَمَالِ سَجْدَةٌ رَكِبَهَا اللَّهُ فِي الْأَوَّلِيَاءِ وَأَكْبَرِ الْعُلَمَاءِ ، فَمَنْ دُونَهُمْ
مِنَ السُّوقَةِ وَالْمَوَغَاءِ . وَعَلَى قَدَرِ ذِكَاكَ الْأَرْضُ يَطْيِبُ زَرْعُهَا ، وَعَلَى قَدَرِ طَيِّبِ
الْتُّرْبَةِ يَطْيِبُ تَبَعُهَا ، فَهِيَ الْمَذْبُوبُ وَالْأَجَاجُ وَمَا بَيْنَهُمَا ، وَعَلَى قَدَرِ شَرَفِ النَّفْسِ يَكُونُ
حُبُّهَا ، فَهِيَ الْمُسْتَحْسَنُ وَمِنْهُ الْمُسْتَقْبَحُ .

• وَكَلَّ إِنَاءً بِالَّذِي فِيهِ يَنْضَحُ •

فِي كِتَابِ الْوَشَاحِ : الْعَشَقُ إِذَا تَزَيَّنَ بِالْعَفَافِ فَهُوَ مَعْنَى شَرِيفٍ ، وَيَتَلَوَّ
قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ ^(١) ؛ فَمَنْ اتَّقَى
اللَّهَ فَهُوَ خَلِيلٌ .

وَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ الْبَغْدَادِيِّينَ إِلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا مَحَبَّةُ النَّاسِ
بِالْهَوَى ، لِأَنَّهُمْ بَطَاعَةٌ مِنْ يَهُودٍ وَنَحْوِهِمْ ، وَلَيْشَقَّ عَلَيْهِمْ سَخَطُهُ ، وَيَسْرَتُهُمْ رِضَاؤُهُ ؛
فَيَسْتَدَلُّونَ بِذَلِكَ عَلَى قَدَرِ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى . لِأَنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ ، وَهُوَ خَالِقُهُمْ
غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَيْهِمْ ، وَرَازِقُهُمْ مُبْتَدِئُ الْذِّنِّ عَلَيْهِمْ ، فَإِذَا أُوجِبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ طَاعَةَ
لِسِوَاهُ كَانَ هُوَ تَعَالَى أَوْلَى أَنْ يُقَبَّحَ رِضَاؤُهُ .

قَالُوا : وَلَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ وَلَا لِلْجَاهِلِ أَنْ يَنْكِرَ عِلَاقَةَ شَخْصٍ بِشَخْصٍ ،
وَحَنِينَ شَكْلٍ إِلَى شَكْلٍ ، وَمُؤَالَفَةً إِلْفٍ إِلَى إِلْفٍ ، فَالْقُلُوبُ صَافِيَةٌ قَابِلَةٌ ، وَالْعَيُونُ
إِلَيَّهَا نَاقِلَةٌ .

وَقَالُوا : لَا عَاشِقَ عَلَى الْأَغْلَبِ إِلَّا مَوْفُورَ النَّعْمَاءِ ، مَكْنَى كَدِّ الْمَعِيشَةِ ؛ لِأَنَّهُ مِنْ
فَرَاغِ نَفْسِهِ وَرَقَّةِ حَاشِيَتِهِ .

وقد قيل : إن جيلًا وُثِّقَ لوقعدا لبتين دون غداء وعشاء لبزق كل واحد منهما في وجه صاحبه .

ومن شرط المشوق أن يكون ممن يؤيس ويطلع ، ويستتر ويلع ، ويبدو ويحبب ، وبلين ويصعب ، ويرضى ويسخط ، ويقرب ويشحط ، كما قال أبو الطيب :

وأحلى الهوى ما شكَّ في الوصل رَبُّهُ
في المجر فهو الدهرَ يزجو ويتقى^(١)
وبين الرضا والسخط والقرب والنوى

بحالٍ لسمع القلعة التفرق
والحسن أول سعادة المرء ، ورائد الثمن ، وسائق النجى ؛ لأن الله تعالى بلطف الحكمة ، ويشرف الإبداع والصنعة ، لم يخلق الصورة مختارة الصفات ، سليمة من الآفات ، إلا عن فضل الاحتفاء ، ولم يطابقها من الأخلاق إلا بما يناسب جمالها من العقل والصفاء . ولما تجمد الخلق إلا تبعاً للخلق ، تناسباً بطرد ، وأصلاً لا بنعكس ، وإجمالاً لا بفرد ، وما خلق الله نبياً قط إلا وقد بهر أهل زمانه بحسنه وإحسانه ؛ فإذا نظرته لأول وهلة رأيت أحسنهم صورة ، وأتقنهم بنية ، فهو أولى مرتبة ، وأعلى متبة .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : «إن الله لا يمدد جنان الوجوه ، سود الخلق» .
ورود عليه وفد عبد القيس ، وفيه غلام وضى الوجه ، فأقده وراء ظهره ، وقال : إنما أتيت أخى داود من النظر .
وقد أكثر الشعراء في وصف الحسن ؛ فمن أحسن ذلك ما قال علي بن بسام موكّانه يصف الفتى الذى ذكره الحريرى :

(١) ديوانه ٢ : ٣٠٤ ، وفي البيت الأول بعد الثانى .

يَأْمَنُ تَسْرِبَلٌ بِالْمَلَاةِ وَارْتَدَى فَعَلَيْهِ تَمَكَّفُ الْعَيُونُ إِذَا بَدَا
 فَيَرَى هِلَالاً زَاهِراً وَيَرَى قَضِيباً نَاضِراً وَيُرَى كَثِيباً أَمْلَكَ
 إِذَا نَهَضَتْ تَرْجُجاً وَإِذَا سَفَرَتْ تَبَاجُجاً وَإِذَا مَشَتْ تَأَوَّدَا
 فَيَمُرُّ الْجَبِينُ كَتَاجٍ مَلِكُ زَانَهُ دَرَّ تَرَاهُ مَفْرَقَا وَمَنْضَدَا
 وَيَجُولُ ذَاكَ الرَّشْحُ فِي أَقْطَارِهِ كَالْيَاسَمِينِ جَرَى بِهِ قَطَرُ النَّدَى
 الْوَجْهَ قَضَى أَحَاطَ بِوَجْنَتَيْ ذَهَبٍ ، فَأَنْبَتَ عَارِضِينَ زَبْرَجَدَا
 وَفَمَّ عَقِيْقَتِي تَضَمَّنَ لَوْلَا رَطْباً وَنَظَمَ فَوْقَ ذَاكَ زُمْرَدَا
 وَلَأَبَى إِسْحَاقُ الْخَفَاجِي^(١) :

وَأَعْيَدَ أَهْدَى تَرْجِيساً مِنْ مَحَاجِرٍ وَتَقَى فَأَبْدَى سَوَسْتاً مِنْ سَوَالِفِ
 وَقَدْ مَاجَ مِنْ عِطَانِيَةِ مَاءِ شَيْبِيَةِ تَعَبَ وَلَا أَمْوَاجَ غَيْرُ الرُّوَافِفِ
 تَطْلُعُ مِثْلَ الرَّمْحِ بِسُلْطَةِ قَامَةٍ وَفُكَّةَ الْحَاطِظِ وَلَيْنَ مَمَافِفِ
 وَلَابَنُ وَكَيْعَ :

يَأْمَنُ إِذَا لَاحَتْ مُحَاسِنُ وَجْهِهِ غَفَرَتْ بِلَدَائِهَا جَمِيعَ ذُنُوبِهِ^(٢)
 إِنْ كَانَ فِي تَعَذُّبِ قَلْبِي رَاحَةٌ لَكَ فَاجْتَهِدْ بِاللهِ فِي تَعْذِيْبِهِ
 وَلَأَبَى إِسْحَاقُ الْخَفَاجِي :

يَارَبِّ وَضَّاحِ الْجَبِينِ كَأَنَّمَا رَسْمُ الْمِذَازِ بِمَنْفَحَتِهِ كِتَابُ^(٣)
 تُمَرَى بِطَلْمَتِهِ الْعَيُونُ مَلَاةٌ وَتَبَيَّتْ تَعَشَّقُ عَقْلَهُ الْأَلْبَابُ
 خَلِمَتْ^(٤) عَلَيْهِ مِنَ الْعَصَبِ غَلَاةٌ تَذْدَى وَمِنْ شَفَقِ السَّعَابِ حَابُ

(١) هو أبو إسحاق بن إبراهيم بن أبي الفتح بن خفاجة ، والآيات في ديوانه ٢٢٦ .

(٢) بيتة الفهر ٢ : ٣٤٠ ، وبمنه هناك :

النَّجْمُ يَعْلَمُ أَنَّ عَيْنِي فِي الدُّجَى مَعْقُودَةٌ بِطُلُوعِهِ وَغُرُوبِهِ

(٣) ديوانه ٣٣٧ .

ولأبي نواس :

أساء فزادته الإساءة حُطْوَةً حبيبٌ على ما كان فهو حبيبٌ
يمدُّ على الواشيان ذنوبه ومن أين للوجه الجميل ذنوبٌ !
ولأبي إسحاق الخفاجي :

تعلقته نَشْوَانٌ من خير رِيْقَةٍ له رشفها دوني، ولي دونها الشكر^(١)
ترقرق ماء مُقْلَتَيَّ ووجهه ويذكّي على قلبي ووجنته الجُرُ
أرق نسيبي فيه رِقَّةٌ حسنة فلم أدر أيُّ قبلها منها السحرُ
وطبنا مآثرا وشمرا، كأنما له منطقي نقرٌ، ولي نقره شعرُ

• • •

وَقَدْ اغْتَلَقَ شَيْخُ بُرْدْنَه، يَدْعِي أَنَّهُ فَتَكَ بَابِيهِ، وَالذَّلَامُ
مُنْكَرٌ عِرْقَتُهُ، وَيُسْكِرُ قِرْقَتُهُ، وَالْخَصَامُ يَدْنُهُمَا مُتَطَايِرُ الشَّرَارِ،
وَالزَّعَامُ عَلَيْهِمَا يَجْمَعُ بَيْنَ الْأَخْيَارِ وَالْأَشْرَارِ، إِلَى أَنْ تَرَامِنَا بَعْدَ
اشْتِطَاطِ اللَّدْدِ، بِالتَّنَافُرِ إِلَى وَالِي الْبَلَدِ، وَكَانَ مِمَّنْ يُزَلُّ بِالْمَنَاتِ،
وَيُغْلِبُ حُبُّ الْبَنِينَ عَلَى التَّنَاتِ، فَأَسْرَعَ إِلَى نَدْوَتِهِ، كَالسَّيِّكِ فِي
عَدْوَتِهِ.

• • •

قوله : « وقد اعتلق شيخ بُردنه »، أي تعلق بكه وأطراف ثوبه . فتك :
قتل ، والفتك : أن تأتي رجلا آمنا منك وتقتله، أو تكمن له في موضع لا يعرف
بك، فإذا أذاك قتلته ، ثم مُني من هجم على الأمور العظام فاسكاً ، فإذا أدخلت

رجلا منزلك أو موضعاً لا مغيث له فيه ، فقتلته فذلك الغيلة ، فإن كان رجلاً يخافك فأمنته وآنته حتى آمنك ، ثم قتلته فذلك القدر . عِرْفَتُهُ : معرفته . يُكْبِرُ : يراه امرأ كبيراً قِرْفَتُهُ : تهمة ، وقد قِرْفَتُهُ بذنب ، إذا حملته عليه وآتهمة به ، وشبهه ما يلحق كل واحد منهما من أذى صاحبه بشرر النار اشتطاط اللدَد : اشتداد الخصاص . التنافر : التعاكف . يزن بالهفات : يثهم بالقبايح ، والهفات : الدواهي والمُن والهنة من السكنايات العامة التي يكنى بها عن كل شيء ولا يقتصر بها على شيء دون شيء .

[فصل في ذكر بعض أخبار الولاية]

قوله «ويضَلُّ حبّ البنين على البنات» نذكر هنا من الولاية التهمين بهذه الهفات ما يليق بالموضع . قال أهل الأخبار : إن القاضي يحيى بن أكثم^(١) ، كان مشتهراً بحبّ الغلمان ، وإن أهل البصرة رفعوا أمره إلى المأمون قبل اتصاله به ، وقالوا فيه : إنه قد أفسد أولادهم ، وظهرت منه الفواحش ، وأنه القاتل في صفة الغلمان :

أربعةٌ تُسَقُّ الحافظهم	فعين من يشقهم ساهرة
فواحد دنياه في وجهه	مناقٍ ليست له آخرة
وآخر دنياه منقوصة	من خلفه آخرة وإفرة
وثالث فاز بكاتبهما	قد جمع الدنيا مع الآخرة
ورابعٌ قد ضاع ما بينهما	ليست له دنيا ولا آخرة

فاستغفمها المأمون وعزله عنهم .

ثم اتصل بعد ذلك يحيى بالمأمون ، وناداه ، فخرج معه في يوم عيد ، وقد ركب الجند أمامه ، ويحيى يحادثه ويضحكه ، فنظرت إلى غلام أُمُرد من أولاد

(١) انظر أخبار يحيى بن أكثم في ابن خلكان ٢ : ٧١٧ - ٧٢٤ وأخبار الفضاة لوكيع ٢ : ١٦٦ - ١٦٧ ، وتاريخ بغداد ١٤ : ٢٩١ - ٢٠٤ ، وثمار القلوب ١٥٦ ، ١٥٧

الجنود في غاية القراحة ، عليه ثوب حرير أخضر ، ودرع موشاة مزررة بالذهب . .
فالتفت إلى يحيى ، وقال له : ما تقول في هذه البصاعة ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ،
إن هذا لتبيح من إمام ، مثلك مع فقيه مثلى ، قال : فمن الذى يقول :

قاضي يرى الحدق الزناة ولا يرى على من يلوط من باس
قال : من عليه لمة الله وغضبه ، ابن أبي نعيم^(١) ، الذى يقول :
أميرنا يرشى وحاكمنا يلوط والشر بيننا راسي
قاضي يرى الحدق .. البيت ، وبعده :

لا أحسب الموت ينقضى وعلى أمة وال لآل عباس^(٢)
قال : أو صحيح هذا ؟ قال : نعم ، قال : يُنقى إلى السند ، وإنما ما زحناك ، ثم
قال المأمون في الغلام :

أيها الراكب نوباً • حرير وحديد
جئت للعيد وفى وجهك للأعين عيد
أنت جندي ولكن فيك للحسن جنود
وفى يحيى يقول ابن أبي نعيم :

يا ليت يحيى لم يلد له أكثم^(٣) ولم تظأ أرض العراق قدومه^(٤)
ألوط قاضي في البلاد نعله أى دواء لم يلقها قلته
• وأى جحر لم يلجئه أرقمه^(٥) •

(١) ديوانه ٢ : ٣٠٢ .

(٢) ديوانه ٩٨٧ .

(٣) المضاف والنسب ١٥٨ .

(٤) ذكر في المضاف والنسب بعد الأبيات : • فقال يحيى : دوايك أيها الأمير • .
(٢٥ - شرح مقامات الحريري ١)

وهذا كقول الآخر :

* يُدْخِلُ الْأَفْصَى إِلَى خَيْسِ الْأَسَدِ *

ويحيي خُرَاسَانِيَّ مِنْ مَرَوْ . وبلغ من محكمته على اللأمون أن فرض لأربعمائة غلامٍ مُزْدَ ، واختارهم حسان الوجوه يركبون لركوبه ، فقال راشد بن إسحاق :

خَلِيلٌ* انظروا متعجبين	لأخرف منظرٍ تَقْلَاهُ عَيْنِي
لفرضٍ ليس يُقْبَلُ فيه إلا	أَسِيلُ أَخْذُ حُلُوِّ الْقَلْبَيْنِ
يقودهم إلى الميحاء قاضٍ	شديدُ الطَّمَنِ بِالرَّمَحِ الرَّدَائِي
إذا شهد الوغى منهم غلامٌ	تَجَدَّلُ الْعَجِينِ وَاللَّيْدِي
وبات الشيخُ منحنياً عليه	وَصُدْغَاهُ تَحَاذِي الرُّكْبَتَيْنِ

وقال فيه :

وَكُنَّا نَرْجَى أَنْ نَرَى الْمَذْلَ يَتَنَّا فَأَعْقَبْنَاهُ بَعْدَ الرَّجَاءِ قَنَوطُ
مَتَى تَصْلُحَ الدُّنْيَا وَيَصْلُحَ أَهْلُهَا إِذَا كَانَ قَاضِي السَّلَامِينَ يُلُوطُ

* * *

وكان القاضي أبو القاسم علي بن محمد التنوخي^(١) مولماً بالفلسان ، وكان له غلام اسمه نسيم ، في نهاية من الحسن ، وكان يؤثره على سائر غلمانه ، ويخصه بتفريبه واستجدانه ، فكتب إليه بعض من يأنس به :

هَلْ عَلَى مَرْجٍ لَامُهُ مَدْعَةٌ لَاضْطِرَارُ الشَّعْرِ فِي مِيمِ نَسِيمٍ

فوقع تحت البيت : نعم ، ولم لا !^(٢)

وسند ذكر من شعره في هذه القامة ما يستلح .

(١) انظر أخبار تاريخ بغداد ١٢ : ٧٧ ، وابن خلكان ١ : ٣٥٣ .

(٢) الخبر في معجم الأدباء ١٤ : ١٦٦ .

ومن كان يميل إلى الغلمان من الأمراء أبو المثنى الحمداني^(١) الذي يقول
فيه المتنبي :

فيا بحرَ البحُور ولا أُرَى وياملكَ الملوك ولا أحاشي^(٢)
كأنك ناظرٌ في كلِّ قلبٍ فما يخفى عليك محلُّ غاشٍ

وقال بعض الرواة : دخلت على أبي المثنى أعوده من علة ، قلت : ما
يجد الأمير ؟ فأشار إلى غلام قائم بين يديه ، كأن رضوان قد غفل عنه فأبى من
الجنة ، ثم أنشأ يقول :

أستقم هذا الغلامُ جسي بما يعنيهِ من سقام^(٣)
فتورُ عينيه من دلالٍ أهدي فتوراً إلى عظامي
وامتزجت روحه بروحي تمازجَ الماء بالدم

ولأبي المثنى :

سطا علينا سَمَنٌ حازَ الجال سَطاً - ظلي من الجنة الفردوس قد هبطاً
له عذاران قد خطأ بوجنتيه فاستوقفا فوق خديه وما انبسطاً
وظلٌ يخطو فكلُّ قال من شَفَفٍ : ياليتَه في سواد الناظرين خطاً !

ومع هذا الميل ، كان تزيه النفس ، رفيع الهمة ، سليم الناحية ، وكان في
الجلود غاية ، وفي الشجاعة نهاية ، وفي الشعر آية . وإذا كان المتنبي الذي هو
أشعرُ الناس عند الأكرية ، يقول حين عوتب في آخر أيامه على فتور شعره :
قد تجوزت في شعري ، وأعفيت طبعي ، واغتنمت الراحة ، مذ فارقت آل
حمدان ، ومنهم الذي يقول - يعني أبا المثنى :

(١) انظر أخبار أبي المثنى في بنية الدهر ١ : ٧١ - ٧٥ .

(٢) ديوانه : ٢١١ .

(٣) بنية الدهر ١ : ٧٢ :

أُخَا الفَوَارِسِ لَو رَأَيْتَ مَوَاقِي وَالخَيْلَ مِنْ تَحْتَ الْأَسْنَةِ تَنْحَطُ^(١)
 لَقَرَأْتَ مِنْهَا مَا تَخْطُ بِدِ الْوَعَى وَالْبَيْضَ تُشَكِّلُ وَالْأَسْنَةَ تَنْقُطُ
 فَهَكَذَا تَسْتَعَارُ لِلْعَانِي الْبَدِيعَةُ فِي الْأَلْفَاظِ الرَّفِيعَةِ ؛ فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ يُكْنَى عَلَيْهِ .
 التَّنْبِيْهُ هَذَا الثَّنَاءُ !

وَمَنْ وَصَفَ غُلَامًا فَاحْسَنَ ، الْأَمِيرَ تَمِيمَ بْنَ الْمُعَزِّ صَاحِبَ مِصْرَ ، حَيْثُ يَقُولُ :
 وَبَاتَ ضَجِيجِي مِنْهُ أَهْيَفُ نَاعِمٍ وَأُدْعِجُ وَسْتَانٌ وَأَلْسُ أَشْنَبُ^(٢)
 كَأَنَّ الدَّجَى مِنْ لَوْنِ صُدُغِيهِ طَالِحٍ
 وَشَمْسُ الضُّحَى فِي صَحْنِ خَدَّيْهِ تَقْرُبُ
 وَقَالَ أَيْضًا :

يَا لَيْلَةً بَاتَ فِيهَا الْبَدْرُ مَعْتَنِقِي وَكَانَتِ الشَّمْسُ فِيهَا بَعْضَ جِلَاسِي^(٣)
 وَبَتْ مُسْتَفْنِيًا بِالْغَمْرِ عَنْ قَدَحِي وَبِالْخُلُودِ عَنِ التَّفَاحِ وَالْأَسِي
 وَقَالَ أَيْضًا :

وَرَدُّ الْخُلُودِ أَرْقُ مِنْ وَرَدِّ الرِّيَاضِ وَأَنْعَمُ^(٤)
 هَذَا تَنْكِشُهُ الْأَثَوُ فُ وَذَا يَقْبَلُهُ الْفَمُ
 فَإِذَا عَدَلَتْ فَأَفْضَلُ الْـ وَرَدِّينَ وَرَدُّ يُلْسَمُ
 قَوْلُهُ : « قَدَوْتُهُ » ، أَيْ مَجَلَسُهُ .

[ذَكَرَ الشُّكَيْكُ بْنُ السُّلَكَةِ]

وَالسُّلَيْكُ ، هُوَ ابْنُ السُّلَاكَةِ ، مَعْرُوفٌ بِأُمِّهِ ، وَكَانَتْ أُمُّهُ سَوَادًا شَدِيدَةً :

(١) بَيْتِيَّةُ الدَّهْرِ ١ : ٧١

(٢) دِيْوَانُهُ ٤٠٤ ، ٤١٤ . الْفَسُّ : سَوَادٌ مُسْتَحْسَنٌ فِي الثَّقَةِ . وَالتَّغْبِي : رَقَّةٌ وَعَذُوبَةٌ وَبَرْدٌ
 فِي الْأَسْنَانِ .

(٤) دِيْوَانُهُ ٣٨٦ .

(٣) دِيْوَانُهُ ٢٥٠ .

السواد ، وكان هو أسود ، وأبوه عمرو بن سنان بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم السعدى التميمى .

وكان يسبق الخليل على رجليه ، وكان من العدائين ومن رجلى العرب - وهم الذين يسمون على أقدامهم ، ويسبقون الخليل ، فيستغنون بأرجلهم عنها - وكان من أشجع الناس ، وكان لا يُغيرُ إلاَّ وحده ، وكان يقال له : الرئبال :

وسأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمرو بن معد يكرب ، فقال : أى العرب كان أبغضَ لك أن تلقاه ؟ فقال : أما من معد فعدى بن قزارة ومرة بن ذبيان وكلاب بن عامر وشيبان بن بكر وشق بن عبد القيس والأرقام من تغلب ، ثم لو جئت بفرسى على مياه سعد ماخضت هنيج أحدي ، ما لم يلقى حرأها أو عبداها ، قال : أما حرأها فعامر بن الطفيل وعُتبية بن الحارث بن شهاب ، وأما عبداها فعترة الفوارس وسليك المقانب .

وأما عدوته المذكورة ، فيقال : إنه أحاط به عدوه فنزا نزوة عُدَّ فيها أربعاً وعشرون خطوة ، وعُدَّ أيضاً فى نزوة للشنفرى إحدى وعشرون خطوة .

يُقال فى التل : أعدى من الشنفرى ، وأعدى من السليك .

فأما الشنفرى فإنه أغار على بجيلة مع تأبط شرأ وعمرو بن براق ، فوجدتهم بجيلة على الماء ، فقال تأبط شرأ : إنَّ بالماء رصداً ، فقالا : ليس عليه أحد ، ولا بدَّ من وروده ، فورد الشنفرى ثم عمرو ، فقال تأبط شرأ : القوم إنما يريدونى ، فلذلك لم يمرضوا لكما ، وإذا وردتُ أنا الماء فيشدون على ، ويأسرونى ، فاذهب يا شنفرى ، كأنك تهرب ، وكن فى أصل ذلك القرن ، فإذا سمعتنى أقول : خذوا خذوا ، فقال فاطقتى ، وقال عمرو : إني سأمرُك أن تستأسر لهم ، فلا تبعد ، ولا تمكنهم من نفسك . ثم ورد الماء ، فشذوا عليه ، وكتفوه ، وفملا

ما أمرها ، فقال : تأبط شرّاً : يامعشر بجيلة ، هل لكم في أن تيسروا فداءنا ،
ونستأسر لكم ابن براق ؟ قالوا : نعم . فقال ياعمرو : هل لك في أن تستأثروا بياكسرونا
في الفداء ؟ قال : حتى أروضَ نفسي شوطاً أو شوطين ، فجري الأول كالريح ،
والثاني كالخيل ، ثم أراد أن يجري ثالثاً ، فجعل يقع ويقوم فشلاً ؛ يُطمعهم بذلك ،
فقال لهم تأبط شرّاً : خذوا خذوا ، فأسرعوا إليه بأجمعهم ، وهوى الشنفري
كالريح قطع وثاقه ، ثم أحضروا ثلاثهم ، فنجوا ، فقال تأبط شرّاً من قصيدة :
ليلة صاحوا وأغروا بني سراعمهم^(١) بالعيككة بن لذي عمرو بن براق^(٢)
لا شيء أسرع مني غير ذي عذير^(٣) أودى جناح بجانب الريد خفاق^(٤)
فالثلاثة عداؤون ، والمثل مقصور على الشنفري .

وأما السليك ، فرأته طلائع جيش لبكر بن وائل ، جاءوا مجردين ليغيروا على
تميم ، فقالوا : إن عام السليك بنا أنذر قومه ، فبعثوا إليه فارسين على جوادين ،
فلما صالحاه خرج يحص^(٥) كأنه ظبي ، فطاردها يوماً أجمع ، ثم قال : إذا كان
الليل أعياناً أخذته ، ووجدنا أثر بوله قد خد^(٦) في الأرض ، فقالا : قاتله الله أما
أشدّ منه ! فتبعاه لياتهما : فلما أصبحا وجداه قد عثر بأصل شجرة ، فنذر^(٧) منها
ككان قدمه ، وسقطت قوسه في جريه فانخطمت ، فوجدوا قطعه منها قد ارتزت^(٨)
بالأرض ، فقالا : ما بعد هذا شيء ، والله لا تبعناه بعد هذا . ومّر السليك إلى
أهله ، فأنذرهم ، فكذبوه لبعد الفاية ، فقال :

(١) من قصيدة مفضلية ٢٧ - ٣١ ، مطلبها :

يا عبيد مالك من شوقي وإيراق^(١) ومّر طيف على الأهوال طراق^(٢)

والبيكان : موضع ، ورواية المفضليات : « معنى ابن براق » ، ومعنى مصدر سمي من
هذا يبدو .

(٢) للمز : جمع عنزة ، وهي ما قبل من شعر الناصية على وجه الفرس . والريد :
الشراخ الأعلى من الجبل ، يقول : لا شيء أسرع مني إلا الفرس ، وإلا الطائر الجارح
التي يأوى إلى الجبل .

(٣) يحص : يسرع (٤) خد في الأرض : شقها .

(٥) ندرت : سقطت . (٦) ارتزت : أثبتت .

يَكْذِبُ بَنِي الْعَمْرَانِ : عمرو بن جندب وعمر بن سعد والمكذب الكذب^(١)
 نَكَلْتَكُمَا إِنْ لَمْ أَكُنْ قَدْ رَأَيْتُهَا كَرَادِيسَ يَهْدِيهَا إِلَى الْحَيِّ مَوَكِبُ
 كَرَادِيسَ فِيهَا الْخَوْفَ زَانٌ وَحَوْلَهُ فَوَارِسَ هَمَامٍ مَتَى يَدْعُ بَرَكَبُوا
 فصدقه قوم ، فنجوا ، وكذب به آخرون ، فورد عليهم الجيش فاكنتسحهم .
 ومن شعر السايك يرثي فرسه — وكان يقال لها النحام — وأنشدها
 المبرد في باب التشبيه من الكامل :

كَأَنَّ قَوَائِمَ النَّحَامِ كَمَا تَحْمَلُ صُحْبَتِي أَصْلًا مَحَارُ^(٢)
 عَلَى قَرْنَمَاءَ عَالِيَةٍ شَوَاهُ كَأَنَّ بَيَاضَ غَرَّتِهِ خِجَارُ^(٣)
 وَمَا يُذَرِّبُكَ مَا قَرَّرَى إِلَيْهِ إِذَا مَا الْقَوْمُ وَلَوْ أَوْ أَعَارُوا^(٤)
 وَيُخْفِرُ فَوْقَ جُهْدِ الْخَضِرِ نَصًّا بِصَيْدِكَ ذِيلاً وَالْمَخْرَارُ^(٥)

أى بصيدك . وناقلا : ثانيا ، ورار : ذائب من الهزال ؛ وحكاية الشليلك
 من أبي عبيدة ، وحكاية الشنفرى عنه وعن الشيباني ؛ وكلتاها على اختصار .
 ونزل على جماعة من كنانة ضيقاً ، فأكرموه ، وجمعوا له إبلاً كثيرة ،
 وأعطوه إياها ، وكان قد كبر وشاخ ، وذهبت قوته ، وانتقص علوه ، فقالوا
 له : إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَرَيْنَا مَا بَقِيَ مِنْ عَدْوِكَ ! قَالَ : نَعَمْ ، ابْتُؤَالِي أَرْبَعِينَ شَابَاً ،

(١) الأغاني ٢٠ : ٣٥٣ (طبعة بيروت)

(٢) الكامل ٣ : ٣ : ٦٩ ، قال في شرح هذا البيت : المحار : الصدفة ، يريد الملاسة
 وأنه قد ارتفعت قوائمه للموت . والأصل : جمع أصيل ، والأصيل : الصق .

(٣) قال أبو العباس : قرماء ، ممدودة : اسم موضع : وشواه : قوائمه .

(٤) قال أبو العباس : ولوا أو أعاروا ؛ إذا طلبوا أو مربوا .

(٥) قوله . بصيدك ، أى بصيدك ، يقال : صدتك طيما ، قال الله عز وجل :

﴿ وَإِذَا كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ يُخِيرُونَ ﴾ .

وأَتُونِي بِدِرْعٍ ثَقِيلَةٍ عَظِيمَةٍ ، فَأَتَوْا بِهَا وَاخْتَارُوا مِنْ شَبَابِهِمْ أَرْبَعِينَ أَقْوِيَاءَ .
عَدَاثِينَ ، فَلَبَسَ سُلَيْكُ الدَّرْعَ ، ثُمَّ قَالَ لِلشَّبَابِ : الْحَقُونِي ، ثُمَّ عَدَا عَدْوًا وَسَطًا ،
وَعَدَا الشَّبَابُ وَرَاءَهُ جَهْدَهُمْ ، فَلَمْ يَلْحَقُوهُ حَتَّى غَابَ عَنْهُمْ ، ثُمَّ كَرَّرَ رَاجِعًا حَتَّى عَادَ
إِلَى الْقَوْمِ وَحْدَهُ يَحْطِرُ ، وَالدَّرْعَ عَلَيْهِ ، وَسَبَقَ الشَّبَابُ .

وَخَرَجَ فِي لَيْلَةٍ مَقْمَرَةً يَطْلُبُ الْإِغَارَةَ ، فَغَلَبَ عَلَيْهِ النَّوْمُ آخِرَ اللَّيْلِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ
مَلْتَفٌ بِكِسَاءٍ ، جَمَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِثْلُهُ ، شَدِيدُ الْبَاسِ ، عَظِيمُ الْقُوَّةِ ، وَأَمْسَكَ عَلَى
بَدْيِهِ ، وَمَنَعَهُ التَّحَرُّكَ ، وَجَعَلَ يَلْزِمُهُ وَيُؤْذِيهِ ، وَيَقُولُ لَهُ : اسْتَأَسِرْ يَا خَيْثُ ،
فَاجْتَهَدَ سُلَيْكُ حَتَّى خَلَصَ إِحْدَى بَدْيَيْهِ ، فَضَمَّ الرَّجُلُ إِلَيْهِ كَفَّهُ ، وَعَصَرَهُ عَصْرَةً ،
فَضَرَطَ ، فَقَالَ لَهُ : أَضْرِطًّا وَأَنْتَ الْأَعْلَى ^(١) ! فَأَرْسَلَهَا مِثْلًا ، فَلَمَّا تَخَلَّصَ مِنْهُ ،
قَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا رَجُلٌ افْتَقَرْتُ فَقُلْتُ : لِأَخْرِجَنِّ وَلَا أَرْجِعَ إِلَى
أَهْلِي حَتَّى آتِيَهُمْ وَأَنَا غَنِيٌّ . فَقَالَ لَهُ السُّلَيْكُ : انْطَلِقْ مَعِيَ ، فَانْطَلَقَا فَوَجَدَا ثَالِثًا ،
قِصَّتُهُ قِصَّتُهُمَا ، فَاصْطَحَبُوا حَتَّى أَتَوْا وَادِيًا لِمُرَادَ ، فَلَمَّا أَشْرَفُوا عَلَيْهِ إِذَا فِيهِ نَعَمٌ ،
قَدْ مَلَأَ نَوَاحِيَهُ مِنْ كَثْرَتِهِ ، فَقَالَ لَهَا السُّلَيْكُ : كُونَا قَرِيبًا مِنِّي حَتَّى آتِيَ الرَّعَاءُ ،
فَأَلَمْ عِلْمُ الْحَيِّ : أَهْوَ قَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ ؟ فَإِنْ كَانَ قَرِيبًا رَجَعْتُ ، وَإِنْ كَانَ بَعِيدًا
أَوْحَيْتُ إِلَيْكُمَا بِقَوْلِي فَأَغِيرَا . فَأَتَى الرَّعَاءُ فَاسْتَخْبَرَهُمْ عَنِ الْحَيِّ ، فَأَخْبَرُوهُ
بِعِدِّ الْحَيِّ ، وَأَنَّهُمْ إِنْ طَلَبُوا لَمْ يَدْرِكُوا ، فَقَالَ لِلرَّعَاءِ : أَلَا أَغْنِيكُمْ ؟ قَالُوا :
بَلَى ، فَرَفَعَ صَوْتَهُ فَفَتَى :

يَا صَاحِبِي أَلَا لَا حَيَّ فِي الْوَادِي سِوَى عَيْبِدٍ وَأَمٍّ بَيْنَ أَذْوَادٍ ^(٢)
أَتَنْظُرَانِ قَسْرِيًّا رِيثَ غَفَاتِهِمْ أَمْ تَنْدَوَانِ فِئْنَ الرِّيحِ لِلْعَادِي !
فَلَمَّا سَمِعَا ذَلِكَ أَتِيَاهُ ، وَطَرَدُوا الْإِبِلَ فَذَهَبُوا بِهَا ، وَلَمْ يَلْبِغِ الصَّرِيخُ الْحَيَّ ،
حَتَّى فَأَتُوا بِالْإِبِلِ ^(٣) .

(١) اللَّيْدَانِ ١ ٤٢٠ ، هَجْرَةَ الْأَمْتَالِ ١ : ١٣٠

(٢) الرِّجْعُ هُنَا : الْقُوَّةُ

(٣) الشَّعْرُ وَالشُّعْرَاءُ - ٣٢٥ ، ٣٢٦ .

قال ابن الأعرابي : آم مقلوب آيم ، وهم العزَاب ، جمع أمة^(١) .
 وكان السليك من أدل الناس بالأرض وأعلمهم بمسالكها ، وكان يستودع
 نلاء ببيض النعام في الشتاء ، ويدفنه في اللقازز العظيمة ، فإذا كان الصيف
 وانقطعت إغارة الخيل أغار على ربيعة ، وشرب من ذلك الماء . وكان يقول :
 اللهم إني أعوذ بك من الخيبة ، وأما الهيبة فلا هيبة .

قوله : «عِدْوَتُهُ» ، العِدْوَةُ بالكسر : الحالة ، وبالفتح المرة الواحدة ، فريد
 الحريري أن إسراعها إلى الوالي كان كعدوة السليك .

فَلَمَّا حَضَرَاهُ ، جَدَّدَ الشَّيْخُ دَعْوَاهُ ، وَاسْتَدْعَى عَدُوَّاهُ ، فَاسْتَنْطَقَ
 الْغَلَامَ وَقَدْ فَتَنَّهُ بِمَحَاسِنِ غُرَّتِهِ ، وَطَرَّ عَقْلَهُ بِتَضْفِيفِ طُرَّتِهِ ، فَقَالَ :
 إِنَّمَا أَرِيكَ أَفَّاكَ ، قُلْ غَيْرَ سَفَّاكَ ؛ وَعَضِيهَةٌ مُحْتَالٍ ، عَلَى مَنْ لَبَسَ
 بِمُتَّحَالٍ . فقال الوالي للشيخ : إنَّ شَهِدَ لَكَ عَدْلَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ،
 وَإِلَّا فَاسْتَوْفِ مِنْهُ الْيَمِينَ . فقال الشيخ : إِنَّهُ جَدَّلُهُ خَاسِيًا ،
 وَأَفَّاخَ دَمَهُ خَالِيًا ، فَأَتَى لِي شَهِيدٌ ، وَلَمْ يَكُنْ تَمَّ مُشَاهِدًا وَلَكِنْ
 وَلِّيَ تَلْقِينَهُ الْيَمِينَ ، لَيِّينَ لَكَ : أَيُصَدِّقُ أَمْ يَمِينُ ؟ فقال له : أَنْتَ
 الْمَالِكُ لِذَلِكَ ؛ مَعَ وَجْدِكَ الْمَتَّهَالِكِ ، عَلَى ابْنِكَ الْمَالِكِ !

واستدعى عدواه ، أي طلب إغاثته وأعداه الحاكم : أغاثته . استنطق :
 أمره أن ينطق ، وقد بين سر هذا الاستنطاق في الرابعة والثلاثين عند شراء الغلام .

قال : « ثم استنطقته عن اسمه ، لا لرغبة في علمه ، بل لأنظر أين فصاحته من صباحته ، وكيف لمجته من بهجته ^(١) . وكذلك لم يُرد الوالى أن يستنطقه ليقول حجته ؛ بل ليعلم حلاوته من صورته التى فتنته . وقد ذكرنا أن فائدة الحسن إنما تدور على اللسان .

[إبراهيم النظام وبعض أخباره وشعره]

وهذا الاستنطاق هو الذى ذهب إبراهيم بن سيار النظام ، الذى هو إمام فى علم الكلام إلى علاقة غلام ؛ وذلك أنه تقيّ غلاماً جميل الوجه ، مقبول الصورة ، فاستحسنه ، وتصور فيه الصورة الباطنة المناسبة لخلفته الظاهرة ، فقال له : يا غلام ، إنه لولا ما سبق من قول الحكماء ، لما جعلوا السبيل لثلى إلى مثلك . بقولهم : لا يبنى لأحد أن يصغر عن أن يقول ، ولا أن يكبر عن أن يقال له ، أما أنستُ إلى مخاطبتك ، ولا انشرح صدرى إلى محادثتك ، لكنه سبب الإخاء وعقد المودة ، ومحلك من قلبى محل الروح من جسد الجبان ، فقال له الغلام - وهو لا يعرفه : لئن قلت ذلك أيُّها الرجل ، لقد قال أستاذنا إبراهيم بن سيار النظام : الطباع تجاذب ما شاكلها بالجنانسة ، وتميل إلى ما قارنها بالمواقفة ، وكيانى مائل إلى كيائك بكأيتى ؛ ولو كان الذى انطوى عليه لك عرضاً لم أعتد به ودّاً ، ولكنه جوهر جسى ، فبقاؤه ببقاء النفس ، وعدمه بعدمها ، وأقول كما قال المذلى :

فتبني أنى بكم كلفٌ ثم اصنعى ما شئت عن علمٍ ^(٢)

فقال له النظام : إنما كلمتك بما سمعت ، وأنت عندى حسن الصورة غلام ، ولولا أن محلك محل مقيم ما تعرضت لك ، ثم اعتلقت النظام به ، وقال فيه جرباً على علمه :

(١) متن القامات ص ٢٧٣ (طبع الحسينية) .

(٢) ديوان الهذيلين ٩٧٣ ، ونسب إلى أبى صخر (طبعة مدنى) .

توهمه طرفى فآلم خدّه فصار مكان الوهم من نظرى أتر^(١)
وصاغه كنى فآلم كنه فن لم كنى فى أنامله عتر^(٢)
ومر بفسرى خاطراً فخرته ولم أر خلقاً قط يحجره الفكر^(٣)
وقال فيه أيضا :

وإذ تأمل فى الزجاجة ظله جرحته لحظة مقلة الظل
وقال فيه أيضا :

أفرغ من نوز سماوى مصوّر فى جسم إنسى
وافتر الحسن إلى حسنه فجل عن تحديد كفى
وقال فيه :

يا مشرقاً ملاً العيو ن فلهظها ما يستل^(٤)
أوفى على شمس الضحى حتى كآب الشمس ظل
أتريد قتلى عامداً ولقتل مثلى ما يحل !

فصرف فى شعره من صناعته ، وأبدع فى تخيله بيراعته .

قوله : « غرته » ، أى وجهه . طرّ ، أى قطع وأذهب . تصفيف طرّته : شعره .
المعتدل على جبهته . أفيكة أفاك : كذبة كذاب . سفاك : قتال . عضيه : بهتان .
وباطل . مغتال : قاتل النيلة . استوف : استكمل . جدله : صرعه وألقاه على

(١) أمالى المرتضى ١ : ١٨٨

(٢) بدمق أمالى المرتضى :

يمرّ فمن لين وحسن تعطف يقال به سكر وليس به سكر

(٣) ديوان الماتى ١ : ٢٣١

الجدالة ، وهي الأرض : خاسياً : متباعداً ممنوع الكلام ، كأنه قهره ومنعه أن يصبح عند قتله ، ولذلك لم يجد عليه شاهداً ، وأصله الهزلة فستبته ليوافق « خالياً » إن أخذته من خسات السكلب ، وإن أخذته من خسي البصر إذا كل ، فلا تسهيل فيه ، ومعناه قريب من الأول ، أى أنه أضعفه بالضرب حتى لم يستطع الكلام ثم قتله . أفاح دمه ، بجاء مهملة : أراقه . قال أبو زيد في نوادره : أفحت دمه ففاح فيتحا وفيحانا ، وأنشد :

نحن قتلنا الملك الجعججاً ولم ندع لسارح مراحاً
* إلا دباراً أو دما مفاًحاً *

وقال أبو حاتم : أراد : ودما مفاحاً أى مهراقاً . خالياً : بمعنى « منفرداً » . أنى ، بمعنى كيف . مُشاهد : من شاهد حاله وحضر عليها . ولئى : مكثى . تلقينه : تفيئته وإلقاءه عليه . يمين : يكذب . وجدك : حزنك . التهالك : الكثير التفاوت ، وتهالكت المرأة عليه : تراخت عليه ، وتكاسلت ، قال الأعشى ^(١) :
تهالك حتى ينكر المرء عقله وتُسبى الحكيم ذا الحجبى بالقتل ^(٢)

فقال الشيخ للفلام : قل : والذي زين الجباء بالطرير ،
والعيون بالطور ، والحواجب بالبلج ، والمباسم بالفلج ،
والجفون بالسقم ، والأنوف بالشمم ، والحدود بالآهب ، والنور
بالشئب ، والبنان بالترف ، والخصور بالهيف ، إنني ما قتلت أبك

(١) اللسان - فيج ، ونسبه إلى ابن حرب بن عقيل .

(٢) ديوان الأعشى ٣٥٣

(٣) الديوان : « حتى ينكر المرء عقله » . وتهالكت المرأة في مشيها : تعابت .

سَهْوًا وَلَا عَمْدًا، وَلَا جَمَلْتُ هَامَتُهُ لِسِنِّي عَمْدًا ، وَإِلَّا فَرَمَى اللَّهُ
جَفَنِي بِالْعَمَشِ ، وَخَذَنِي بِالنَّمَشِ ، وَطَرَّتِي بِالْجَلَخِ ، وَطَلَعِي بِالْبَلَعِ ،
وَوَرَدَتِي بِالْبَهَارِ ، وَمَسَكَنِي بِالْبُخَارِ ، وَبَذَرِي بِالْحِقَاقِ ، وَفِضَّتِي
بِالْأَحْتِرَاقِ ، وَشُعَاعِي بِالْإِظْلَامِ ، وَدَوَاتِي بِالْأَقْلَامِ .

° ° °

قوله : « الذي زين الجباه بالطرر ... » ، إلى آخره يمينه ، إنما ذكر صفات
الحسن شيئاً بعد شيء ، ليُرى هذا الوالى كال الغلام ، فيشتد حبه فيه ، فإذا ذكر صفة
من صفاته تبه الوالى بذكرها على النظر إليها ، فوجدناها كما يصف ، فهو الآن فى
هذه اليمين يحلو محاسن الغلام عليه .

الطرر : جمع طرة ، وهى اعتدال الشعر على الجبهة ، والطرة عندم أن يقطع
للجارية من مقدم ناصيتها حتى لا يبلغ الشعر حاجبيها ، فيبقى ما بين شعر
ناصيتها وحاجبيها من جبهتها نقياً ، والشعر عليها معتدل ، كطرة الثوب ثم نسي ..
الشعور الحسن طرراً .

أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ثلاث فائتات : الشعر
الحسن ، والوجه الحسن ، والصوت الحسن » .

عائشة رضى الله عنها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ملائكة السماء
يستبحون بذوائب النساء وبلحى الرجال ، فيقولون : سبحان الذى زين الرجال
باللهى ، والنساء بالدوائب » .

قال صلى الله عليه وسلم : « إذا أراد أحدكم أن يتزوج المرأة فليأل عن
شعرها كما يأل عن وجهها » .

قالوا : الشعر الحسن يزيد الوجه حسناً وجمالاً ، وقال ابن صارة^(١) - وكأنه
وصف طرة هذا الغلام - يصف بها أبا الفضل بن الأعم ، وكان من أجمل الناس
وأذكهم^(٢) في علم النحو والأدب ، وقرأ النحو قبل أن يلتحق ، فقال فيه :

أكرم بنعمته اللبيب فإنه ما زال يوضح مُشْكِلَ «الإيضاح»^(٣)
ماء الجلال بخدّه متفرقاً فالعين منه تجول في صَحْضَاحٍ^(٤)
ما خدّه جرحته عيني ، إنمّا صَبَّفت غِلَالَتَه دِمَاءَه جِرَاحِي
لله زأى زبرجد في عجدٍ في جوهر في كَوْنٍ في رَاحِ
ذى طُرّة سَبْجِيّة ذى غمرة عاجية كالليل والإضباح
وشأله خدّ البرى ولحظه أبداً شريك الموت في الأرواح

* * *

[مما قيل في أنواع الحسن والجمال]

ونذكر بعد هذا الحوَر في العيين ، وهو شدة بياض البياض وسواد الكحل ،
وكل ذلك عندهم مدوح . وقد أكثر الشعراء من وصف ذلك حتى لو تركنا
ذكره لشهرته لكان لنا فيه عذر ، على أننا نلّم ببعض ما قيل في ذلك ، وأما
ما يزهّد فيه من ذلك ، ويقلّ ذكره في أشعارهم فالزُرَق ؛ على أنه قد جاء في حديث
عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «الزُرَق في العيين يُمن» .

(١) ط : وصارمة ، ، مصحف . (٢) فتح الطيب : «وَأَذْكَام» .

(٣) فتح الطيب ٥ : ٢١٣ ، ٢١٤ ، وكتاب الإيضاح في النحو لأبي علّ الفارسي .

(٤) الضحاح : الماء القليل .

وقال معاوية لصغار العبدى : إنك أحر ، قال : والذهب أحر ، قال :
إنك لأزرق ، قال : والبازى أزرق .

ولبعض أصحابنا :

أحبك أن قالوا بعينيك زُرْقَةً كذاك عتاف الطير زُرْق عيونها

وقال الصنوبرى :

قالوا به زُرْقَةٌ ، قلت لهم بذاك تمت خصاله البهجة^(١)
ما كحل العين مثل زُرْقها كم بين ياقوتة إلى سبجته!

وقال آخر :

ما مثلُ ذا الظبي في الطباء الأزرق الأزرق القباء
يجول في مقلتيه طرفي في زُرْقَة للساد والسماء
يا أبى الشتر ما عليهم من ذلك النور والبهاء
شُقرَةٌ شمس على مياض شماع شمس على هواء

وكل هذا اعتذار جاء على وفق مدح سواد الألوان ، لسواد الألوان في
التاسعة فصل مستطرف قف عليه .

واختلفوا في الحور ، فقال أبو عبيدة : الحوراء : الشديدة بياض بياض العين
في شدة سواد سوادها .

وقال أبو عمرو : الظبية الحوراء : السوداء العين التى ليس في عينها بياض ،
ولا يكون هذا في الإنس إنما يكون في الوحوش .

وقال يعقوب : الحور سعة العين وكبر المقلة وكثرة البياض .

وقال قطرب : الحوراء : الحسنات المحاجر ، صغرت العين أم كبرت .

واشتاق « ح و ر » يدل على صحة قول يعقوب وأبي عبيدة ؛ لأنهم إنما يوقعونه في العالب على البياض مثل الدقيق الحوراء للدرمك الشديد البياض ونحوه ، ولما يتفق شدة بياض العين إلا مع شدة سوادها ، ألا ترى أن بياضها مع الزرق ليس هناك في النقاء ، وقال القاضي التبوخي في أحور :

حورٌ بعينه أطال تحيُّري ترك الدموع بخدِّي التمتعِ^(١)
غصنٌ تأوَّد فوق غُصْنٍ من نَقَا ليل تبلِّح عن نهارٍ مُسْفِرٍ
كالشَّمْسِ إلا أنه متنَفِّس عن مسكَّةٍ متبسِّمٍ عن جوهرٍ

والتَّلَج : أن يكون ما بين الحاجبين نقياً من الشعر ، وهو من علامات السيادة عند العرب ، ويُمدَّح به ويُتَمَنَّى بصاحبه ، ويُتَظَرَّبُ بمقرون الحاجبين ؛ ويقال : أبلج وأبلد ، وهى البلجة والبلدة ، قال كثير :

جميلٌ الحَيَّا أبلجُ الوجه واضحٌ حلِيمٌ إذا ما زلزلته الزُّلَّالُ
الفَاج : أن يكون بين منابت الأسنان تباعد ، وقد فاج ثنره فلجاً ، وهو مستحبٌ في الثغر . قال وجيه الدولة : وهو مما يليق بهذا الموضع لذكره أوصافاً .
ذكرها الحريري رحمه الله هنا :

إذا عدم الرُّوضَ المنورَ ناظري أرائيه ظبيٌّ فاطر الطُّرفِ أدعجُ
فصدُّغاه رِيحاني وعيناةَ رَجْسي ومن ثنره لى أقحوان مفججُ
وواحرَ بآ من حسن وردٍ بخدَّه يُطيف به من عارضيه بنفسجُ

(١) الأبيات في بنية الدهر ٢ : ٣١٨ .

(٢) يمدد في القيمة :

وأطال من لى وقصر ليله ألى سهرت وأنه لم يسهر

الجنون : أذعية العيون ، ثم تسمى العين جفنًا مجازاً .

والسقم : فتور العين ، ومن حسن التشبيه في ذلك قول أبي نواس :

فطبَّ بحدب من نديم مساعدٍ وساقية بين الزاهق والحلم^(١)
ضيفة كثر الطرف تخيبُ أنها قريبة عهد بالإفاقة من سُقمٍ
وقال أيضاً :

وشادن قال لي أنا رأى سقمي

وضعف جسمي والدَّمع الذي انسجماً

أخذتَ دمعك من لعلي ، وجسمك من

خصري ، وسُقمك من طرفي الذي سَقَمًا

وقال ابن الرومي :

قلبي من الطرف السقيم سقيم لو أن من أشكو إليه رقيم

وقال ابن الرقاق :

ومقلَّ شادنٍ أودتَ بحسبي كأنَّ الثَّمَمَ لي ولها لباس^(٢)

يسلَّ اللحظ منها مشرئباً لقتلي ثم يذو — دمه النّحاسُ

ولأبي العلاء بن زهر في مثل ذلك :

يا راشقي بسهامِ ما لها غرضُ إلا قوادِي وما منها له عِوضُ

(١) ديوانه ٣٢ ، حاشية ابن الجعري ١٩٥ ، وذكر البيت الثاني وبمعه :

تفوتق مالي من طريف وتاليد تفوتق الصبياء من حلب الكرم

قال : قوله « تفوتق مالي » هو من الفواتق ؛ وهو ما بين الحلبتين .

(٢) ديوانه ١٩٠

وَمَرْضَى بِجَفُونِ كُلِّهَا سَقَمٌ صَحَّتْ وَفِي طَبْعِهَا التَّرِيضُ وَالْمَرْضُ
أَمِنَ وَلَوْ بِخَيَالٍ مِنْكَ يُؤْنِسُنِي قَدْ يَدَّ مَسَدَ الْجَوْهَرِ الْقَرَضُ

الشم : ارتفاع في لين الأنف ، وهو من علامات الجمال والسودر ،
قال الفرزدق :

بِسَكْنِهِ خَيْرُ رَأَى رِيحُهُ عَبَقٌ مِنْ كَفِّ أَرْوَغٍ فِي عَرْنِينِهِ شَمٌ^(١)
يُعْضِي حَيَاءً وَيُبْقِضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَلَا يَكَلُمُ إِلَّا حِينَ يَنْسَمُ
وقال آخر :

فِي بَاعِهِ طَوْلٌ وَفِي وَجْهِهِ نُورٌ وَفِي الْعَرْنِينِ مِنْهُ شَمٌ
وقال النابغة^(٢) :

• شَمُ الْعَرَانِينِ ضَرَابُونَ لِلْهَامِ •

اللمب : اشتعال النار بغير دخان ، فشبّه الحمرة في الخلد وضياؤه بحمرة النار ،
بكى به أبو لوب الجاهل .

وقال ابن وكيع : لجمع السقم واللمب :

وَاحْزَنِي مِنْ جَفُونِ ظُلْمِي أَقَامَ عُذْرِي بِهَا عِذَارُهُ^(٣)
أَسَقَمَ جَسْمِي بِسَقَمِ طَرْفِي حَبَّرَنِي فِي الْمَوَى اخْوِرَارُهُ
عَجِبْتُ مِنْ جَعْرِ وَجَنَّتِيهِ يَحْرِقُنِي دُونَهُ اسْتِدَارُهُ
هُوَ اخْتِيَارِي فَأَبْصُرُهُ^(٤) شَاهِدُ عَقْلِ النَّتَى اخْتِيَارُهُ

(١) ديوان الخناس - بفتح الرزوقي ١ ، ١٦ .

(٢) ديوانه ٧٣ . وصدره :

• مُسْتَحَقِّي حَلَقِ الْمَاضِي يَقْدُمُهُمْ •

(٣) نسيمة الشعر ١ : ٣٤٢ ، وفيه : « واحزني » .

(٤) النسيمة : « هذا اختياري » .

وله قريب منه :

كَأَنَّ صَدْعًا لَهُ تَرَاهُ
يَتَّ مِنْ الْحَسَنِ لِي إِلَيْهِ
وَلَا بِنَ الزَّنَاقِ :

بَابِي مَنْ لَمْ يَدْعُ لِي لِحُظِّهِ
جَعَلَتْ نَكَبَتُهُ فِي تَفْسِهِ
وَبَدَتْ خَجَلَتُهُ فِي خَدِّهِ
وَقَالَ الْخَفَاجِي (١) :

يَابَانَةٌ تَهْتَزُّ فَيَنْبَانَةٌ
كَمْ دَمْعٍ عَيْنٍ فِيكَ قَدْ أُجْرِتُهُ
كَتَمْتُ فَتَمَى قَوْسَهُ حَاجِبًا
فَإِنْ رَمَى يَمْزِجُ حُنَى طَرَفُهُ
فِيصْبِغُ الدَّرَّ عَقِيقًا بِهِ
يُدِيرُ لِلْأَعْيُنِ مِنْ وَجْهِهِ
قَدْ طَلَعَ الْحَسَنُ بِهِ دَرَاهِمًا
فَلِي بِهِ عَيْنٌ مَجْجُوبَةٌ

غيره :

وَأُعِيدُ تَذْمِي وَجَنَّتَاهُ مِنَ النَّحْرِ
غَدَا قَاتِلِي أَنْ ظَلْتُ أُجْرَحُ خَدَّهُ
تَخَلَّقَ إِلَّا مِنْ صُدُودِي بِالشَّحِّ
مَتَى صَارَ بِالْقَتْلِ الْقِصَاصُ مِنَ الْجُرْحِ !

(١) بَيْتُهُ الدَّهْرُ ١ : ٣٣٣ .

(٢) دِيْوَانُهُ ٢٠٨ .

(٣) هُوَ أَبُو إِسْمَاعِيلَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ خَفَاجَةَ ، وَبِعَرَفَ بِالْخَفَاجِي أَيْضًا ، وَالْأَبْيَاتُ فِي دِيْوَانِهِ ١٢٥ .

(٤) الدِّيْوَانُ ٥ وَأَصْبَغُ النُّوَارِ ٤ .

النفور : جمع نفر وهو السن . وتقدم الشَّب في الثانية .

وقال العباس بن الأحنف في طيب القم :

ذَكَرْتُكَ بِالنَّفَاحِ لَمَّا شَمَمْتُهُ وبالرَّاحِ لَمَّا قَابَلْتُ أَوْجَةَ الشَّرْبِ^(١)
وَتَذَكَّرْتُ بِالنَّفَاحِ مِنْكَ سَوَالِيَا وبالرَّاحِ طَعْمًا مِنْ مَقَبَلِكَ الْعَذْبِ

وقال ديك الجن ، واسمه عبد السلام :

بِأَنِّي قَدْ شَهِدْتُ الضَّمِيرُ لَهُ قَبْلَ اللَّهَاقِ بِأَنَّهُ عَذْبُ
كُشَادَةِ اللَّهِ خَالِصَةً قَبْلَ الْعِيَانِ بِأَنَّهُ الرَّبُّ

وقال أحمد بن محمد النّسائي :

لَهُ مَبِيتٌ بِرُفْقِهِ خَاطِفٌ عَقُولَ الرِّجَالِ إِذَا مَا ابْتَسَمَ
أَقُولُ لَهُ إِذْ بَدَأُ دُرَّتَهُ شَهِدْنَا لَصَانِهِ بِالْحِكْمِ
أَرَى الدَّرَّ تَتَقَبَّهِ النَّاطِلُونَ وَمَاتَقَبُّوا إِذَا فَكَيْفَ انْتَضَمَ!

وقال أبو بكر البلوي :

تَقَطُّفٌ مِنْ نَفَرِهِ وَوَجَنَّتِهِ أَنَامِلُ الطَّرَفِ زَهْرَةٌ عَجَبًا
شَقِيقُهَا مُذْهَبًا يُرَى خَعْلًا وَأَقْصَوَانَا مَفْضَضًا شَنْبًا

وقال ابن بشر الكاتب :^(٢)

وَلَمْ تَزَلْ ، وَالظَّلَامُ حَارِسُنَا جَسْمَيْنِ مَسْتَوْدَعَيْنِ فِي جِسْمِ
أَلَمُهُ فِي الدُّجَى وَبَرَقَ نَا يَاهُ يَرِينِي مَوَاقِعَ النَّثَمِ

(١) ديوانه ٤٤

(٢) هو الحسن بن علي بن بشر الكاتب ، والآيات في نهاية الأرب ٢ : ١٠٤

نم افترقنا عند الصباح وقد اتر فيه كهشة الخشم

وقال الشريف الرضي :

بقنا ضميمين في نوبني هوى ونفي بقنا السوق من فرقي إلى قدم^(١)
وبات بارق ذاك الشجر بوضح لي مواقع اللثم في داج من الظلم

وقال المتنبي :

حسان النشئ ينقش الوشي مثله إذا مشن في أنوابهن النواعم^(٢)
ويستن عن دري تقلدن مثله كأن التراقي وشجت بالبنيم
هذه معان مختلفة في أوصاف الشعر كلها حان .

* * *

قوله : « والبنان بالترف » ، أي الأصابع باللين والنعمة ، وأحسن ما قيل في ذلك قول النابغة :

بمخضب رخصي كأن بناة عنم يسكاد من اللطافة يعقد^(٣)
فهذا تشبيه بدیع .

وقال امرؤ القيس :

وتعطو برخصي غير شني كأنه أسارع ظبي أو مساويك إشجل^(٤)
وقال غيره :

يا قرأ أبصرت في مائمي يندب شعراً بين أتراب^(٥)

(١) ديوانه ٧٢٣

(٢) ديوانه ٢ : ١١١ ، وفيه : « و أجسامهن » .

(٣) ديوانه ٣٠

(٤) ديوانه ١٧

(٥) لأبي نواس ، ديوانه ٣٦١ ، مختار الأغاني ٣ : ١٣٠

أبرزه الماتم لي كارهاً من بين رباتٍ وحجابٍ
بكي فيذري الذر من نرجس ويلطمُ الوردَ بفسابٍ
وقال عكاشة^(١) :

سقىا لمزلنا الذي كا به يوم الخميس عشيةً أصحّاباً
إذ نحن نساقها شمولاً قرعاً تدعُ الصّحيح بعقله مرتاباً
من كفّ جارية كأنّ بناتها من فضة قد قوّمت عتاباً
وكان يمينها إذا ضربت بها تلتقي على يدها الشمال حساباً

وقال آخر :

وحوراء الواحظ بين قلبي وبين جفونها حرب البسوس
تري ماء النّعيم يحولُ فيها كمثل الخمر في صافي الكنوس
كانّ بناتها أقلام عاجٍ مرصعة الرأس بآبنوس

ووصف الخصور بالخيّف ، وهو الضمر والرقّة ، وسنذكر معها ما يستظرفه
وقد تقدّم قول ابن عبد ربه :

يا مَنْ تَطْعَ خَصْرُهُ مِنْ رِقَّةٍ ما بالُ قَلْبِكَ لَا يَكُونُ رَقِيقاً^(٢)

وقال ابن الرومي :

وَهَبْتُ لَهُ عَيْنِي الْهَجُوعَا فَأَتَانِيَا مِنْهُ الدُّمُوعَا
ظَلِي كَأَنْ بَخَصْرُهُ مِنْ ضَمْرِهِ ظَلَمًا وَجُوعَا

(١) هو عكاشة بن عبد الصمد المصبي ، منسوب إلى بني المصم ، من شعراء الأغاني .
والأبيات في مختار الأغاني ٤ : ٥٠٨ .
(٢) مطمح الأنس ٥٢ .

وقال عبيد^(١) الله بن عبد الله :

سَلَّمَتِي وَمَا سَلَّمَتِي تَفَوُّقُ الْمَنَى
وَالْحُسْنَ أَوْصَافًا وَأَتَوَانًا
وَسَاحِبَا يَحْمَدُ خَلْخَالَهَا
كَبَائِرِ يَحْمَدُ شَبَعَانَا

وقال كشاجم في مقلوبه :

مَدْرُوءَةُ الْكَلِّ غَيْرُ بَطْنٍ
مَتَقَلِّ فِيهِ نَعْكَبُوتُ
حَجُّوْهَا الدَّهْرَ فِي اضْطِرَابٍ
وَوَشَحَهَا كَاطِمٌ صَمُوتُ

وقال حبيب :

مَهْمَا الرَّحْسِ إِلَّا أَنْ هَاتَا أَوَانِسُ
قَنَا الْخَطَّ إِلَّا أَنْ تَلَكَ ذَوَابِلُ^(٢)
مَنْ الْهَيْفَ لَوْ أَنْ الْخَلَائِلَ صُيِّرَتْ
لَهَا وَشَحًّا جَالَتْ عَلَيْهَا الْخَلَائِلُ

أخذه القاضي ابن لبّال فقال :

جَلُوتَ لَنَا شَيْئًا مِنَ الدَّرِّ عَاطِلًا
بَعِيشِكَ لِمَ جَنَّبْتَهُ الْجِيدَ وَالذَّنْرَا
فَقَالَتْ وَلَمْ تَكْذِبْ خَشِيتُ سُقُوطَهُ
وَأُومِتْ إِلَى فِيهَا فَنَظَّمْتَهُ نَفْرَا
كَذَلِكَ إِنْ عَصَّ السَّوَارُ يَمْنَعُ صَيَّ
وَحَازَرْتُ أَنْ يَدْمِيهِ حَمَلَتُهُ الْخَضْرَا

وأكثر ما يذكر أن الخضر بالرفقة مع ذكر الكفل بالمعظم ، كما قال

ديك الجن :

وَتَمَابِلُ فَضَحْتُ مِنْ أَرْدَائِهَا
عَجَبًا ، وَلَيْكِنِّي بَكَيْتُ الْخَضْرَا^(٣)
تَسْفِكُ كَأْسَ مُدَامَةٍ مِنْ كَفِّهَا
وَرَدِيَّةً ، وَمُدَامَةٍ مِنْ نَفْرِهَا

وقال القاضي أبو حفص بن عمر :

(١) ط : « عبيدة » ، وهو عبيدة بن عبد الله بن طاهر ، وأخباره وشعره في
أمن خلكان ١ : ٢٧٣ ، والبيان في ديوانه الثاني ١ : ٧٥٠ .

(٢) ديوانه ٢٥٦

(٣) الأغاني ١٤ : ٥٥ .

مُتَّ كَالْفَصَنِ يَنْتَبِهُ النَّسِيمُ وَيَمْدُوه النَّسِيمَ فَيَسْتَقِيمُ
لَهَا رَدْفٌ تَعْلَقُ مِنْ ضَمِيمٍ وَذَاكَ الرَّدْفُ لِي وَلَهَا ظَلُومُ
يَعَذِّبُنِي إِذَا فَكَّرْتُ فِيهِ وَيَتَعَبَانِ إِذَا رَأَيْتُ تَقُومُ
وَمَا حَجَّتْ لَهَا إِلَّا عَذَابٌ عَلَيْهِ مِنْ نَضَارَتِهَا نَعِيمُ

قوله: «سهوًا». أي خطأ. والهامية: الرأس. وإلا قرأى الله جفنى بالعص،
إنما ذكر العشب والنمش وما بعده لأنها أضداد لما تقدم، وعند الإشارة لها بتبيين
من الغلاء عند الوالى أضدادها، فيزداد حسنًا .

* وَيَضِدُّهَا تَقْيِينُ الْأَشْيَاءِ * (١)

والعص: انتشار شعر العينين. والنمش: أخفى من البرش. الجالج: الصلح،
وهو انحسار الشعر من التزمتين، وفعله جالج الرجل واجالج، كاسودَّ. والطلع:
قد تقدم في الثانية، وإذا علته خمرة سُمِّيَ بلحاً. والبهار: نرجس المغرب،
وهو أصفر، والورد أحمر، فدعا له بعلّة تذهب جمال وجهه وتصفر حمرة خده.
والبخار: كالبخار: الثتن. والمسكة: أطيب المطر، فدعا له بتذير الرائحة. وتقدم
أن أطيب الطيب أنفاس عبقة من كبد سليمة. وتقدم في الثانية معنى قوله:
«ووردنى بالبهار» منظرًا، وقال الصابى فى البحر:

نطق ابن نصر فاستطارت جيفةٌ فى العالمين لنتن فيه الفاسدُ (٢)
فكانَ أهل الأرض كلهم فسوا متواطئين على اتناق واحدٍ
وقالت جنان فى أبى نواس:

فإذا ما أردت أن تحمد الله على ما أعطى وأولاك سُكُرا
فليكن ذاك بالضمير فن سبَحَ بالفـو نال إنمّا ووِردًا

(١) لنتى ديوانه ١ : ٢٢ ، وصدره :

* وَتَذِيْعُهُمْ وَيَهْمُ عَرَفْنَا فَضْلَهُ *

(٢) ينبية الدهر ٢ : ٢٦٣ .

وقال آخر :

أهدى زريق قطه لقمه قد لا كهافى فيه الأبخر
فبادر القط إلى دفتها يحسبها من بعض ما قد خرى

قوله : « وبدرى بالمحاق » ، المحاق : أن يتمحق ضوء القمر فلا يبقى منه شيء .
واحتراق الفضة : اسودادها . وشعاعى بالظلام ، أى صباحة وجهه ووضاءته
بسواد اللحية ، أى عاجلنى لله بالالتحاء ، ويريد بهذا كله أن يكسور بياض
وجهه سواد الشعر ، فيكسد ولا يلتفت إليه .

وقال ابن المعتز في مثل هذا الدعاء :

يا رب إن لم يكن فى وصله طمع وليس لى فرج من طول هجرته^(١)
فاشف السقام الذى فى طرف مؤلمته واستر ملاحه خديبه باحيتيه
ونقل لفظ احتراق الفضة من قول أبى الحسين النعمانى^(٢) ، وهو من شعراء اليقظة :
لى حبيب يزهى بحسن عجيب وبقد مثل القضيبي الرطيب
أحدث بالسواد فضة خديبه قد أحرقت سواد القلوب

[ذكر العذار والالتحاء]

ونذكر هنا ما يلىق بهذا الموضع مما قيل فى العذار وفى الالتحاء مما مدح
به ودُم ، قال ابن عبد ربه :

ومعذري نقش الجلال بمسكه خدأ له بدم القلوب مضر جاً^(٣)
لما تيقن أن سيف جفونه من ترجس جعل النجاد بنف جاً

وقال ابن صبرة^(٤) :

(١) ديوانه ١ : ٧١

(٢) هو أبو الحسين محمد بن عمر النعمانى الكاتب ، من شعراء العراق ، والبيتان فى

اليقظة ٢ : ٣٤٦ . (٣) القد ١ : ٣٣

(٤) ط : « صرامة » ، تصحيف ، والبيتان فى نهاية الأرب ٢ : ٨٦ .

ومعذّر رقت حواشي حسنه
لم يكس عارضه السواد وإنّا
وقال عبد المحسن الصوري :

ومعذّر العذار إلى فؤادي
وكم أعرضت عنه فأعرضت بي
ولما قلت إن الشمر بستي
وقال أبو القاسم الزاهي :

لولا عذارك ما خلت عذاري
ما كنت أحسب أن أعابن أو أرى
حتى نظرت إلى عذارك فاعتدي
وللمعتمد بن عباد :

تم له الحسنُ بالعذارِ
أخضر في أبيض تبدى
لقد حوى مجلسي تماماً
واختلط الليل بالنهار^(١)
ذلك آبي وذأ بهاري
إن بك من ربه عقاري

وقال ابن حمدون :

ظل على خده العذار
وأبيض هذا واسود هذا
أغض عيني عنه لآني
فانفضح الأس والنهار
واجتمع الليل والنهار
عليه من مقلتي أغار

(١) والبيان أيضا في الذخيرة ١ : ١ : ١٢٣ .

(٢) يتيمة البحر ١ : ٢٥٧ .

(٣) يتيمة الدهر ١ : ١٩٩ .

(٤) الذخيرة ١ - في ٢ : ١١ ، ١٤ - في ٢ : ١٤ .

فهذا كله حسن في مدح المذار؛ وإن كان النذير بموت الجلال، فإذا تقوى
المذار واسود؛ صاروا إلى نعيه، كما قال أبو بكر البلوي:

انظر إلى ميتٍ ولكنّه جنّ من الأكفان والغاسل
قد كتب الدهر على خدّه بالشعر: هذا آخر الباطل

وله في ضده:

لما التحى من قد هوبتُ وقلت رسمٌ قد دَرّ
عاينتُ من طَلّابه زُمراً مواصلة زُمَر
وكذاك أصحاب الحديث نفاقهم عند الكِبَر

وكما قال أبو الحسن بن الحاج:

أبا جعفر مات فيك الجلالُ فأظهر خدّك لبسَ الحدادِ
وقد كان يبت زهرَ الرياضِ فأصبح بُنيتُ شوكَ القَعَادِ
أين لي متى كان بدرُ السما يُدرك بالكونِ أو بالفسادِ!
وهل كنت في الملك من عبد شمسٍ فأخنى عليك ظهورُ الفَسَادِ
وقال سميد بن حميد في غلام التحي:

هلاً وأنت بماء وجهك يُستقى روضُ الشَّباب قليل شعر العَارِضِ
فالآن حين بدت بخدّك لحيةً ذهب بحسبك ملء كف القَابِضِ
مثل السّلافة عاد خمر عصيرها بعد اللذّاذة مثل خلّ الحَامِضِ
وقال علي بن بسام في أخيه جعفر^(١):

يا مَنْ نَمَتَهُ إلى الإخوانِ لحيتهُ أدبرت والدهر إقبالٌ وإدبارُ
قد كسَمَ مَنْ يهش الناظرون له تَفَضُّ دونك أَسْمَاعٌ وأَبْصَارُ
أَيَّامُ وجهك مصقولٌ عوارِضُهُ وللرياض على خدّيك أنوارُ

(١) هو علي بن محمد بن نصر بن بسام البغدادى، والآيات ١ - ١١٩.

فيا لدهرٍ مَفَى ما كان أحسنه إذ أنت ممتنعٌ ، والشَّرْطُ دِيَارُ
حاتٍ مَتِينُهُ فاسودَّ عارضُهُ كما نَسُوْدُ بعدَ لَيْتِ الدَّارُ

وفيه بقول أبيصا :

حاتٌ وفاتك يا أبا العباسِ فدع المكاسِ فلاتَ حينٍ ومكاسِ
ما بالُ وجهك بعدَ كثرةِ نُورِهِ قد سوّدُوهُ بحالكِ الأناسِ !
أينَ الدَّنابِرُ التي عودَناها قَبِيهَاتُ جاءَ الشَّمَرُ بالإفلاسِ
كانتَ بخدِّ ثيابه دِيابِجَةً فاستبدلتَ حِلًا من الأَحلاسِ
وكذا البناءَ نعيمَ مرتفعٍ إذا كانتَ طليئُهُ من الآسِ

وقال مُصعبُ المالحِ :

قد صافحتُ أَقْطارَ خَدِّكَ لَحِيَةً تركته وهو مَسودُّ الأَقطارِ
فكانَ خطُ الشَّمَرِ في جَنابَتِهِ ليلٌ أقامَ على نُجومٍ أو نَهارِ

وكانَ لِحَمْدِ بنِ بشرٍ بابان يُدخِلُ من الأَكْبَرِ أَصحابَهُ ، ومن الأصغرِ أَصحابَهُ ،
فجاءَ يوماً غلامٌ مليحٌ ، وأرادَ الدخولَ من الأصغرِ على عادته ، فَنِيعَ ، فجعلَ يخاضِعُ
البوابَ لإِدْلالِهِ ، فبلغَ ذلكَ ابنَ بِشَرٍ ، فكتبَ إليه :

قلْ لِمَن رَامَ بِجَهْلٍ مدخلَ الظَّيْرِ القَـسْرِ
بعدَ أنْ علقَ في خَدِيٍّ هـ خِلَاةَ الشَّعِيرِ
أَيَّتُهُ بدخْلٍ إنْ جا ءَ مِنَ البابِ الكَبِيرِ

وقال ابنُ الأَبارِ :

لَبِثُ بَصَابٍ إلى مَعْدَنٍ بل أنا في حُبِّهِ مَعْدَنُ
لا أُعشِقُ الطَّيِّبَ ذا الجِـامِ لأنَّهُ في الطَّيِّبِ مَنكَرُ

أحسنُ ما فيه أن تراه بين مهارة وبين جؤذر

ينظر قوله : «لأنه في الظل منكر» إلى قول حبيب:

تَشْتَقُكَ الْكِبَارَ بَدَلًا عِنْدِي عَلَى أَنَّ الرِّحَى قَلْبَتِ ثِقَالًا^(١)

وقال آخر :

لِي فِي أَبِي يَحْيَى وَمَعشُوقِهِ شغل على ذِي شغل شاغل
بِأَلَيْتِ شَمْرَى قَوْلِ ذِي حَبْرَةٍ مَنْ مِنْهَا لَلْمَوْلُ وَالْفَاعِلُ !

وقال ابن حصين في محبوب صغير :

بِأَبِي ظَلِي صَغِيرَ السِّنِّ حَازَتْ ثَلَاثَ سِنِّي
سَرَّني أَنْ لَيْسَ بِدَرِي مَذْهَبِي فِيهِ وَقَنِي
فَهُوَ يَدْعُونِي عَمَّا وَأَنَا أَدْعُوهُ بِأَبْنِي

وللعجيز أَرْزَى :

قَالُوا عَشَقْتَ صَغِيرًا قُلْتُ أَرْتَعُ فِي رُبْعِ حَسَنٍ دَعَانِي لِاتِّبَاعِ هَوَى
رَوْضِ الْخَاسَنِ حَتَّى يُدْرِكَ النَّتْرُ^(٢) لَمَّا تَفْتَحَ فِيهِ النَّوْزُ وَالزَّهْرُ
وَقَالَ التَّنُوخِيُّ فِي جَسَمٍ :

مَنْ أَيْنَ أَسْتَرْجِدِي وَهُوَ مَنْتَهَكٌ مِنْ أَيْنَ أَسْتَرْجِدِي وَهُوَ مَنْتَهَكٌ
قَالُوا عَشَقْتَ عَظِيمَ الْجَسَمِ قُلْتُ لِمَنْ الشَّمْسُ أَعْظَمُ جَسَمٍ مِنْهُ الْفَلَكَ^(٣)
وَالْفَقِيهَ ابْنَ حَزَمٍ :

وَذِي عَذَلٍ فِيمَنْ سَبَانِي حَسَنُهُ يُطِيلُ مَلَامِي فِي الْهَوَى وَيَقُولُ^(٤) :

(١) ديوانه : ٤٢٠ : (طبع الماروف) (٢) يقيمة الشعر : ٣٣٨ .
(٣) يقيمة الشعر : ٢ : ٣١٨ . (٤) الأخيرة ، القسم الأول : ١ : ١٤٧ .

أني حسن وجهٍ لاح لم تر غيره
فقلت له: أسرفت في اللوم ظاهراً
ألم تر أنني ظاهري وأنا نني
على ما بدا حتى يهوى دليلاً
ولم تدبر كيف الجسم، أنت قتيل!
وعندي ردّ لو أردت طويلاً

وأحسن حبيب حين قال :

قال الوشاةُ بدا في الخلد عارضه
الحسن منه على ما كنت أعده
أحلى وأعذب ما كانت شمائله
وصار من كان يلحى في مودته
قلت لا تنكروا وما ذاك عائبه^(١)
والشعر حُرِّزَ له بمن يطالبه
إذ لاح عارضه واخضر شاربه
إن سئل عني وعنه قال صاحبه

وقال الحلواني :

قالوا النعي فاتحت بالشعر بهجته
خطأت يد الحسن فيه فوق وجنته
قلت : لو لا الأذى لم يحسن القمر^(٢)
هذي محاسن بأهل الهوى - آخر

وله أيضاً :

لي حبيب إذا شكوت إليه
لست أدنو بالشعر غيظاً عليه
غير أنني أدعو بقلب نرجس
سامني بالهوى عذاباً شديداً^(٣)
خيفة أن يكون حسناً جديداً
أن أراه مثلي محبباً عميماً

وقال غيره :

قد حل في سوقك الكساد
كأنما الثمر فيه زرع
مذ لاح في خدك السواد^(٤)
والتنف منه له حصاد

(١) ديوانه ٤٣٢ ، وفيه : « لا تنكروا » .

(٢) نهاية الأرب ٨٥ : ٢ ، من غير نسبة الأخيرة ٤ - ١ : ٢٢٠ .

(٣) الأخيرة ق ١ - ٤ : ٢٠٠ (٤) الأخيرة ق ٤ - ١ : ٢٢٢ ونسبها إلى الحلواني أيضاً .

وقوله : « ودواتي بالأقلام » ، أي ابتلاه الله أن يُلاطبه ، قال الفنجديسي :
أنشدني بعضُ الشعراء بمُرورٍ لبعضهم :

دوادار الأمير له دواةٌ كتل الياسمين بنير صوفٍ
يُرى قلم الأمير يغوصُ فيها مغاص عصيدةٍ في حلق صوفي
ونقل لفظ الدواة والأقلام من قول دبك الجن ؛ وكان يهوى غلاماً من
حِصص ، اسمه بكر ، فجلس معه ليلة يتحدث بها حتى غاب القمر ، فقام بكر
ليمشي ، فقال :

دع البدر فليغربْ فانت لنا بدرٌ إذا ما تجلّ عن محاسنك الشفر^(١)
إذا ما انقضى سحر الذين يبابل فانت لنا سحر ورقيقك لي خمرٌ
ولو قيل لي قم فادع أحسنَ مَنْ ترى

لصحت بأهل الصوت : يا بكرُ يا بكرُ !

وكان هذا الغلام شديد التماون والتمتع ، فاحتال عليه قومٌ من حِصص ،
فأخرجوه إلى متنزه ، فأسكروه وفقوا به ، فبلغ ذلك دبك الجن فقال :
يا بكر ما فعلت بك الأرطامُ يا دارُ ما فعلت بك الأيام^(٢)
في الدار بعدُ بقيت نستمها أم ليس فيك بقية نستمُ
شغل الظلامُ كراكتي أبوابهم^(٣) ففزعَت لدوانك الأقلامُ
وله فيه أيضاً :

قولا لبكر بن مهدي إذا اعتكرت

عساكرُ الليل بين الطاس والجاس^(٤)

(١) الأغاني ١٤ : ٦٠ ، وفيه : « من محاسنك الشفر » .

(٢) الأغاني ١٤ : ٦٢ ، وفيه : « ما فعلت بك الأرطام » .

(٣) الأغاني : « في ديوانه » .

(٤) الأغاني ١٤ : ٦٢ ، وفيه : « قولا لبكر بن دمرد » .

ألم أقل لك إنَّ الكبر مهلكةٌ والتبغى والمعجب إفسادٌ لأفوام
قد كنت تفرق من سهم تعابنه^(١) فصرت غيرَ رميم رقة الرأى
وكنت تفرع من لسي ومن كبلٍ فقد ذلت لإسراج وإلجام
إن تدمَ نذاك من ركض فربتما أمسى وقلبي منك الموجه الدامى

قال أبو علي بن رشيقي : كنت أوصى غلاماً وضيئاً ، كان يختلف إلى ،
وأحذره من كثرة التخليط ، فخرج يوماً في جماعة من أصحابه ، فأوقع به ،
فأخبرت بذلك ، فقلت :

ياسوء ما جاءت به الحالُ إن كان ما قالوا كما قالوا
ما أحذق الناس بصوغ الخنأ صيغ من الخاتم خلخالُ
وهذا من قول ابن المعتز :

مضى خالدٌ والمال تسعون درهماً وآبورا من المال ثلث الدرهم^(٢)

وهذا المعنى الخبيث يقين بمقد التسمين والثلاثين في اليد .

وقال ابن رشيقي :

سقطت ثنيته فأوجع قلبه لسقوطها وجرى عليه عظيم^(٣)
فإذا مرت به فلُ فؤاده عنها وقُل صبراً كذاك الريمُ
عجبا للؤلؤة هوت من سلكها والسلك لا واه ولا مفصومُ
أمدداً يا خطبُ وهو مصون أبداً بخاتم ربه مختومُ

(١) الأغاني : « لغانية »

(٢) نقله في التنف ٨٨ .

(٣) نقله في التنف ٦٥

ويستحب لمن وُسم بوشمة الجبال ، أن يكون شديد التصاؤن ، قليل للتبذُّل ، فذلك أدعى للسلامة ، وقد قال ابن وكيع في ذلك :

قالوا عشقت كثير البخل ممتعاً فقلت : هيهات عنكم أطيبة^(١)
لو جاد هان ، وقلت الجود عادته وإنما عزَّ لنا عزَّ مطلبه

فإذا تبدَّل وأجاب كلَّ من دعاه صار عرضة للظنون ، ونبت عن محاسنه للعيون ، لأنَّ النفس الحرَّة لا تنفك من غيرة ، وقد قال العباس بن الأحنف :

يا قومُ لم أهبزكمُ لللالة مِنِّي ولا لمقالٍ واشٍ حاسدٍ^(٢)
لكنني جربتكم فوجدتكم لا تصبرون على طعام واحدٍ

وقال أبو الوليد بن حزم :

لما استمالك مشرُّ لم أرضهم والقول فيك كما علمت كثيرُ
داويتُ دونك مُهيجي فماسكتُ من بعد ما كادت إليك تطيرُ
فأذهب فغير جوانحي لك منزلُ واسمع فغير وفائك الشكورُ
وله أيضاً :

يقول وقد لمتُه في الهوى فلان، وعرضت شيئاً قليلاً :
أتحدني؟ قلت : لا، والذي أحلك في الحب مَرعى وبَيْلاً
وكيف وقد حلَّ ذلك الإزارُ وقد سلك الناس تلك السبيلاً

(١) يلبسة الدهر ١ : ٣٣٧

(٢) ديوانه ١٠٦ ، الزهرة ١٥٠ ، الأغاني ١٥ : ١٣٧ (ساسي) ، الشعر والشعراء

وقال محمد بن السري :

قَابَتْ بَيْنَ جَمَالِهِ وَقَمَالِهِ فَإِذَا الْمَلَاخَةُ بِالْحَيَاةِ لَا تَنِي ^(١)
وَاللَّهُ لَا كَلَمَتَهُ وَلَوْ أَنَّهُ كَالْبَدْرِ أَوْ كَالشَّمْسِ أَوْ كَالْمَكْنِيِّ

وقال آخر :

أَيَا حَسَنًا أَزْرَتْ قُبَايُحَ فَعَالِهِ عَلَيْهِ كَأُزْرَى الْكُفُوفِ عَلَى الْبَدْرِ
قَدْ قُتَّتْ كُلَّ النَّاسِ حَسَنًا وَزِينَةً وَلَكِنَّا قَبَّحَتْ ذَلِكَ بِالْفَدْرِ

وقال ابن عيينة :

ضَمِيتْ عَهْدَ فَتَى لِمَهْدِكَ حَافِظٌ فِي حَفْظِهِ عَجَبٌ وَفِي تَضْيِيعِكَ
إِنْ تَقْتَلِبْهُ وَتَذْهَبِ بِفَوَادِهِ فَيَحْسَنُ وَجْهَكَ لَا يَحْسَنُ صَنِيعُكَ

• • •

فَقَالَ الْقَلَامُ : الْأَمْطِلَاءُ بِالْبَلِيَّةِ ، وَلَا الْإِيْلَاءُ بِهِذِهِ الْآلِيَّةِ ،
وَالْإِتْيَادُ لِلْقَوْدِ ؛ وَلَا الْحَلْفَ بِعَالَمٍ يَخَافُ بِهِ أَحَدٌ . وَأَبَى الشَّيْخُ
إِلَّا تَجَرِيْمَهُ الْيَمِينِ الَّتِي اخْتَرَعَهَا ، وَأَمَرَ لَهُ جُرْعَهَا . وَلَمْ يَزَلْ
التَّلَاحِي يَدْنُهُمَا يَسْتَعْمِرُ ، وَحَجَّةُ التَّرَاضِي تَعْمُرُ ، وَالْقَلَامُ فِي ضَمْنِ
تَأْيِيهِ ، يَخْلُبُ قَلْبَ الْوَالِي بَتْلُوِيهِ ، وَيُطْعِمُهُ فِي أَنْ
يَلْبِيهِ ، إِلَى أَنْ رَانَ هَوَاهُ عَلَى قَلْبِهِ ، وَأَلْبَ بِلْبِيهِ ،
فَسَوَّلَ لَهُ الْوَجْدُ الَّذِي تَبَّهَ ، وَالطَّمَعُ الَّذِي تَوَهَّمَهُ ، أَنْ

(١) إنباء الرواة ٣ : ١٣٧ ، ابن خلكان ١ : ٥٠٣ ، وبسند هناك :

حلفت لنا ألا نَخُونُ عَهْدَنَا فكأنما حلفت لنا ألا تني

يُخَلِّصُ الْفُلَامَ وَيَسْتَخْلِصُهُ ، وَأَنْ يُنْقِذَهُ مِنْ حَبَالَةِ الشَّيْخِ
ثُمَّ يَقْتَتِصَهُ .

• • •

قوله : «الاصطلاح» ، أى الاتصال والتلؤس . والبلية ، أراد دعوة الباطل
التي ادعى عليه الشيخ . والإيلاء : الحلف . والألثة : اليمين . والقود : قتل النفس
بالنفس ، فيقول : الصبر على الضرب أو القتل أهون من هذه اليمين التي لم يحلف
بها أحد اخترعها : استنبطها . أمقر : أمر ، من المقر ؛ وهو الصبر .

[من ألوان من الحلف]

وهذه اليمين المخترعة ، حكى الأصمعيّ شهبها ، فقال : اختصم أعرابيان عند
بعض الولاة في دين ، فجعل المدعى عليه يحلف بالطلاق والعتاق ، فقال المدعى :
دعني من هذه الأيمان ، واحلف بما أقول لك ، فقال : ما قولك ؟ قال : قل : لا ترك
الله لك خفًا يتبع خفًا ، ولا ظلفًا يتبع ظلفًا ، وحتك من أهليك وولدك ، كما
يحات الورق من الشجر ؛ إن كان بقي لي هذا الحق قبلك . فأعطاه حقه ولم
يحلف له .

وحكى المعودي أن الفضل بن الربيع قال : صار^(١) إلى عبد الله بن مصعب
ابن ثابت بن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ، فقال : إن موسى بن عبد الله
ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب قد أرادني على بيعته ، فأخبرت
الرشيد بذلك ، فجمع بينهما ، فقال الزبير لموسى : سمعتم علينا ، وأردتم نقض
بيعتنا ودولتنا ، فقال له موسى : ومن أنتم ! فقلب الرشيد الضحك حتى رفع
رأسه إلى السقف لتلا يظهر منه الضحك ، ثم قال موسى : يا أمير المؤمنين ، هذا
الشنع عليّ ، خرج مع أخي محمد على جدك المنصور ، وهو القائل [من أبيات]^(٢) :
قوموا بيدهم نهض بظاعتنا إن الخلافة فيكم يا بني الحسن

(١) ط : « صار » ، وما أتبعه من ا ، ب . (٢) من المعودي .

ولست سمعته حياً لك ، ولا مراعاةً لدولتك ؛ ولكن بغضاً لنا جميعاً .
 أهل البيت ^(١) ، وأنا أستحلفه بيمين ، فإن حلف بها أتت قلت ذلك ، فدمي حلال .
 لأمر المؤمنين . فقال له الرشيد : أحلف له بإعبد الله ، فامتنع ، فقال له الفضل : لم تمتنع
 وقد زعمت أنه قال ما ذكرته ؟ قال : فإني أحلف له ، قال موسى : قل : تقابل الحول
 والقوة دون حول الله وقوته إلى حولي وقوتي ، إن لم يكن ماقلته حقاً . فخاف
 له ، فقال موسى : الله أكبر ! حدثني أبي عن أبيه ، عن جده ، عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما حلف أحد بهذه اليمين وهو كاذب إلا عجل
 الله له العقوبة قبل ثلاث » ، وهانذا بين يدي أمير المؤمنين في قبضته ، فإن مضت
 ثلاث ولم يحدث له حادث ، فدمي حلال لأمر المؤمنين .

قال النضل : فوالله ما صليت العصر في ذلك اليوم ، حتى سمعت الصراخ من
 داره ^(٢) . فدخلت عليه ، فوالله ما كدت أعرفه : لأنه صار كالزق العظيم ، ثم اسودَّ
 حتى صار كالقحم ، فمررت الرشيد في الحين ، فما انقضى كلامنا حتى عرفنا أنه قد
 مات ، فبادرت بتعجيله ، وتوليت الصلاة عليه . فلما وُوري في قبره انخسف به ،
 وأخرجت رائحة مفرطة الذن ، ومررت أحمال شوك على الطريق ، فأمرت بها فطرحتها
 في قبره ، فانخسف ثانية ، فأمرت بالواح ساج ، فطرحتها على قبره وألقى التراب عليها ،
 وانصرفت ، وأعلنت الرشيد . فأكثر التعجب ، وأحضر موسى ؛ فأعطاه ألف
 دينار ، وقال له : لم عدلت عن اليمين للتعارفة عند الناس ؟ فقال : أخبرت بالسند
 المتقدم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من حلف بيمين كاذبة مجَّد الله
 فيها ، استحيها الله من تعجيل عقوبته ، ومن حلف بيمين كاذبة نازع الله فيه حوله
 وقوته إلا عجل الله له العقوبة قبل ثلاث ^(٣) » .

* * *

قوله : « التلاحي » ، السباب والتشائم . على رضى الله عنه ، قال النبي صلى الله

(١) بينهما في السعدي : « ولو وجد من ينتصر علينا جميعاً لكان معه ، وقد قتل باطلاً » .

(٢) ب واللحوي : « من دار عبد الله » .

(٣) الخبر في السعدي ٣ : ٣٥١ - ٣٥٣ .

عليه وسلم : « من لاحى الرجال سقطت مروءته وذهبت كرامته ، وما زال جبريل ينهاني عن ملاحاة الرجال كما ينهاني من عبادة الأوثان » . وفي المثل : من لاحاك فقد عاداك .

يستمر : يتنقد . محبة التراضي : أى طريق الرضا . تعرُّ : تصعب . وفي ضمن تربيته ، أى فى أثناء كلامه وامتناعه . يخلب : يخدع وبأخذ قلبه . تلويح : انعطافه . يطعمه : يدعوه للطعم . بلتيه : يحبيه لمراذه . وران : غلب وغطى . أبو هريرة رضى الله عنه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أذنب العبد نُكْتُت في قلبه نكتة سوداء ، فإن تاب صقلت ، وإن عاد زادت حتى تعظم فى قلبه ، فذلك الران » ، قال الله تعالى : ﴿ كَذَلَا بَانَ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ (١) .

ألب : أقام . لبه : عقله : سؤل : زين . الوجد : حرقه القلب . تيمه : عبده وذله ، والمتيم : المستعبد لهواه . توهمه : ظنه . يستخلصه : يختصه لنفسه . حباله : آلة الصيد . يمتنصه : بصيده ؛ يقول : إنَّ هذا الغلام فى أذى كلامه بالتمنع وترك الانقياد للشيخ يُطعم الوالى فى الانقياد له ، وإنه إذا دعاه لا يريد منه أجابه ، وإنما قل هذا حين رأى إدامة نظر الوالى فى وجهه ، واستحسانه كلامه ، ولو فسر الوالى حال الغلام بمنظوم لأنشد :

يهدى لك الدر من لفظٍ ومبتسمٍ	ضربان : منتشر منه ومنظوم
يحنى الذنوب ، وأحنو أن أوأخذه	من أجل ذلك قيل الحسن مرخوم
ولأنشد إذا غلب عليه هواء :	
مرآك مرآك لا شمس ولا قمر	وورد خديك لاورد ولا زهر (٢)
فى ذمة الله قلب أنت ساكنه	إن بنت بان فلا عين ولا أثر
لولا محلك من قلبي لما أسفت	قسي عليك ، فرقاً أيها القمر
هذه الأبيات لأبى الوليد بن حزم ؛ وقد كرر معنى البيت الأخير فقال :	

أذكيت من قلبي بنابك لوعةً حتى خثت على محلك فيه

وما يتعلق بهذا المعنى قول الآخر :

والأرمانى بالسهم تهمداً وفيها نصال المجر حتى امتلا صدري.

قلت له لا ترم قلبي فإنه مكانك والرمي أنت ولا تدري

وقال آخر :

حملك في قلبي فهل أنت عالم بأنك محول وأنت مقيم !

ألا إن شخصاً في فؤادي محله وأشتاقه ، شخص على كريم

وقال التهامي :

قلبي فداؤك وهو قلب لم يزل تذكي شهاب الشوق في أنفائه^(١)

جاورته شرّ الجوار وزرته لنا حلت فناءه بفنائيه

حرق سوى قلبي ودعه فاني أخشى عليك وأنت في سودائه

وقال آخر :

أودع فؤادي حرّاً أودع فك تؤذي أنت في أضلعي

أمسك سهم اللّحظ أو فارمها أنت بما ترى مصابّ معي

موقعها القلب وأنت الذي مسكته في ذلك الموضع

■ • ■

فقال للشيخ : هل لك فيما هو أليق بالأقوى ، وأزرب

للأقوى ! فقال : إلام تشير لأتفيه . ولا أقف لك فيه ؟ فقال :

أرى أن تُقصر عن القيل والقال ، وتقتصر منه على مائة مثقال .

لَا تَحْمِلَ مِنْهَا بَعْضًا ، وَأَجْتَنِبِ الْبَاقِيَ لَكَ عَرَضًا ، فَقَالَ الشَّيْخُ :
مَا مِثْنَى خِلَافٍ ، فَلَا يَكُنْ لَوْعِدِكَ إِخْلَافٌ ، فَتَقْدَهُ الْوَالِي عِشْرِينَ ،
وَوَزَعَ عَلَى وَزَعَتِهِ تَسْكِمَةً خَمْسِينَ . وَرَقَّ قُوبُ الْأَصِيلِ ، وَانْقَطَعَ
لِأَجْلِهِ صَوْبُ التَّخْصِيلِ ، فَقَالَ لَهُ : خُذْ مَا رَاجَ ، وَدَعْ عَنْكَ الْمَلْجَاجَ ،
وَعَلَى فِي غَدٍ أَنْ أَتَوَصَّلَ ، إِلَى أَنْ يَنْضَى لَكَ الْبَاقِي وَيَتَحَصَّلَ ،
فَقَالَ الشَّيْخُ : أَقْبَلُ مِنْكَ عَلَى أَنْ الْأَزِمَّةَ لِيَلْتَمَى ، وَيَرْعَاهُ إِنْسَانٌ
مُقَلَّتِي ، حَتَّى إِذَا أَغْنَى بَعْدَ إِسْفَارِ الصُّبْحِ ، بِمَا بَقِيَ مِنْ مَالِ
الْعُلْمِ ، تَخَلَّصْتَ قَائِمَةً مِنْ قُوبٍ ، وَبَرِيَّ بَرَاءَةِ الذُّبِّ مِنْ
دَمِ ابْنِ يَمْقُوبَ ، فَقَالَ لَهُ الْوَالِي : مَا أَرَاكَ سَمِنْتَ شَطَطًا ، وَلَا
رُمْتَ قَرَطًا .

قال الحارث بن همام : فَلَمَّا رَأَيْتُ حُجَّجَ الشَّيْخِ كَالْحُجَّجِ
الشَّرِيعَةِ ، عَلِمْتُ أَنَّهُ عِلْمُ الْمُرُوجِيَّةِ

• • •

قوله : « أَلَيْقَ » أى أشكل وأصقل . بِالْأَقْوَى : بِصَاحِبِ الْقُوَّةِ . وَالَّذِي
هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ، هُوَ الْعَفْوُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ (١) .
أَقْنِيهِ : أَتْبِعِهِ . لَا أَقِفْ لَكَ فِيهِ ، أَيْ لَا أَتَوَقَّفْ فِيهِمَا تَشْبِيهِ . تُقْصِرُ : تَكُنْ . عَنْ
الْقِيلِ وَالْقَالَ ، أَيْ عَنْ كُلِّ كَلَامٍ . أَجْتَنِبِ : أَجْمَعْ . عَرَضًا : كُلٌّ مَا لَيْسَ فِيهِ
رُوحٌ مِنَ الْأَمْتَةِ غَيْرِ الْعَيْنِ ؛ وَهُوَ لَيْسَ بِنَقْدٍ مِنَ السَّلْعِ الَّتِي يُتَجَرَّ فِيهَا مِنْ مَتَاعٍ
وَرَقِيقٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ . أَتَحْمِلُ : أَضْمِنُ ، وَفُلَانٌ حَمِيلٌ بِكَذَا ، أَيْ ضَامِنٌ لَهُ . إِخْلَافٌ :
كَذِبٌ وَعَدٌ . نَقْدَهُ : أَعْطَاهُ قَدًّا . وَزَعَ : فَرَّقَ . وَزَعَتُهُ : شُرْطَتُهُ الَّذِينَ يَكْفُونُ

عنه الناس ، واحدهم وازع مثل كافر وكفرة ، وقد وزعته وَزَعًا كَفَفْتَهُ ،
 وأيضاً دفعته . وقال الحسن البصري رحمه الله : لا بد للسلطان من وَزَعَةٍ . الأصيل
 العشي . وثوبه : ضوء الشمس ، وهو في ذلك الوقت رقيق . صَوْب : وقع ، وصاب
 السهم صوباً وصَيَّباً : وقع بالرمية ، وصاب السحاب الموضع : أمطر . والتحصيل : أن
 يحصل بقية السال . راج : حضر وتيسر ، ويقال : راج الشيء رَوَّجاً فهو رائج إذا
 جاء جاء سريعاً . قوله : « إنسان مقلتي » ، أي سواد عيني . يرعاه : يحفظه وينظره .
 أعنى : أتى بالبقية ، والمفاوة : بقية المرق في القدر . تخلصت : انفصلت . والقائبة :
 البيضة . والقُوب : الفرخ ، وهذا مثل يضرب للرجلين بفرقان بعد الصعوبة ،
 وجاء مقولاً لأن الذي ينفصل ويخرج إنما هو الفرخ من البيضة ، والقُوب ، من
 تقوَّب الشيء إذا انتشر ، ومنه القوباء لداء الحزاز^(١) . وابن يعقوب هو يوسف
 عليهما السلام ، وبراءة الذنب من دمه ، هو ما يحكى أن إخوته لما جاءوا إلى
 أبيهم ليكون على يوسف ، علموا أنه لا يصدقهم ، فاصطادوا ذئباً فطأخوه بدم ،
 وأتوه بيبكون ، وقالوا له : هذا الذنب قد ضري ، أكل أغنامنا وأكل يوسف
 أخانا ، قال لهم : أطلقوه ، ودعا الله يعقوب أن ينطقه له ، فقال للذنب : أدن مني ،
 فجعل يبصم بذنبه ويدنو منه ، حتى وضع خذله على فخذ يعقوب ، فقال له :
 إني أكلت ابني ، وخبعتني فيه ؟ فقال : لا والله يا بني الله ، ما رأيته ولا أكلته ،
 وإني لأرب في أرضكم اليوم ، وصلت من مصر في طلب أخ لي قد دته ،
 فأوتقني هؤلاء . واقفوني إليك ، فقال لم يعقوب عليه السلام : الذنب مع أخيه
 أوفى منكم مع أخيك .

قوله : « سَمِتَ » : أي كَلَمْتُ . شَطَطاً : شيئاً بعيداً ، والشَّطَط : مجاوزة القدر .
 ورمت قَرَطاً : طلبت شيئاً متفاوتاً ، وكيف لم يسمه شططا ، وقد حرمة لذة
 ليلة مع هذا العلام أحسن من ليلة الخفافى^(٢) حيث يقول :

(١) و القاموس : الحزاز : وجع و انقلب من غيط أو نحوه .

(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن خناجة الأندلسي ، صاحب الديوان المنسوب إليه .

وليلة طَلَقَةٍ قَصَدَنِي من موعدٍ للحبيب دُبْنًا^(١)
 بَدْنَا نَجْمَ الذُّيُولِ فِيهَا والحر تَمْشِي بِنَا الهَوِيِّ
 أُرْسِلَ فِي رَوْضٍ وَجَنَّتِيهِ لحظة عَيْنٍ تَفِيضُ عَيْنًا
 كَأَنَّمَا الَّلَحْظُ كَيْمِيَاءُ تَذْهَبُ مِنْ وَجْهِ لُجَيْنًا
 وَمَا تَوَهَّمْتُ أَنَّ طَرْفَا يَقلِبُ عَيْنَ اللَّجِينِ عَيْنًا

أو ليلة الآخر حين يقول :

لَمَّا رَأَى مَنْ خَلَّتْ فِيهِ مَتْنًا جَسَى ضَيْلًا وَالْفُؤَادَ مَوْتَهَا
 جَادَتْ شَمَائِلُهُ عَلَى بَلِيلَةٍ أَهْدَتْ إِلَى الصَّبِّ الْمَعْنَى مَا شَبَّهَسَى
 عَاقَتْ فِيهَا الْبَسْطَرُ لَيْلَةَ تَمِيهِ يَا مَنْ رَأَى بَدْرًا بِعَاقِهِ الشَّهْبَا !

[ذكر أحمد بن سريح أحد أئمة الشافعية]

قوله : «الحجج الشريحية» منسوبة إلى أحمد بن سريح ، وهو من كبار أصحاب الشافعي ، وكان حسن الاحتجاج ، مليح المناظرة .

وقال الفنجديهي : الشريحية منسوبة إلى الإمام أبي العباس أحمد بن عمر ابن سريح إمام أصحاب الشافعي على الإطلاق ، ومن لافست ذات دَرٍّ بمثله في الآفاق ، حججه في أحكام الشرع أوضح الحجج ، وأقواها وأمتنها على مرور الأيام والحجج ، وكان يلقب بالبازي الأشهب ، وبالشافعي الثاني ، لتبحره في استنباط المعاني ، من غوامض الأخبار والثاني ، دلالة في فنون العلم متينة ، وبراهينه مبينة . وقال : رأيت في المنام كأننا أمطرنا كبريتاً أحمر ، فلات كمي وحجري وجيبي منه ، فمبلى أني أرزقُ علماً غزيراً كعزة الكبريت الأحمر .

وسمع يتمثل بهذه الأبيات :

فلا تحمد الكلب أكلَ العظامِ فعند الخسارة ما ترحمة
تراه وشيكاً شيكاً إسته كلوما جناها عليه قمة
إذا ما أهان امرؤ نفسه فلا أكرم الله من يكرمه

وكان يناظر محمد بن داود ، فقال له ابن داود يوما وقد أكثر عليه .
السؤال : أبلغني ربي ، قال له : قد أباحتك الدجلة والفرات (١) .

وقال له مرة : أمهلني ساعة ، فقال : قد أمهلتك من الساعة إلى أن تقوم
الساعة (٢) .

وقال له ابن داود يوما : أكلك من الرجل وتجبني من الرأس ! فقال له :
كذلك البقر إذا حفيت أظلافها ، وهنت قرونها .

واجتمع أبو العباس بن سريج وأبو بكر بن داود الأصهباني في مجلس .
عيسى بن الجراح الوزير ، فتناظرا في الإبلاء ، فقال ابن سريج : أنت بقولك : من
كثرت لحقاته ، دامت حسراته ، أبصر منك في الكلام في الإبلاء ، فقال له
ابن داود : لئن قلت ذلك ، فإني أقول :

أنزه في روض الحاسن مقلتي وأمنع نفسي أن تنال مُحَرَّمًا (٣)
وأحمل من ثقل الهوى مالو أنه يُصَبُّ على الصخر الأصم تهذما :
وَبَنَظْنُ طرفي عن مترجم خاطري فلولا اختلاسي ردّه لتكلما
رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم فلت أرى حبا صحيحا مسدا .

وقال له ابن سريج : بم تفتخر ؟ ولو شئت قلت :

(١) طبقات الشافعية ٣ : ٢٤ (طبع الحلبي) .

(٢) طبقات الشافعية ٣ : ٢٤ .

(٣) طبقات الشافعية ٣ : ٢٧ .

وَمُساهِرٍ بِالْفَنَجِ مِنْ لَحَظَاتِهِ قَدْ بَثَّ أَمْتُهُ لَدِيدَ سِنَاتِهِ^(١)
 أَصْبُو لِحْنِ كَلَامِهِ وَحَدِيثِهِ وَأَكْرَرُ اللَّحَظَاتِ فِي وَجَنَاتِهِ
 حَتَّى إِذَا مَا الصَّبْحُ لَاحَ عَمُودُهُ وَلَّى بِخَاتَمِ رَبِّهِ وَبَرَاتِهِ
 فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْوَزِيرَ ! يَحْفَظُ عَلَيْهِ مَا قَال ، حَتَّى يَقِيمَ عَلَيْهِ
 شَاهِدِينَ عَدْلَيْنِ ، أَنَّهُ وَلَّى بِخَاتَمِ رَبِّهِ وَبَرَاتِهِ ، قَالَ لَهُ ابْنُ سَرِيحٍ : فَيَلْزَمُنِي فِي
 هَذَا مَا يَلْزَمُكَ فِي قَوْلِكَ :

• وَأَمْنَعُ نَفْسِي أَنْ تَنَالَ مُحَرَّمًا •

فَضَحِكَ الْوَزِيرُ ، وَقَالَ : لَقَدْ جِئْتُكُمْ غَرَفًا وَلَطْفًا وَعِلْمًا وَنَهْجًا .
 اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الْحِكَايَةُ عَلَى أَنَّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ الْعَالَمَيْنِ عَلَى اشْتِهَارِهِمَا بِالْإِلْمِ
 وَالْفَضْلِ وَالَّذِينَ كَانَا يَرْتَاخَانِ إِلَى التَّمَشُّقِ عَلَى سَبِيلِ التَّطَارُفِ وَالْإِثْمَانِ
 عَلَى مَا يَلِيقُ وَيَشْكُلُ بِمَنْصَبِهِمَا ؛ وَإِذَا كَانَ التَّمَشُّقُ بِشَرَطِ الْعَفَافِ ، فَإِنَّمَا يَزِيدُ
 الرَّجُلَ الْفَاضِلَ رَقَّةً طَبِيعَ ، وَحِلَاوَةً شَمَائِلَ .
 وَقَالَ ابْنُ سَرِيحٍ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ : أُرَيْتُ فِي الْمَنَامِ الْبَارِحَةِ كَأَنَّ
 قَائِلًا يَقُولُ : هَذَا رَبُّكَ يَخَاطِبُكَ ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : مَاذَا أَجَبْتُمُ الرِّسَالَيْنِ ؟ فَقُلْتُ :
 بِالْإِيمَانِ وَالتَّصَدِيقِ ، قَالَ : قَعِيلٌ : مَاذَا أَجَبْتُمُ الرِّسَالَيْنِ ؟ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهُ
 يُرَادُ مِنِّي زِيَادَةُ فِي الْجَوَابِ ، فَقُلْتُ : بِالْإِيمَانِ وَالتَّصَدِيقِ ، غَيْرَ أَنَا قَدْ أَضْبَعْنَا مِنْ
 هَذِهِ الذَّنُوبِ ، فَقَالَ : أَمَّا إِنِّي سَأَغْفِرُهَا لَكَ .

وَتُوُفِّيَ خَمْسَ مَضِينَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ ، وَبَلَغَ سَنَهُ
 سَبْعًا وَخَمْسِينَ سَنَةً وَسِتَّةَ أَشْهُرَ ، وَدُفِنَ فِي حِجْرَةِ بَسُوقَةِ غَالِبٍ بِبَغْدَادَ رَحِمَهُ
 اللَّهُ عَلَيْهِ .

[طَائِفَةٌ مِنْ شَعْرِ النَّسِيبِ]

وَنَذَكُرُ الْآنَ مِنْ نَتِيسِ الشَّعْرِ الْمُضْمَّنِ « مَنْ » ظَفَرَ مِنْ مَحْبُوبِهِ بِمِرَادِهِ مِنْ .

لوصال ، ثم عف عما يحمل بأهل الجلال » ، قال إدريس بن النيمان :

لم تدر ما خلّدت عينك في خلدي من الغرام ولا ما كادت كبدى
أفديك من زائر رام الدنو فلم يسطعه من حرق في الدمع متقد
خاف العيون ، فوافاني على عجل معطلا جيدم إلا من العتيد
عاطيته الكأس فاستحييت مدامها من ذلك الشنب المصول والبرد
حتى إذا غازلت أجفانه سنة وصيرته يد الصنباء طوع يدي
أردت توسيده خدي وقل له فقال : كفك عندي أفضل الوسد
فبات في حرم ، لا غدر يزعه وبث ظمان لم أضدِر ولم أريد
بدر ألم وبدر التّم منه حق والأفق محلوك الأرجاء من حسد
تخيّر الليل فيه ، أين مطامه أما درى الليل أن البدر في عضدي !
وقال الرمادي :^(١)

وليلة راقبت فيها الهوى على رقيب غير وشنان
والراح ما تنزل عن راحتي وقتنا ومن راحة ندمان
ورب يوم قبضه منضج كأنه أحشاء ظمان
أبرز من خدي يولي رشحه طلاء على ورد وسوسان^(٢)
وكان في تحليل أزراره
فتحت الجعة من جيبه
مروءة في الحب تنهى بأن

وقال سعيد بن حميد :

زائر زارنا على غير وعد أهيف الكشح ، مُنقل الأرداف

(١) هو يوسف بن هارون الرمادي ؛ والأبيات في المطرب لابن دحية ؛

(٢) الرشع : العرق ؛ والاطن : فطرات الندى .

غالب الخوف حين غالبه الشَّوْقُ ق فَاخْفَى الْهُوَى وَلَيْسَ بِخَافِي
غَضَّ طَرْفِي عَنْهُ تَعَى اللَّهُ وَاخْتَرْتُ تْ عَلَى بَذْلِهِ بَقَاءَ التَّصَافِي
ثُمَّ وَلَّى وَالْخَوْفُ قَدْ هَزَّ عِطْفِي د ، وَلَمْ تَحُلْ مِنْ لِبَاسِ التَّغَافِ
وَقَالَ بَعْضُ الطَّالِبِينَ :

رَمَوْنِي وَإِيَّاهَا بَشْتَعَاءَ هَمْ بِهَا أَحَقُّ ، أَدَالِ اللَّهُ مِنْهُمْ وَعَجَلًا
بِأَمْرِ تَرْكِنَاهُ وَرَبِّ مُحَمَّدٍ جَمِيعًا ، نَامَا عِنَّةً أَوْ تَجَمُّلاً
وَسَنَزِيدُ مَا يَسْتَحْسِنُ فِي الصَّفَافِ وَضَدَهُ فِي الثَّانِيَةِ عَشَرَ .
قَوْلُهُ : « عَالِمُ السُّرُوجِيَّةِ » ، أَيُّ مَشْهُورِهَا . وَالْعَلَمُ : الْجَبَلُ .

فَلَبِثْتُ إِلَى أَنْ زَهَرَتْ نَجُومُ الظُّلَامِ ، وَانْتَشَرَتْ عُمُودُ الزُّحَامِ ،
ثُمَّ قَصَدْتُ فِنَاءَ الْوَالِي ، فَإِذَا الشَّيْخُ لَافَقَى كَالِي ، فَتَسَدَّتْهُ اللَّهُ : أَهُوَ
أَبُو زَيْدٌ ؟ فَقَالَ : إِي وَبِحَالِ الصَّيْدِ ! فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا الْغُلَامُ ،
الَّذِي هَفَّتْ لَهُ الْأَحْلَامُ ، نَالَ : هُوَ فِي النَّسَبِ فَرَخِي ، وَفِي
الْمُسْتَنْسَبِ فَحْيٌ ، قُلْتُ . فَبَلَّاهَا كَفَيْتُ بِحَامِرِي فِطْرَتِي ، وَكَفَيْتُ
الْوَالِي الْإِفْتِنَانَ بِطَرْتِي . فَقَالَ : لَوْ لَمْ تُبْعِرْزْ جِبْهَتَهُ السَّيْنِ ، لَمَا
قَنَقَشْتُ الْخَمْسِينَ ، ثُمَّ قَالَ : بَيْتُ اللَّيْلَةِ عِنْدِي انْطَفَى نَارُ الْجَوَى ،
وَنَدِيلُ الْهَوَى مِنَ النَّوَى ، فَقَدْ أَتَجَمْتُ عَلَى أَنْ أَنْسَلَ بِسُحْرَةِ ،
وَأُحَالِي قَابَ الْوَالِي نَارَ حَصْرَةِ .

لبثت : أقيمت . عقود : جمع عقد ، أراد ما يعتقد من جموع الناس في الزحام .
 انتشرت : افتقرت . زهرت : أضاءت . الفناء : ما حول الدار . ناشدته : سأله .
 هفت ، أى طارت . الأحلام : المقول . فطرته : خلقتها . تبرز : تظهر . والطرّة :
 قد تقدمت ، وشبه اعتدال الشَّمَر على الجبهة بشكل السين على السطر ، وأخذه
 من قول التّهامي :

يَارُبَّ مَعْنَى بَعِيدِ الشَّانِ تَسْلُكُهُ فِي سَلَكٍ لَفْظٍ قَرِيبِ الْفَهْمِ مُحْتَصِرٍ ^(١)
 لَفْظٌ يَكُونُ لِمُقَدِّرِ الْقَوْلِ وَاسِطَةً مَا بَيْنَ مَنْزِلَةِ الْإِسْهَابِ وَالْخَصْرِ
 إِنْ الْكِتَابَةُ صَارَتْ تَحْتَ أَعْلَى ^(٢) وَالْجُودُ فَالْتَقِيَا مِنْهُ عَلَى قَدَرٍ ^(٣)
 تَرَدُّ أَقْلَامُهُ الْأَرْمَاحَ صَاغِرَةً عَكْسًا ، كَمَكْسِ شُعَاعِ الشَّمْسِ لِلْفَمْرِ ^(٤)
 وَفِي كِتَابِكَ فَاعْذُرْ مَنْ يَهِيمُ بِهِ مِنَ الْحَاسِنِ مَا فِي أَحْسَنِ الصُّوَرِ
 الطَّرْسُ كَالْحَدِّ وَالنُّونَاتُ دَائِرَةٌ ^(٥) مِثْلَ الْحَوَاجِبِ وَالسَّيْنَاتُ كَالطَّرِيرِ
 وَمِنْ مِلْحِ الْخَبَرِ أَرَزَى :

وَبِنَفْسِي مِنْ إِذَا خَشَشْتُهُ نَشْرَ الْوَرْدِ عَلَيْهِ وَرَقَةً
 وَإِذَا مَسَّتْ يَدِي طَرَّتَهُ أَقْلَتَتْ مِنْهُ فَعَادَتْ حَاقِقَةً

أَخَذَهَا مِنْ حِكَايَةِ لَمَرِّ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ ؛ حَدَّثَ لِلنَّبِيَّةِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، قَالَ :

(١) ديوانه ٤٥ ، وفيه : « أسلكه » .

(٢) الديوان : « سارت » .

(٣) الديوان : « فالتقياه » .

(٤) بديع في الديوان :

يَحُولُ بَيَاضُ اللَّعَانِي سَوْدُ أَحْرِفِهَا إِنْ الظَّلَامَ لِيَجْلُورَ وَنَقِ السُّحَرِ

(٥) الديوان « الطرس كالوجه » .

حجبت مع أبي وأنا غلام ، عَلَى جُمَّة^(١) ، فحجبت عمرَ فسَلَّت عليه ، فجلست عنده ، فجعل يمدَّ الخَصْلَةَ من شعري ثم يرسلها ، فترجع على ما كانت عليه ، ويقول : واشباباه ! حتى فعل ذلك مرارا ، ثم قال لي : يا بن أخي ، قد سمعتني أقول في شعري : قالت وقلت ... وكلّ مملوكٍ لي حرّاً إن كنتُ كُشِفْتَ عن فرَجِ امرأةٍ حرامٍ قطّ ، فسألت عن رقيقه ، فقيل لي : أما في الحوْكِ فبمعون سوى غيرهم^(٢) .

وساير عمرَ عُرْوَةَ بن الزبير يحدثه ، فقال : وأين زين اللواكب؟ - يعني ابنه محمداً ، وكان يُعرف بذلك لجلاله - قال عروة : هو أمامك ، فركد بطلبه ، فقال له عروة : يا أبا الخطاب ، أولسنا أكنهأ كراماً لحادثتك ! قال : بلى ، بأبي أنت وأمي ، ولكنني مغرّى بهذا الجلال حيث كان ، ثم التفت إليه ، وقال :

إني امرؤٌ مُوَلِّعٌ بالحسن أتبعُه لاحظْ لي فيه إلّا لَذَّةُ النَّظَرِ^(٣)

أخذه العباس بن الأحنف ، قال :

أتأذنون لصبٍ في زيارتِكُم فمندكم شهواتُ السَّمْعِ والبَصَرِ
لا يضرُّ الشَّوْءُ إن طالَت إقامته عَفُ الضَّعِيرِ ولكن قاسقُ النَّظَرِ

[مما قيل في حلق الشعر]

ومما يتعلق بذكر الشعرِ حِلَاقه ، والشعر فيه كثير ؛ فنلّم منه بالبسير .

وأول من قرّع هذا الباب - فيما يذكر - القائل :

حَلَقُوا رَأْسَهُ لِيَكْسُوهُ قُبْحًا خيفة منهم عليه وَشَحًّا

(١) الجمة : شعر الرأس .

(٢) الخبر في الأغاني ١ : ٧٧ .

(٣) الأغاني ٣ : ١٤٦ ، ١٤٧ .

كان من قبل ذاك ليلاً وصُبحاً فحسوا ليلته وأبقوه صُبحاً
وقال أبو العباس القرَبيّ :

كان إلّا قَمراً تحت دُجى فانجلى الليلُ ولاح القمرُ
أو كزهرٍ في كامنٍ كامنٍ شقتُ عنه قَمٌّ الزَّهرُ

وقال أبو العباس بن حَيّون :

حلقوك في تغيير حسنك رغبةً فازداد حسنك بهجةً وضياءً
كالنمرِ فُضّ ختامه فتشمشتُ والشمعُ قُطَّ ذُبالُهُ قاضاً

قوله : « قفشتُ » ، أى أخذت بسرعة ، تقول : قفشت الشيء ، قفشا إذا جمعت عليه كنفك بسرعة ، وقد انقشفت المنكبوت ، إذا دخلت حُجُرها .

قوله : « الجوى » ، أى مرض القلب . نُدِيل : نموّض ، والإدالة : أن يكون الشيء لك مرة ولنيرك أخرى وهى من الدولة . النوى : البعد أو يريد : هلم تنجدد المودة فى هذه الليلة ، ويكون ذلك عِوَضاً من طول الفراق ، فقد عزمت على أن أنسلّ بالسَّحَر وأفرّ ، والانسلال : الخروج مستخفياً . أصلي قلب الوالى : أجمله متعزّزاً بالتعسر والتنجع .

قال : فقَضِيتُ اللَّيْلَةَ مَعَهُ فى سَمَرٍ ، آتَقَ مِنْ حَدِيثِ قَمَرِ زَهَرٍ ، وَخَيْلَةِ شَجَرٍ ، حَتَّى إِذَا لَأَلَا الْأَفُقُ ذَنْبُ السَّرْحَانِ ، وَأَنَّ ابْتِلَاجُ الْفَجْرِ وَحَانِ ، رَكِبَ مَثْنِ الطَّرِيقِ ، وَأَذَاقَ الْوَالِىَ عَذَابَ الْحَرِيقِ ، وَسَلَّمْ إِلَى سَاعَةِ الْفِرَاقِ ، رُمَّةً مُحْكَمَةً الْإِلْمَاقِ ،

وقال : اذقمها إلى الوالي إذا سلب القرار ، وتحقق منا
الفرار ؛ ففضضتها فقل التمس ، من مثل صحيفة التمس .

• • •

قُضِيَتْ : أتمت . سَمَر : حديث بالليل يُسَمَرُ عليه . آ نَق : أحسن . حديقة :
بستان ، ولا تكون إلا تحت حائط أو زَرْب . زَهْر : نور . خيلة : روضة فيها
شجر . لَأْلَأ : لمع وأضاء . الأفق : جهات السماء . ذَنَب السَّرْحَان : هو الفجر
الكاذب ، وهو ضوء يظهر قبل الفجر دقيق متصعد إلى السماء . والسَّرْحَان : الذئب ،
شبه ضوءه بذنبه . آن : حان وقرب . انبلاج الفجر : ظهور ضوئه . متن : ظهر .
الحريق : النار . سلم : ترك . محكة الإصاقي : متفنة الطي . القرار : السكنية ، يريد
أن الوالي إذا أخبر بهر بنأ ذهب عقله ، فجعل يتمايل ولا يقر . فضضتها : كسرت
ختامها .

[ذكر التمس وصحيفته]

والتمس ، شاعر مشهور ، اسمه جرير بن عبد المسبح ، ومضى التمس بقوله :

فهذا أوان العريض جُنَّ ذبابُهُ زنايرُهُ والأزرق للتمس^(١)

وهو مأخوذ من تلمس الرجل الحاجة ، إذا طلبها سرًا من غيره ، وأصل ذلك
من التمس باليد ، كالذي يلمس بيده في الظلام مواضع خفية يطلب منها شيئاً ضاع
منه ، أو كلش الأعمى شيئاً بيده .

(١) القمر والقراء ١٢٢ ، قال في شرحه : العريض : الوادي ، ويروى : «حي ذبابه» .
(٢٨ — شرح مقامات جرير ١)

ومن كلام عامتنا: فلان يتلمس، بسكون التاء، أى يدخل بين الناس باستخفاء ولا يُشعر به .

والتلمسُ أحد الثلاثة الذين اتفق العلماء على أنهم أشعر القلّين في الجاهلية ، وهم : التلمس والسّيب بن علس وحُصين بن الحُجّام .

والتلمس ، بالميم قبل اللام ، هو المتخلص الذى يطلب السلامة والخلاص بسهولة ، وقد أُمس إذا خرج من بين القوم هارباً وهم لا يشعرون ، وقد أُمس الشيء ، إذا سقط من يده ولم يشعر به للاسته .

والصحيفة : الكتاب . وقصتها^(١) أن التلمس وطرفة كانا يتنادمان مع عمرو ابن هند ملك الحيرة - وكان سيّء الخلق شديد ، وهو الذى حرق من تميم مائة رجل ، فهجوه ، فقال فيه التلمس - وكان طرده لشيء بلغه عنه :

أطردتنى حَذَرُ الهجاء ولا والألآت والأُنصاب لا تتل^(٢)
أى لا تنجو .

وقال فيه أيضاً :

إن الخيانة والمقالة والخنا والفذر تركه ببلدة مفسد^(٣)
ملك بلاعب أمه وقطينها رخو المفاصل أيزه كالبرد
فإذا حلت ودون بيتي غاوة^(٤) فابرق بأرضك ما بدالك وارعد
وقال طرفة :

فليت لنا مكان الملك عمرو رغوفاً حول قُبْننا تخور^(٥)

(١) جبهة الأمثال ١ : ٥٧٩ - ٥٨٢ ، اللسان ١ : ٣٩٩ .

(٢) الأغاني ٢٣ : ٥١٦ (طبع الثقافة بيروت) .

(٣) شعراء النصرانية .

(٤) غاوة : قرية من قرى حلب .

(٥) ديوانه ٩٠ - ٩٦ ، والرغوثة : النجعة الموضع .

لعمرك إِنْ قابوس بن هندٍ ليخلط ملكه نوكٌ كثيرٌ^(١)

في أبياتٍ شهرتها تنبي وتغني عن ذكرها ؛ فاستحيا أن يقتلها بحضرته ،
ويدينها لإدلال المتأدبة ، فكتب لهما بصحيفتين ، وختمهما لئلا يعلما ما فيهما .
هو أوَّل مَنْ ختم الكتاب . وقال لهما : اذهبا إلى عاملي بالبحرين ، فقد أمرتُه
أن يصلكما بجواز . فذهبا قرا بطريقهما بشيخ يحدث ويأكل من خبز بيده ،
ويتناول القمل من ثيابه ويقصمه ، فقال المتلّس : ما رأيت شيئا كالذي أرى
من هذا ! فقال الشيخ : ما رأيت من مُحقٍّ ! أخرج الداء ، وآكل الدواء ،
وأقتل الأعداء . ويروى : أقتل عدوًّا ، وأدخل حبيبا ، وأخرج خبيثا ، أحقُّ والله
مَنْ يحمل حنقه بيده .

فاستراب المتلّس بقوله ، وطلع عليهما غلام من أهل الحيرة من كتاب
العرب ، فقال له المتلّس : أتقرأ يا غلام ؟ قال : نعم ، ففك الصحيفة فإذا فيها : فإذا
أتاك المتلّس فاقطع يدي ورجليه وادفنه حيا : فقال لطرفة : ادفع إليه صحيفتك ،
فإن فيها مثل هذا ، فقال طرفة : كلا لم يكن لي جترى على . وكان غرضا صنير السن .
فقدف المتلّس بصحيفته في نهر الحيرة ، وقال :

قدفتُ بها في الثني من جنب كافرٍ كذلك أقنوا كل فظ مضال^(٢)
رضيت لها بالماء كفا رأيتها يحولُ بها النّيار في كل جدول
وأخذ نحو الشام وقال :

ألقي الصحيفة كي يحقّف رحله والزاد حتى نمله ألقاها
أراد : أنه تحفّف للفرار ، فألقى مالا يُثقل ، وما لا يدّ للسفر منه .

(١) النوك : الحماة

(٢) الشمر والشمراء ١ : ١٣١ . الثني : متطلف التمر . كافر : اسم علم لنهر الحيرة ،
هو أفتو ، أى أجزى .

وقال حينئذ :

مَنْ مَبْلَغُ الشَّمْرَاءِ عَنْ أَخَوِيهِمْ خَبْرًا فَتَصَدَّقْهُمْ بِذَلِكَ الْأَنْفُسِ^(١)
 أُرْدَى الَّذِي عَاتَى الصَّعِيفَةَ مِنْهُمَا وَنَجَا - حِذَارَ حَبَائِهِ - الْمَلْهُسُ
 أَلْقَى الصَّعِيفَةَ ، لَا أَبَالِكَ إِيَّامًا يُخَشَى عَلَيْكَ مِنَ الْحَبَاءِ الْقَمَرِ^(٢)

وأما طرفة فوصل إلى البحرين ، فلما قرأ العامل صحيفته ، وسأله عن المتأسس .
 فأخبره بفراره ، عفا عنه لصدقه ورعايته لطابع الملك حيث لم يفكه .

وقيل : إنه سجنه ، وبعث إلى عمرو بن هند ، وقال له : ما كنت لأقتل طرفة ،
 وأعادى نبيلته ، فإذا أردت قتله ، فابعث إليه مَنْ يقتله . ففعل وخبر في قتله ؛
 فاحرار أن يستقوا لهم ، ويُفصدَ أكله^(٣) ؛ ففعل به ذلك حتى مات نزفاً ، ودفن .
 بهجر . وقيل في قتله غير ذلك .

وقال البحتري بصدق ما تقدم :

ولقد سكنت إلى الصدود من الدوى

والشرى أرى عند طعم الحنظل^(٤)

وكذلك طرفة حين أوجس ضربة في الرأس هان عليه فصد الأكل

وقال ، وهو في السجن يخاطب قومه :

أسلمني قومي ولم يفضبوا لسوء حات بهم فادحة^(٥)

كل خليل كنت خالاه لا ترك الله له واضحة

كلهم أروغ من ثعلب ما أشبه الليلة بالبارحة !

(١) الشعر والشراء ١ : ١٣١ ، ١٣٢ .

(٢) القيس : داء معروف والرجلين ، ونسره في اللسان ٨ : ١٢٧ بالذامية .

(٣) الأكل : عرق في اليد ، ويسى عرق الحياة .

(٤) ديوانه ١٧٤٣ .

(٥) المقدم الثمين ٥٤ .

وقال يخاطب عمرو بن هند في السجن :

أبا منذرٍ كانت غروراً محيقتي ولم أعطكم بالطَّوعِ مَالِي ولا عِزِّي (١)
أبا منذرٍ أُنِفْتَ فاستبقِ بعضنا حَتَّى تَكُنْ بَعْضُ الشَّرَّاهُونَ مَنْ نَقَضِ
وَقِيلَ وَهُوَ ابْنُ عَشْرِينَ سَنَةً ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ : أَشْعَرُ النَّاسِ ابْنُ الْعَشْرِينَ
وَتَعْنِيهِ ، إِلَّا أَنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ أَنْشَدَ لِأَخْتِهِ تَرْثِيهِ :

عَدَدَنَا لَهُ سَنًا وَعَشْرِينَ حِجَّةً فَلَمَّا تَوَفَّى وَاسْتَوَى سَيِّدًا ضَخْمًا (٢)
فُجِعْنَا بِهِ لَمَّا رَجَوْنَا إِيَّاهُ عَلَى خَيْرِ حَالٍ ، لَا وَلِيدًا وَلَا فَخْمًا (٣)
وَهَلَكَ اللَّتَمَسُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يُبْقَرَى.

فَإِذَا فِيهَا مَكْتُوبٌ :

قُلْ لِرِوَالٍ غَادَرْتُهُ ، بَعْدَ بَيْتِي سَادِمًا نَادِمًا يَمُضُ الْيَدَيْنِ
سَلَبَ الشَّيْخُ مَالَهُ ، وَفَنَاهُ لُبَّهُ ، فَاصْطَلَى لَطَى حَسْرَتَيْنِ
جَادَ بِالْمَتْنِ حِينَ أُمِمَى هَوَاهُ عَيْنُهُ فَاشْتَى بِلَا عَيْنَيْنِ
خَفَضَ الْحُزْنَ يَامَعْنَى فَا يُجِ بَدَى طِلَابُ الْآثَارِ مِنْ بَعْدِ عَيْنِ
وَكَيْنَ نَجَلَ مَا عَرَكَ كَمَا جَلَّ لَدَى الْمُسْلِمِينَ رِزْءُ الْحَسَنِ
فَقَدَرِ اعْتَضَتْ مِنْهُ فُهْمًا وَحُزْمًا وَاللَّيْبُ الْأَرِيبُ يَمْنَعِي ذَيْنِ
فَاعْصِ مِنْ بَعْدِهَا الْمَطَامِعَ وَاعْلَمْ أَنَّ مَيْدَ الطَّبَاؤِ كَيْسَ بِهِ يَمْنِ

(١) ديوانه ٢٠٩ ، ٢١٠ .

(٢) الكامل للبرد ١ : ٢٥٨ . وروايته : « فلما توفى ما » :

(٣) القم : الرجل التامى سنا .

لَا وَلَا كُلُّ طَائِرٍ يَلْبِغُ الْفَسْحَ وَلَوْ كَانَ مُدَقًّا بِالْحَجِينَ
وَلَكُمْ مَنْ سَمَى لِيَصْطَادَ فَاصْطِرْ يَدَ وَلَمْ يَلْقَ غَيْرَ خُفٍّ حُنِينِ

قوله : « غادرته » ، أى تركته . بعض الـ يدين : تندماً . سادماً : متفيراً ،
والسادم : المتغير العتل من القم ، من قولهم : ماء سديم ، ومياه سديم وأسدام ،
أى متغيرة ، وقيل : السديم : الحزين الذى لا يطيق ذهاباً ولا بقاءً ، من قولهم :
بغير مسدّم ، إذا منع من الضراب ، فكان الحزين منع من الذهاب والرجوع ، فيقول :
تركته بعض يديه تندماً وتأثماً . اللظى : لهب النار ، وقد لظت النار : علأ لها ؛
فيريد أن الشيخ أخذ ماله والذى عقله ، فاحترق بنار فجتمت . جاد : سمح .
العين : الذهب . هواه : تمشقه وميله : اثنى . رجع . بلا عينين ، أى بغير مال
ولا بصر . خفض : سكن . معنى : معذب . يجدى : ينفع ، والعين ها هنا :
الشخص .

[أصل اللث : طلب أثراً بعد عين]

وقولهم : طلب أثراً بعد عين ، كأن رجلاً تمكّن من عدوه أو من صيد
ليرميّه ، فتراخى عنه حتى فاته ، ثم شدّ في طلبه بعد القوت ؛ وأوّل من قال ذلك
مالك بن عمرو العامري ؛ وكان بعض ملوك غسان أخذه وأخاه سهماً كآ بسبب
قتيل كان له في عمالته ، فحبسهما زماناً ، ثم قال لهما : إني قاتلُ أحدكما ، فجعل كل
واحد منهما يقول : اقتلنى مكان أخى ، فقتل سهماً كآ وخلى مالكاً ، فقال سهماك
حين ظن أنه مقتول :

وَأَقْسَمُ لَوْ قَتَلُوا مَالِكًا لَكُنْتُ لَهُمْ حَيَّةً رَاصِدَةً
 بِرَأْسِ سَبِيلٍ عَلَى مَرْقَبٍ وَيَوْمًا عَلَى طَرَفٍ وَارِدَةٍ
 أُمُّ سَمَّاكِ فَلَا تَجْزِي فَلَمُوتِ أُمَّا تَلِدِ الْوَالِدَةَ

وانصرف مالك إلى قومه ، فلبث فيهم زمانا . ثم إن ركبا مروا بهم وأحدهم
 يغني بهذا البيت :

• وَأَقْسَمُ لَوْ قَتَلُوا مَالِكًا •

فسمعت بذلك أم سمالك ، قالت : يا مالك ، قبح الله الحياة بعد سمالك ! أخرج
 في طلب نار أخيك ، فخرج فلقي قاتل أخيه في ناس من قومه ، فقال : من أحسن
 لي الجبل الأحمر ! فعرفوه ، فقالوا له : لك مائة من الإبل ، وكف عنه ، فقال :
 لا أطالب أثرا بعد عين ، فذهبت مثلاً ، ثم حمل على قاتل أخيه فقتله^(١) .

• • •

قوله : «جَلَّ» ، أى عظم . عراك : قصدك . رزء الحسين : اللصاب بقتله حين
 قتل بكر بلاء .

[رزء الحسين •]

وحديثه أن معاوية لما مات أرسل إليه أهل الكوفة أن قد حبسنا أنفسنا
 على بيعتكم . وطولب بالدينة أن يبايع يزيد ، فخرج إلى مكة ، وأرسل ابن عمه مسلم
 ابن عتيق إلى الكوفة وقال له : إن كان حقاً ما كتبوا به ، فعرفني ألقى بك .
 فخرج من مكة للنصف من رمضان ، وقدم [الكوفة] لخمس خلون

(١) جهرة الأمثال ٢ : ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، وأورد في معنى الأثر قول حبيب :

قَالُوا أَتَبْكِي عَلَى رَسْمٍ قُلْتُ لَهُمْ مِنْ قَاتِهِ الْعَيْنُ هَدَى شَوْقَهُ الْأَثَرُ

(*) انظر خبر مقتل الحسين في تاريخ الطبري حوادث سنة ٦٠ ، ٦١ .

من شوال ، وأميرها النعمان بن بشير ، فدخل مستتراً ، فبايعه من أهلها ثمانية عشر ألفاً . فكتبه ^(١) بذلك . فلما هم بالخروج لقيه ابن عباس رضى الله عنهما ، فقال له : يا بن عم ، أهل العراق أهل غدر ، وإنما يدعونك للحرب ، فقال له : يا بن عم ، كتب إلى مسلم بإجماع أهل الكوفة على ، فقال له : قد جرت بهم ، وهم أصحاب أبيك وأخيك ، وقتلتك غداً مع أميرهم ، إذا بلغ ابن زياد خبرك استفرّجهم ، فكان الذين كتبوا إليك أشدّ عليك عن عدوك ، فإن أبيت إلاّ الخروج فلا تخرجنّ بنسائك وولادك معك ، فإنّي لخائف أن تُقتل كما قتل عثمان ، ونساؤه وولده ينظرون إليه . فردّ عليه : لأن أقتل بموضع كذا ^(٢) ، أحبّ إلىّ من أن أستحلّ بمكة .

واتصل الخبر بيزيد ، فكتب إلى عبيد الله بن زياد بتوليته الكوفة . فخرج مسرعاً ، فدخلها في حشمه وهو مائتٌ ، والناس يتوقعون قدوم الحسين ، فجعل عبيد الله بن زياد يسلم على الناس ، والناس يقولون : وعليك السلام يا بن رسول الله ، قدمت خير مقدم ، حتى انتهى إلى القصر .

خسر اللئام ، ففتح له النعمان الباب ، وتنادى الناس : ابن مَرْجَانة ، فحصبوه بالحصباء ، فقاتلهم . ووضع الرّصد في طلب مُسلم ، فصاح مسلم : يا منصور — وكان شعارهم — فاجتمع له في ساعة واحدة ثمانية عشر ألفاً . فأحاطوا بالقصر فقاتلوا ابن زياد ، فلم يُمسِ المساء ومعه مائة رجل . فلما رأى تفرّقهم سار نحو أبواب كِنْدَةَ ، فبلغ الباب ومعه ثلاثة ، فخرج وليس معه أحد ، فبقي حائراً لا يدرى أين يتوجّه ، فنزل من على فرسه ، ودخل أحد أزقة الكوفة ، فأنهى إلى باب مولاة لـ محمد بن الأشعث ، فاستسقاها فقتله ، وأعلمها حاله ،

(١) أى كاتب الحبس .

(٢) تاريخ الطبرى « فقال له حسين : إنى أستعير الله وأتظر ما يكون » .

فرقت له ، فأوته وأعلنت محمد بن الأشعث بمكانه ، فشى إلى ابن زياد ، فأعلمه ، فوجه معه سبعين رجلاً ، فافتحموا عليه ، فقاتلهم مُسلم ، وأمنه محمد بن الأشعث ، وسمعه إلى ابن زياد فضرب عنقه ، وبعث برأسه إلى يزيد بن معاوية ، فصَلَبَ جُثَّتَهُ .

وانتهى الأمر إلى الحسين ، وقد بلغ القادسيّة ، فهم بالرجوع ، فقال له إخوة مسلم : لا ترجع أو تقتل ، أو نأخذ بثأرنا ، قال الحسين : لا خير في العيش بدمكم ، فسار حتى لقي خيلاً لابن زياد ، وعليها عمر بن سعد بن أبي وقاص ، فعُدل إلى كربلاء ، وهو في نحو خمسمائة فارس ، فلما كثرت المساكر أيقن أنه لا محيص له ، فقال : اللهم احسبم بيننا وبين قوم دَعَوْنَا لِنَصْرِنَا ، ثمَّ هم يقاتلوننا ! ثم خطب قومه فقال : يا عباد الله ، اتقوا الله ، وكونوا من الدنيا على حذر ، فإن الدنيا لو بقيت على أحدي ، أو بقيت عليها أحد ، لكانت الأنبياء أحق بها وبالبقاء ، غير أن الله خلقها للفناء ، فجديدها بال ، ونعيمها مضمحل ، ومرورها مكفهرة ، والدار قلعنة ، والمنزل تَلَمَّةٌ ^(١) ؛ فتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، واتقوا الله لعلكم تفلحون . ثم قاتل حتى قُتل رضي الله عنه وفيه ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة ؛ وتولى قتله سنان بن أنس التميمي ، واحتز رأسه ، وانطلق به مسرعاً إلى ابن زياد ، وهو يقول :

أَوْقَرُ رِكَابِي فَضَّةً وَذَهَبًا إِنِّي قَتَلْتُ الْمَلِكَ الْحَجَّابَا

* قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ أُمًّا وَأَبَا * ^(٢)

وبعث معه الرأس إلى يزيد بن معاوية ، وعنده أبو يرززة ، فجعل ينكت بالهضيب على فيه ، وهو يقول :

نَفَّلْتُ هَامًا مِنْ رِجَالٍ أَعَزَّ عَلَيْنَا ، وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأُظْلَمًا ^(٣)

(١) يقال : هو على قلمة ، أي على رحلة ، والتلمة : مجرى الماء من أعلى بطون الأرض والزول عليه مخوف .

(٢) يده في الطبرى :

* وَخَيْرُهُمْ إِذَا يُنْسَبُونَ نَسَبًا *

(٣) حصين بن الحمام اللبي ، من الفضيلة ١٢

فقال له أبو برزة : ارفع قضيبك عن فمه ، فلقد رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتئمه .

وقتل يوم عاشوراء ستة إحدى وستين ، وقتل معه سبعة وثمانون ، منهم عليُّ ابنه الأكبر ، ومن ولد أخيه الحسن عبد الله والقاسم وأبو بكر ، ومن إخوته العباس وعبد الله وجعفر ومحمد وعثمان بنو عليٍّ ، ومن بنى عمه جعفر ومحمد وعون أبناء عبد الله بن جعفر . ومن ولد عقيل عبد الله وعبد الرحمن وجعفر ، ودفنهم أهل القادسية بعد قتلهم بيوم ، وقتلوا هم من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانين .

* * *

قوله : « اعتضت » : اقتلعت من العوض . يعني ذين : يطلب هذين . الطَّيَّاء : الغزلان . يَلِيج : يدخل . محدَّقا باللَّجِين ، أى عماقاً بالقضبة ، والصائد يفرق حول الذئع حبَّ القمح وشبهه ، فيلقطه الطائر حتى يتوصَّل إلى ما نُصِبَ له . فيقع ، فقال : ما كلُّ طائر يُخدَع ، ولو حُلِقَ له الفخَّ بحبِّ اللَّجِين بدلا من القمح ، وإني من هذا الصنف .

قوله : « ولستم من سعى ليصطاد فاصطيد » ، من قول الصابي :
 يا قَمَرًا كَانَحْشَفَ فِي نَظَرَتِهِ وَكَاتَضْيَبَ اللَّذْنِ فِي نُفْرَتِهِ
 خَلَقْتُكَ صَيْدًا كَانَ فِي قَبْضَتِي فَصَرْتُ مِنْ صَيْدِي فِي قَبْضَتِهِ
 والسابق له كعب زهير بن في قوله :
 طَافَ الرَّهْمَاءُ بِصَيْدٍ رَاعِهِمْ فَلِذَا بَعْضُ الرَّهْمَاءِ بَنِيْلُ الصَّيْدِ مَقْتُولٌ^(١)

* * *

(١) لم يرد هذا البيت في ديوانه ، وأورده الميمنى في ملحون الديوان ٢٥٩ ، ٤٤٢ :
 عن الشريفي .

[أصل اللثل : رجع بخفي حنين]

وخُفَا حُنَيْن ، يضرب بهما اللثل للغائب الخاسر ، واختلف في حُنَيْن ، فقال يعقوب : إنه كان رجلاً مُدْعِيًا ، فجاء إلى عبد المطلب ، وعليه خُفَان ، فقال : يا عم إني من ولد هاشم ، فأنتم التَّنْظَر فيه ، وقال : لا وعظام هاشم ، ما أرى فيك شِمالًا هاشم ، فارجع خائبًا خاسرًا .

وقيل : كان رجلاً مفتيًا ، فدعاه قوم من أهل الكوفة . ليطربهم في نزهة ، فخرجوا به إلى الصحراء ، فضربوه وسلبوا ثيابه ، وتركوا عليه خُفِيَةً ؛ فلما رجع إلى زوجته - وكانت تنتظر رجوعه على عادته بما بفضل من أطعمة النزهة - ورأته على تلك الحالة قالت لكل من سألها : رجّع حُنَيْن بخفيّه .

وقيل : إنه كان صانعًا ، فساومه أعرابي بخُفَيْن ، وما كسبه حتى أخرجه . فلما ارتحل الأعرابي ، أخذ حنين إحدى الخفين فوضعهما على الطريق ، ثم مشى وأتى الأخرى في موضع آخر على الطريق ، وكن له ، فلما مرّ الأعرابي بالثُفَيْن قال : ما أشبه هذه بخُفَي حُنَيْن ؛ ولو كان معها الأخرى لأخذتها . فلما انتهى إلى الأخرى ، ندِم على ترك الأولى ، فأناخ راحلته ، وأخذها ورجع إلى الأولى ؛ فلما غاب عمّد حنين إلى راحلته بما عليها فركبها ، ومضى بها ، ورجع الأعرابي إلى قومه « الخُفَيْن » ، فكان إذا سئل عن حاله قال : رجعت بخُفَي حُنَيْن . فصار مثلاً .

وقيل : كان حُنَيْن لصًا حقيرًا فأخذَ وُصْلَب ، فجاءته أمّه وعليه خُفَان . فأنزعتهما ورجعت ، فقيل : رجعت بخُفَي حُنَيْن ، أي رضيت منه بذلك .

تَبَصَّرَ وَلَا تَشْمَ كُلَّ بَرَقٍ رَبُّ بَرَقٍ فِيهِ صَوَاعِقُ حَيْنٍ
وَأَغْضَضَ الطَّرْفَ تَسْتَرِحُ مِنْ غَرَامٍ تَسْكَنْسِي فِيهِ تَوْبَ ذَلِ وَشَيْنِ
فَبَلَاءِ الْفَتَى اتِّبَاعُ هَوَى النَّفْسِ وَبَذَرُ الْهَوَى طُمُوحُ عَيْنِ

قال الراوى : فَمَزَنْتُ رُفْعَتَهُ شَذَرَ مَذَرَ ، وَلَمْ أَبَلْ أَعْدَلَ
أَمْ هَذَرَ .

• • •

قوله «تبصر» : أى أحسن النظر . حَيْن : هلاك . والصاعقة : نار ترسل مع
الرعد والتبرق ، وجمها صواعق ، وصعق الرجل إذا أصابته ، وصعق إذا مات ،
وقيس تقول : صاعقة ، وبنو تميم صاقعة ؛ وقد صقع . غرام : عذاب الحب . شين :
عيب . والبذر : زرع الحب فى الأرض .

طموح : ارتفاع يريد أن أصل العشق مداومة النظر ، ألم فيه بقول عيسى
عليه السلام : « لا يزنى فرجك ما غضضت بصرك » ؛ وقد تقدّم : من كثرت
الخطاه دامت حسراته .

وقال سابق البربرى فى اتباع الهوى :

وهجر الهوى للمرء فاعلم سعادة

وطول الهوى رَيْنَ عَلَى الْقَلْبِ رَائِنُ

فَكُنْ دَافِنًا لِلشَّرِّ بِالْخَيْرِ تَسْتَرِحُ مِنْ الشَّرِّ إِنَّ الْخَيْرَ لِلشَّرِّ دَافِنُ

وقال آخر :

إذا أنت لم تنصِرِ الهوى قَادَكَ الهوى

إِلَى كُلِّ مَا فِيهِ عَلَيْكَ مَقَالُ

وقال للتنبئ بمصر:

عزيرٌ أُمى من دأؤه الأعين النجلُ عناء به مات المحبون من قبل^(١)
 فمن شاء فليُنظر إلى قمتنظري نذيرٌ إلى من ظن أن الهوى سهلُ
 وما هي إلا لحظةٌ بعد لحظةٍ إذا نزلت في قلبه رحلَ القملُ

وقال ابن زيدون :

من يسأل الناس عن حالٍ فشاها محض العيان الذي يُنفى عن الغبر^(٢)
 أما الصني فجنته نظرة عتَنَ كأنها والردي جاء على قدرِ
 فهمتُ معنى الهوى من وحي طرفك لي
 إن الحوار لفهمٌ يومٍ من الحوارِ

وقال المبالس بن الأحنف :

الحبُّ أول ما يكون لـ حاجةٍ تأتي به ونسوقه الأقدار^(٣)
 حتى إذا اقتنعم النقي لججِ الهوى جاءت أمورٌ لا تطلق كِبَارُ
 فهذا كله يبين بيت الحريري .

قوله : « مزقت » : قطعت . شذر مذر : قطعاً متفرقة في كل جهة .
 وأصل الشذر قطع الذهب ، ومذر اتباع لما .
 لم أبَل : أى لم أبال . عذل : لام . عذر : قبل المذر .

(١) ديوانه ٣ : ١٨٠ .

(٢) ديوانه ٢٠١ .

(٣) ديوانه ١١٦ .

فهرس المقامات

منحة	صدر المقامات
٤٦ - ١٢	المقامة الأولى ، وتعرف بالصنعانية ؛ تتضمن ظهور أبي زيد في مظهر الواقع مم كشف حاله بعد ذلك
٧٤ - ٤٨	المقامة الثانية ، وتعرف بالحلوانية ، تتضمن محاسن من التشبيهات الرائعة في الشعر .
١٢٧ - ٧٦	المقامة الثالثة ، وتعرف بالدينارية ، تتضمن أشعاراً في مدح الدينار وذمّه .
١٥٧ - ١٣١	المقامة الرابعة ، وتعرف بالدمياطية ، تتضمن محاوره أبي زيد مع ابنه في المواصلة والقطيعة .
١٨٦ - ١٥٨	المقامة الخامسة ، وتعرف بالكوفية ، تتضمن وقوف أبي زيد إلى باب دار ابنه ، يطلب منه القري ومجاوبته له
٢١٩ - ١٨٩	المقامة السادسة ، وتعرف بالراغية ، وتتضمن الرسالة التي فيها كلمات معجبة ، وكلمات غير معجبة
٢٦٨ - ٢٢٤	المقامة السابعة ، وتعرف بالبرقميدية ، تتضمن تعامى أبي زيد ، وقيام امرأته بقيادته ، وهو يبيع الرقاع المكتوبة
٣٠٧ - ٢٧٢	المقامة الثامنة ، وتعرف بالمرية ، تتضمن مخاصمه أبي زيد وابنة في الليل والإبرة
٣٣٠ - ٣٠٨	المقامة التاسعة ، وتعرف بالإسكندرية ، تتضمن مخاصمة أبي زيد لامراته ، وقيامه يبيع أثاثها ومتاعها .
٣٦٥ - ٣٣٣	المقامة العاشرة ، وتعرف بالرحبية ، تتضمن دعوى أبي زيد على شخص أنه اعتدى على ابنه
٤٤٤ - ٣٧٥	

فهرس الموضوعات^(*)

صفحة	
٣ - ١١	مقدمة الشارح
٢٢ - ٢٤	بديع الزمان الهمذاني
٢٤ - ٢٥	ذكر همذان
٢٦ - ٢٨	السبب في إنشاء الحريري للقامات
٣٣	ذكر قدامة بن جعفر
٣٤	عدي بن الزناع
٣٥ - ٣٦	القديم والحديث في الأدب
٣٦ - ٤٠	القول في الحام
٤١ - ٤٢	من أقوالهم في الحقد ذماً وحمداً
٤٤ - ٤٥	عما ورد من الحكم على ألسنة البهائم وغيرها
٥٠ - ٥١	مدينة صنعاء
٥٦ - ٥٧	نبذ من أقوال الشعراء في ذم الكبير
٦٣ - ٦٤	من لطائف التجنيس
٦٦ - ٦٨	نبذ من الأشعار في ذم الدنيا
٧٠ - ٧١	أبو نواس في مجالس الوعظ
٧٨	ذكر مدينة حلوان

(*) وهي الموضوعات التي وردت في أثناء الترح.

صفحة	شعار السكندرية
٧٩ - ٧٨	مما قيل في اللحن من الشعر
٨٩ - ٨٤	البحترى وبعض أخباره وشعره
٩٦ - ٩٠	وصية أبي تمام للبحترى
٩٧	ذكر النرجس ومقال الشعراء في تشبيه العميون به
١١٠ - ١٠٣	ذكر الواواء الدمشقي وبعض شعره
١١٤ - ١١٠	من قولهم في الامتحان
١١٦	بديهة السلامي
١١٨٤ ١١٧	من نوادر صاعد بن الحسن الربيعي
١٢٣ ١٢٢	مما قيل في البديهة الحاضرة
١٢١ - ١١٨	نقد شعر الحريري
١٢٥ - ١٢٣	من أقوالهم في الفراق
١٢٦ ١٢٥	فصل في الحسد وما قيل فيه
١٣٨ - ١٣٥	قصة المثل : أنجز جرث ما وعد
١٤٤ - ١٤٣	مما قيل في وصف الدينار من الشعر
١٤٤	فصل في الوعد ومذاهب الناس فيه
١٤٧ - ١٤٥	فصل في مدح الشيء وذمّه في وقت واحد
١٥٦ - ١٥٤	مما قيل في سواد الليل
١٦٢ - ١٦٠	مذاهب الشعراء في الغفر أو الانتصاف
٢٧٧ - ١٧٠	مما ورد في الصبح من الشعر
١٧٣	نقد مما قيل في الحمام شعراً وثراً
١٨٠ - ١٧٧	قولهم : حديث خرافة
١٨٨ - ١٨٦	

صفحة

١٨٩ - ١٩١	الكوفة
١٩١ - ١٩٣	مما ورد في وصف الهلال من الشعر
٢٠٣ - ٢٠٥	قصة موسى عليه السلام قبل مبعثه
٢٠٧	إبراهيم عليه السلام
٢٠٧ - ٢٠٨	مما قيل في القرى والأضياف
٢٠٩ - ٢١١	نبذ وحكايات في البؤس والحرمات
٢١١ - ٢١٣	ذكر مدينة فيد
٢١٩ - ٢٢٣	ذكر الكهيت في بعض أخباره وشعره
٢٣٢ - ٢٣٦	ذكر قناري بن النجاة
٢٣٩ ، ٢٤٠	الخطيئة وسعيد بن القاص
٢٤١ - ٢٥١	فصل في الدواة والقلم والمداد
٢٦٢ ، ٢٦٣	الضباع وما قيل فيها
٢٦٣ - ٢٦٥	نبذ مما قيل في أحوال الدهر
٢٦٥ - ٢٦٧	نبذ وأقوال في ذم الزمان
٢٨٦ - ٢٨٩	ذكر ابن عباس وبعض أخباره
٢٨٩ - ٢٩٢	ذكر إياس القاضي وبعض نوادره
٢٩٦ - ٣٠٠	ذكر العمى وما ورد فيه من الشعر
٣٠٣ - ٣٠٦	استطراد بذكر أشعار في التشبيه رائعة
٣٠٨	ذكر معرة النعمان
٣١٤ ، ٣١٥	القطا
٣٧٦ ، ٣١٨	مما قيل في رفو الثياب من الشعر

٣٢١ - ٣١٨	ما قالت الشعراء في الأطمار البالية
٣٣٩ - ٣٣٥	ما ورد من الشعر في السواد والبياض
٣٣٤	ذكر فرغانة
٣٣٥ ، ٣٣٤	ذكر غانة
٣٤٥ - ٣٣٩	باب في الخضر على السفر وترك المعجز
٣٤٧ ، ٣٤٦	ذكر الإسكندرية
٣٥٤ ، ٣٥٣	أصل المثل : لا عطر بمذ عروس
٣٧١ - ٣٦٨	ذكر الفرزدق وبعض أخباره
٣٧٣ - ٣٧١	ذكر خبر الكسبي وقوسه
٣٨٣ - ٣٧٦	نبذ وحكايات مما ورد في الحسن والجمال
٣٨٨ - ٣٨٤	فصل في ذكر بعض أخبار الولاة
٣٩٣ - ٣٨٨	ذكر السليك بن السليكة
٣٩٥ - ٣٩٤	إبراهيم النظام وبعض أخباره وشعره
٦١٨ - ٤٠٩	مما قيل في أنواع الحسن والجمال أيضا
٤٠٩ - ٣٩٨	ذكر المذراء الأنحاء
٤٢٠ - ٤١٩	من أنواع الخلف
٤٢٧ - ٤٢٥	ذكر أحمد بن سريج أحد أئمة الشافعية
٤٢٩ - ٤٢٧	طائفة من شعر النسب
٤٣٢ - ٤٣١	مما قيل في خلق الشعر
٤٣٧ - ٤٣٣	ذكر المتلمس وصحيفته
٤٣٩ - ٤٣٨	أصل المثل : طلب أثرأ بعد عين
٤٤٢ - ٤٣٩	رزء الحسين بن علي رضي الله عنه
- ٤٤٣	أصل المثل : رجع مخفى حنين

استدراك وتعليق

صفحة	مطر	
٦	٢٠	أبو الحبيب الأبنى خطأ ، وصوابه : « الأندى » ، منسوب إلى أند ، مدينة من مكورة بلنسية بالأندلس . وانظر الروض للمطار ٣١ ، وبقية للمتمس للضي ٤٧٧ .
١٠	١٣	أبو عبد الله بن إمام الأئمة الراشدين ، هو محمد ابن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي ، أحد ملوك دولة اللثمين بالعرب ، بويج بالخلافة سنة ٥٩٥ وتوفي في سنة ٦١٠ ، وابنه يوسف ولى عهده . وانظر المعجب في أحوال العرب ٣٨٦ ، ٣٨٧ .
٢٥	٩	هو أبو بكر بن اللبانة الداني .
٥٦	٨	الصواب أن اسمه أبو حفص بن عمر السلي ، قاضى قرطبة . من أهل أغات ، وولى أيضاً فضاء فاس وتلماس وإشبيلية ، وله شعر كثير مطبوع . توفي سنة ٦٠٤ . وانظر نفع الطبيب ١ : ٢٧٣ وصلة الصلة لابن تزيير رقم ٣٠ ، والتكلة لابن أبار برقم ١٨٣١ .

(١) ومعظم هذه الاستدراكات مما أفدته من الصديق العلامة الدكتور محمود
مكي عند قراءته لهذا الجزء بعد طبعه .

- ص ٦٣ ٢ صواب كتاب البيت :
 فاحذر هدايا الناس تأمن من المنّ
 بها أو قول واش يشى .
- ص ٦٣ ١٧ انظر والأبيات في زهر الآداب ٧٧ ، ٧٨
- ص ٦٦ ٢٢ (حاشية ٤) في ترجمة أبي عمران بن موسى بن عمران : توفي سنة ٦٠٤ ، وله تراجم أخرى في التكملة لابن أبار برقم ٢١٤٧ والمصون اليانة ١٣٥ ، وألف باء للبلوى ١ : ٢٣ ، ٣٥٦ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ٣٨٩ .
- ١٠٧ ١ أبو جعفر بن برد ، خطأ والصواب أن اسمه أبو حفص بن برد ، والبيتان في النخبة ق ١ ج ٢ : ٤٨ ، ٤٩ ، وله ترجمة في جذوة المقتبس للحميدى ١٩٢ والنخبة لابن بسام ق ١ ج ٢ : ١٨ - ٥٢ ، ومطمح الأنس ٢٧ ، ٢٨ .
- ١٠٨ ٢ أبو بكر الأبيض ، وهو أحمد بن محمد الأنصارى الإشبيلي ، وانظر ترجمته في المطرب لابن دحية . ٧٠٦ .
- ١٢٨ ٢١ الحلواني القيرواني ، هو عبد الكريم بن فضال الحلواني القيرواني ، وله ترجمة في المطرب . ٥٩ ، ٧٥ ، والنخبة لابن بسام ٤ : ٢١٩ .
- والآيات لابن سعيد ١٠٧
- ١٣٩ ٣ هو أبو بكر بن الجدد

هو موسى بن عمران المارتلي	١٦	١٧٧
الصواب أن الأبيات لأبي عامر بن شهيد ، وانظر الذخيرة لابن بسام ق ١ ج ١ : ٢٥٧	١٧ ، ١٦	١٧٧
هذه الأبيات تنسب للمنفعل ، وانظر الذخيرة لابن بسام ق ١ ج ١ : ٢٥٧ .	٦ - ٣	١٧٨
البيتان في الذخيرة لابن بسام ق ١ ج ١ : ٢٥٨	٨ ، ٧	١٧٨
البيتان في الذخيرة ق ١ ج ١ ص ٢٥٨	١٢ ، ١١	١٧٨
نسبة البيتين لأبي بكر بن بغي ، وهما بهذه النسبة في الذخيرة ق ١ ج ١ ص ٢٥٨	١٣	١٧٨
البيتان في الذخيرة ق ١ ج ١ ص ٢٥٨	٢٨ ، ١٧	١٧٨
هو وهب بن سلمة القرطبي ، من أهل النسك والورع بالأندلس ، ذكره الرازي في كتاب أعيان الموالى برقم ٢٧٢٨ .	١٢	٢٠٩
الصواب : « اليكي » ، بالياء ، واسمه أبو بكر ابن يحيى بن سهل ، وانظر ترجمته في المغرب لابن سعيد ٢ : ٢٦٦	٢	٣١٢
الحلواني ، هو عبد الكريم بن فضال القيرواني ، والأبيات في الذخيرة ٤ : ٢٢٠	٩	٣١٧
الأبيات في قلائد العقيان ٣٠٠	١٣	٣٢٠
الفقرة في الاصطلاح الأندلسي ضرب من العبادة أ. الطحاوي	٢٢ (الحاشية ١)	٣٢١

كذا في جميع الأحوال بنسبة هذا البيت ،
إذا لم أجد في بلدة ما أريده

٦ ٣٤٢

فعمدي لأخرى عزمة وركاب

إلى أبي الطيب ، والصواب أن البيت لأبي فراس

من قصيدته البائية الرومية ، ديوانه ٣٨

يكتب هكذا : عما قيل في أنواع الحسن والجلال
أيضاً .

٩ (المنوان) ٣٩٨

ادارة القرآن والعلوم الاسلاميه كى چند جديد و مفيد اردو كتب

- اسوۃ رسول ﷺ حضرت ڈاكٲر عبدالحى = /۱۵۰
- احكام ميت حضرت ڈاكٲر عبدالحى = /۶۹
- جديد فقہى مباحث مولانا مجاہد الاسلام قاسمى ۵ جلد = /۹۰۰
- طبی اخلاقیات مولانا مجاہد الاسلام قاسمى = /۱۹۵
- جديد فقہى مباحث مولانا مجاہد الاسلام قاسمى جلد نمبر ۱۰ (طبی اخلاقیات) ... = /۱۹۵
- جديد فقہى مباحث مولانا مجاہد الاسلام قاسمى جلد نمبر ۱۱ (مشروط نکاح) = /۱۹۵
- اہم فقہى فیصلے مولانا مجاہد الاسلام قاسمى = /۷۵
- دل كى دنیا مفتی اعظم پاکستان حضرت مولانا مفتی محمد شفیع رحمۃ اللہ علیہ = /۷۲
- متاع نور (سوانح حیات حضرت مولانا نور احمد صاحب رحمۃ اللہ علیہ)، رشید اشرف سیفی = /۱۵۰
- جو تم مسکراؤ تو سب مسکرائیں حضرت سید رضی الدین احمد فخریؒ = /۱۵۰
- نبیوں كى سچی کہانیاں حضرت سید رضی الدین احمد فخریؒ = /۱۲۰
- درود شریف كے فضائل و آداب (ترجمہ القول البدیع) رضی الدین فخریؒ ... = /۹۰
- دور نبوی كا نظام حکومت (ترجمہ التراثیب الاداریہ للكتانیؒ) رضی الدین فخریؒ .. = /۱۵۰
- رہنمائے سعادت تلخیص کیمیائے سعادت سید رضی الدین فخریؒ = /۱۲۰
- تلخیص حجة اللہ البالغہ سید رضی الدین احمد فخریؒ = /۱۲۰

ادارة القرآن والعلوم الاسلاميه

ناشران قرآن مجید و اسلامی، عربی، اردو، انگریزی کتب، مرکز مطبوعات پاکستان، بیروت، ریواد عربی، تفسیر، حدیث، فقہ، اسلامی قانون، تاریخ اسلام، اصلاحی، تصوف، لغت، ادب عربی، اعلیٰ معیار کی عربی، اردو، انگریزی، فارسی کمپیوٹر کمپوزنگ ہر قسم کی اسلامی کتب کی طباعت کیلئے رجوع فرمائیں

۷۲۳۳ / ڈی گارڈن ایسٹ نزد نسیمیلہ چوک۔ کراچی پاکستان۔ فون : 7216488 فون / فیکس : 7223688

E.Mail:quran@biruni.erum.com.pk